٣٥ ر.س

التفسير المحرر

للقرآن الكريم

سورة الشعراء

إعداد

القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية

مراجعة وتدقيق

الشيخ الدكتور خالد بن عثمان السبت
أستاذ التفسير وعلوم القرآن في جامعة الدمام

الشيخ الدكتور أحمد سعد الخطيب
أستاذ التفسير وعلوم القرآن في جامعة الأزهر سابقا

الإشراف العام

الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف

المجلد الحادي والعشرون

الدرر السنية
www.dorar.net

التَّفْسيرُ المُحَرَّرُ

للقُرآنِ الكَريمِ

(سورة الشعراء)

ح مؤسسة الدرر السنية للنشر ـ ١٤٤٢ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
مؤسسة الدرر السنية - القسم العلمي
التفسير المحرر للقرآن الكريم: المجلد الحادي والعشرون: سورة الشعراء/
القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية - الظهران، ١٤٤٢ هـ
٤٠٠ ص، ١٧ سم × ٢٤ سم
ردمك: ٤-٨٥-٨١٥٤-٦٠٣-٩٧٨
١- القرآن - تفسير أ- العنوان
ديوي ٢٢٧,٣٢ ١٤٤٢/٨١٢

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٨١٢
ردمك: ٤-٨٥-٨١٥٤-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م

الدرر السنية
www.dorar.net
مؤسسة الدرر السنية - المملكة العربية السعودية
ص. ب ٣٩٣٦٤ الظهران ٣١٩٤٢ - جوال: ٠٥٥٦٩٨٠٢٨٠
ت: ٠١٣٨٦٨٠١٢٣/ فاكس: ٠١٣٨٦٨٢٨٤٨ - بريد إلكتروني nashr@dorar.net

التَّفْسيرُ المُحَرَّرُ

للقُرآنِ الكَريمِ

(سورة الشعراء)

إعدادُ

القِسمِ العِلميِّ بِمُؤَسَّسَةِ الدُّرَرِ السَّنِيَّةِ

مراجعة وتدقيق

الشيخ الدكتور خالد بن عثمان السَّبت
أستاذ التفسير وعلوم القرآن في جامعة الدمام

الشيخ الدكتور أحمد سعد الخطيب
أستاذ التفسير وعلوم القرآن في جامعة الأزهر - قنا

الإشرافُ العامُّ

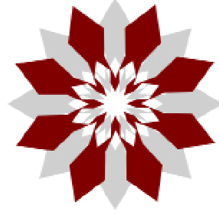
الشيخ علوي بن عبد القادر السَّقَّاف

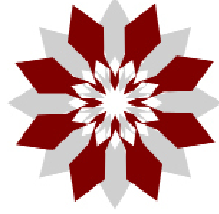
المجلد الحادي والعشرون

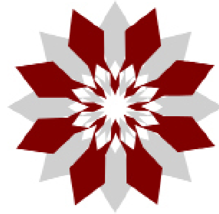
الدُّرَرُ السَّنِيَّة
www.dorar.net

بسم الله الرحمن الرحيم

تَفْسِيرُ
سُورَةِ الشُّعَرَاءِ







سورةُ الشُّعَراءِ

أسماءُ السُّورةِ:

سُمِّيَت هذه السورةُ بسُورةِ (الشُّعَراءِ)(١).

بيانُ المكِّيِّ والمَدَنيِّ:

سورةُ الشُّعراءِ مكِّيَّةٌ(٢).

مقاصِدُ السُّورةِ:

مِن أهمِّ المقاصدِ التي تَضمَّنَتها سورةُ الشُّعراءِ:

١- التَّنويهُ بالقرآنِ الكريمِ، والتَّعريضُ بعَجزِ المشركينَ عن مُعارَضتِه(٣).

٢- تَسليةُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عمَّا يُلاقيه مِن إعراضِ قَومِه(٤).

---

(١) سُمِّيت سورةَ الشعراءِ؛ لأنَّها تفرَّدت من بينِ سور القرآنِ بذكرِ كَلمةِ الشعراء، فاختُتِمت بذِكرِهم في قَولِه تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤]. يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (١/ ٣٤٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٨٩).
وقد ورَدتْ تسميتُها بذلك في بعضِ الآثارِ عن ابنِ عبَّاسٍ وابنِ الزُّبَيرِ رضي الله عنهم. يُنظر: ((الدر المنثور)) للسيوطي (٦/ ٢٨٨).

(٢) القولُ بأنَّها مكيةٌ كلها نسَبه ابنُ عطيةَ إلى جمهورِ الناسِ. يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٢٤).
وقيل: السورةُ مكيةٌ غيرَ آيتين، فإنَّهما مدنيَّتانِ: قولُه تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ ...﴾ الآيةَ، وقولُه تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ...﴾.
وقيل: مكيَّةٌ إلَّا أربعَ آياتٍ منها نزَلْت بالمدينةِ، من قَولِه تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤] إلى آخِرِها. يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٥٧)، ((تفسير الماوردي)) (٤/ ١٦٣)، ((الدر المنثور)) للسيوطي (٦/ ٢٨٨).

(٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقَاعي (١٤/ ١).

(٤) يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (١/ ٣٤٤). =

موضوعاتُ السُّورةِ:

مِن أبرزِ الموضوعاتِ التي تناولَتها سورةُ الشُّعراءِ:

١- بيانُ سموِّ منزلةِ القرآنِ، وذكرُ موقفِ المشركينَ مِن الرسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم، وتسليتُه عمَّا يُلاقيه مِن إعراضٍ منهم.

٢- ذِكرُ جُملةٍ مِن خَبَرِ الرسُلِ مع أقوامِهم وما لاقَوه منهم.

٣- ذكرُ جانبٍ مِن قِصَّةِ نبيِّ الله موسى وأخيه هارونَ عليهما السلامُ، معَ فرعونَ، وقصةِ السَّحَرةِ، وما آلَ إليه الأمرُ مِن غرقِ فرعونَ وجنودِه، ونجاةِ موسَى عليه السلامُ ومَن معه.

٤- ذكرُ جانبٍ مِن دعوةِ نبيِّ الله إبراهيمَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لأبيه وقومِه.

= قال الطِّيبي: (إذا أمعَنْتَ النظرَ فيما اشتمَلَتْ عليه هذه السُّورةُ الكريمةُ، وجدْتَه نازلًا تَسليةً لقلْبِ الحبيبِ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه مِن تَكذيبِ القومِ إيَّاهُ، والطَّعنِ فيما أُنزِلَ إليه، والاستهزاءِ به؛ ألَا ترَى كيف ذيَّلَ كلَّ قصَّةٍ من القَصَصِ المذكورةِ فيها بقولِه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾، وجُعِلَ كالتَّخلُّصِ إلى قصَّةٍ أُخرى، وكالمُهتمِّ بشأْنِه، فيَرجِعُ إليه إذا وجَدَ له مَجالًا، يعني: لا تتحسَّرْ على إصرارِهم على الكُفرِ، وتَكذيبِهم ما أنزَلْنا عليك؛ إنَّ ربَّك عزيزٌ يَنتقِمُ منهم، ويَرحَمُ عليك بأنْ يُقدِّرَ لك مَن يُؤمِنُ بك إنْ لم يُؤمِنْ هؤلاء. ومِن ثَمَّ قرَنَ معه وقدَّمَ عليه كلَّ مرَّةٍ قولَه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾...، يعني: لك التَّأسِّي بربِّك مع كِبريائِه وجَلالِه، وبالأنبياءِ عليهم السَّلامُ السَّالفةِ؛ ولذلك بدَأَ سُبحانه وتعالى بأمْرِ نفْسِه، وذكَرَ أنَّه تعالى أنزَلَ عليهم دليلَ السَّمعِ، فأعْرَضوا وكذَّبوا واسْتَهْزؤوا، ونصَبَ لهم الدَّلائلَ الظَّاهرةَ، وأراهم آياتٍ يَفتَحُ بها أعيُنَهم: مِن إنباتِ كلِّ صِنْفٍ بهيجٍ، وما الْتَفَتوا ولا رفَعوا له رأْسًا، ثمَّ فصَلَ ذلك بتلك الفاصلةِ، وقرَنَها بتلك القرينةِ، وثنَّى بقصَّةِ مُوسى عليه السَّلامُ، وختَمَها أيضًا بتلك الفاصلةِ والقرينةِ، وثلَّثَ بقصَّةِ الخليلِ عليه السَّلامُ وختَمَها بهما، وهلُمَّ جرًّا، إلى آخرِ السُّورةِ...، كأنَّ التَّنزيلَ بجُملتِه نازلٌ لِتَسكينِ بادرتِه، وتَسلِّي حُزنِه، وتَثبيتِ خَلَدِه، ورباطةِ جأْشِه، وتَهذيبِ أخلاقِه، وإرشادِ أُمَّتِه). ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٣١٧، ٣١٨).

٥- ذكرُ جانبٍ مِن قِصَّةِ نبيِّ الله نوحٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، ودعوتِه قَومَه، وما آلَ إليه الأمرُ مِن إغراقِ المكَذِّبينَ، وتنجيةِ المؤمنينَ.

٦- ذكرُ قِصَّةِ نبيِّ الله هودٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، ودعوتِه لقومِه؛ وبيانُ العاقبةِ التي انتهَى إليها المكَذِّبون منهم.

٧- ذكرُ قِصَّةِ نبيِّ الله صالحٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، ودعوتِه لِقَومِه، وما ترتَّب على عَقرِهم الناقةَ مِن نزولِ العذابِ بهم.

٨- ذكرُ قِصَّةِ نبيِّ الله لوطٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، ودعوتِه لِقَومِه، وما حصل منهم مِن إعراضٍ، فنجَّاه اللهُ منهم وأهلَكَهم.

٩- ذكرُ قِصَّةِ نبيِّ الله شُعَيبٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ مع قَومِه، وما لَحِقهم مِن العذابِ جرَّاءَ تكذيبِهم.

١٠- التنويهُ بنزولِ القُرآنِ الكريمِ، وشهادةُ أهلِ الكتابِ له، وأنَّه مُنزَّهٌ عن أن يكونَ شِعرًا أو مِن أقوالِ الشياطينِ، وأمرُ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بإنذارِ عَشيرتِه، وبيانُ أنَّ العَذابَ مُنقَلَبُ الذين يَظلِمون.



الآيات (١-٩)

﴿طسٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣
إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ٤ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ
مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ٥ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٦ أَوَلَمۡ
يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ٧ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٨
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٩﴾.

غَريبُ الكَلِماتِ:

﴿بَٰخِعٞ﴾: أي: قاتِلٌ، قيل: البَخْعُ: أن يبلُغَ بالذَّبحِ البِخاعَ، وهو عِرقٌ مستبطِنٌ القَفا، وذلك أقصَى حدِّ الذَّبحِ(١)، وأصلُ (بخع): يدُلُّ على القَتلِ(٢).

﴿خَٰضِعِينَ﴾: أي: ذَليلينَ، وأصلُ (خضع): يدُلُّ على تَطامُنٍ في الشَّيءِ(٣).

﴿مُحۡدَثٍ﴾: أي: مُجَدَّدٍ إنزالُه، وأصلُ (حدث): يدُلُّ على كَونِ الشَّيءِ بعدَ أنْ

(١) قال ابنُ الأثير: (ذَكَره [أي الزمخشري] في كتابِ الفائِقِ في غريبِ الحديثِ، وكتابِ الكشَّافِ في تفسيرِ القرآنِ، ولم أجدْه لغيرِه وطالما بحثْتُ عنه في كتب اللُّغةِ والطِّبِّ والتَّشريح فلم أجدِ البخاعَ -بالباءِ- مذكورًا في شيءٍ منها). ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) (١/ ١٠٢).
وأجاب عن ذلك الألوسي وابنُ عاشورٍ بأنَّ الزمخشريَّ ثقةٌ في هذا البابِ واسعُ الاطلاعِ، حجةٌ فيما أثبتَه من ذلك. يُنظر: ((تفسير الألوسي)) (٨/ ١٩٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٥/ ٢٥٤).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٢٦٣)، ((تفسير ابن جرير)) (١٥/ ١٤٩)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٢٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٢٠٦)، ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٩٨)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢١٠)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٢٧١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٤٥)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ١٨٩)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٨٦).

لم يكُنْ[1].

﴿زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾: أي: صِنفٍ ونوعٍ حسنٍ، وكلُّ شيءٍ شرُف في بابِه فإنَّه يُوصَفُ بالكرمِ[2].

المعنى الإجماليُّ:

ابتدأت السُّورةُ بالحُروفِ المقطَّعةِ، التي تُبيِّنُ إعجازَ القرآنِ؛ وتُبرِزُ عجزَ الخَلْقِ عن معارضتِه بالإتيانِ بشيءٍ مِن مثلِه، مع أنَّه مركَّبٌ مِن هذه الحروفِ العربيَّةِ التي يَتحدَّثون بها!

ثمَّ قال الله تعالى: تلك آياتُ القُرآنِ الواضِحِ، المُظهِرِ للحَقِّ.

ثمَّ خاطَب الله تعالى رسولَه صلَّى الله عليه وسلَّم بما يُسلِّيه عن تكذيبِ المشركينَ له، فقال: لعلَّك -يا محمَّدُ- مُهلِكٌ نفْسَك غمًّا وأسَفًا؛ بسَبَبِ تَكذيبِ الكافرينَ لك، وعَدَمِ إيمانِهم بدَعوتِك، إنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ على هؤلاء المُشرِكين مُعجِزةً ظاهِرةً مِن السَّماءِ تُلجِئُهم إلى الإيمانِ، فيَنقادوا للحَقِّ مقهورين.

ثمَّ بيَّن سبحانَه ما عليه هؤلاءِ الكافرونَ مِن عنادٍ وجحودٍ، وبيَّن سوءَ عاقبتِهم، فقال: كُلَّما جاءهم قُرآنٌ مُحدَثٌ تَنزيلُه عليك -أيُّها الرَّسولُ- أعرَضوا عنه فلم يُؤمِنوا به، فقد كذَّب هؤلاء الكُفَّارُ بالقُرآنِ الذي جاءهم مِن عندِ الله، فسيأتيهم عاقِبةُ ما كذَّبوا واستَهزؤوا به.

---

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٣٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٢٢)، ((الكليات)) لأبي البقاء الكفوي (ص: ٨٨٤).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣١٦)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٤٩)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٣٩١)، ((تفسير السمعاني)) (٤/ ٢٢٨)، ((المفردات في غريب القرآن)) للراغب (ص: ٣٨٥، ٧٠٧)، ((تفسير الرسعني)) (٥/ ٣٧١).

ثمَّ وبَّخهم سبحانَه على غفلتِهم عن التفكُّرِ في هذا الكونِ، فقال: أوَلم يَرَ أولئك المُشركون إلى ما أنبَتْنا في الأرضِ مِن الأصنافِ الكثيرةِ الكريمةِ الطيِّبةِ النَّافعةِ، إنَّ في ذلك لَدَلالةً على كَمالِ قُدرةِ الله تعالى، وما كان أكثَرُ هؤلاء المُشركين مُؤمنينَ، وإنَّ ربَّك -يا محمَّدُ- لهو الغالِبُ القاهِرُ المنتَقِمُ مِن أعدائِه، الواسِعُ الرَّحمةِ بعبادِه، فلا يُعاجِلُهم بعُقوبتِه.

تَفسيرُ الآياتِ:

﴿طسٓمٓ ١﴾.

هذه الحروفُ المقطَّعةُ التي افتُتِحَت بها هذه السُّورةُ وغيرُها، تأتي لبيانِ إعجازِ القرآنِ؛ حيثُ تُظهِرُ عجزَ الخَلْقِ عن معارضتِه بمثلِه، مع أنَّه مركَّبٌ مِن هذه الحروفِ العربيَّةِ التي يتحدَّثونَ بها[١].

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢﴾.

أي: تلك آياتُ القرآنِ البَيِّنِ، الواضِحِ صِدقُه، المُظهِرِ ببَيانِه ما فيه مِن الهُدى والحَقِّ[٢].

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا ذكَرَ الله تعالى أنَّه بيَّنَ الأمورَ قال بعْدَه: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾،

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (١/ ١٦٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (١/ ٢٠٦)، ((تفسير ابن عُثيمين- الفاتحة والبقرة)) (١/ ٢٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٥)، ((نظم الدرر)) للبِقَاعي (١٤/ ١-٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٩٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٤-١٧).

منبِّهًا بذلك على أنَّ الكتابَ وإنْ بلَغَ في البيانِ كلَّ غايةٍ فغيرُ مُدخِلٍ لهم في الإيمانِ؛ لِمَا أنَّه سبَقَ حُكْمُ اللهِ بخِلافِه، فلا تُبالِغْ في الحزنِ والأسَفِ على ذلك؛ لأنَّك إنْ بالَغْتَ فيه كنتَ بمنزلةِ مَن يَقتُلُ نفْسَه ثمَّ لا يَنتفِعُ بذلك أصلًا، فصَبَّرَه وعَزَّاهُ وعرَّفَه أنَّ غَمَّه وحزنَه لا نفعَ فيه، كما أنَّ وُجودَ الكِتابِ على بيانِه ووُضوحِه لا نفعَ لهم فيه[١].

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣﴾.

أي: لعلَّك[٢] -يا محمَّدُ- مُهلِكٌ نفْسَك غمًّا وأسَفًا؛ لعَدَمِ إيمانِ قَومِك بما جِئتَهم به مِن الحَقِّ، فلا تُهلِكْ نفْسَك بحُزنِك عليهم؛ فما عليك إلَّا البلاغُ، واللهُ يَهدي مَن يشاءُ[٣].

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٤٩٠).

(٢) قال ابن عطية: (وخُوطِب بـ «لعل» على ما في نفوس البشَرِ مِن توقُّعِ الهلاكِ في مِثلِ تلك الحالِ، ومعنى الآيةِ أي: لا تهتَمَّ -يا محمَّدُ- بهم، وبلِّغْ رسالتَك، وما عليك مِن إيمانِهم؛ فإنَّ ذلك بيدِ الله، لو شاء لآمَنوا). ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٢٤).

وقال ابن عاشور: (و«لعَلَّ» إذا جاءت في ترجِّي الشيءِ المَخُوفِ سُمِّيت إشفاقًا وتوقُّعًا). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٩٣).

وقال ابن عثيمين: («لعلَّ»... هنا للإشفاق، مثلُ أن تقولَ: «لعلَّ الحبيبَ هالكٌ»، فلا يمكنُ أن يكونَ قَصدُك ترجِّيَ أن يَهلِكَ حَبيبُك، لكِنَّك تُشفِقُ. واللهُ تعالى أشفقَ على نبيِّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم من أن يُهلِكَ نفْسَه -يقتُلها مِن الغَمِّ- بسبب عدَمِ إيمانِهم، والرَّسولُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ يُعاني مِن عدمِ إيمانِهم، ومِن المشقَّةِ الشَّديدةِ، ويَحزَنُ، ويَضيقُ صَدرُه). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٤٣)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٤٩)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٨٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٥)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٩).

وقال البقاعي: (فكان كأنَّه قيل: هذا الكتابُ في غايةِ البيانِ في نفْسِه والإبانةِ للغيرِ، و... أنَّه ليس عليك إلَّا البلاغُ، أتخافُ وتُشفِقُ على نفْسِك من الهلاك غمًّا؛ تأسفًا على عدمِ إيمانِهم، =

كما قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

وقال سُبحانَه: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [لقمان: ٢٣].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨].

﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ٤﴾.

أي: لو شِئْنا لأنزَلْنا على هؤلاءِ الكُفَّارِ مُعجِزةً ظاهِرةً مِن السَّماءِ تَضطرُّهم إلى الإيمانِ، فينقادوا للحَقِّ قَهرًا، ولكِنْ أراد اللهُ بحكمتِه أن يكونَ إيمانُ كُلِّ أحدٍ اختياريًّا[1].

كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [يونس: ٩٩، ١٠٠].

﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ٥﴾.

أي: وإذا أتى الكُفَّارَ قُرآنٌ حَديثُ النُّزولِ مِن الرَّحمنِ؛ لِيَتذكَّروا ويتَّعِظوا

= والحالُ أنَّا لو شئنا لهديناهم طَوعًا أو كَرهًا، والظَّاهِرُ أنَّ جملةَ الإشفاقِ في موضِعِ حالٍ من اسمِ الإشارةِ، كما أنَّ الآيةَ التي بعْدَها في موضعِ الحالِ منها، أي: نحن نشيرُ إلى الآياتِ المبيِّنةِ لمُرادِنا فيهم، والحالُ أنَّك -لمزيدِ حِرصِك على نفعِهم- بحالٍ يُشفِقُ فيها عليك مَن لا يعلَمُ الغَيبَ مِن أن تقتُلَ نفْسَك غمًّا لإبائِهم الإيمانَ، والحالُ أنَّا لو شِئْنا أتَيْناهم بما يَقهَرُهم ويُذِلُّهم للإيمانِ وغيرِه). ((نظم الدرر)) (١٤/ ٧).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٤٨)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٨٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٩٥، ٩٦).

ويتَّبِعوه، أعرَضوا عنه، فلم يُؤمِنوا به ولم يتدَبَّروه[(١)]!

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾﴾.

أي: فقد كذَّب الكُفَّارُ بالقُرآنِ الذي جاءهم مِن عندِ اللهِ، فسيأتيهم في المُستقبَلِ صِدقُ أخبارِ القُرآنِ الذي استَهزؤوا به؛ من هَلاكِهم، ونَصرِ اللهِ نَبيَّه، والبَعثِ في الآخرةِ، ودُخولِهم النَّارَ[(٢)].

كما قال تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ * لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٦، ٦٧].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا كان إعراضُهم عن الإيمانِ باللهِ الخالقِ لهذا الوجودِ، وتكذيبُ ما جاءَتْهم به رُسُلُه؛ مِن أعظمِ الكفرِ، وكانوا يجعلونَ الأصنامَ آلهةً؛ نَبَّهَ تعالى على قدرتِه، وأنَّه الخالقُ المنشئُ الذي يَستحِقُّ العبادةَ، فقال تعالى[(٣)]:

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٤٩)، ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٦٢)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٣)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٩٥، ٩٦).

قال ابن عثيمين: (وهذا الإعراضُ معنويٌّ وحِسيٌّ، يشملُ الأمْرين؛ فهم مُعرِضون وإن حَضَروا بأبدانهم، ومُعرِضون أيضًا بأبدانِهم يقومون عنه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]، فهم معرضون -والعياذُ بالله- في قلوبهم وأبدانِهم). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٩). ويُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٤٩)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٩٠)، ((الجواب الصحيح)) لابن تيميَّة (١/ ٤١٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٩٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٣١).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٤١).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧﴾.

أي: أولم يَرَ[1] أولئك المُشرِكون إلى الأرضِ، فيتفكَّروا في كثرةِ ما أنبَتْنا فيها مِن الأصنافِ الطيِّبةِ الحَسَنةِ النَّافعةِ[2]؟!

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝٨﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا كان ما سبَقَ باهرًا للعَقلِ، مُنَبِّهًا له في كلِّ حالٍ على عَظيمِ اقتِدارِ صانِعِه، وبَديعِ اختيارِه؛ وصَلَ به قولَه[3]:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾.

أي: إنَّ في إحياءِ الأرضِ وإنباتِها بعدَ مَوتِها لَدَلالةً على قُدرةِ اللهِ على إحياءِ

(١) قال ابنُ عثيمين: (تحتَمِلُ المعنيَين؛ الرؤيةَ الحِسِّيةَ: إذا نظَر بعَينِه هو. والعِلميَّةَ: إذا عَلِمَ بذلك مِن غيرِه؛ لأنَّ هناك أشياءَ لا نعلَمُها مِمَّا يَنبتُ في الأرض، يعني: لا نراها ولكِنَّنا نُخبَرُ بها، فالأولَى أن يقال: إنه شامِلٌ للنظرِ بالعَينِ، والنظَرِ بالقلبِ الذي هو العِلمُ). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٣٢).
ممَّن اختار أنَّ المعنَى: أوَ لم يَنظُروا: السمرقنديُّ، والكرماني، والبيضاوي، والشوكاني، والألوسي.
يُنظر: ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٥٠)، ((تفسير الكرماني)) (٢/ ٨٢٨)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٣)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١١٠)، ((تفسير الألوسي)) (١٠/ ٦١).
وقال القرطبي: (قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ نبَّه على عظَمتِه وقدرتِه، وأنَّهم لو رأوا بقلوبِهم، ونظَروا ببصائرِهم لعَلِموا أنَّه الذي يَستحقُّ أنْ يُعبَدَ؛ إذ هو القادرُ على كلِّ شيءٍ). ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٩٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٤٩)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٩٠)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (١٦/ ٢٩٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٦)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١٠، ١١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٩)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ٨٦).

(٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١١).

الموتى[١].

كما قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۞ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ۞ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۞ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٣ - ٣٦].

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

أي: وما أكثَرُ هؤلاء المُشرِكين بمؤمِنينَ باللهِ تعالى وآياته[٢].

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧].

وقال سُبحانَه: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: ١٧].

وقال تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: ٧].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٥٠)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٩١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٩).

قال البقاعي: (﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمرِ العَظيمِ مِن الإنباتِ، وما تقَدَّمَه مِن العظاتِ على كثرتِه ﴿لَآيَةً﴾ أي: عَلامةً عظيمةً جدًّا لهم على تمامِ القُدرةِ على البَعثِ وغَيرِه، كافيةً في الدعاءِ إلى الإيمانِ، والزَّجرِ عن الطُّغيانِ). ((نظم الدرر)) (١٤/ ١١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٥٠)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٩١)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٦).

قال ابن عثيمين: (قال: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فلا ينتَفِعُ بالآيةِ إلَّا المؤمِنُ، فإذا لم ينتفِعْ بها أحدٌ ما صارت بالنسبةِ إليه آيةً؛ ولهذا قيَّدَها بقولِه: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: لا ينتَفِعونَ بها). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٣٥).

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩ ﴾.

أي: وإنَّ ربَّك -يا محمَّدُ- لهُو القويُّ الغالِبُ، القاهِرُ المنتَقِمُ مِن أعدائِه، الرَّحيمُ بعبادِه، فلا يعاجِلُهم بعِقابِه، ويقبَلُ توبةَ مَن آمَنَ به، ويَنَجِّي أولياءَه من عَذابِه[1].

الفَوائِدُ التَّربويَّةُ:

لا يَنبغي أنْ نَجزَعَ إذا ذكَّرنا إنسانًا ووجَدْناه يُعانِدُ أو يُخاصِمُ أو يقولُ: «أنا أعمَلُ ما شئتُ» أو ما أشبهَ ذلك؛ قال الله تعالى لنبيِّه: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ لا تُهْلِكْ نفسَك إذا لم يؤمِنوا؛ إيمانُهم لهم، وكُفرُهم ليس عليك[2].

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:

١- في قَولِه تعالى: ﴿ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ ﴾ دليلٌ على إثباتِ الحِكمةِ؛ لأنَّ اللهَ لم يُنَزِّلْ هذه الآيةَ؛ لأنَّه لو أنزَلها لكان الإيمانُ اضطراريًّا، والإيمانُ الاضطراريُّ لا مَدحَ فيه ولا ثناءَ، بل لا يَنفَعُ صاحبَه؛ فلهذا إذا آمَنَ الإنسانُ عندَ ملاقاةِ الموتِ ما نفعَه، وبعدَ طلوعِ الشَّمسِ مِن مغربِها ما نفعَه! نعم، لا يَنفَعُ إلَّا إذا كان الإيمانُ اختياريًّا، ولَمَّا نتَقَ اللهُ الجبلَ فوقَ بني إسرائيلَ آمَنوا، ولكنَّ هذا الإيمانَ لا شَكَّ أنَّه ضعيفٌ؛ لأنَّه إيمانٌ اضطراريٌّ، فمِنْ حكمةِ اللهِ سبحانه وتعالى أنَّه لم يُنَزِّلْ هذه الآيةَ لِيَكونَ الإيمانُ عن اختيارٍ، لا عن اضطرارٍ[3].

٢- قال الله تعالى: ﴿ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٥١)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٩١)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- جزء عم)) (ص: ١٨٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٤).

إنْ قيل: لِماذا لم يُرِهم آيةً كما أُرِيَ بنو إسرائيلَ نَتْقَ الجبَلِ فوقَهم كأنَّه ظُلَّةٌ؟

الجواب: كان بنو إسرائيلَ مُؤمِنينَ بموسى وما جاء به، فلم يكنْ إظهارُ الآياتِ لهم لإلجائِهم على الإيمانِ، ولكِنَّه كان لزيادةِ تثبيتِهم، كما قال إبراهيمُ عليه السلامُ: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى﴾[١] [البقرة: ٢٦٠].

٣- في قَولِه تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ دليلٌ على أنَّ الأسبابَ مؤثِّرةٌ؛ لأنَّه إذا نزلَتِ الآيةُ خَضَعوا، وهذا دليلٌ على ثبوتِ الأسبابِ وأنَّها مؤثِّرةٌ[٢].

٤- في قَولِه تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أنَّه تعالى وصَفَ الكُفَّارَ بالإعراضِ أوَّلًا، وبالتَّكذيبِ ثانيًا، وبالاستِهزاءِ ثالثًا؛ وهذه درجاتُ مَن أخذَ يترقَّى في الشَّقاوةِ؛ فإنَّه يُعرِضُ أولًا، ثم يُصَرِّحُ بالتَّكذيبِ والإنكارِ إلى حيثُ يَستهزئُ به ثالثًا[٣].

٥- قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ أنواعُ النَّباتِ المذكورةُ في هذه الآيةِ دالَّةٌ على وَحدانيَّةِ اللهِ؛ لأنَّ هذا الصُّنعَ الحَكيمَ لا يَصدُرُ إلَّا عن واحدٍ لا شريكَ له. وهذا دَليلٌ مِن طريقِ العقْلِ، ودليلٌ أيضًا على إمكانِ البعثِ؛ لأنَّ الإنباتَ بعدَ الجَفافِ مثيلٌ لإحياءِ الأمواتِ بعدَ رُفاتِهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾ [يس: ٣٣]. وهذا دَليلٌ تقْريبيٌّ للإمكانِ؛ فكان في آيةِ الإنباتِ تَنبيهٌ على إبطالِ أصْلَيْ عدَمِ إيمانِهم؛ وهما: أَصْلُ الإشراكِ باللهِ، وأصلُ إنكارِ البعثِ[٤].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٩٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٤٩٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٠، ١٠١).

٦- قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فإنْ قيل: حين ذُكِرَ الأزواجُ ودَلَّ عليها بكلمتَي الكثرةِ والإحاطةِ، وكانت بحيث لا يُحصيها إلَّا عالِمُ الغَيبِ، كيف قال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ وهلَّا قال: (آيات)؟

فالجوابُ من عدَّةِ أوجُهٍ:

الأول: أن يكونَ ذلك مُشارًا به إلى مصدرِ ﴿أَنْبَتْنَا﴾، فكأنَّه قال: إنَّ في الإنباتِ لآيةً أيَّ آيةٍ، فالمُشارُ إليه واحدٌ، وهو الإنباتُ، وإنِ اختلَفَت مُتعلَّقاتُه.

الثاني: أن يُرادَ: إنَّ في كُلِّ واحدةٍ مِن تلك الأزواجِ لَآيةً؛ فيَكونَ على التَّوزيعِ[(١)].

الثالث: لعلَّه وحَّدها على كثرتِها إشارةً إلى أنَّ الدَّوالَّ عليه متساويةُ الأقدامِ في الدَّلالةِ، فالراسخون تُغنيهم واحدةٌ، وغيرُهم لا يَرجعون لشيءٍ[(٢)].

٧- في قَولِه تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ خَتَمَ اللهُ تعالى بعِزَّتِه ورحمتِه؛ لِيَجمعَ بيْنَ الترغيبِ والترهيبِ؛ التَّرهيبِ بالعِزَّةِ، والتَّرغيبِ بالرَّحمةِ[(٣)].

٨- في قوله تعالى: ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الجمعُ هنا بينَ هاتينِ الصِّفتينِ «العِزَّة، والرَّحمةِ» للتناسُبِ البالغِ؛ لأنَّ مِن اجتماعِهما يحصلُ الكمالُ، فهو بعِزَّته ذو رحمةٍ؛ فلو قارنَّا بينَ العزةِ والرحمةِ في صفاتِ المخلوقينَ لوجَدْنا أنَّهما لا يجتمعان في الغالبِ؛ وأنَّ العزيزَ الذي يَرى نفْسَه قاهرًا: في الغالبِ لا تكونُ فيه رحمةٌ، فاجتماعُ الصِّفتينِ يحصلُ بهما كمالٌ على الكمالِ، عِزَّةٌ ورحمةٌ، ثم

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٠١)، ((تفسير أبي حيان)) (٧/ ١٤٢)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٢).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٣٧).

اجتماعُهما كمالٌ، فيكونُ مع العِزَّةِ رحيمًا لا يُؤاخِذُ ولا يَنتقِمُ؛ ولهذا لم يُعَجِّلِ اللهُ سبحانه وتعالى العقوبةَ للظالِمِ، ولكنَّه بحكمتِه يُمْلي له حتَّى إذا أخَذَه لم يُفلِتْه[١].

بلاغةُ الآياتِ:

١- قولُه تعالى: ﴿طسٓمٓ﴾ المقصودُ بهذه الحروفِ المُقطَّعةِ: التَّعريضُ بإلْهابِ نُفوسِ المُنكِرينَ لِمُعارَضةِ بعضِ سُورِ القرآنِ بالإتيانِ بمِثْلِه في بَلاغتِه وفصاحتِه، وتحدِّيهم بذلك، وتسجيلِ عجْزِهم عن ذلك[٢].

٢- قولُه تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾

- قولُه: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ الإشارةُ بـ ﴿تِلْكَ﴾ إلى الحاضرِ في الأذهانِ مِن آياتِ القرآنِ المُنزَّلِ مِن قبْلُ، وبيَّنَه الإخبارُ عن اسمِ الإشارةِ بأنَّها آياتُ الكتابِ[٣]، وما في اسمِ الإشارةِ مِن معنى البُعدِ؛ للتَّنبيهِ على بُعدِ منزلةِ المُشارِ إليه في الفَخامةِ[٤].

٣- قولُه تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ الكلامُ استئنافٌ بيانيٌّ، وقَع جوابًا عمَّا يُثيرُه مَضمونُ ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ مِن تساؤُلِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم في نفْسِه عن استمرارِ إعراضِ المُشركينَ عن الإيمانِ وتصديقِ القرآنِ. وحُوِّلَ الخِطابُ مِن توجيهِه إلى المعاندينَ إلى تَوجيهِه للرَّسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، وهو نوعٌ مِن الالْتفاتِ؛ فيه الْتفاتٌ مِن أُسلوبٍ إلى أُسلوبٍ، والْتفاتٌ عمَّن كان الكلامُ مُوجَّهًا إليه بتَوجيهِ الكلامِ إلى شخصٍ آخَرَ[٥].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٣٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٩١).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ٩٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٣).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٤/ ٢٤١) و(١٩/ ٩٣).

- قولُه: ﴿لَعَلَّكَ﴾ (لعلَّ) للإشفاقِ عليه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم(١)، وهو حثٌّ على ترْكِ الأسفِ مِن ضَلالِهم، على طريقةِ تَمثيلِ شأْنِ المُتكلِّمِ الحاثِّ على الإقلاعِ بحالِ مَن يَستقرِبُ حُصولَ هَلاكِ المُخاطَبِ إذا استمرَّ على ما هو فيه مِن الغَمِّ(٢).

- قولُه: ﴿أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ جِيءَ بمُضارعِ الكَونِ؛ للإشارةِ إلى أنَّه لا يأسَفُ على عدَمِ إيمانِهم ولوِ استمرَّ ذلك في المُستقبَلِ؛ فيكونُ انتفاؤُه فيما مَضى أوْلى بألَّا يُؤسَفَ له. وعدَلَ عن (ألَّا يُؤمِنوا) إلى ﴿أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾؛ لأنَّ في فِعلِ الكونِ دَلالةً على الاستمرارِ، زِيادةً على ما أفادَتْه صِيغةُ المُضارعِ، فتأكَّدَ استمرارُ عدَمِ إيمانِهم الَّذي هو مَورِدُ الإقلاعِ عن الحُزنِ له(٣).

- وضَميرُ ﴿يَكُونُواْ﴾ عائدٌ إلى معلومٍ مِن مقامِ التَّحدِّي الحاصلِ بقولِه: ﴿طسٓمٓ * تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [الشعراء: ١، ٢]؛ للعلْمِ بأنَّ المُتحدَّيْنَ هم الكافِرونَ المُكذِّبون(٤).

- وحُذِفَ مُتعلَّقُ ﴿مُؤْمِنِينَ﴾؛ إمَّا لأنَّ المُرادَ: مُؤمنينَ بما جئتَ به مِن التَّوحيدِ والبعثِ، وتَصديقِ القرآنِ وتصديقِ الرَّسولِ، وإمَّا لأنَّه أُريدَ بـ ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ المعنى اللَّقبيُّ، أي: ألَّا يَكونوا في عِدادِ الفريقِ المعروفِ بالمؤمنينَ، وهم أمَّةُ الإسلامِ(٥).

---

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٩٩)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٣)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٩٣).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ٩٤).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)).

- وقد جاء في سُورةِ (الكهفِ): ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦] بحرْفِ نفْيِ الماضي وهو (لَمْ)؛ لأنَّ سُورةَ (الكهفِ) مُتأخِّرةُ النُّزولِ عن سُورةِ (الشُّعراءِ)؛ فعدَمُ إيمانِهم قد تقرَّرَ حينَئذٍ، وبلَغَ حدَّ المأْيوسِ منه(١).

٤- قولُه تعالى: ﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾

- قولُه: ﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم...﴾ استِئنافٌ مَسوقٌ لتَعليلِ ما يُفْهَمُ مِن الكلامِ مِن النَّهيِ عن التَّحسُّرِ المذكورِ، ببَيانِ أنَّ إيمانَهم ليس ممَّا تعلَّقتْ به مَشيئةُ اللهِ تعالى حتْمًا؛ فلا وجْهَ للطَّمعِ فيه، والتَّألُّمِ مِن فَواتِه(٢).

- وهو استئنافٌ بَيانيٌّ ناشئٌ عن ﴿أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾؛ لأنَّ التَّسليةَ على عدَمِ إيمانِهم تُثيرُ في النَّفسِ سُؤالًا عن إمهالِهم دونَ عُقوبةٍ ليُؤمنوا، كما قال موسى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]، فأُجِيبَ بأنَّ اللهَ قادرٌ على ذلك. فهذا الاستئنافُ اعتراضٌ بيْنَ الجُملتينِ المعطوفةِ إحداهما على الأُخرى(٣).

- وجِيءَ بحرْفِ (إنْ) الَّذي الغالبُ فيه أنْ يُشعِرَ بعدَمِ الجزْمِ بوُقوعِ الشَّرطِ؛ للإشعارِ بأنَّ ذلك لا يَشاؤُه اللهُ لحِكمةٍ اقتضَتْ ألَّا يَشاءَه(٤).

- ومفعولُ ﴿نَّشَأۡ﴾ محذوفٌ، يدُلُّ عليه جوابُ الشَّرطِ على الطَّريقةِ الغالبةِ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٩٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٩٤).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ٩٥).

في حذْفِ مفعولِ فِعلِ المشيئةِ. والتَّقديرُ: إنْ نشَأْ تَنزيلَ آيةٍ نُنزِّلْها[١]، وقيل: إنْ نشَأْ إيمانَهم[٢].

- وتَقديمُ الظَّرفين -﴿عَلَيۡهِم﴾ ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾- على المفعولِ الصَّريحِ ﴿ءَايَةٗ﴾؛ للاهتمامِ بالمُقدَّمِ، والتَّشويقِ إلى المُؤخَّرِ[٣].

- قولُه: ﴿فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ أصْلُ الكلامِ: فظَلُّوا لها خاضعينَ، فأُقحِمَتِ الأعناقُ لبَيانِ مَوضعِ الخُضوعِ، وتُرِكَ الكلامُ على أصْلِه، كقولِه: ذهبَتْ أهلُ اليمامةِ، كأنَّ الأهلَ غيرُ مذكورٍ. أو لَمَّا وُصِفَت بالخُضوعِ الَّذي هو للعُقلاءِ قيل: ﴿خَٰضِعِينَ﴾، كقولِه تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]. وقيل: أعناقُ النَّاسِ: رُؤساؤهم ومُقدَّمُوهم، شُبِّهوا بالأعناقِ كما قيل لهم: هم الرُّؤوسُ والنَّواصي والصُّدورُ. وقيلَ: جماعاتُ النَّاسِ[٤]. وفائدةُ الوجْهِ الأوَّلِ -وهو إقحامُ العُنقِ- تصويرُ حالةِ الخضوعِ؛ إدخالًا للرَّوعةِ. والوجْهُ الثَّاني مِن بابِ إجراءِ ما لا يَعقِلُ مُجرى العُقلاءِ؛ مُبالغةً لِخُضوعِهم، فكأنَّه سَرى منهم إليها. والثَّالثُ مِن إطلاقِ الجُزءِ على الكلِّ؛ فإنَّ المُتكبِّرَ إنَّما يَظهَرُ تجبُّرُه في عُنقِه، ولَيِّه له[٥].

- وفُرِّعَ على تَنزيلِ الآيةِ ما هو في مَعنى الصِّفةِ لها، وهو جُملةُ ﴿فَظَلَّتۡ

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٩٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير النسفي)) (٢/ ٥٥٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٣، ٢٣٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٩٩)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٣)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٤٠، ١٤١)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٤).

(٥) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٣١٦).

أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ بفاءِ التَّعقيبِ(١).

- قولُه: ﴿فَظَلَّتْ﴾ معطوفٌ على المُضارع ﴿نُنَزِّلْ﴾ الَّذي لو استُعمِلَ بدَلَه الماضي لكانَ صحيحًا(٢)، وفائدةُ وضْعِ ﴿نُنَزِّلْ﴾ مَوضِعَ (أنزَلْنا): استحضارُ صُورةِ إنزالِ تلك الآيةِ العظيمةِ المُلْجِئةِ إلى الإيمانِ، وحُصولِ خُضوعِ رِقابِهم عندَ ذلك في ذِهنِ السَّامعِ؛ لِيَتعجَّبَ منه، وإلَّا لم يصِحَّ عطْفُ الماضي على المُستقبَلِ بحرفِ التَّعقيبِ، أو جَعْلُ الماضي مُسبَّبًا عن المُستقبَلِ(٣). وقيل: فائدةُ عَطفِ ﴿فَظَلَّتْ﴾ -وهو ماضٍ- على المضارِعِ ﴿نُنَزِّلْ﴾: التفنُّنُ بيْنَ الصِّيغتَينِ، وتقريبُ زَمنِ مُضيِّ المُعقَّبِ بالفاءِ مِن زَمَنِ حُصولِ الجزاءِ، بحيثُ يكونُ حصولُ خُضوعِهم للآيةِ بمَنزلةِ حُصولِ تَنزيلِها؛ فيتِمُّ ذلك سريعًا حتَّى يُخيَّلَ لهم مِن سُرعةِ حُصولِه أنَّه أمرٌ مضَى؛ فلذلك قال: ﴿فَظَلَّتْ﴾، ولم يقُلْ: (فتَظَلُّ)، وهذا قريبٌ من استعمالِ الماضي في قولِه تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، وكِلاهما للتهديدِ(٤).

٥- قولُه تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ بيانٌ لشِدَّةِ شَكيمتِهم، وعدَمِ ارْعِوائِهم عمَّا كانوا عليه مِن الكُفرِ والتَّكذيبِ بغيرِ ما ذُكِرَ مِن الآيةِ المُلْجِئةِ؛ لِصَرْفِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن الحِرصِ على إسلامِهم، وقَطْعِ رجائِه عنه(٥).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٩٥).

(٢) قال النحاسُ: (﴿فَظَلَّتْ﴾ معناه فتظَلّ؛ لأنَّ الماضيَ يأتي بمعنى المستقبَلِ في المجازاةِ). ((إعراب القرآن)) (٣/ ١٢٠).

(٣) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٣١٣)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٧/ ٥٥).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٩٥، ٩٦).

(٥) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٤).

- قولُه: ﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ... ﴾ فيه دَلالةٌ على فَضْلِه وشَرفِه، وشَناعةِ ما فعَلوا به. والتَّعرُّضُ لعُنوانِ الرَّحمةِ؛ لتَغليظِ شَناعتِهم، وتَهويلِ جِنايتِهم؛ فإنَّ الإعراضَ عمَّا يأْتيهم مِن جَنابه عزَّ وجلَّ على الإطلاقِ شَنيعٌ قبيحٌ، وعمَّا يأْتيهم بمُوجَبِ رَحمتِه تعالى لِمَحضِ مَنفعتِهم أشنَعُ وأقبَحُ(١).

- وقولُه: ﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم ... ﴾ فيه التعبيرُ بالمُضارِعِ (يأتي)؛ لإفادةِ التَّجدُّدِ والاستمرارِ(٢).

- و(مِن) في قولِه: ﴿مِّن ذِكۡرٍ﴾ مُؤكِّدةٌ لعُمومِ نفْيِ الأحوالِ(٣).

- وفيه مُناسَبةٌ حَسَنةٌ؛ حيثُ جاء قولُه هنا: ﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ﴾ بذِكْرِ اسمِ (الرَّحمنِ) دونَ وصْفِ (الرَّبِّ) كما في سُورةِ (الأنبياءِ): ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢]. ووَجْهُه: أنَّ السِّياقَ هنا لِتَسليةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم على إعراضِ قَومِه؛ فكان في وصْفِ مُؤْتي الذِّكْرِ بـ(الرَّحمنِ) تَشنيعٌ لحالِ المُعرِضينَ، وتَعريضٌ لِغَباوتِهم أنْ يُعرِضوا عمَّا هو رَحمةٌ لهم، فإذا كانوا لا يُدْرِكون صَلاحَهم، فلا تَذهَبْ نفْسُك حَسراتٍ على قومٍ أضاعوا نفْعَهم، وأنت قد أرشدْتَهم إليه وذَكَّرْتَهم، كما قال المَثَلُ(٤): لا يَحزُنْك دمٌ هَراقَه أهْلُه(٥).

---

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٤١)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٩٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٩٨).

(٤) يُنظر: ((الأمثال)) للقاسم بن سلَّام (ص: ٣٣١)، ((مجمع الأمثال)) للميداني (٢/ ٢٣١)، ((المستقصى في أمثال العرب)) للزمخشري (٢/ ٢٦٨).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٩٨).

- وقيلَ: خُصَّتْ سُورةُ (الأنبياءِ) بقولِه: ﴿مِّن رَّبِّهِم﴾ بالإضافةِ؛ لأنَّ (الرَّحمنَ) لم يأْتِ مُضافًا، ولِمُوافقةِ ما بعْدَه، وهو قولُه: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ﴾ [الأنبياء: ٤]، وخُصَّتْ سُورةُ (الشُّعراءِ) بقولِه: ﴿مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ لِيَكونَ كلُّ سُورةٍ مَخصوصةً بوصْفٍ مِن أوصافِه؛ وليس في أوصافِ اللهِ تعالى اسمٌ أشبَهُ باسمِ (اللهِ) مِن (الرَّحمنِ)؛ لأنَّهما اسمانِ ممنوعانِ أنْ يُسمَّى بهما غيرُ اللهِ عزَّ وجلَّ؛ ولِمُوافقةِ ما بعْدَه، وهو قولُه: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٩]؛ لأنَّ (الرَّحمنَ) و(الرَّحيمَ) مِن مَصدرٍ واحدٍ[١]. وقيل غيرُ ذلك[٢].

- وفي الإتيانِ بفِعلِ ﴿كَانُوا۟﴾ وخبَرِه دُونَ أنْ يُقالَ: (إلَّا أعْرَضوا): إفادةُ أنَّ إعراضَهم راسخٌ فيهم، وأنَّه قديمٌ مُستمِرٌّ؛ إذ أخبَرَ عنهم قبْلَ ذلك بقولِه: ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]، فانتِفاءُ كونِ إيمانِهم واقعًا هو إعراضٌ منهم عن دَعوةِ الرَّسولِ الَّتي طريقُها الذِّكْرُ بالقرآنِ، فإذا أتاهُم ذِكْرٌ بعدَ الذِّكْرِ الَّذي لم يُؤمِنوا بسَببِه، وجَدَهم على إعراضِهم القديمِ[٣].

- وجُملةُ ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ جُملةٌ حاليَّةٌ، أي: إلَّا يَكونوا عنه مُعرِضينَ، تدُلُّ على أنَّ دَيْدَنَهم وعادتَهم الإعراضُ عن ذِكْرِ اللهِ، أي: هذِه عادتُهم، فلا تأسَفْ لعدَمِ إيمانِهم بآياتِ الكتابِ المُبينِ، وما يَجيئُهم منها مِن بَعْدُ، فسيُعرِضون عنه؛ لأنَّهم عُرِفوا بالإعراضِ[٤].

(١) يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (١/ ٣١٨).

(٢) يُنظر: ((درة التنزيل وغرة التأويل)) للإسكافي (٢/ ٩٦١)، ((ملاك التأويل)) لأبي جعفر الغرناطي (٢/ ٣٤٥، ٣٤٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٩٨).

(٤) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٤١)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٩٧).

- وتَقديمُ المجرورِ في قولِه: ﴿إِلَّا كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ على الخبرِ؛ لِرعايةِ الفاصلةِ(١).

- وهذه الآيةُ مُتَّصِلةٌ معنًى بقولِه تعالى: ﴿طسٓمٓ * تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [الشعراء: ١، ٢]؛ فإنَّه تعالى أعلَمَ أوَّلًا: أنَّه أنزَلَ هذا الكتابَ الكريمَ في نِهايةٍ مِن الوُضوحِ والبَيانِ، وأنَّهم ما رَفَعوا له رأسًا، ثمَّ نبَّهَ ثانيًا على أنَّ هذا الكتابَ مع وُضوحِ آياتِه إنَّما أُنزِلَ على سبيلِ التَّدرُّجِ؛ لِيَكونَ أدخَلَ في التَّذكيرِ، وأنجَعَ في الاتِّعاظِ به، وهم مع ذلك قابَلوا كلَّ حِصَّةٍ منه بتَكذيبٍ واستِهزاءٍ، كلُّ ذلك تَسليةً لحَبيبِه صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم؛ لئلَّا يَذهَبَ بنفْسِه حَسَراتٍ؛ ولذلك أوقَعَ قولَه تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ ...﴾ الآيتينِ اعتراضًا، يعني: انظُرْ إليهم وإلى ما فعَلوا بمِثْلِ هذا الكتابِ الكريمِ وبمُنزِلِه، على أنَّه قادرٌ على أنْ يَقْسِرَهم على الإيمانِ وهم مُهانون خاضِعون، فأشْفِقْ على نفْسِك أنْ تَقتُلَها حَسرةً على ما فاتَك مِن إسلامِهم(٢).

٦- قولُه تعالى: ﴿فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ خُولِفَ بيْنَ الألفاظِ -وهي الإعراضُ والتَّكذيبُ والاستهزاءُ- والغرضُ واحدٌ، وهو الإعراضُ؛ وذلك لاختلافِ الأغراضِ، كأنَّه قِيل: حِينَ أعْرَضوا عن الذِّكْرِ فقد كذَّبوا به، وحينَ كذَّبوا به فقد خفَّ عندَهم قَدْرُه، وصار عُرضةً للاستهزاءِ والسُّخريةِ؛ لأنَّ مَن كان قابلًا للحقِّ مُقبلًا عليه، كان مُصدِّقًا به لا مَحالةَ ولم يُظَنَّ به التَّكذيبُ، ومَن كان مُصدِّقًا به كان مُوقِّرًا له؛ فعدَلَ في قولِه: ﴿فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ عمَّا يَقْتضيهِ سائرُ ما سلَفَ مِن الإعراضِ والتَّكذيبِ؛ للإيذانِ بأنَّهما كانا مُقارنَينِ

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٩٨).

(٢) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٣١٧، ٣١٨).

للاستِهزاءِ[١]؛ فالمقصودُ التَّدرُّجُ مِن غَرضٍ إلى غرضٍ، وتصويرُ معنًى ما صدَرَ منهم مِن الاستهزاءِ، وأنَّه نَتيجةُ التَّكذيبِ المُسبَّبِ عن الإعراضِ؛ فالفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ عاطفةٌ، وفي قولِهم: ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ سَببيَّةٌ فصيحةٌ؛ لأنَّ مدْخولَها وعيدٌ للمُستهزئ، والوعيدُ مَسبوقٌ بحُصولِ الاستهزاءِ[٢]. وقيل: الفاءُ في قولِه: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ فَصيحةٌ، أي: فقد تَبيَّنَ أنَّ إعراضَهم إعراضُ تكذيبٍ، بعْدَ الإخبارِ عنهم بأنَّ سُنَّتَهم الإعراضُ عن الذِّكرِ الآتي بعضُه عقِبَ بعضٍ؛ فإنَّ الإعراضَ كان لأنَّهم قد كذَّبوا بالقُرآنِ. والفاءُ في قولِه: ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ لترتيبِ ما بعْدَها على ما قبْلَها، وتَعقيبِ الإخبارِ بالوعيدِ بعْدَ الإخبارِ بالتَّكذيبِ[٣].

- وقيل: في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ احتِباكٌ[٤]؛ حيثُ ذَكَر التكذيبَ أولًا دليلًا على حذْفِه ثانيًا، والاستهزاءَ ثانيًا دليلًا على حَذْفِ مِثْلِه أولًا[٥].

- والسِّينُ والفاءُ في قولِه: ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ لتَأكيدِ مَضمونِ الجُملةِ وتَقريرِه[٦].

- وأيضًا قولُه: ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وعيدٌ لهم وإنذارٌ بأنَّهم

---

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٩٩)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٤١)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٤).

(٢) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٣١٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٩٨).

(٤) الاحْتِباك: هو الحذفُ مِن الأوائلِ لدَلالةِ الأواخرِ، والحذفُ مِن الأواخرِ لدَلالةِ الأوائلِ، إذا اجتمَع الحَذفانِ معًا، وله في القرآنِ نظائرُ، وهو مِن إبداعاتِ القرآنِ وعناصرِ إعجازِه، وهو مِن ألطفِ الأنواعِ. يُنظر: ((الإتقان)) للسيوطي (٣/ ٢٠٤)، ((البلاغة العربية)) لعبد الرحمن حَبَنَّكَة الميداني (١/ ٣٤٧).

(٥) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١٠).

(٦) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٤).

سيَعلمون إذا مسَّهم عذابُ اللهِ ما الشَّيءُ الَّذي كانوا يَستهزِئون به[١]. وأنباؤُه: ما سيَحيقُ بهم مِن العُقوباتِ العاجلةِ والآجلةِ، عبَّرَ عنها بذاكَ؛ إمَّا لكَونِها ممَّا نبَّأَ بها القُرآنُ الكريمُ، وإمَّا لأنَّهم بمُشاهَدتِها يَقِفُون على حقيقةِ حالِ القُرآنِ، كما يقِفُون على الأحوالِ الخافيةِ عنهم باستماعِ الأنباءِ، وفيه تَهويلٌ له؛ لأنَّ النَّبأَ لا يُطلَقُ إلَّا على خبرٍ خطيرٍ، له وقْعٌ عظيمٌ[٢].

- وأُوثِرَ إفرادُ فِعلِ (يأْتِيهم)، مع أنَّ فاعلَه جمْعُ تَكسيرٍ لغيرِ مُذكَّرٍ حقيقيٍّ يجوزُ تأْنيثُه؛ لأنَّ الإفرادَ أخفُّ في الكلامِ؛ لكثرةِ دَوَرانِه[٣].

- و(ما) في قولِه: ﴿مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ يجوزُ أنْ تكونَ موصولةً؛ فيجوزُ أنْ يكونَ ماصَدَقَها[٤] القرآنَ، وذلك كقولِه تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ [البقرة: ٢٣١]. وجِيءَ في صِلَتِه بفِعلِ ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ دونَ (يُكذِّبون)؛ لتَحصُلَ فائدةُ الإخبارِ عنهم بأنَّهم كذَّبوا به واسْتَهْزؤوا به، وتكون الباءُ في ﴿بِهِۦ﴾ لتَعديةِ فِعلِ ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾، والضَّميرُ المجرورُ عائدًا إلى (ما) الموصولةِ، وأنباؤُه: أخبارُه بالوعيدِ. ويجوزُ أنْ يكونَ ماصَدَقَ (ما): جِنسَ ما عُرِفوا باستهزائِهم به، وهو التَّوعُّدُ؛ كانوا يقولون: متى هذا الوعدُ؟ ونحوَ ذلك. وإضافةُ ﴿أَنۢبَـٰٓؤُا۟﴾ إلى ﴿مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ على هذا إضافةٌ بَيانيَّةٌ، أي: ما كانوا به يَستهزِئون الَّذي هو أنباءُ ما سيَحُلُّ بهم.

---

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٩٩)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٤١).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٠).

(٤) الماصَدَق -عند المناطقة-: الأفرادُ التي يتحقَّقُ فيها معنى الكليِّ، ويقابلُه: المفهومُ، وهو: مجموعُ الصفاتِ والخصائصِ الموضحةِ لمعنًى كليٍّ. يُنظر: ((المعجم الوسيط)) (١/ ٥١١) و(٢/ ٧٠٤). ويُنظر أيضًا: ((ضوابط المعرفة)) لحبنكة (ص: ٤٥، ٤٦).

وجمْعُ الأنباءِ على هذا باعتبارِ أنَّهم اسْتَهْزؤوا بأشياءَ كثيرةٍ؛ منها البعثُ، ومنها العذابُ في الدُّنيا، ومنها نصْرُ المُسلمينَ عليهم: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٤٨]، ومنها فتْحُ مكَّةَ، ومنها عذابُ جهنَّمَ، وشجرةُ الزَّقُّومِ. ويجوزُ كونُ (ما) مصدريَّةً، أي: أنباءُ كونِ استهزائِهم، أي: حُصوله، وضميرُ ﴿بِهِۦ﴾ عائدًا إلى معلومٍ مِن المقامِ، وهو القرآنُ أو الرَّسولُ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم[١].

- وإقحامُ فِعلِ ﴿كَانُواْ﴾ هنا؛ لإفادةِ أنَّ استهزاءَهم راسخٌ فيهم، وأنَّه قديمٌ مُستمِرٌّ. وأُوثِرَ الإتيانُ بالفِعلِ المضارعِ -وهو ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾- دونَ اسمِ الفاعلِ كالَّذي في قولِه: ﴿كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء: ٥]؛ لأنَّ الاستهزاءَ يتجدَّدُ عندَ تجدُّدِ وَعيدِهم بالعذابِ، وأمَّا الإعراضُ فمُتمكِّنٌ منهم[٢].

- وفيه مُناسبةٌ حَسنةٌ؛ حيث جاء قولُه هنا: ﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾، وفي سُورةِ (الأنعامِ) قولُه تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: ٥]. ووجْهُه: أنَّ سُورةَ الأنعامِ مُتقدِّمةٌ في النُّزولِ على (الشُّعراءِ)، فاستوفَى فيها اللَّفْظَ؛ فقَيَّدَ التَّكذيبَ بقولِه: ﴿بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾، ثمَّ قال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾ على التَّمامِ، وحذَف مِن (الشُّعراءِ)، وهو مرادٌ؛ إحالةً على الأوَّلِ، فذَكَرَ فيها: ﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ﴾ مُطلقًا؛ لأنَّ تَقييدَه في هذه السُّورةِ يدُلُّ عليه، ثمَّ اقتصَرَ على السِّينِ هنا بدلَ (سوف)؛ لِيتَّفِقَ اللَّفظانِ فيه على الاختصارِ[٣]. ولَمَّا كان فِعلُ الاستقبالِ المقرونُ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٩٩).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٣) يُنظر: ((أسرار التكرار في القرآن)) للكرماني (ص: ١٠٤)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٤٣٧).

بـ (سوف) أبعَدَ زمانًا مِن المقرونِ بالسِّينِ، تَعيَّنَ الأوَّلُ فيما نزل أوَّلًا، والثاني فيما نزَل آخِرًا[١].

٧- قولُه تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾

- قولُه: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ الواوُ عاطفةٌ على جُملةِ ﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ﴾ [الشعراء: ٥]؛ فالهمزةُ الاستفهاميَّةُ منه مُقدَّمةٌ على واوِ العطفِ لفظًا؛ لأنَّ للاستفهامِ الصَّدارةَ، والاستفهامُ إنكارٌ على عدَمِ رُؤيتِهم ذلك؛ لأنَّ دَلالةَ الإنباتِ على الصَّانعِ الواحدِ دَلالةٌ بيِّنةٌ لكلِّ مَن يراهُ، فلمَّا لم يَنتفِعوا بتلك الرُّؤيةِ نُزِّلَت رُؤيتُهم مَنزلةَ العدَمِ، فأنكَرَ عليهم ذلك[٢].

- وقيل: الهَمزةُ للإنكارِ التَّوبيخيِّ، والواوُ للعطْفِ على مُقدَّرٍ يَقْتضيهِ المقامُ، أي: أفَعَلوا ما فَعَلوا مِن الإعراضِ عن الآياتِ، والتَّكذيبِ والاستهزاءِ بها، ولم ينظُروا ﴿إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾[٣]!

- قولُه: ﴿كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾ استئنافٌ مُبيِّنٌ لِمَا في الأرضِ مِن الآياتِ الزَّاجرةِ عن الكُفرِ، الدَّاعيةِ إلى الإيمانِ[٤].

- و(مِن) تَبعيضيَّةٌ. ومَوردُ التَّكثيرِ الَّذي أفادَتْه (كم) هو كثرةُ الإنباتِ في أمكنةٍ كثيرةٍ، ومَوردُ الشُّمولِ المُفادِ مِن (كل) هو أنواعُ النَّباتِ وأصنافُه؛ وفي الأمْرينِ دَلالةٌ على دَقيقِ الصُّنعِ. واستُغْنِيَ بذِكْرِ أبعاضِ كلِّ زوجٍ عن ذِكْرِ مُميِّزِ (كم)؛ لأنَّه قد عُلِمَ مِن التَّبعيضِ[٥].

---

(١) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ٢٥٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٠، ١٠١).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٤، ٢٣٥).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٦/ ٢٣٥).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠١).

- قولُه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ جَمَعَ بيْنَ (كم) و(كل)، ولم يقُلْ: كم أنبَتْنا فيها مِن زوجٍ كريمٍ؛ لأنَّ (كل) دلَّت على الإحاطةِ بأزواجِ النَّباتِ على سبيلِ التَّفصيلِ، و(كم) دلَّت على أنَّ هذا الذي أحاط بأزواجِ النبات متكاثرٌ، مُفرِطُ الكثرةِ، فالمحيطُ: الكلُّ، والمحاطُ به: الأصنافُ، فهذا معنى الجمْعِ بيْنَهما، وبه نبَّهَ على كَمالِ قُدرتِه[1]؛ فمَقامُ بَيانِ كَمالِ قُدرةِ اللهِ تعالى يَقْتضي إيرادَ ما يَستوعِبُ الأصنافَ كلَّها مع بَيانِ تكاثُرِها، ولا يَحصُلُ ذلك إلَّا بالجمْعِ بيْن (كم) و(كل)[2]؛ ففي الآيةِ فنُّ التَّتميمِ[3].

- وأيضًا في قولِه: ﴿كَرِيمٍ﴾ فنُّ التَّتميمِ، فتمَّمَ وصْفَه الزَّوجَ بالكريمِ؛ وذلك لأمْرينِ:

أ- أنَّ النَّباتَ على نوعينِ: نافعٍ وضارٍّ، فدلَّ بكلمةِ ﴿كَرِيمٍ﴾ أنَّه يَقصِدُ النَّوعَ النَّافعَ؛ لاختصاصِه بالدَّلالةِ على القُدرةِ والنِّعمةِ معًا، فذكَرَ كثرةَ ما أنبَتَ في

---

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٠٠)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٤)، ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٣٢٢)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٤١، ١٤٢)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٥).

(٢) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٣٢١).

(٣) التَّتميم: من أنواعِ إطنابِ الزِّيادةِ، وهو الإتيانُ بكلمةٍ أو كلامٍ مُتمِّمٍ للمقصودِ، أو لزيادةٍ حَسنةٍ، بحيثُ إذا طُرِحَ مِن الكلامِ نقَصَ معناه في ذاتِه، أو في صِفاتِه. أو: هو الإتيانُ في كلامٍ لا يُوهِمُ غيرَ المرادِ بفَضلةٍ تُفيدُ نُكتةً. أو: هو إردافُ الكلامِ بكَلمةٍ تَرفعُ عنه اللبسَ، وتُقرِّبُه للفَهمِ، ومن أمثلةِ التتميم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ [النساء: ١٢٤]؛ فقوله: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ تتميمٌ في غايةِ الحُسنِ. ومنه قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦]؛ وذلك أنَّ العِزَّةَ محمودةٌ ومذمومةٌ، فلمَّا قال: ﴿بِالْإِثْمِ﴾ اتَّضحَ المعنى وتَمَّ، وتبيَّن أنَّها العزةُ المذمومةُ المُؤثَّمُ صاحِبُها. يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (١/ ١٢٠) و(٢/ ٣٣٣)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحيي الدين درويش (١/ ٤٤)، ((مفاتيح التفسير)) لأحمد سعد الخطيب (١/ ٤٩ - ٥١) و(١/ ٢٤٠، ٢٤١).

الأرضِ مِن جميعِ أصنافِ النَّباتِ النَّافعِ، وخلَّى ذِكْرَ الضَّارِّ.

ب- أنَّه يَقصِدُ كِلَا النَّوعينِ النَّافعِ والضَّارِّ، ويَصِفُهما جميعًا بالكرَمِ؛ تَنبيهًا على أنَّه ما أنبَتَ شيئًا إلَّا لفائدةٍ؛ لأنَّ الحكيمَ لا يَفعَلُ فِعلًا إلَّا لغرضٍ صحيحٍ ولِحكمةٍ بالغةٍ، وإنْ غفَلَ عنها الغافلونَ، ولم يَتوصَّلْ إلى مَعرفتِها العاقلونَ[1].

- قولُه: ﴿زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾ هذا مِن إدماجِ[2] الامتِنانِ في ضِمْنِ الاستِدلالِ؛ لأنَّ الاستدلالَ على بَديعِ الصُّنعِ يَحصُلُ بالنَّظرِ في إنباتِ الكريمِ وغيرِه؛ ففي الاستِدلالِ بإنباتِ الكريمِ مِن ذلك وفاءٌ بغَرضِ الامتنانِ مع عدَمِ فَواتِ الاستدلالِ. وأيضًا فنظَرُ النَّاسِ في الأنواعِ الكَريمةِ أنفَذُ وأشهَرُ؛ لأنَّه يَبتدِئُ بطَلبِ المنفعةِ منها، والإعجابِ بها؛ فإذا تطلَّبَها وقَعَ في الاستدلالِ؛ فيكونُ الاقتصارُ على الاستِدلالِ بها في الآيةِ مِن قَبيلِ التَّذكيرِ للمُشركينَ بما هم مُمارِسون له، وراغِبون فيه[3].

- وهذا الاستدلالُ لَمَّا كان عقليًّا اقتصَرَ عليه، ولم يُكرِّرْ بغيرِه مِن نوعِ الأدلةِ

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٠٠، ٣٠١)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٤)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٥)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٧/ ٥٦، ٥٧).

(٢) الإدماجُ لُغةً: الإدخالُ؛ يُقال: أدْمَجَ الشيءَ في ثَوبٍ، إذا لَفَّه فيه. واصطلاحًا: أنْ يُدمِجَ المتكلِّمُ غرضًا في غَرضٍ، أو بديعًا في بديعٍ، بحَيثُ لا يَظهرُ في الكلامِ إلَّا أحدُ الغرَضينِ أو أحدُ البَديعَينِ، بمعنى: أن يَجعلَ المتكلِّمُ الكلامَ الذي سِيق لمعنًى -مِن مَدحٍ أو غيرِه- مُتضمنًا معنًى آخَرَ، كقوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [القصص: ٧٠]؛ فهذا مِن إدماجِ غرَضٍ في غَرَضٍ؛ فإنَّ الغرَضَ منها تَفرُّدُه تعالى بوصْفِ الحمدِ، وأُدمِجَ فيه الإشارةُ إلى البعثِ والجزاءِ، وقيل: أُدمِجت المبالغةُ في المطابقةِ؛ لأنَّ انفرادَه بالحمدِ في الآخِرَةِ -وهي الوقتُ الذي لا يُحمَدُ فيه سِواهُ- مبالغةٌ في الوَصفِ بالانفرادِ بالحَمْدِ. يُنظر: ((الإتقان)) للسيوطي (٣/ ٢٩٨)، ((علوم البلاغة البيان المعاني البديع)) للمراغي (ص: ٣٤٤)، ((البلاغة العربية)) لعبد الرحمن حَبَنَّكَة الميداني (٢/ ٤٢٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠١).

العقليَّةِ، كما كُرِّرَت الدَّلائلُ الحاصلةُ مِن العِبرةِ بأحوالِ الأُمَمِ، مِن قولِه: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ [الشعراء: ١٠]، إلى آخِرِ قِصَّةِ أصحابِ الأَيْكةِ[١].

٨- قولُه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾

- التَّأكيدُ بحرْفِ (إنَّ)؛ لِتَنزيلِ المُتحدَّث عنهم مَنزلةَ مَن يُنكِرُ دَلالةَ ذلك الإنباتِ وصِفاتِه على ثُبوتِ الوَحدانيَّةِ، الَّتي هي باعثُ تكذيبِهم الرَّسولَ لمَّا دَعاهم إلى إثباتِها[٢].

- واسمُ الإشارةِ فيه مِن معنَى البُعدِ؛ للإيذانِ ببُعدِ مَنزلتِه في الفضْلِ[٣].

- قولُه: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (كان) صِلَةٌ مُقحمةٌ للتَّأكيدِ، والمعنى: وما أكثرُهم مُؤمِنين[٤].

- وأسنَدَ نفْيَ الإيمانِ إلى أكثرِهم؛ لأنَّ قليلًا منهم يُؤمِنون حينَئذٍ، أو بعْدَ ذلك[٥].

٩- قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾

- في التَّعرُّضِ لوَصْفِ الرُّبوبيَّةِ، مع الإضافةِ إلى ضَميره صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم؛ مِن تَشريفِه والعِدَةِ الخَفيَّةِ بالانتقامِ مِن الكفَرةِ: مَا لا يَخْفى[٦].

- قولُه: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ لَمَّا كان المَوضِعُ مَوضعَ بَيانِ القُدرةِ، قدَّمَ صِفةَ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٢).
(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٥).
(٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٢).
(٥) يُنظر: ((المصدران السابقان)).
(٦) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٥).

العِزَّة على صِفةِ الرَّحمةِ؛ فالرَّحمةُ إذا كانت عن قُدرةٍ كانت أعظَمَ وقْعًا[١]، ولأنَّه لو لم يُقَدِّمْهُ لكان رُبَّما قيلَ: إنَّه رَحِمَهم لِعَجْزه عن عقوبتِهم! فأزال هذا الوهمَ بذِكْرِ العزيزِ وهو الغالبُ القاهرُ، والمرادُ أنَّهم مع كفرِهم وقدرةِ اللهِ على أنْ يُعَجِّلَ عقابَهم لا يَتْرُكُ رحمتَهم بما تقدَّمَ ذِكْرُه مِن خَلْقِ كلِّ زوجٍ كريمٍ مِن النَّباتِ، ثم مِن إعطاءِ الصحةِ والعقلِ والهدايةِ[٢].

- قولُه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ تذييلٌ لهذا الخبَرِ بوصْفِ اللهِ بالعِزَّة، أي: تَمامِ القُدرةِ، فتَعلَمون أنَّه لو شاءَ لعجَّلَ لهم العِقابَ، وبوصْفِ الرَّحمةِ إيماءٌ إلى أنَّ في إمهالِهم رَحمةً بهم؛ لعلَّهم يَشكُرون، ورحيمٌ بكَ؛ قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَ﴾ [الكهف: ٥٨]. وفي وصْفِ الرَّحمةِ إيماءٌ إلى أنَّه يَرحَمُ رُسلَه بتأْييدِه ونصْرِه[٣].

- وقد ختَمَ كلَّ استدلالٍ جِيءَ به على المُشركينَ المُكذِّبين بتَذييلٍ واحدٍ؛ هو قولُه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ تَسجيلًا عليهم بأنَّ آياتِ الوَحدانيَّةِ وصِدْقِ الرُّسلِ عديدةٌ كافيةٌ لِمَن يتطلَّبُ الحقَّ، ولكنَّ أكثرَ المُشركينَ لا يُؤمنون، وأنَّ اللهَ عزيزٌ قادرٌ على أنْ يُنزِلَ بهم العذابَ، وأنَّه رحيمٌ برُسلِه، فناصِرُهم على أعدائِهم[٤].



(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٤٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٤٩٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٢).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ٩١).

الآيات (١٠-٢٢)

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

غريبُ الكَلِمات:

﴿عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: أي: اتَّخذْتَهم عبيدًا، وعَبَّدتُ فلانًا: إذا ذلَّلْتَه، وإذا اتَّخَذْتَه عبدًا، وأصلُ (عبد): يدُلُّ على لِينٍ وذُلٍّ[(١)].

مُشكِلُ الإعراب:

قَولُه تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾

قولُه: ﴿أَنْ عَبَّدتَّ﴾ فيه أوجُهٌ؛ أحدُها: أنَّه في محلِّ رفعٍ عطفُ بيانٍ أو بدَلٌ مِن (تلك). الثاني: أنَّه في محلِّ نصبٍ مفعولٌ مِنْ أجلِه. الثالثُ: أنَّه بدَلٌ من (ها) في ﴿تَمُنُّهَا﴾. الرابعُ: أنه في مَوضعِ نصبٍ على تقديرِ (لِأَن عَبَّدْتَ)، ثمَّ حُذِفَ الحرفُ، وحَذْفُه مع (أنْ) كثيرٌ[(٢)].

---

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣١٦)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٣٣٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٢٠٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٤٣)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٦٧)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٢٥٠).

(٢) يُنظر: ((معاني القرآن)) للأخفش (٢/ ٤٦١)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (٤/ ٨٧)، ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (٢/ ٥٢٧)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٨/ ٥١٨).

المعنى الإجماليُّ:

يحكي الله تعالى جانبًا مِن قصةِ موسى عليه السلامُ، فيقولُ: واذكُرْ -يا محمَّدُ- حينَ كلَّم رَبُّك موسى وأمَرَه أن يذهَبَ إلى القَومِ الظَّالمين؛ قَوم فِرعَونَ، وأنْ يقولَ لهم: ألَا تتَّقون اللهَ وتتركونَ ظُلمَ عِبادِه؟! فقال موسى: ربِّ، إنِّي أخافُ أن يكَذِّبَني فِرعونُ وقَومُه، ويَضيقُ صَدري بسَبَبِ تكذيبِهم إيَّاي، ويُحبَسُ لساني عن مُخاطبةِ فِرعَونَ، فلا يُبينُ ما أرسَلْتَني به، فأرسِلْ أخي هارونَ رَسولًا معي يُعينُني، وإنَّ لِقَومِ فِرعَونَ عليَّ ذَنبًا؛ لقَتلي رجُلًا منهم، فأخافُ أن يقتُلوني به.

فقال اللهُ لِموسى: كلَّا، لن يَقتُلوك، فاذهَبْ أنت وأخوك إليهم بمُعجزاتِنا، إنِّي معكما مؤيِّدٌ وحافِظٌ، أسمَعُ ما يدورُ بيْنَكم، فأْتِيَا فِرعونَ فقُولا له: إنَّا مُرسَلانِ لك مِن رَبِّ العالَمينَ، بأنْ تُطلِقَ بني إسرائيلَ، وتترُكَهم يأتون معنا إلى الأرضِ المقَدَّسةِ لعِبادةِ اللهِ وحْدَه.

ثمَّ يحكي سبحانَه ما دارَ بينَ موسَى وفرعونَ مِن محاوراتٍ، فيقولُ: قال فِرعَونُ لِموسى: ألم نرَبِّك بيْنَنا صغيرًا، ومكَثْتَ عندَنا سِنينَ كَثيرةً مِن عُمُرِك، ثمَّ قتَلْتَ رجُلًا منَّا وأنت جاحِدٌ لنِعمتِنا عليك؟! فقال موسى: إنَّما قتلْتُه خطأً، وقد كنتُ مِن الجاهلينَ لم يُوحَ إلَيَّ بعْدُ، فهَرَبتُ منكم خَوفًا مِن أن تقتُلوني، فأعطاني ربِّي عِلمًا وفَهمًا، وجعَلَني رَسولًا إليكم، وتَمُنُّ علَيَّ بهذه المنَّةِ أنْ سخَّرْتَ بني إسرائيلَ، وجعلْتَهم لك عَبيدًا، ولم تَستعبِدْني، فهذه ليست نِعمةً، فكيف تَمُنُّ علَيَّ بها؟!

تَفسيرُ الآياتِ:

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تعالى تكذيبَ قُرَيشٍ بما جاءَهم مِن الحقِّ وإعراضَهم عنه، ذَكَرَ قصَّةَ موسى عليه السلامُ، وما قاسى مع فرعونَ وقومِه؛ ليَكونَ ذلك مَسلاةً لِمَا كان يَلْقاه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ مِن كُفَّارِ قريشٍ؛ إذْ كانت قريشٌ قد اتخذَتْ آلهةً مِن دونِ اللهِ، وكان قومُ فرعونَ قد اتَّخَذوه إلهًا، وكان أتْباعُ مِلَّةِ موسى عليه السلامُ هم المجاوِرينَ مَن آمَنَ بالرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم، فلذا بَدَأَ بقصَّةِ موسى عليه السَّلامُ، ثمَّ ذَكَر بعدَ ذلك ما يأتي ذِكْرُه مِن القَصَصِ[١].

وأيضًا لَمَّا اقتضى وصْفُ العِزَّةِ الإهلاكَ، ووصْفُ الرحمةِ الإمهالَ، وكان الأوَّلُ مقدَّمًا، وكانت عادتُهم تقديمَ ما هم به أهمُّ، وهو لهم أعْنى؛ خِيْفَتْ غائلتُه، فأَتْبَعَ ذلك أخبارَ هذه الأممِ دَلالةً على الوصفين معا ترغيبًا وترهيبًا، ودَلالةً على أنَّ الرحمةَ سبقَتِ الغضبَ -وإنْ قُدِّمَ الوصفُ اللائقُ به-؛ فلا يُعَذِّبُ إلَّا بعْدَ البيانِ، مع طولِ الإمهالِ[٢].

﴿ وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠ ﴾.

أي: واذكُرْ -يا محمَّدُ- حينَ كلَّم اللهُ موسى وأمَرَه أن يذهَبَ إلى الظَّالِمين لأنفُسِهم بالكُفرِ والمعاصي، والظَّالِمين لبني إسرائيلَ باستعبادِهم واضْطِهادِهم وسَومِهم سوءَ العَذابِ[٣].

---

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٤٢).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٥٢)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٧٨٧)، ((تفسير الخازن)) (٣/ ٣٢٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٣، ١٠٤).

قال الشوكاني: (ووَصْفُهم بالظُّلمِ؛ لأنَّهم جَمَعوا بينَ الكفرِ الَّذي ظَلَموا به أنفسَهم، وبينَ =

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ * اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ۖ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [القصص: ٢٩ - ٣٢].

وقال سُبحانَه: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [النازعات: ١٥ - ١٧].

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾.

أي: اذهَبْ إلى القَومِ الظَّالمينَ، وهم قَومُ فِرعونَ القِبطُ، فقُلْ لهم: ألَا تتَّقونَ اللهَ(١)

= المعاصي الَّتي ظَلَموا بها غيرَهم؛ كاستِعبادِ بني إسرائيلَ، وذبحِ أبنائِهم. ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١١٠).

(١) قال ابن عثيمين: (يحتملُ أنَّه مِن المرسَلِ به، يعني: يقولُ لهم: ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾. ويحتملُ أنَّه من كلامِ الله سبحانَه وتعالى لِموسى؛ ليُبيِّنَ له حالَهم، وأنَّهم يتجنَّبون التقوى، وأنَّ الأليَقَ بهم أن يتَّقوا اللهَ سبحانه وتعالى). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٤٠).

وممَّن قال بأنَّها أمرٌ لموسَى بأن يقولَ لهم ذلك: مقاتلُ بن سليمان، وابنُ جرير، ومكي، وابن عطية، والسعدي، وابنُ عاشور. يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٥٩)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٥٢)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (٨/ ٥٢٨١)، ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٢٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٥). =

وتخافونَ عِقابَه، فتُؤمِنوا به وتَتركوا ظُلْمَ عِبادِه[(١)]؟

كما قال تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ * فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ * وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٧ - ١٩].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾﴾.

أي: قال موسى: ربِّ إنِّي أخافُ أن يكَذِّبَني فِرعَونُ وقَومُه، ولا يصَدِّقوا أنِّي رَسولُك إليهم[(٢)].

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾.

= وممَّن ذهب إلى القولِ الثاني، وهو ظاهرُ اختيارِه في الجملةِ: الزمخشري، والبيضاوي، والنسفي، والشوكاني. يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٠١)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٤)، ((تفسير النسفي)) (٢/ ٥٥٥)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١١١).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٥٢)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٧٨٧)، ((تفسير الخازن)) (٣/ ٣٢٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٥٢)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٥١)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٩٢).

قال الشنقيطي: (﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾، أي: بسببِ أنِّي قتلْتُ منهم نفْسًا، وفرَرتُ منهم لَمَّا خِفتُ أن يقتلوني بالقتيلِ الذي قتلتُه منهم. ويوضِّح هذا المعنى الترتيبُ بالفاءِ في قولِه تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [القصص: ٣٣]؛ لأنَّ مَن يخافُ القتلَ فهو يتوقَّعُ التكذيبَ). ((أضواء البيان)) (٦/ ٨٧).

وقال ابن عثيمين: (هذا جوابُ موسى عليه الصلاةُ والسلامُ لله مبيِّنًا له حالَه حتى يكونَ الأمرُ لدى موسى واضحًا، فينشَطَ ويَقوى، وليس المرادُ بهذا معارضةَ أمرِ الله؛ فإنَّ موسى لن يُعارِضَ أمرَ الله عزَّ وجلَّ، ولكِنْ يريدُ أن يَستبينَ الأمرَ؛ ماذا تكونُ حالُه مع فِرعونَ وقد اتَّصَف بهذه الصِّفةِ، وهي الخوفُ). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٤٣).

أي: ويَضيقُ صَدري بسَبَبِ تكذيبِهم إيَّاي، فلا ينشَرِحُ[(١)].

﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾.

أي: ويَنحَبِسُ لساني عندَ مُخاطَبةِ فِرعَونَ[(٢)]، فلا أستطيعُ أن أُبينَ له ما أرسَلْتَني به[(٣)].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٥٢)، ((البسيط)) للواحدي (١٧/ ٢٧)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٩٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٤٤، ٤٥).

(٢) قال ابن عثيمين في قوله: ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ وما كان في لسانِ موسى عليه السلامُ من عُقدةٍ قال: (يحتملُ أنَّ العُقدةَ [أي: التي كانت في لسانه] معنويَّةٌ، بمعنى أنَّه لا يستطيع التعبيرَ بانطلاقٍ وفصاحةٍ. وقوله: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي﴾ [طه: ٢٧، ٢٨]، وقول فرعون في وصفه ﴿ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢] يحتملُ -وهو الأقربُ- أن تكونَ فيه لُثغةٌ، إمَّا سرعة القولِ بنُطقِ الحروفِ، بحيث تتابَعُ الحروفُ حتى لا تفهَمَ؛ لأنَّ من الناس مَن يكونُ كذلك، ليس في لسانِه عُقدةٌ حِسِّيَّةٌ، لكنْ تترادفُ الحروفُ في كلامِه بحيث لا تدري ما يقولُ. أو لأنَّه فيه لُثْغةٌ لا تتبيَّنُ الحروف من كلامِه، وكل هذا محتملٌ، وهذه العقدةُ ليست كما ذُكِرَ من الجَمرة، وأنَّ لها أثرًا حِسيًّا يمنعُه من الكلام، بل هي أثَرٌ خِلْقي، يعني بأصلِ الخِلقة. ويحتملُ أنَّها جَهلُ البيان، يعني: ليس فصيحًا في خِطابِه وبيانِه وإقناعِه، لكنِ الأَوَّلُ أَولى، وأنَّها عقدةٌ معنويَّةٌ، وذلك بصفةِ الكلامِ، بحيث لا تتبيَّنُ الحروفُ في كلامِه؛ إمَّا لعجَلتِه، وإما للثغتِه، أو غير ذلك). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٤٥، ٤٦).

وقال ابن عاشور: (وعَطْفُ ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ على ﴿يَضِيقُ صَدْرِي﴾ يُنبِئُ بأنَّه أراد بضيقِ الصَّدرِ تكاثُرَ خواطِرِ الاستدلالِ في نفْسِه على الَّذين كذَّبوه ليُقْنِعَهم بصِدقِه، حتَّى يُحِسَّ كأنَّ صدرَه قد امتلأ، والشَّأنُ أنَّ ذلك يَنقُصُ شيئًا بعدَ شيءٍ بمِقدارِ ما يُفصِحُ عنه صاحِبُه من إبلاغِه إلى السَّامعينَ، فإذا كانت في لسانِه حُبْسةٌ وعِيٌّ بَقِيَت الخواطِرُ مُتلَجْلِجةً في صدرِه). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٦).

ويُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٥٢)، ((البسيط)) للواحدي (١٧/ ٢٧)، ((تفسير الجلالين)) (ص: ٤٨٠)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ٨٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٥٢)، ((البسيط)) للواحدي (١٧/ ٢٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٦).

كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي * وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي * وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي * يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ [طه: ٢٥ – ٢٨].

﴿فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾.

أي: فأوحِ -يا ربِّ- إلى أخي هارونَ؛ لِيَكونَ رَسولًا معي فيُعينَني(١).

كما قال تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي * هَٰرُونَ أَخِي * ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي * وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي * كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا * وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا * قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٢٩ – ٣٦].

﴿وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ١٤﴾.

أي: ولِقَومِ فِرعَونَ دَعوى ذَنْبٍ يَطلُبونَني بها؛ لِقَتلي منهم رجُلًا، فأخشَى أن يقتُلوني به(٢).

﴿قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ١٥﴾.

﴿قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ﴾.

أي: قال اللهُ لموسى: لن يَقتُلَك قَومُ فِرعَونَ، فاذهَبْ أنت وأخوك هارونُ إليهم بمُعجِزاتِنا الدَّالَّةِ على صِدْقِكما(٣).

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٥٣)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٩٢)، ((تفسير الجلالين)) (ص: ٤٨٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٥٣)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٩٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٧).

قال ابن عاشور: (قوله: ﴿فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ﴾ ليس هلَعًا وفرَقًا من الموتِ؛ فإنَّه لَمَّا أصبَح في مقامِ الرِّسالةِ ما كان بالذي يُبالي أن يموتَ في سبيلِ الله، ولكِنَّه خَشِيَ العائقَ مِن إتمامِ ما عُهِدَ إليه ممَّا فيه له ثوابٌ جزيلٌ ودرجةٌ عُليا). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٧، ١٠٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٥٤)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٩٢، ٩٣)، ((تفسير ابن =

كما قال تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ [القصص: ٣٥].

﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾.

أي: إنِّي معكما بالتَّأييدِ والحِفظِ، أسمَعُ ما ستَقولانِ لِفرعَونَ وقَومِه، وما سيَرُدُّون به عليكما[1].

كما قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى * قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٥، ٤٦].

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦)﴾.

أي: فَأْتيا -أنت وهارون- إلى فِرعَونَ فقُولَا له: إنَّا مُرسَلانِ إليك مِن خالِقِ ومالِكِ ومُدَبِّرِ العالَمينَ[2].

= كثير)) (٦/ ١٣٧)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٨).

قال ابن عطية: (أُمِرَ موسى وهارونُ بخطابٍ لموسى فقط؛ لأنَّ هارونَ ليس بمُكلَّم بإجماعٍ، ولكِنْ قال لموسى: اذهَبا، أي: أنت وأخوك، والآياتُ تعُمُّ جميعَ ما بعَثَهما الله به، وأعظَمُ ذلك العصا... ولا خِلافَ في أنَّ موسى عليه السلامُ هو الذي حمَّله اللهُ أمرَ النبوَّةِ كُلِّها، وأنَّ هارونَ كان نبيًّا رسولًا، مُعِينًا له وزيرًا). ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٢٧).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٥٤)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٩٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٧)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٩)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ٨٧، ٨٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٥٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٦٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٧)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١٩، ٢٠)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٠).

وذهَب ابنُ جريرٍ والزجَّاجُ -ونسبه الواحديُّ لجميع النحْويِّينَ- إلى أنَّ الرسولَ هاهنا بمعنى الرِّسالةِ. أي: نحن ذَوو رسالةٍ. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٥٤)، ((معاني القرآن)) للزجاج (٤/ ٨٥)، ((البسيط)) للواحدي (١٧/ ٣٠، ٣١). =

كما قال سُبحانَه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزخرف: ٤٦].

﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾.

أي: إنَّا رَسولُ رَبِّ العالَمينَ إليك بأنْ تُطلِقَ -يا فِرعَونُ- بني إسرائيلَ مِن قَهرِك وعَذابِك، وتترُكَهم يسيرونَ معنا إلى الأرضِ المقَدَّسةِ؛ لِيَعبُدوا اللهَ ويُقيموا دينَه[1].

كما قال تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ [طه: ٤٧].

وقال سُبحانَه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٠٤-١٠٥].

= وذهَب الأخفشُ وابنُ قُتَيْبَةَ إلى أنَّ ﴿رَسُولُ﴾ هنا مفردٌ بمعنَى الجَمعِ، مثل: العدُوِّ والضَّيفِ، كقَولِه تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ﴾ [الشعراء: ٧٧]، وقولِه: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ [الحجر: ٦٨]. يُنظر: ((معاني القرآن)) للأخفش (٢/ ٤٦١)، ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣١٦).
قال البِقاعي: (﴿إِنَّا رَسُولُ﴾ أفرَده مُريدًا به الجِنسَ الصَّالحَ للاثنين؛ إشارةً بالتَّوحيدِ إلى أنَّهما في تعاضُدِهما واتِّفاقِهما كالنَّفسِ الواحدةِ، ولا تخالُفَ؛ لأنَّه إمَّا وقَع مرَّتين كُلَّ واحدةٍ بلَونٍ، أو مرَّةً بما يُفيدُ التثنيةَ والاتِّفاقَ، فساغ التعبيرُ بكلٍّ منهما، ولم يُثَنِّ هنا؛ لأنَّ المقامَ لا اقتضاءَ له للتَّنبيهِ على طلَبِ نبيِّنا صلَّى اللهُ عليه وسلَّم المؤازَرةَ). ((نظم الدرر)) (١٤/ ١٩).
وقال ابن عثيمين: (ووجهٌ ثالثٌ أن يقالَ: إنَّ الأصلَ في الرِّسالة موسى، وهو واحِدٌ، وهارونُ مُعينٌ ووزيرٌ، وإلَّا فالأصلُ أنَّ موسى هو الرسولُ، كما يوجَدُ في آياتٍ كثيرةٍ ذِكرُ موسى بدُونِ ذِكرِ هارونَ). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٥٤).
(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٥٤)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٩٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٠).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ * أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الدخان: ١٧، ١٨].

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨﴾.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾.

أي: قال فِرعَونُ لموسى: ألم نَقُمْ بتربيتِك منذُ كنتَ صَغيرًا في المَهدِ[١]؟

﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾.

أي: ومَكثْتَ عندَنا سِنينَ كثيرةً مِن عُمُرِك تتنعَّمُ بخَيراتِنا[٢]!

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٩﴾.

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ﴾.

أي: وقتلْتَ رجُلًا منَّا من القِبطِ كما تَعلَمُ[٣].

﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

أي: والحالُ أنَّك مِن الجاحِدينَ لنِعمَتِنا عليك؛ حيث جازَيْتَنا على تَربيتِنا لك بقَتلِ رجُلٍ مِنَّا[٤]!

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٥٥)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٩٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٥٥)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٥٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٥٥)، ((البسيط)) للواحدي (١٧/ ٣٣)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٩٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٠).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٥٦، ٥٥٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٧)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١٩)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ٨٨، ٨٩). =

﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٢٠﴾.

أي: قال موسى مُجيبًا لفِرعَونَ: قتلتُ القِبطيَّ خَطأً وأنا مِن الجاهِلينَ، قبْلَ أن يُوحيَ اللهُ إلَيَّ بالرِّسالةِ(١).

كما قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٥، ١٦].

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ٢١﴾.

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾.

أي: فخرجتُ مِن بينِكم هاربًا منكم؛ خَوفًا مِن أن تقتُلوني بذلك القِبطيِّ(٢).

كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢٠، ٢١].

﴿فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا﴾.

= قال البغوي: (قال أكثرُ المفسِّرينَ: معنَى قوله: ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يعني: مِن الجاحِدينَ لنعمتي، وحَقِّ تربيتي، يقولُ: ربَّيْناكَ فينا فكافأْتَنا أنْ قتلْتَ مِنَّا نفْسًا، وكفَرْتَ بنِعمتِنا). ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٦٤).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٥٧، ٥٥٨)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٩٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٧)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ٨٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٦٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٥٩)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٥٢)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٩٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٠).

أي: فأعطاني ربِّي عِلمًا[١].

﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾.

أي: وجعَلَني ربِّي مِن جُملةِ رُسُلِه؛ لأُبلِّغَكم رسالتَه[٢].

(١) يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٦٠)، ((تفسير يحيى بن سلام)) (٢/ ٤٩٩)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٥٩)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٩٥)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٢٢)، ((تفسير الألوسي)) (١٠/ ٦٩).

قال الألوسي: (﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمًا﴾ أي: نبوَّةً أو عِلمًا وفَهمًا للأشياءِ على ما هي عليه، والأوَّلُ مرويٌّ عن السُّدِّي، وتأوَّل بعضُهم ذلك بأنَّه أراد عِلمًا هو مِن خواصِّ النبوَّةِ، فيكونُ الحُكمُ بهذا المعنى أخَصَّ منه بالمعنى الثاني). ((تفسير الألوسي)) (١٠/ ٦٩).

ممن اختار أنَّ الحكمَ هنا بمعنى العلمِ والفهمِ في الجملةِ: مقاتلُ بنُ سليمانَ، والثعلبيُّ، والرازي، وجلالُ الدينِ المحليُّ. يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٦٠)، ((تفسير الثعلبي)) (٧/ ١٦١)، ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٤٩٦)، ((تفسير الجلالين)) (ص: ٤٨١).

وقال البقاعي: (﴿حُكۡمًا﴾ أي: علمًا أعملُ به عملَ الحكَّامِ الحكماء). ((نظم الدرر)) (١٤/ ٢٢).

وقال الشنقيطي: (قولُه: ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمًا﴾، قال بعضُهم: الحُكمُ هنا هو النبوَّةُ، وممَّن يُروى عنه ذلك السُّدِّيُّ. والأظهَرُ عندي: أنَّ الحُكمَ هو العِلمُ الذي علَّمَه الله إيَّاه بالوحْيِ. والعِلمُ عندَ الله تعالى). ((أضواء البيان)) (٦/ ٩١).

وذكر ابنُ عثيمين أن تفسيرَ الحُكمِ بالعلمِ تفسيرٌ له بلازمِه؛ لِأَنَّ مِن لازِمِ الحكمِ العلمَ. ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٦٤، ٦٥).

وممن اختار أنَّ المرادَ بالحكم: النبوةُ: يحيى بنُ سلام، وابنُ جرير، والواحدي، والبغوي، والخازنُ، والعليمي. يُنظر: ((تفسير يحيى بن سلام)) (٢/ ٤٩٩)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٥٩)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٥٢)، ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٦٤)، ((تفسير الخازن)) (٣/ ٣٢٣)، ((تفسير العليمي)) (٥/ ٥٤). ويُنظر أيضًا: ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٢٨).

وممن اختار أنَّ المرادَ: النبوةُ والعلمُ: السمعاني، والنسفي. يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (٤/ ٤١)، ((تفسير النسفي)) (٢/ ٥٥٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٦٠)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٥٩)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٥٢)، ((تفسير النسفي)) (٢/ ٥٥٨).

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٢٢﴾.

أي: وتَمُنُّ عليَّ -يا فِرعَونُ- بتربيتِك لي وإنعامِك علَيَّ، وقد اتَّخَذْتَ قَومي بني إسرائيلَ عَبيدًا لك، فكيف تَمُنُّ علَيَّ بهذه النِّعمةِ أنِ استَعبدْتَ بني إسرائيلَ ولم تَستعبِدْني، فهذه ليست نِعمةً[1]؟!

(١) يُنظر: ((تفسير يحيى بن سلام)) (٢/ ٤٩٩)، ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٠٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٨)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٢٢، ٢٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٦٦).

قال يحيى بن سلام: (﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٢٢] موسى بقَولِه لفِرعونَ أراد ألَّا يُسوِّغَ عدوَّ اللهِ ما امتَنَّ به عليه، فقال: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٢٢] فاتخذْتَ قَومي عبيدًا وكانوا أحرارًا، وأخذْتَ أموالَهم، فأنفقْتَ علَيَّ مِن أموالِهم وربَّيْتني بها، فأنا أحَقُّ بأموالِ قَومي منك). ((تفسير يحيى بن سلام)) (٢/ ٤٩٩، ٥٠٠).

وقال الزمخشري: (كرَّ على امتنانِه عليه بالتربية، فأبطَلَه مِن أصلِه، واستأصَلَه مِن سِنْخِه [أي: أساسِه]، وأبى أن يسمِّيَ نعمَتَه إلَّا نقمةً؛ حيث بيَّن أنَّ حقيقةَ إنعامِه عليه تعبيدُ بني إسرائيلَ؛ لأنَّ تعبيدَهم وقَصْدَهم بذبحِ أبنائِهم هو السببُ في حصولِه عندَه وتربيتِه، فكأنَّه امتَنَّ عليه بتعبيدِ قَومِه إذا حَقَّقْتَ). ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٠٦).

وقال ابنُ كثير: (أي: وما أحسَنْتَ إليَّ وربَّيْتني مقابلَ ما أسأتَ إلى بني إسرائيلَ، فجعَلْتَهم عبيدًا وخَدَمًا، تُصَرِّفُهم في أعمالِك ومشاقِّ رعيَّتِك، أفَيَفي إحسانُك إلى رجُلٍ واحدٍ منهم بما أسأْتَ إلى مجموعِهم؟! أي: ليس ما ذكَرْتَه شيئًا بالنِّسبةِ إلى ما فعلْتَ بهم). ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٨).

وقال ابنُ عثيمين: (فكأنَّه يقولُ: تَرْكُ الظُّلم بالنِّسبةِ إليَّ لا يُعَدُّ نِعمةً؛ لأنَّ الإنسانَ ليس مستحِقًّا له حتى نقولَ: إنَّه عفا عنه وترَكَه... لكنْ هناك احتِمالٌ آخَرُ، فالإساءةُ إلى قَومِه إساءةٌ له، فكأنَّه يؤكِّدُ نفْيَ النعمةِ، يعني: أين النِّعمةُ وأنت قد عبَّدْتَ بني إسرائيلَ وهم قَومي، فإذا قُدِّرَ أنِّي سَلِمتُ مِن التعبيدِ والظلْمِ، فأنا فَردٌ مِن قبيلةٍ، وقَومي قد عبَّدْتَهم، فأين النِّعمةُ؟!... يعني: يقولُ: أين النِّعمةُ التي أنعمْتَ بها علَيَّ وأنت تُعَبِّدُ بني إسرائيلَ؛ لأنَّ تعبيدَ بني إسرائيلَ خِلافُ النعمةِ في الواقعِ، ومِن المعلومِ أنَّ موسى مِن بني إسرائيلَ، فتعبيدُ بني إسرائيلَ -وهم قومُه- إذلالٌ له، وهذا معنًى جيِّدٌ في الحقيقةِ). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٦٧، ٦٨). =

الفَوائِدُ التَّربويَّةُ:

١- قال الله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ * وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴾ لم يكنْ ذلك استِعفاءً مِن الرِّسالةِ، بل طَلَب مَن يُعينُه؛ ففي هذا دَليلٌ على أنَّ مَن لا يستَقِلُّ بأمرٍ، ويخافُ مِن نفْسِه تقصيرًا: أن يأخُذَ مَن يستعينُ به عليه[١]، ولا يلحَقُه في ذلك لَومٌ[٢].

٢- في قَولِه تعالى: ﴿ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴾ دَليلٌ على مَبدأِ تشجيعِ الإنسانِ في مُهمَّتِه، فهنا التَّشجيعُ حَصَلَ مِن ثلاثِ جهاتٍ: إبطالُ الخوفِ بقَولِه: ﴿ كَلَّا ﴾، واستِصحابُ الدَّليلِ بقولِه: ﴿ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾، والعلمُ بالمُدافعِ،

= وذهَب الفَرَّاءُ وابنُ جرير إلى أنَّ هذا الكلامَ مِن موسى عليه السلامُ على جهةِ الإقرارِ بالنِّعمة، كأنَّه يقولُ: نعمْ، تربيتُك نعمةٌ علَيَّ مِن حيث عبَّدْتَ غيري وترَكْتَني، ولكنْ لا يمنعُ ذلك صحَّةَ رسالتي. يُنظر: ((معاني القرآن)) للفراء (٢/ ٢٧٩)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٥٩، ٥٦٠)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٩٥).

(١) قال ابن القيِّم ناقلًا عن غيره: (إذا تحرَّكت النفْسُ لعملٍ مِن الأعمالِ وهَمَّ به العبدُ، وقَف أوَّلًا ونظَر: هل ذلك العملُ مقدورٌ له، أو غيرُ مقدورٍ ولا مستطاعٍ؟ فإن لم يكُنْ مقدورًا لم يُقدِمْ عليه، وإن كان مقدورًا وقَف وقفةً أخرى ونظَر: هل فِعلُه خيرٌ له مِن تركِه، أو تركُه خيرٌ له مِن فعلِه؟ فإن كان الثانيَ ترَكه ولم يُقدِمْ عليه، وإن كان الأوَّلَ وقَف وقفةً ثالثةً ونظَر: هل الباعثُ عليه إرادةُ وجهِ الله عزَّ وجلَّ وثوابِه، أو إرادةُ الجاهِ والثناءِ والمالِ مِن المخلوقِ؟ فإن كان الثانيَ لم يُقدِمْ وإنْ أفضَى به إلى مطلوبِه؛ لئلَّا تعتادَ النفسُ الشركَ، ويخِفَّ عليها العملُ لغيرِ الله، فبقَدْرِ ما يخفُّ عليها ذلك يثقُلُ عليها العملُ لله تعالى، حتى يصيرَ أثقلَ شيءٍ عليها، وإن كان الأوَّلَ وقَف وقفةً أخرى ونظَر: هل هو مُعانٌ عليه، وله أعوانٌ يساعدونَه وينصرونَه إذا كان العملُ محتاجًا إلى ذلك أم لا؟ فإن لم يكُنْ له أعوانٌ أمسَك عنه، كما أمسَك النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم عن الجهادِ بمكَّةَ حتى صار له شوكةٌ وأنصارٌ، وإن وجَده مُعانًا عليه فلْيُقْدِمْ عليه؛ فإنَّه منصورٌ، ولا يفوتُ النجاحُ إلَّا مَن فوَّت خصلةً مِن هذه الخِصالِ، وإلَّا فمع اجتماعِها لا يفوتُه النجاحُ). ((إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان)) (١/ ٨١، ٨٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٩٢).

وهو قولُه: ﴿مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾، فكلُّ شيءٍ يَحتاجُ إلى تَشجيعٍ، فينبغي للإنسانِ أنْ يُظهِرَ تشجيعَ صاحبِه حتى يَنشَطَ ويؤدِّيَ الرسالةَ على الوجهِ الأكملِ(١).

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:

١- قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ إلى قَولِه: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فيه أنَّ القومَ والأهلَ وما أشبَهَ ذلك، إذا أُضيفتْ دخَلَ فيها مَن أُضيفتْ له(٢)، ويؤخَذُ ذلك من قَولِه: ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾، ثمَّ قال هنا: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ﴾؛ فدلَّ ذلك على أنَّ فِرعونَ منهم(٣).

٢- إثباتُ النِّداءِ للهِ سُبحانه وتعالى؛ لقولِه: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ﴾ فيكونُ كلامُه بصوتٍ على هذا؛ وأنَّه بحَرفٍ؛ قال تعالى: ﴿أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ كلُّها حروفٌ(٤).

٣- في قَولِه تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ دليلٌ على فضْلِ اللهِ سُبحانه وتعالى على الخَلقِ لإرسالِه الرُّسُلَ؛ فإرسالُ الرُّسُلِ دَليلٌ على

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٥٢).

(٢) قال ابن القيِّم: (الرجُلُ حيثُ أُضيفَ إلى آلِه دخَل فيه هو؛ كقولِه تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، وقولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]، وقولِه تعالى: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ [القمر: ٣٤]. وقولِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم: «اللهمَّ صلِّ على آلِ أبي أوفى». وهذا إذا لم يُذكَرْ معه مَن أُضيف إليه الآلُ، وأمَّا إذا ذُكر معه فقد يُقالُ: ذُكِر مفردًا وداخلًا في الآلِ، وقد يُقالُ: ذِكرُه مفردًا أغنى عن ذِكرِه مضافًا، والأهلُ بخلافِ ذلك، فإذا قلتَ: جاء أهلُ زيدٍ؛ لم يدخُلْ فيهم...). ((جلاء الأفهام)) (ص: ٢٠٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٥٥).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ٤١).

فضْلِ اللهِ على الخَلْقِ، وعنايتِه بهم؛ لأنَّ الخلْقَ مهما أُوتوا مِن ذكاءٍ لا يُمكِنُهم أنْ يُدرِكوا ما يَجِبُ للهِ سُبحانَه وتعالى على التَّفصيلِ، والعاقِلُ يُدرِكُ ما يجِبُ لله على وَجهِ الإتمامِ، فإدراكُه أنَّ له الكمالَ المُطلَقَ، وأنَّه المُستحِقُّ العبادةَ على وَجهِ التَّفصيلِ لا يمكِنُ إلَّا عن طريقِ الرُّسُلِ؛ ولهذا قال: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾[1] [النساء: ١٦٥].

٤- في قَولِه تعالى: ﴿أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ * قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ﴾ دليلٌ على أنَّه لا بأسَ في الإجمالِ في الكلامِ؛ بشرطِ أنْ يأتيَ التَّفصيلُ، وفائدةُ الإجمالِ ثمَّ التفصيلِ بعْدَه الاهتِمامُ، فيكونُ مُتَشوِّقًا ومتطلِّعًا لهذا المُجمَلِ[2].

٥- في قَولِه تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ...﴾ إلى آخرِ الآياتِ سؤالٌ، وهو: كيف ساغَ لِموسى عليه السَّلامُ أنْ يأمُرَه ربُّه بأمرٍ فلا يَقبَلَه بسَمعٍ وطاعةٍ من غيرِ توقُّفٍ وتشبُّثٍ بعِلَلٍ، وقد علِمَ أنَّ اللهَ تعالى عليمٌ بحالِه؟!

أُجيبَ: بأنَّه قد امتثَلَ وتقبَّلَ، ولكِنَّه التمَسَ مِن ربِّه أن يُعَضِّدَه بأخيه؛ حتى يتعاونَا على تنفيذِ أمرِه، وتبليغِ رسالتِه، فمَهَّدَ قبْلَ التماسِه عُذرًا فيما التمَسَه، ثمَّ التمسَ بعْدَ ذلك، وتمهيدُ العُذرِ في التِماسِ المُعِينِ على تنفيذِ الأمرِ ليس بتوقُّفٍ في امتثالِ الأمرِ، ولا بتعَلُّلٍ فيه، وكفى بطَلَبِ العَونِ دليلًا على التقَبُّلِ، لا على التعَلُّلِ[3].

٦- قولُه تعالى: ﴿فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ﴾ فيه جوازُ الخَوفِ الطبيعيِّ، وأنَّه ليس بشِركٍ[4]، فقد خاف موسى أنْ يَقْتلوه به، فدلَّ هذا على أنَّ الخوفَ قد يصحَبُ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٤١).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ٤٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٠٢)، ((تفسير الشربيني)) (٣/ ٥).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٤٨). =

الأنبياءَ والفضلاءَ والأولياءَ معَ معرفتِهم باللهِ، وأنَّه لا يقعُ شَيءٌ إلَّا بمشيئتِه وقُدرتِه؛ إذْ قد يسَلِّطُ مَن شاء على مَن شاء[1].

٧- جوازُ بيانِ الإنسانِ حالَه إذا لم يَقصِدْ به الشَّكوى؛ لِقولِه تعالى: ﴿وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾، فإنَّ هذا وَصفٌ له في الضَّعْفِ، وعدَمِ التحَمُّلِ نفسيًّا بضِيقِ الصَّدرِ، وعدمِ الكلامِ المتقَنِ؛ لكونِه لا يَنطلِقُ لسانُه[2].

٨- في قَولِه تعالى: ﴿وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ جوازُ ذِكرِ الوسائلِ التي تَستوجِبُ القَبولَ في الدُّعاءِ؛ حيث ذَكَر معلوماتٍ كثيرةً؛ بكونِه يَضيقُ صَدرُه، ولا يَنطَلِقُ لسانُه، وهذا مِن بابِ التوسُّلِ الزَّائِدِ، فذِكرُ حالِه مِن الوسائِلِ التي تستوجِبُ قَبولَ دُعائِه[3].

٩- في قَولِه تعالى: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ﴾ إثباتُ المَعيَّةِ للهِ عزَّ وجلَّ، وفي الحقيقةِ معناها: المُصاحبةُ المطْلَقةُ، ولكِنَّها في كلِّ شَيءٍ بحسَبِه، فنقولُ مثلًا:

= فالخوفُ الطبيعيُّ الأصلُ أنَّه مباحٌ لوجودِ أسبابِه، بل مشروعٌ، كخَوفِ الإنسانِ من اللصوصِ فيُغلِق بابَه، ويحفظ متاعَه، ومِن السباعِ والحياتِ والعقاربِ فيأخذ حذرَه بالأسبابِ الشرعيةِ المباحةِ.

وقد يكونُ الخوفُ محرَّمًا إن كان الخوفُ مِن شيءٍ لا يؤثِّرُ على الإنسانِ، فيحملُه ذلك الخوفُ على تركِ واجبٍ أو فعلِ محرَّمٍ.

وقد يكونُ شركًا ويسمَّى خوفَ السرِّ،كالخوفِ من أصحابِ القبورِ أو غيرِهم من الغائبينَ، واعتقادِ نفعِهم وضرِّهم بقدرتِهم الخاصَّةِ. يُنظر: ((فتح المجيد شرح كتاب التوحيد)) لعبد الرحمن بن حسن (ص: ٣٤٤)، ((مجموع فتاوى ابن باز)) (٨/ ٢٨١)، ((القول المفيد على كتاب التوحيد)) لابن عثيمين (١/ ٧).

(١) يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٩٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٤٦).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

سقاني لبنًا معه ماءٌ، فهذه تقتضي الامتِزاجَ والاختِلاطَ، فتفسيرُ مَعيَّةِ اللهِ عزَّ وجلَّ بالإحاطةِ عِلمًا وقُدرةً وسُلطانًا، وبصرًا وسمعًا، وغيرَ ذلك مِن معاني الرُّبوبيَّةِ: ليس تفسيرُها بذلك مِن بابِ التَّأويلِ، بل مِن بابِ ذِكرِ الحقيقةِ؛ لأنَّها بحسَبِ ما تُضافُ إليه[(١)].

١٠- في قَولِه تعالى: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ حُجَّةٌ واضِحةٌ على مَن يُنكِرُ صِفةَ السَّمعِ للهِ سُبحانَه[(٢)].

١١- قال الله تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في الآيةِ دَليلٌ على أنَّه ينبغي أنْ يُخاطَبَ الإنسانُ بما تقتضيه حالُه؛ فمُنكِرُ الرُّبوبيَّةِ نخاطبُه بإثباتِ الرُّبوبيةِ، ومُنكِرُ الألوهيَّةِ نخاطبُه بإثباتِ الألوهيةِ؛ لقولِه تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[(٣)].

١٢- في قَولِه تعالى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ سؤالٌ؛ كيف قال موسى: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ والنَّبيُّ لا يكونُ ضالًّا[(٤)]؟!

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٥٠).

(٢) يُنظر: ((النكت الدالة على البيان)) للقصاب (٣/ ٥٢٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٥٥).

(٤) يُطلَقُ الضلالُ في القرآنِ وفي لغةِ العربِ ثلاثةَ إطلاقاتٍ، ومنها إطلاقُه على: الذهابِ عن معرفةِ حقيقةِ الشيءِ، فكلُّ مَن لم يعرِفْ حقيقةَ شيءٍ تقولُ العربُ: «ضلَّ»، وهذا ليس من الضلالِ في الدِّينِ، وإنَّما هو الذهابُ عن عِلمِ معرفةِ الشيءِ. وهذا الإطلاقُ كثيرٌ في القرآنِ، ومنه على أصحِّ التفسيراتِ: قولُه تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧] أي: ذاهبًا عمَّا تعلَمُه الآنَ من العلومِ والأسرارِ، فهداك إليه بالوحيِ؛ لأنَّه لا يُعلَمُ إلَّا بالوحي. ومنه بهذا المعنى: قولُ أولادِ يعقوبَ في حقِّ أبيهم: ﴿إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥]، ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٨]، يَعنون: لفي ذهابٍ عن حقيقةِ الأمرِ، حيثُ فضَّل ابنَيْنِ على عشَرةِ بَنينَ، وحيث رجا يوسفَ أنَّه حيٌّ وهو قد مات، فهو ذاهبٌ عن علمِ الحقيقةِ في زعمِهم. ومِن الضلالِ بهذا =

الجوابُ: أراد به: وأنا مِن الجاهلين، أو مِن الناسينَ، كقوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، أو مِن المخطئينَ لا مِن المتعمدين، كما يقالُ: «ضَلَّ عن الطريقِ» إذا عَدَلَ عن الصواب إلى الخطأ[١].

وعلى هذا فيكونُ الضَّلالُ ينقَسِمُ إلى قِسمَين؛ الأوَّلُ: ضَلالٌ يُذَمُّ عليه الفاعِلُ أو الضالُّ، والثَّاني: ضَلالٌ لا يُذَمُّ عليه. والضَّلالُ الذي حصَل أو الذي اتَّصَف به موسى حين قَتْلِه القِبطيَّ ضَلالٌ لا يُلامُ عليه؛ لأنَّه لم يأتِه وَحْيٌ ولا رِسالةٌ حينَئذٍ، فهو مَعذورٌ[٢].

١٣- قال الله تعالى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، في قَولِه: ﴿مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ولم يقُل: وجعلَني رَسولًا، كالتَّنبيهِ لفِرعَونَ أنَّه ليس ببِدْعٍ مِن الرُّسُلِ، وأنَّه لم يأتِ بأمرٍ جَديد، بل إنَّ أمامَه رسُلًا، وقد ذكَرَ الله تعالى في سُورةِ (غافر) أنَّ الرجُلَ المؤمِنَ يقولُ لهم: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ [غافر: ٣٤]، فكأنَّه يقولُ له: ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الذين عندَك خبَرُهم، فلستُ بِبدعٍ مِن الرُّسُلِ[٣].

بلاغةُ الآياتِ:

١- قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

= المعنى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢] أي: لا يخفَى عليه عِلمُ شيءٍ، ولا تذهبُ عليه حقيقةُ شيءٍ. ومنه بهذا المعنى قولُه تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ أي: تذهَبَ عن عِلم حقيقةِ المشهودِ به بنِسيانٍ ونحوِه، ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾[البقرة: ٢٨٢]. يُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٣/ ٣٥٠)، ((العذب النمير)) للشنقيطي (١/ ٢٢٩)، (٢/ ١٩٧، ١٩٨).

(١) يُنظر: ((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٤٠٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٦٢).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ٦٥).

- كلامٌ مُستأنَفٌ مَسوقٌ لتَقريرِ ما قبْلَه؛ مِن إعراضِهم عن كلِّ ما يأْتيهم مِن الآياتِ التَّنزيليَّةِ وتَكذيبِهم بها، إثْرَ بَيانِ إعراضِهم عمَّا يُشاهِدونه مِن الآياتِ التَّكوينيَّة[١].

- وهو شُروعٌ في عدِّ آياتٍ على صِدْقِ الرَّسولِ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم بذِكْرِ عواقبِ المُكذِّبين برُسلِهم؛ لِيَحذَرَ المُخاطَبون بالدَّعوةِ إلى الإسلامِ مِن أنْ يُصِيبَهم ما أصاب المُكذِّبين. وفي ضِمنِ ذلك تَبيينٌ لبعضِ ما نادَى به الرُّسلُ مِن البراهينِ. وإذ قد كانت هذه الأدلَّةُ مِن المَثُلاتِ قُصِدَ ذِكْرُ كثيرٍ اشتُهِرَ منها، ولم يُقتصَرْ على حادثةٍ واحدةٍ؛ لأنَّ الدَّلالةَ غيرَ العقليَّةِ يَتطرَّقُها احتِمالُ عدَمِ المُلازَمةِ بأنْ يكونَ ما أصاب قَومًا مِن أولئك على وجْهِ الصُّدفةِ والاتِّفاقِ، فإذا تبيَّنَ تكرُّرُ أمثالِها ضَعُفَ احتمالُ الاتِّفاقيَّةِ؛ لأنَّ قِياسَ التَّمثيلِ[٢] لا يُفيد القطْعَ إلَّا بانضمامِ مُقوِّماتٍ له مِن تواتُرٍ وتكرُّرٍ[٣].

- وإنَّما ابتُدِئَ بذِكْرِ قصَّةِ مُوسى ثُمَّ قصَّةِ إبراهيمَ، على خلافِ تَرتيبِ حكايةِ القَصصِ الغالبِ في القرآنِ مِن جَعْلِها على تَرتيبِ سَبْقِها في الزَّمانِ؛ لعلَّه لأنَّ السُّورةَ نزَلَت للرَّدِّ على المُشركينَ في إلْحاحِهم على إظهارِ آياتٍ مِن خوارقِ العاداتِ في الكائناتِ، زاعمينَ أنَّهم لا يُؤمِنون إلَّا إذا جاءَتْهم آيةٌ؛ فضرَبَ لهم المَثَلَ بمُكابَرةِ فِرعونَ وقومِه في آياتِ مُوسى، وعطَفَ ﴿وَإِذْ

---

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٥).

(٢) قياسُ التَّمثيلِ: هو: حَملُ جُزئيٍّ على جُزئيٍّ آخَرَ في حُكمِه؛ لاشتراكِهما في عِلَّةِ الحُكمِ؛ لأنَّ ذلك الحُكمَ يلزمُ المُشترَكَ الكُلِّيَّ، مثلُ: النَّبيذُ حرامٌ؛ قياسًا على الخَمرِ، بجامعِ الإسكارِ في كلٍّ منهما. وقياسُ التَّمثيلِ: هو القياسُ الأُصوليُّ. يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيميَّة (٩/ ١٢٠)، ((آداب البحث والمناظرة)) للشنقيطي (٢/ ٢٩١، ٢٩٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٢، ١٠٣).

نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ ﴾ عطْفَ جُملةٍ على جُملةٍ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الشعراء: ٧] بتَمامِها(١).

- و(إذ) مَنصوبٌ على المفعوليَّةِ بمُضمَرٍ خُوطِبَ به النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم، أي: واذكُرْ لأولئك المُعرِضينَ المُكذِّبين وقْتَ ندائِه تعالى إيَّاهُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، وذكِّرْهم بما جَرى على قومِ فرعونَ بسَببِ تكذيبِهم إيَّاه؛ زجرًا لهم عمَّا هُم عليه مِن التَّكذيبِ، وتحذيرًا مِن أنْ يَحيقَ بهم مِثلُ ما حاقَ بأضرابِهم المُكذِّبينَ الظَّالِمين(٢). وفي هذا المُقدَّرِ تَذكيرٌ للرَّسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بما يُسلِّيه عمَّا يَلْقاهُ مِن قَومِه(٣).

- وتَوجيهُ الأمْرِ بالذِّكرِ إلى الوقتِ، مع أنَّ المقصودَ تَذكيرُ ما وقَعَ فيه مِن الحوادثِ؛ للمُبالَغةِ في إيجابِ ذِكْرِها؛ لِمَا أنَّ إيجابَ ذِكْرِ الوقتِ إيجابٌ لذِكْرِ ما وقَعَ فيه، ولأنَّ الوقتَ مُشتمِلٌ عليها، فإذا استُحضِرَ كانت حاضرةً بتَفاصيلِها كأنَّها مُشاهَدةٌ عِيانًا(٤).

- قولُه: ﴿أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾الإتيانُ المأمورُ به هو ذَهابُه لِتَبليغِ الرِّسالةِ إليهم، وهذا إيجازٌ يُبيِّنُه قولُه: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦] إلى آخِرِه(٥).

- قولُه: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ ﴾ سجَّلَ عليهم بالظُّلمِ بأنْ قدَّمَ ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾، ثمَّ عطَفَهم عليهم عطْفَ البَيانِ؛ كأنَّ معنى

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٣).
(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٥، ٢٣٦).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٣).
(٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (١/ ٧٩) و(٦/ ٢٣٦).
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٤).

﴿ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وتَرجمَته ﴿قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ﴾، وكأنَّهما عبارتانِ تَعتقِبانِ على مُؤدًّى واحدٍ؛ إنْ شاء ذاكِرُهم عبَّر عنهم بالقومِ الظَّالمينَ، وإنْ شاء عبَّرَ بقومِ فِرعونَ[1].

- واستِحضارُ قوم فِرعونَ بوَصْفِهم بالقومِ الظَّالمينَ: إيماءٌ إلى عِلَّةِ الإرسالِ. وفي هذا الإجمالِ توجيهُ نفْسِ مُوسى لترقُّبِ تَعيينِ هؤلاء القومِ بما يُبيِّنُه، وإثارةٌ لِغَضبِ مُوسى عليهم؛ حتَّى يَنضَمَّ داعي غضَبه عليهم إلى داعي امتِثالِ أمْرِ اللهِ الباعِثه إليهم، وذلك أوقَعُ لكلامِه في نُفوسِهم. وفيه إيماءٌ إلى أنَّهم اشْتُهِروا بالظُّلم[2].

- والمقصودُ مِن سَوقِ هذه القِصَّةِ هو الموعظةُ بعاقِبةِ المُكذِّبينَ؛ وذلك عندَ قولِه تعالى: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَ﴾ إلى قولِه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٦٣- ٦٨]. وأمَّا ما تقدَّمَ ذلك مِن قولِه: ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ إلخ، فهو تفصيلٌ لأسبابِ الموعظةِ؛ بذِكْرِ دَعوةِ مُوسى إلى ما أُمِرَ بإبلاغِه، وإعراضِ فرعونَ وقَومِه، وما عقِبَ ذلك إلى الخاتمةِ[3].

- وفيه مُناسَبةٌ حَسنةٌ، فقد عدَلَ هنا عن ذِكْرِ ما ابتُدِئَ به نِداءُ مُوسى ممَّا هو في سُورةِ (طه) بقولِه: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ إلى قولِه: ﴿لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى﴾ [طه: ١٢- ٢٣]؛ لأنَّ المقامَ هنا يَقْتضي الاقتصارَ على ما هو شرحُ دَعوةِ قَومِ فِرعونَ وإعراضِهم؛ للاتِّعاظِ بعاقبتِهم. وأمَّا مقامُ ما في

---

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٠١)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٤٢)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٣، ١٠٤).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٠٣).

سُورةِ (طه)؛ فلِبَيانِ كرامةِ مُوسى عندَ ربِّه ورسالتِه معًا، فكان مقامَ إطنابٍ، مع ما في ذلك مِن اختلافِ الأسلوبِ في حِكايةِ القصَّةِ الواحدةِ(١).

٢- قولُه تعالى: ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ﴾

- قولُه: ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ فيه الاقتصارُ على ذِكْرِ قومِه؛ للإيذانِ بشُهرةِ أنَّ نفْسَه أوَّلُ داخلٍ في الحُكمِ(٢).

- وفي تَكريرِ كلمةِ (قوم) موقعٌ مِن التَّأكيدِ؛ فلمْ يقُلْ: ائتِ قومَ فِرعونَ الظَّالمينَ(٣).

- وفيه مُناسَبةٌ حَسنةٌ، حيث قال هنا: ﴿أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ﴾، وقال في سورةِ (طه): ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: ٢٤]، وقال في سورةِ (القَصصِ): ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [القصص: ٣٢]؛ فهنا في سورةِ (الشعراء) ذكَرَ قومَ فِرعونَ من دُونِه، ومعلومٌ أنَّه منهم، ومُخاطَبٌ بمثْلِ خِطابِهم، فإذا اتَّقَوا وآمَنُوا، كان فرعونُ وحْدَه لا يَقدِرُ على مُخالَفَتِهم، فترَكَ ذِكْرَه؛ لأنَّه في هذه الحالةِ في حُكْمِ التَّابعِ لهم، وخِطابُهم خِطابُه. وفي سورةِ (طه) ذكَرَ فِرعونَ وحْدَه؛ لأنَّ قومَه تبَعٌ له، وكأنَّهم مذكورونَ معه. أمَّا ما في سورةِ (القصص) فإنَّ الحِكايةَ أتَتْ على فِرعونَ وملَئِه، فبيَّنَت ما انطوَتْ عليه الآياتُ قبْلُ مِنْ ذكْرِ بعضٍ، والاكتفاءِ به عن بعضٍ، وهذا كما قال في موضعٍ لمُوسى وحْدَه: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ [طه: ٢٤]، وفي موضعٍ: ﴿أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشعراء:

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٤).
(٢) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٤)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٦).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٤).

١٠]؛ لأنَّ هارونَ تابعٌ له، وداخِلٌ في حُكْمِه، وأبانَ ذلك في موضعٍ فقال: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦]، وقال في (طه): ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[1] [طه: ٤٧].

- جُملةُ ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ مَستأنَفةٌ استِئنافًا بَيانيًّا؛ لأنَّه لَمَّا أمَرَه بالإتيانِ إليهم لدَعوتِهم، ووصَفَهم بالظَّالمينَ، كان الكلامُ مُثيرًا لسُؤالٍ في نفْسِ مُوسى عليه السلامُ عن مدَى ظُلْمِهم؛ فجِيءَ بما يدُلُّ على توغُّلِهم في الظُّلمِ ودوامِهم عليه؛ تقويةً للباعثِ لمُوسى عليه السلامُ على بُلوغِ الغايةِ في الدَّعوةِ، وتَهيئةً لتلقِّيه تكذيبَهم بدونِ مُفاجأةٍ؛ فيكونُ (أَلَا) مِن قولِه: ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ مُركَّبًا من حرفينِ: همزةِ الاستفهامِ، و(لا) النَّافيةِ. والاستفهامُ لإنكارِ انتفاءِ تَقْواهم، وتعجيبِ مُوسى مِن ذلك؛ فإنَّ مُوسى كان مُطَّلِعًا على أحوالِهم؛ إذ كان قد نشَأَ فيهم، وقد علِمَ مظالِمَهم، وأعظَمُها الإشراكُ وقتْلُ أنبياءِ بني إسرائيلَ. ويجوزُ أنْ يكونَ (أَلَا) كلمةً واحدةً؛ هي أداةُ العرضِ والتَّحضيضِ، فتكونَ جُملةُ ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ بَيانًا لجُملةِ ﴿ٱئْتِ﴾، والمعنى: قلْ لهم: ألَا تتَّقون، فحكَى مَقالتَه بمعناها لا بلَفْظِها، وذلك واسعٌ في حِكايةِ القولِ[2].

- وحُذِفَ مُتعلَّقُ فِعلِ ﴿يَتَّقُونَ﴾؛ لِظُهورِ أنَّ المُرادَ: ألَا يتَّقونَ عواقبَ ظُلْمِهم[3].

٣- قولُه تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ استئنافٌ مَبْنيٌّ على سُؤالٍ

(١) يُنظر: ((درة التنزيل وغرة التأويل)) للإسكافي (ص: ٨٩٥، ٨٩٦)، ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (١/ ٣١٤)، ((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٣٦٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٤، ١٠٥)، ويُنظر أيضًا: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٠١)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٤)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٤٢، ١٤٣)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٥).

نشَأَ مِن حِكايةِ ما مَضى؛ كأنَّه قِيل: فماذا قال مُوسى عليه السَّلامُ؟ فقِيل: قال مُتضرِّعًا إلى اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿رَبِّ إِنِّيَ أَخَافُ...﴾[(١)].

- وفي افتِتاحِ مُراجعَتِه بنداءِ اللهِ بوصْفِ الرَّبِّ مُضافًا إليه: تَحنينٌ واستسلامٌ[(٢)]. وجعَلَ نفْسَه خائفًا مِن التَّكذيبِ؛ لأنَّه لمَّا خُلِعَت عليه الرِّسالةُ عن اللهِ، وقَرَ في صَدْرِه الحِرصُ على نَجاحِ رِسالتِه؛ فكان تكذيبُه فيها مَخُوفًا منه[(٣)].

٤- قولُه تعالى: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾

- قولُه: ﴿يَضِيقُ... وَلَا يَنْطَلِقُ﴾ جاء الفِعلانِ مرفوعينِ عطْفًا على ﴿فَأَخَافُ﴾؛ ولذلك حقَّقهُ بحرْفِ التَّأكيدِ؛ لأنَّه أيقَنَ بحُصولِ ذلك؛ لأنَّه جِبِلِّيٌّ عندَ تلقِّي التَّكذيبِ، ولأنَّ أمانةَ الرِّسالةِ والحرصَ على تَنفيذِ مُرادِ اللهِ يُحدِثُ ذلك في نفْسِه لا مَحالةَ، وإذ قد كان انحِباسُ لِسانِه يقينًا عندَه؛ لأنَّه كان كذلك، من أجْلِ ذلك التَّيقُّنِ كان فِعلَا ﴿يَضِيقُ... وَلَا يَنْطَلِقُ﴾ معطوفينِ على ما هو مُحقَّقٌ عنده، وهو حصولُ الخوفِ مِن التَّكذيبِ، ولم يكونَا معطوفينِ على ﴿يُكَذِّبُونِ﴾ المَخُوفِ منه المُتوقَّعِ، على أنَّ كونَه مُحقَّقَ الحُصولِ يَجعَلُه أحْرى مِن المُتوقَّعِ[(٤)].

- وهذا الكلامُ كَلامٌ مُختصَرٌ، وقد بسَطَه في غَيرِ هذا الموضعِ، وقد أحسَنَ في الاختصارِ؛ حيثُ قال: ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾؛ فجاء بما يتضمَّنُ معنى الاستنباءِ[(٥)].

---

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٦).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٥).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٠٦).
(٥) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٠٢)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٤٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٧).

- وفيه مُناسَبةٌ حسَنةٌ، حيثُ قال هنا في سُورةِ (الشُّعراءِ): ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ فكَنَّى عن العُقدةِ بما يَقْرُبُ مِن الصَّريحِ، وفي (القَصصِ): ﴿وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصص: ٣٤] فكَنَّى عن العقدةِ كنايةً مبهَمةً؛ لأنَّ الأولَ يدُلُّ على ذلك، وفي سورةِ (طه) قال: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ [طه: ٢٧] صَرَّحَ بالعُقدةِ؛ لأنَّها السابقةُ[١].

- وفيه مُناسَبةٌ حَسَنةٌ، حَيثُ قال هنا في (الشُّعراءِ): ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ﴾، وقال في سُورةِ (طه): ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَـٰرُونَ أَخِي﴾ [طه: ٢٩، ٣٠] صَرَّحَ بالوزيرِ؛ لأنَّه الأولُ في الذِّكْرِ، وكنَّى عنه هنا في (الشُّعراءِ) فقال: ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ﴾، أي: لِيأتيَني؛ فيكونَ لي وزيرًا، وفي (القَصصِ): ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ [القصص: ٣٤]، أي: اجْعَلْه لي وزيرًا؛ فكَنَّى عنه بقولِه: ﴿رِدْءًا﴾؛ لبيانِ الأولِ[٢].

٥- قولُه تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾

- قولُه: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ﴾، أي: ولهم عليَّ تَبِعةُ ذنْبٍ، وهي قَوَدُ ذلك القتْلِ، فأخافُ أنْ يَقْتلوني به؛ فحُذِفَ المُضافُ. أو سمَّى تَبِعةَ الذنْبِ ذنْبًا كما سُمِّيَ جزاءُ السَّيِّئةِ سَيِّئةً[٣]. وسمَّاهُ ذنْبًا بحسَبِ ما في شرعِ القِبْطِ؛ فإنَّه لم يكُنْ يومَئذٍ شرعٌ إلهيٌّ في أحكامِ قتْلِ النَّفسِ. ويصِحُّ أنْ يكونَ سمَّاهُ ذنْبًا؛ لأنَّ قتْلَ أحدٍ في غيرِ قِصاصٍ ولا دفاعٍ عن نفْسِ المُدافعِ يُعتبَرُ جُرْمًا في قوانينِ

(١) يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (١/ ٣١٥).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٠٣)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٤٤)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٧).

جماعاتِ البشرِ مِن عهْدِ قتَلَ أحدُ ابنَيْ آدمَ أخاهُ[(١)].

- وحُذِفَت ياءُ المُتكلِّمِ مِن ﴿يَقۡتُلُونِ﴾؛ للرِّعايةِ على الفاصلةِ[(٢)].

- وفيه: تَعريضٌ بسُؤالِ النَّصرِ والتَّأييدِ، وأنْ يَكْفِيَه شرَّ عدُوِّه؛ حتَّى يُؤدِّيَ ما عهِدَ اللهُ إليه على أكمَلِ وجْهٍ[(٣)].

٦- قولُه تعالى: ﴿قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ﴾

- ﴿كَلَّا﴾ حَرفُ إبطالٍ، والإبطالُ لقولِه: ﴿فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ﴾ [الشعراء: ١٤]، أي: لا يَقْتلونك. وفي هذا الإبطالِ استجابةٌ لِمَا تضمَّنَه التَّعريضُ بالدُّعاءِ حينَ قال: ﴿وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ﴾ [الشعراء: ١٤]. وقولُه: ﴿فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ تَفريعٌ على مُفادِ كلمةِ (كلَّا)[(٤)].

- قولُه: ﴿فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ وجَّه الخِطابَ إليهما بطريقِ التَّغليبِ[(٥)].

- وفي قولِه: ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ رَمزٌ إلى أنَّها تَدفَعُ ما يَخافُه[(٦)]. وفيه: وعدٌ بالتَّأييدِ بمُعجِزاتٍ تَظهَرُ عندَ الحاجةِ[(٧)].

٧- قولُه: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ﴾ جُملةٌ مُستأنَفةٌ استئنافًا بيانيًّا؛ لأنَّ أمْرَهما بالذَّهابِ إلى فِرعونَ يُثيرُ في النفْسِ أنْ يَتعامَى فِرعونُ عن الآياتِ، ولا يَرْعوي

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٧).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٠٨).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٠٧).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٠٨).

(٥) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٥)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٧).

(٦) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٧).

(٧) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٨).

عندَ رُؤيتِها عن إلْحاقِ أذًى بهما؛ فأُجيبَ بأنَّ اللهَ معهما، ومُستمِعٌ لكلامِهما وما يُجيبُ فِرعونُ به(١)، ولازِمُ ذلك تأييدُهما، وكفُّ فِرعونَ عن أذاهُما.

- قولُه: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ تَعليلٌ للرَّدعِ عن الخَوفِ، ومَزيدُ تَسليةٍ لهما بضَمانِ كَمالِ الحِفظِ والنُّصرةِ(٢).

- وقولُه: ﴿مَعَكُم﴾ قِيل: هو على ظاهِرِه مِن الجَمْعِ، والمُرادُ مُوسى وهارونُ ومَن أُرْسِلَا إليه، حيثُ كان الموعدُ بمَحْضَرٍ من فِرعونَ؛ فاعتُبِرَ هاهنا في المعيَّةِ(٣).

- وقولُه: ﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾ أشدُّ مُبالَغةً مِن (سامِعون)؛ لأنَّ أصلَ الاستماعِ أنَّه تكلُّفُ السَّماعِ، ولازِمُ ذلك العِنايةُ واللُّطفُ. والجمْعُ بيْن قولِه: ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ وقولِه: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾: تأكيدٌ للطَّمأنةِ، ورِباطةٌ لِجأْشِهما(٤).

٨- قولُه تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾

- قولُه: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ﴾ الفاءُ لتَرتيبِ ما بعْدَها على ما قبْلَها مِن الوعدِ الكريمِ(٥).

- وفيه مُناسَبةٌ حَسنةٌ، حيثُ وحَّدَ كلمةَ رسولٍ في قولِه: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾، وثنَّاها في قولِه: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه: ٤٧]. ووجْهُه: أنَّ الرَّسولَ يكونُ بمعنى المُرسَلِ، وبمعنى الرِّسالةِ، فجُعِلَ ثَمَّ بمعنى المُرسَلِ،

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٤٤، ١٤٥)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٩).

(٥) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٧).

فلم يكُنْ بُدٌّ مِن تَثْنيتِه، وجُعِلَ هاهنا بمعنى الرِّسالةِ، فجاز التَّسويةُ فيه -إذا وُصِفَ به- بيْن الواحدِ والتَّثنيةِ والجمْعِ، كما يُفعَلُ بالوَصفِ بالمصادرِ. ويجوزُ أنْ يُوحَّدَ؛ لأنَّ حُكْمَهما -لِتَسانُدِهما، واتِّفاقِهما على شريعةٍ واحدةٍ، واتِّحادِهما لذلك، ولِلأُخوَّةِ- كان حُكْمًا واحدًا؛ فكأنَّهما رسولٌ واحدٌ. أو أُرِيدَ أنَّ كلَّ واحدٍ منَّا رسولٌ. أو أفرَدَهُ نظرًا إلى مُوسى؛ لأنَّه الأصلُ، وهارونُ تَبَعٌ له(١).

- وخِطابُهما فِرعونَ بأنْ وصَفَا اللهَ بصِفَةِ ربِّ العالَمينَ: مُجابَهةٌ لِفرعونَ بأنَّه مَربوبٌ وليس بربٍّ، وإثباتُ رُبوبيَّةِ اللهِ تعالى للعالَمينَ يَقْتضي وَحدانيَّةَ اللهِ تعالى؛ لأنَّ العالَمينَ شاملٌ جميعَ الكائناتِ؛ فيَشملُ معبوداتِ القِبْطِ؛ كالشَّمسِ وغيرِها، فهذه كلمةٌ جامعةٌ لِمَا يجِبُ اعتقادُه يومَئذٍ(٢). ونقْضٌ لما كان أبرَمَهُ فرعونُ من ادِّعاءِ الألوهيَّةِ(٣).

٩- قولُه تعالى: ﴿قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾

- قولُه: ﴿أَلَمۡ نُرَبِّكَ﴾ طُوِيَ مِن الكلامِ ذَهابُ مُوسى وهارونَ إلى فِرعونَ، واستِئذانُهما عليه، وإبلاغُهما ما أمَرَهما اللهُ أنْ يقولَا لِفرعونَ؛ إيجازًا للكلامِ. وهذا النَّوعُ مِن الاختصارِ كثيرٌ في التَّنزيلِ(٤).

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٠٤، ٣٠٥)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٥)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٤٥)، ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (١/ ٣١٥)، ((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٤٠٧، ٤٠٨)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١١٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٤٥).

(٤) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٠٥)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٤٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١١٠).

- ووجَّهَ فِرعونُ خِطابَه إلى مُوسى وحْدَه؛ لأنَّه علِمَ مِن تَفصيلِ كلامِ مُوسى وهارونَ أنَّ مُوسى هو الرَّسولُ بالأصالةِ، وأنَّ هارونَ كان عَونًا له على التَّبليغ؛ فلمْ يَشتغِلْ بالكلامِ مع هارونَ[١].

- وأعرَضَ فِرعونُ عن الاعتِناءِ بإبطالِ دَعوةِ مُوسى، فعدَلَ إلى تَذكيرِه بتربيتِه فيهم، وتَخويفِه مِن جِنايتِه؛ حُسبانًا بأنَّ ذلك يَقتلِعُ الدَّعوةَ مِن أصْلِها، ويكُفُّ مُوسى عنها، وقصْدُه مِن هذا الخِطابِ إفحامُ مُوسى؛ كي يَتلعثَمَ مِن خشيةِ فِرعونَ؛ حيث أوجَدَ له سببًا يتذرَّعُ به إلى قتْلِه، ويكونُ مَعذورًا فيه؛ حيث كفَرَ نِعمةَ الولايةِ بالتَّربيةِ، واقترَفَ جُرمَ الجِنايةِ على الأنفُسِ[٢].

- قولُه: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا﴾ الاستفهامُ تقريريٌّ. وجعَلَ التَّقريرَ على نفْيِ التَّربيةِ مع أنَّ المقصودَ الإقرارُ بوُقوعِ التَّربيةِ؛ مُجاراةً لحالِ مُوسى في نظَرِ فِرعونَ؛ إذ رأى في هذا الكلامِ جُرأةً عليه، لا تُناسِبُ حالَ مَن هو مَمنونٌ لأُسرتِه بالتَّربيةِ؛ لأنَّها تَقْتضي المحبَّةَ والبِرَّ، فكأنَّه يُرْخي له العِنانَ بتَلقينِ أنْ يَجحَدَ أنَّه مُربًّى فيهم، حتَّى إذا أقرَّ ولم يُنكِرْ، كان الإقرارُ سالمًا مِن التَّعلُّلِ بخَوفٍ أو ضغْطٍ؛ فهذا وجْهُ تَسليطِ الاستِفهامِ التَّقريريِّ على النَّفيِ في حينِ أنَّ المُقرَّرَ به ثابتٌ. والتَّقريرُ مُستعمَلٌ في لازمِه؛ وهو أنْ يُقابِلَ المُقرَّرَ عليه بالبِرِّ والطَّاعةِ، لا بالجَفاءِ. ويجوزُ أنْ يُجعَلَ الاستفهامُ إنكاريًّا عليه؛ لأنَّ لِسانَ حالِ مُوسى في نظَرِ فِرعونَ حالُ مَن يَجحَدُ أنَّه مُربًّى فيهم، ومَن يظُنُّ نِسيانَهم لفِعْلَتِه، فأنكَرَ فِرعونُ عليه ذلك. وكِلا الوجهينِ لا يَخلو مِن تَنزيلِ مُوسى مَنزلةَ مَن يَجحَدُ ذلك[٣].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١١٠).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١١١).

١٠- قولُه تعالى: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾

- وبَّخَه بما جَرى على يَدِه مِن قتْلِ نفْسٍ منهم، وعظَّمَ ذلك وفظَّعَه، وعبَّرَ عنها بالمَوصولِ ﴿ٱلَّتِى﴾؛ لعِلْمِ مُوسى بها، وفي ذلك تهويلٌ للفَعلةِ، وفي العُدولِ عن ذِكْرِ فَعلةٍ مُعيَّنةٍ إلى ذِكْرِها مُبهمةً مُضافةً إلى ضَميرِه، ثمَّ وصْفِها بما لا يَزيدُ على معنَى الموصوفِ: تَهويلٌ مُرادٌ به التَّفظيعُ، وأن ذلك لِفَظاعتِه ممَّا لا يُنطَقُ به إلَّا مَكنيًّا عنه، وأنَّها مُشتهِرةٌ مَعلومةٌ، مع تَحقيقِ إلْصاقِ تَبِعَتِها به؛ حتَّى لا يجِدَ تنصُّلًا منها[(١)].

١١- قولُه تعالى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾

- ابتدَأَ بالإقرارِ بفَعلتِه؛ ليَعلَمَ فِرعونُ أنَّه لم يَجِدْ لكلامِه مدخلَ تأثيرٍ في نفْسِ مُوسى. وأخَّرَ مُوسى الجوابَ عن قولِ فِرعونَ: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٨]؛ لأنَّه علِمَ أنَّ القصْدَ منه الإقصارُ مِن مُواجَهتِه بأنَّ ربًّا أعلى مِن فِرعونَ أرسَلَ مُوسى إليه. وابتدَأَ بالجوابِ عن الأهمِّ مِن كلامِ فِرعونَ، وهو ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ﴾ [الشعراء: ١٩]؛ لأنَّه عَلِمَ أنَّه أدخَلُ في قَصْدِ الإفحامِ، وليُظهِرَ لفِرعونَ أنَّه لا يَوْجَلُ مِن أنْ يُطالِبوه بثَأرِ ذلك القَتيلِ؛ ثِقةً بأنَّ اللهَ يُنجِّيه مِن عُدوانِهم[(٢)].

- وقيل: أجابَ مُوسى عن كَلامِه الأخيرِ المُتضمِّنِ للقتلِ؛ إذ كان الاعتذارُ فيه أهَمَّ مِن الجوابِ في ذِكْرِ النِّعمةِ بالتَّربيةِ؛ لأنَّ فيه إزهاقُ النَّفْسِ[(٣)].

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري- حاشية ابن المنير)) (٣/ ٣٠٥)، ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٣٣٤)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٤٦)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١١٢)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٧/ ٦٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١١٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٤٦).

- وقدَّمَ ﴿فَعَلۡتُهَآ﴾ على (إذنْ)؛ مُبادَرةً بالإقرارِ؛ ليَكونَ كِنايةً عن عدَمِ خَشيتِه مِن هذا الإقرارِ(١).

- كلمةُ (إذنْ) هنا قيل: هي حرفُ جوابٍ وجزاءٍ، ومعنى الجزاءِ في قولِه: ﴿فَعَلۡتُهَآ إِذٗا﴾ أنَّ قولَ فرعونَ: ﴿وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ﴾ قصَد به إفحامَ مُوسى وتَهديدَه، فجعَلَ مُوسى الاعترافَ بالفَعلةِ جزاءً لذلك التَّهديدِ على طَريقةِ القولِ بالمُوجَبِ(٢)، أي: لا أتهيَّبُ ما أردْتَ(٣).

- وجوابُ مُوسى فيه اعترافٌ بظاهرِ التَّقريرِ، وإبطالٌ لِمَا يَستتْبِعُه مِن جَعْلِه حُجَّةً لتَكذيبِه برسالتِه عن اللهِ؛ ولذلك قابَلَ قولَ فِرعونَ: ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩] بقولِه: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ إبطالًا لأنْ يكونَ يومَئذٍ كافرًا، ولذلك كان هذا أهَمَّ بالإبطالِ. وبهذا يَظهَرُ وجْهُ الاسترسالِ في الجوابِ بقولِه: ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الشعراء: ٢١]، أي: فكان فِراري قد عقِبَه أنَّ اللهَ أنعَمَ علَيَّ، فأصلَحَ حالي وعلَّمَني، وهَداني وأرسَلَني؛ فليس ذلك مِن مُوسى مُجرَّدَ إطنابٍ، بل لأنَّه يُفِيد معنَى أنَّ الإنسانَ ابنُ يَومِه لا ابنُ أمْسِه، والأحوالُ بأواخرِها، فلا عجَبَ فيما قصدْتُ؛ فإنَّ اللهَ أعلَمُ حيثُ يَجعَلُ رِسالاتِه(٤).

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١١٣).

(٢) القولُ بالموجَبِ: هو عبارةٌ عن تسليم مقتضَى ما جعَله المستدلُّ دليلًا لحُكم، مع بقاءِ الخلاف بيْنَهما فيه. أو: تسليمُ الدَّليلِ معَ بقاء النزاعِ، ومعنى ذلك: أن يسلمَ الخصمُ الدليلَ الذى استدلَّ به المستدلُّ، إلَّا أنَّه يقولُ: هذا الدليلُ ليس فى محلِّ النزاعِ، إنَّما هو في غيره؛ فيبقَى الخلافُ بيْنَهما. يُنظر: ((تقريب الوصول إلي علم الأصول)) لابن جُزَي (ص: ١٨٩)، ((نهاية السول شرح منهاج الوصول)) للإسنوي (ص: ٣٤٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٣/ ٢٠١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١١٤).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

١٢- قولُه تعالى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾

- قولُه: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ جمعَ الضَّميرَ في ﴿مِنكُمْ﴾ و ﴿خِفْتُكُمْ﴾ مع إفرادِه في ﴿تَمُنُّهَا﴾ و ﴿عَبَّدتَّ﴾؛ لأنَّ الخوفَ والفِرارَ لم يكونا منه وحْدَه، ولكنْ منه ومِن مَلَئِه المُؤتمرينَ بقتْلِه؛ بدليلِ قولِه: ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص: ٢٠]، وأمَّا الامتنانُ فمِنْهُ وحْدَه، وكذلك التَّعبيدُ[١].

١٣- قولُه تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾

- قولُه: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ ...﴾ عادَ إلى أوَّلِ الكلامِ، فكَرَّ على امتنانه عليه بالتَّربيةِ فأبطَله، وأبى أنْ يُسمِّيَه نِعمةً؛ فقولُه: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ﴾ إشارةٌ إلى النِّعمةِ الَّتي اقتضاها الامتنانُ في كلامِ فِرعونَ؛ إذ الامتنانُ لا يكونُ إلَّا بنِعمةٍ. ثمَّ إنْ جعلْتَ جُملةَ ﴿أَنْ عَبَّدتَّ﴾ بيانًا لاسمِ الإشارةِ، كان ذلك لزيادةِ تَقريرِ المعنى، مع ما فيه مِن قَلْبِ مقصودِ فِرعونَ، وهو على حدِّ قولِه تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦]؛ إذ قولُه: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ﴾ بَيانٌ لقولِه: ﴿ذَٰلِكَ الْأَمْرَ﴾. ويجوزُ أنْ يكونَ ﴿أَنْ عَبَّدتَّ﴾ في مَحلِّ نصْبٍ على نزْعِ الخافضِ، وهو لامُ التَّعليلِ، والتَّقديرُ: لأنْ عبَّدْتَ بني إسرائيلَ. وقيل: الكلامُ استفهامٌ بحذْفِ الهمزةِ، وهو استفهامُ إنكارٍ. وكلامُ مُوسى على التَّقاديرِ الثَّلاثةِ نقْضٌ لامتنانِ فِرعونَ؛ بقلْبِ النِّعمةِ نِقمةً، بتَذكيرِه أنَّ نِعمةَ تَربيتِه ما كانت إلَّا بسَببِ إذلالِ بني إسرائيلَ[٢].

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٠٦)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٦)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٤٧)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١١٥). ويُنظر أيضًا: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٤٨)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٨).

الآيات (٢٢-٢٧)

﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم
مُّوقِنِينَ ٢٤ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ٢٥ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٦ قَالَ إِنَّ
رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ٢٧ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ
٢٨ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ٢٩ قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ
مُّبِينٖ ٣٠ قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣١ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ
٣٢ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ٣٣ قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ٣٤ يُرِيدُ
أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ٣٥ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي
ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٣٦ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ٣٧﴾.

غَريبُ الكَلِماتِ:

﴿لِلۡمَلَإِ﴾: أي: أشرافِ النَّاسِ ووُجوهِهم؛ لأنَّهم يَملؤون العيونَ منظرًا، والنُّفوسَ بهاءً وجَلالًا، وأصلُ (ملأ): يدُلُّ على الكَمالِ في الشَّيءِ(١).

﴿أَرۡجِهۡ﴾: أي: أخِّرْهُ، وأصلُ الإرجاءِ: التَّأخيرُ(٢).

المعنى الإجماليُّ:

يقولُ اللهُ تعالى حاكيًا تعنُّتَ فرعونَ في محاورتِه لموسى عليه السلامُ وتمرُّدَه: قال فِرعَونُ مُنكِرًا مَعرفتَه برَبِّه: وما رَبُّ العالَمينَ الذي أرسلَك كما تزعُمُ يا

---

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٩٢)، ((تفسير ابن جرير)) (١٨/ ٤٨)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤١١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٣٤٦).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٧٠)، ((تفسير ابن جرير)) (١٠/ ٣٥٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٤٩٥)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ١١٥)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٢٠٧).

موسى؟! قال موسى: هو خالِقُ السَّمواتِ والأرضِ وما بيْنَهما، ومالِكُ كُلِّ ذلك إنْ كنتُم تُوقِنون. قال فِرعَونُ لِمَن حَوْلَه مِن الملأِ: ألَا تَستَمِعون إلى ما يقولُه موسى؟! قال موسى: اللهُ هو ربُّكم وربُّ آبائِكم مِن قَبْلِكم. قال فِرعَونُ معاندًا للحقِّ، قادحًا بمَن جاء به: إنَّ موسى -الذي يزعُمُ أنَّه رسولٌ إليكم- مجنونٌ!

قال موسى: هو ربُّ المشرِقِ والمَغرِبِ وما بيْنَهما إنْ كنتُم تَعقِلون.

قال فِرعَونُ مُهدِّدًا موسى عليه السلامُ بعدَ أنْ عجَز عن دفع حُجَّتِه: لَئِن اتَّخذْتَ مَعبودًا غيري لأُصَيِّرَنَّك مِن المَسجونينَ. قال موسى: أتَسجُنُني ولو أتيتُك بمُعجزةٍ ظاهرةٍ تُبَيِّنُ صِحَّةَ ما جِئتُك به؟ قال فِرعَونُ لموسى: فأْتِ بمُعجِزتِك هذه إنْ كنتَ صادقًا. فرَمى موسى عصاهُ على الأرضِ فانقَلَبت حيَّةً ضَخمةً ظاهِرةَ الوُضوحِ، وأخرَج يَدَه مِن فَتحةِ قَميصِه العُلويَّةِ فإذا هي بَيضاءُ تَلمَعُ، فقال فِرعونُ لِمَن حوْلَه: إنَّ هذا لساحِرٌ ذو عِلمٍ بالسِّحرِ، يريدُ أن يُخرِجَكم مِن أرضِكم بسِحرِه، فماذا تُشيرون علَيَّ مِن الرأيِ في شأنِه؟ فقالوا له: أخِّرْ موسى وأخاه هارونَ وأمهِلْهما، وابعَثْ في مُدُنِ المَملكةِ مَن يَجمَعون السَّحَرةَ إليك؛ يأتوك بكُلِّ ساحرٍ عليمٍ ماهرٍ؛ لِيُعارِضوا ما جاء به موسى.

تَفسيرُ الآياتِ:

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣)﴾.

أي: قال فِرعَونُ مُنكِرًا مَعرِفتَه باللهِ: وما ربُّ العالَمين الذي تَزعُمُ -يا موسى- أنَّه أرسَلَك، وأنَّه يَستَحِقُّ العبادةَ[1]؟!

---

(١) يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيميَّة (١٦/ ٣٣٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٨)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٢٣، ٢٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٤٢١)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ٩٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٦٩، ٧٠).

كما قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٩].

وقال سُبحانَه حاكِيًا قَولَ فِرعَونَ: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨].

﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

أي: قال موسى: هو خالِقُ السَّمواتِ والأرضِ، ومالِكُهنَّ ومُدبِّرُهن وما بيْنَهنَّ، فإن كنتُم تُوقِنون حقًّا[1] فأيقِنوا بأنَّ اللهَ هو الخالِقُ؛ لظهورِ ذلك بلا خَفاءٍ[2].

كما قال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

أي: قال فِرعَونُ للَّذين حوْلَه مِن أشرافِ قَومِه: ألَا تَستَمِعون إلى ما يقولُه موسى، وتَعجَبون مِن قَولِه[3]؟!

(١) قال ابن الجوزي: (في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ قولان؛ أحدُهما: أنَّه خَلَقَ السمواتِ والأرضَ. والثاني: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ أنَّ ما تُعاينونه كما تُعاينونه، فكذلك فأيقِنوا أنَّ ربَّ العالَمينَ ربُّ السَّمواتِ والأرضِ). ((تفسير ابن الجوزي)) (٣/ ٣٣٨).

وقال ابن عثيمين: (التقدير: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ أي: مِن ذوي الإيقانِ، فأيقِنوا بذلك؛ لأنَّه لا أحدَ يقدِرُ على خلقِ السمواتِ والأرضَ). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٧١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٦٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٨)، ((تفسير الشربيني)) (٣/ ٨).

قال ابنُ تيميَّةَ: (خاطَبه موسى بما بيَّن له أنه أعرَفُ مِنْ أنْ يُنكَرَ، وأعظمُ مِنْ أنْ يُجحَدَ). ((منهاج السنة النبوية)) (١/ ٢٣١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٦٣)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٧٨٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة الشعراء)) (ص: ٧٢، ٧٣).

﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ٢٦﴾.

أي: قال موسى: اللهُ الذي أدعوكم إلى عبادتِه هو ربُّكم الذي خلَقَكم وخلَقَ آباءَكم الذين مِن قَبْلِكم، ومالِكُكم ومدبِّرُ شؤونِكم، فكيف يمكِنُ أن يكونَ مَن سِوى اللهِ ربًّا[(١)]؟!

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ٢٧﴾.

أي: قال فِرعَونُ مُتهَكِّمًا: إنَّ موسى الذي يزعُمُ أنَّه رسولٌ إليكم لا عَقلَ له، ويقولُ ما لا نعلَمُ حَقيقتَه[(٢)]!

﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ٢٨﴾.

أي: قال موسى لِفرعَونَ وقَومِه: الَّذي أدعوكم إلى عبادتِه هو رَبُّ المشرِقِ والمَغرِبِ وما بيْنَهما وما يَحدُثُ فيهما، وليس مُلكُه ناقِصًا كمُلكِكم، فإن كانت لكم عُقولٌ تَعرِفونَ بها صِحَّةَ كلامي، فآمِنوا باللهِ وحْدَه[(٣)].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٦٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٨)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١١٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٧٤).

قال ابن جُزَي: (زاد موسى في إقامةِ الحُجَّةِ بقولِه: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ لأنَّ وجودَ الإنسانِ وآبائِه أظهَرُ الأدلَّةِ عندَ العقلاءِ، وأعظَمُ البراهينِ؛ فإنَّ أنفُسَهم أقرَبُ الأشياءِ إليهم، فيَستدِلُّون بها على وجودِ خالِقِهم). ((تفسير ابن جزي)) (٢/ ٩٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٦٣)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٧٨٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٨، ١٣٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٧٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٦٣، ٥٦٤)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٩٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٧٧، ٧٨).

قال ابنُ كثير: (أي: هو الذي جعَل المشرِقَ مَشرِقًا تطلُعُ منه الكواكِبُ، والمغربَ مغربًا =

﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا قامت على فِرعونَ الحُجَّةُ بالبيانِ والعقلِ، وغُلِبَ وانقطَعَت حُجَّتُه، عدَلَ إلى استعمالِ جاهِه وقُوَّتِه وسُلطانِه، وأراد أن يَقهرَ موسَى بيَدِه وسلطانِه، وظَنَّ أنَّه ليس وراءَ هذا المقامِ مقالٌ، واعتقدَ أنَّ ذلك نافعٌ له ونافِذٌ في موسى عليه السَّلامُ، فقال ما أخبَرَ الله تعالى عنه[1]، عادلًا عن الحِجَاجِ -بعْدَ الخوضِ فيه- إلى المغالَبةِ الَّتي هي أبْيَنُ علاماتِ الانقطاعِ[2]:

﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

أي: قال فِرعَونُ متهدِّدًا موسى عليه السَّلامُ: لئِنْ أصرَرْتَ -يا موسى- على عبادةِ مَعبودٍ غيري، لأُصَيِّرَنَّك مِن جُملةِ المحبوسينَ المعذَّبينَ في سُجوني[3].

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا رأى موسى عليه السَّلامُ مِن مكابرةِ فرعونَ عن الاعترافِ بدَلالةِ النَّظَرِ

= تغرُبُ فيه الكواكِبُ؛ ثوابتُها وسيَّاراتُها، مع هذا النظامِ الذي سخَّرها فيه وقَدَّرها، فإنْ كان هذا الذي يزعُمُ أنَّه ربُّكم وإلهُكم صادقًا، فلْيَعكِسِ الأمرَ، ولْيجعَلِ المشرقَ مَغرِبًا، والمغربَ مَشرِقًا). ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٩).

وقال ابنُ تيميَّةَ: (فبيَّن له موسى أنَّكم الذين سُلِبْتُم العقلَ النَّافعَ، وأنتم أحَقُّ بهذا الوَصفِ). ((مجموع الفتاوى)) (١٦/ ٣٣٦).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٩).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٢٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٦٤)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٥٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٢).

ما لا مَطمَعَ معه إلى الاسترسالِ في الاستِدلالِ؛ لأنَّه مُتعامٍ عن الحَقِّ- عَدَلَ موسى إلى إظهارِ آيةٍ مِن خَوارقِ العادةِ دَلالةً على صِدقِه، وعرَضَ عليه ذلك قبْلَ وُقوعِه؛ لِيَسُدَّ عليه منافِذَ ادِّعاءِ عدَمِ الرِّضا بها[1].

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ (٣٠)﴾.

أي: قال موسى عليه السَّلامُ لِفرعَونَ: أتسجُنُني حتَّى وإنْ أتيتُك بمُعجزةٍ ظاهرةٍ وبُرهانٍ قاطعٍ يُبِينُ لك صِدقي وصِحَّةَ ما جِئتُ به[2]؟!

﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٣١)﴾.

أي: قال فِرعَونُ لموسى عليه السَّلامُ: فأْتِ بهذا الشَّيءِ المُبينِ إن كنتَ صادقًا في دعْواك[3].

كما قال تعالى حاكيًا قَولَ موسى عليه السَّلامُ وفِرعونَ: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ * قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٥، ١٠٦].

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (٣٢)﴾.

أي: فرمَى موسى عَصاهُ إلى الأرضِ، فانقلَبَت حَيَّةً ضَخمةً في غايةِ الوضوحِ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٦٤، ٥٦٥)، ((البسيط)) للواحدي (١٧/ ٤٧)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٩٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٦٥)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٧)، ((تفسير ابن عادل)) (١٥/ ٢١)، ((تفسير ابن عجيبة)) (٤/ ١٣٢).

قال ابن عجيبة: (قال فرعونُ: فأْتِ به إن كنتَ من الصادقينَ فيما قُلْتَ مِن الإتيانِ بالشيءِ الواضحِ على صدقِ دعْواك، أو: من الصادقينَ في دعوَى الرسالةِ). ((البحر المديد)) (٤/ ١٣٢).

وقال البِقاعي: (أي: فيما ادَّعيتَ مِن الرسالةِ والبيِّنةِ). ((نظم الدرر)) (١٤/ ٢٨).

لِمَن يَراها[١].

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ٣٣﴾.

أي: وأخرَج موسى يَدَه -مِن فَتحةِ قَميصِه العُلويَّةِ مِن جِهةِ العُنُقِ- بيضاءَ تلمَعُ لجَميعِ الناظرينَ إليها في مجلِسِ فِرعَونَ[٢].

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ٣٤﴾.

قال فِرعَونُ للأشرافِ الذين مِن حَولِه: إنَّ هذا لساحِرٌ بارعٌ، ذو عِلمٍ ودِرايةٍ فائِقةٍ بالسِّحرِ، يُخيِّلُ إلى النَّاسِ أنَّ عصاهُ تنقَلِبُ حَيَّةً، وأنَّ يَدَه تَصيرُ بَيضاءَ[٣]!

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ٣٥﴾.

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾.

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٦٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩١)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٣).

قال ابن جرير: (فتحوَّلَتْ ثعبانًا، وهي الحيَّةُ الذَّكَر). ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٦٥). ويُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩١).

وقال ابن عاشور: (الثعبانُ: الحيَّةُ الضخمةُ الطويلةُ). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٣). ويُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٦٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩١)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٣، ١٢٤).

قال البغوي: (أدخَلَ يدَه في جَيبِه ثمَّ نزَعها منه، وقيلَ: أخْرَجها مِن تحتِ إبْطِه فإذا هي بيضاءُ لها شعاعٌ غَلَب نورَ الشَّمسِ، وكان موسَى آدمَ اللَّونِ، ثُمَّ أدخَلها جَيْبَه فصارَتْ كما كانت). ((تفسير البغوي)) (٢/ ٢١٩).

وقال البقاعي: (أي: بياضًا تتوفَّرُ الدَّواعي على نظَرِه؛ لخروجِه عن العادةِ بأنَّ له نورًا كنورِ الشَّمسِ يَكادُ يَغْشى الأبصارَ). ((نظم الدرر)) (١٤/ ٢٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٦٦)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٩)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٢٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩١).

أي: يريدُ أن يُخرِجَكم مِن أرضِكم مِصرَ بسِحرِه[١].

﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

أي: قال فِرعَونُ لِمَن حَولَه: فماذا تُشيرونَ علَيَّ مِن الرأيِ في شَأنِه، وما نفعَلُه به[٢]؟!

﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٣٦﴾.

﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾.

أي: قال الأشرافُ لِفرعَونَ مُشيرينَ عليه: أخِّرْ موسى وأخاه هارونَ وأمهِلْهما[٣].

﴿وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾.

أي: وابعَثْ -يا فِرعَونُ- في مُدُنِ مملكتِك مَن يجمَعونَ منها السَّحَرةَ إليك[٤].

---

(١) يُنظر: ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٥٤)، ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥٠١)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩١).

قال الرازي: (والمعنى: يريدُ أن يُخرِجَكم مِن أرضِكم بما يُلقيه بينَكم مِن العداوات، فيفَرِّق جَمْعَكم، ومعلومٌ أنَّ مُفارقةَ الوطنِ أصعَبُ الأمور، فنفَّرَهم عنه بذلك، وهذا نهايةُ ما يفعلُه المبطِلُ في التنفيرِ عن المحقِّ). ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥٠١).

وقال ابن كثير: (أي: أراد أن يَذهَبَ بقلوبِ النَّاسِ معه بسبَبِ هذا، فيَكثُرَ أعوانُه وأنصارُه وأتباعُه، ويَغلِبَكم على دولتِكم، فيأخُذَ البلادَ منكم). ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٩).

وذهب ابنُ جريرٍ إلى أنَّ المعنى: يريدُ موسى أن يُخرِجَ خدَمَكم وعبيدَكم بني إسرائيلَ مِن أرضِكم. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٦٦، ٥٦٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٦٢)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٦٧)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١١٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٨٥، ٨٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٦٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩١).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٦٧)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٧)، ((بدائع الفوائد)) =

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (٣٧)﴾.

أي: يأتوك بجَميعِ السَّحرةِ المَهَرةِ؛ ليُعارِضوا ما جاء به موسى[١].

الفَوائِدُ التَّربويَّةُ:

في قَولِه تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ أنَّ الواجِبَ على مَن يدعو غيرَه إلى اللهِ تعالى ألَّا يُجيبَ عنِ السَّفاهةِ؛ لأنَّ موسى عليه السَّلامُ لَمَّا قال له فرعونُ: إنَّه مجنونٌ! لم يَعْدِلْ عن ذِكرِ الدَّلالةِ، وكذلك لَمَّا توعَّدَه أنْ يَسجُنَه[٢].

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:

١- قولُه تعالَى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، ظاهِرُ هذه الآيةِ الكريمةِ أنَّ فرعونَ لا يعلمُ شيئًا عن ربِّ العالَمينَ، وكذلك قولُه تعالَى عنه: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ [طه: ٤٩]، وقولُه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، وقولُه: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]، ولكنَّ اللهَ جلَّ وعلا بيَّن أنَّ سؤالَ فِرعونَ في قولِه: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، وقولِه: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ تجاهُلُ عارِفٍ[٣] أنَّه عبدٌ مَربوبٌ لِربِّ العالَمينَ،

= لابن القيم (٤/ ١٧٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩١).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٦٧)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١١٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩١).

(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥٠٠).

(٣) تَجاهُل العارِف: له عِدَّةُ تعريفاتٍ، وتَرجِعُ كلُّها إلى: سَوْقِ المعلومِ مَساقَ غيرِه لنُكتةٍ؛ فمِن =

بقولِه تعالَى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وقولِه تعالَى عن فِرْعونَ وقومِه: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[1] [النمل: ١٤].

٢- قال اللهُ تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ...﴾، مِن دقائقِ هذه المجادَلةِ أنَّ الاستِفسارَ مُقدَّمٌ في المناظَراتِ؛ ولذلك ابتدأ فرعونُ بالسُّؤالِ عن حقيقةِ الذي أرسَلَ موسى عليه السَّلامُ، وكان جوابُ مُوسى عليه السَّلامُ بيانًا لحقيقةِ ربِّ العالَمينَ بما يَجعَلُ وصْفَه بربِّ العالمينَ نصًّا لا يَحتمِلُ غيرَ ما أرادهُ من ظاهرِه؛ فأتى بشَرْحِ اللَّفظِ بما هو تفصيلٌ لمعناهُ؛ إذ قال: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ [الشعراء: ٢٤]، فبِذِكْرِ السَّمواتِ والأرضِ وبعُمومِ ما بيْنَهما حصَلَ بَيانُ حقيقةِ المسؤولِ عنه بـ (ما)، ومَرجِعُ هذا البيانِ إلى أنَّه تعريفٌ لحقيقةِ الرَّبِّ بخصائصِها؛ لأنَّ ذلك غايةُ ما تصِلُ إليه العقولُ في مَعرفةِ اللهِ أنْ يُعرَفَ بآثارِ خلْقِه[2].

٣- قال الله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۞ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ۞ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۞ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ

= تعريفاتِه أنَّه: سؤالُ المتكلِّمِ عمَّا يَعلمُه حقيقةً تجاهُلًا؛ لنُكتةٍ بلاغيَّة. ومنها أنَّه: إخراجُ ما يَعرفُ صِحَّتَه مخرجَ ما يَشُكُّ فيه؛ ليَزيدَ بذلك تأكيدًا. وقيل: هو إخراجُ الكلامِ مخرجَ الشكِّ في اللَّفظِ دون الحقيقةِ؛ لضربٍ مِن المسامحةِ وحسْمِ العنادِ. يُنظر: ((البرهان في علوم القرآن)) للزركشي (٣/ ٤٠٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٧/ ٩٤)، ((مفاتيح التفسير)) للخطيب (١/ ٢٤٢، ٢٤٣).

(١) يُنظر: ((شرح الطحاوية)) لابن أبي العز (ص: ٢٩)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ٩١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١١٧).

تَعۡقِلُونَ﴾، فإنْ قيل: كيف قال أوَّلًا: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾، ثمَّ قال آخِرًا: ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾؟

فالجوابُ: أنَّه لايَنَ أوَّلًا طمعًا في إيمانِهم، فلمَّا رأى منهم العنادَ والمغالطةَ وبَّخهم بقَولِه: ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾، وجعَل ذلك في مقابلةِ قَولِ فِرعَونَ: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ﴾[(١)]. فلَمَّا دعاهُ موسى صلَّى الله عليه وسلَّم باللِّين فأساءَ الأدبَ عليه في الجوابِ الماضي، خَتَمَ هذا البُرهانَ بقَولِه: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: فأنتم تَعلمونَ ذلك، فخَيَّرَهم بيْنَ الإقرارِ بالجُنونِ أو العَقلِ بما أشار إليه مِنَ الأدِلَّةِ في مقابَلةِ ما نَسَبوه إليه مِنَ الجُنونِ بسُكوتِهم وقَولِ عَظيمِهم بغيرِ شُبهةٍ؛ ردًّا لهم عن الضَّلالةِ، وإنقاذًا مِن واضِحِ الجَهالةِ[(٢)].

٤- في قَولِه تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآ﴾ أنَّ جوابَ موسى بما يُبيِّنُ حقيقةَ ربِّ العالَمينَ تضمَّنَ تنبيهًا على أنَّ الاستدلالَ على إثباتِ الخالقِ الواحِدِ يحصُلُ بالنظَرِ في السَّمواتِ والأرضِ وما بيْنَهما؛ نظرًا يؤدِّي إلى العِلمِ بحقيقةِ الرَّبِّ الواحِدِ، الممتازةِ عن حقائقِ المخلوقاتِ؛ ولهذا أتبَعَ بيانَه بقَولِه: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ أي: إنْ كنتُم مُستعدِّينَ للإيقانِ، طالبينَ لمعرفةِ الحقائقِ غيرَ مكابرينَ[(٣)].

٥- قال تعالى عن فرعونَ: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ﴾ فقولُ فرعونَ ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ﴾ على طريقِ التهكُّمِ إشارةٌ إلى أنَّ الرَّسولَ يَنبغي أن يكونَ أعقلَ النَّاسِ[(٤)].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جزي)) (٢/ ٩٠).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٢٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١١٧).

(٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٢٦).

٦- قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ في رُبوبيَّتِه سُبحانَه للمَشارِقِ والمغارِبِ تنبيهٌ على ربوبيَّتِه للسَّمواتِ وما حَوَتْه مِنَ الشَّمسِ والقَمَرِ والنُّجومِ، وربوبيَّتِه لِما بيْنَ الجِهتَينِ، وربوبيَّتِه للَّيلِ والنَّهارِ وما تضَمَّناه[1].

٧- قال تعالى حِكايةً عن موسى عليه السَّلامُ: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ فموسى عليه السَّلامُ أُسلوبُه أُسلوبُ حَكيم؛ أَتى أولًا بالربوبيَّةِ العامَّةِ للسَّمواتِ والأرضِ وما بيْنَهما، ثمَّ أتى بالربوبيَّةِ الخاصَّةِ لفِرعَونَ الذي يدَّعي أنَّه رَبُّه، وقال: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ إشارةً إلى أنَّكم أنتم أتيتُم مِن آبائِكم، ومَن أتى مِن أبٍ فكيف يمكِنُ أن يكون ربًّا وهو مخلوقٌ من نُطفةٍ؟! فكأنَّه يقولُ: ارجِعوا إلى أصلِكم، فاللهُ تعالى ربُّكم أنتم الذين تَدَّعون أنَّكم أربابٌ، وربُّ آبائِكم الأوَّلينَ الذين أتيتُم منهم، فيُذَكِّرُهم بأصلِهم؛ لِيَذكُروا أنَّهم كانوا مُحْدَثِينَ، وأنَّهم لا يَصلُحونَ لأن يَكونوا أربابًا، وهذا مِن حُسنِ الجَوابِ، وفي الحقيقةِ كُلُّ جوابٍ يقولُه موسى فهو حُجَّةٌ قاطِعةٌ تَدمَغُهم، ولكِنْ -والعياذُ باللهِ- مَن لم يُوَفَّقْ للحَقِّ فإنَّه لا ينتَفِعُ به، ويَستكبِرُ عنه[2].

٨- إنَّ المُبطِلينَ إذا غُلِبوا وقامتْ عليهِمُ الحُجَّةُ هَمُّوا بالعُقوبةِ، كما قال فرعونُ لموسى عليه السَّلامُ -وقد أقام عليه الحُجَّةَ-: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾[3].

٩- في قولِه تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾أنَّه يجوزُ للمَسؤولِ أن يَعْدِلَ في حجَّتِه من مثالٍ إلى مثالٍ لإيضاحِ الكلامِ، ولا يدُلُّ ذلك على الانقِطاعِ[4]!

---

(١) يُنظر: ((التبيان في أقسام القرآن)) لابن القيم (ص: ١٩٥، ١٩٦).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٧٤).
(٣) يُنظر: ((جلاء الأفهام)) لابن القيم (ص: ٢٧٥).
(٤) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥٠٠).

١٠- قولُه تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ فيه دَليلٌ على أنَّ بَياضَها كان شيئًا يَجتمِعُ النَّظَّارةُ على النَّظرِ إليه؛ لخُروجِه عنِ العادةِ، وكان بياضًا نوريًّا(١).

١١- قَولُه تعالى حكايةً عن فرعونَ: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ استدلَّ به الأصوليُّونَ على أنَّه لا يُشترَطُ في الأمرِ العُلوُّ ولا الاستِعلاءُ(٢).

١٢- قال الله تعالى حِكايةً عن فِرعَونَ مُخاطِبًا السَّحَرةَ: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ أظهَرَ فِرعَونُ للسَّحَرةِ المَيلَ إلى ما يقولونَه؛ تألُّفًا لهم، واستِجلابًا لمَودَّتِهم؛ لأنَّه قد أشرَف ما كان فيه مِن دَعوى الربوبيَّةِ على الزَّوالِ، وقارَب ما كان يغَرِّرُ به عليهم الاضمِحلالَ، وإلَّا فهو أكبَرُ تِيهًا وأعظَمُ كِبْرًا مِن أن يخاطِبَهم مِثلَ هذه المُخاطَبةِ المُشعِرةِ بأنَّه فَردٌ مِن أفرادِهم، وواحِدٌ منهم، مع كَونِه قبْلَ هذا الوَقتِ يدَّعي أنَّه إلهُهم، ويُذعِنون له بذلك، ويصَدِّقونَه في دَعْواه(٣).

بلاغةُ الآياتِ:

١- قولُه تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾

- إظهارُ اسمِ فِرْعونَ، مع أنَّ طريقةَ حِكايةِ المُقاوَلاتِ والمُحاوَرةِ يُكْتفى فيها بضَميرِ القائلينَ بطريقةِ (قال، قال)، أو (قال، فقال)، فعدَلَ عن تلك الطَّريقةِ إلى إظهارِ اسْمِه؛ لإيضاحِ صاحبِ هذه المقالةِ؛ لبُعدِ ما بيْنَ قولِه هذا وقولِه الآخرِ(٤).

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣١٠).
(٢) يُنظر: ((الإكليل في استنباط التنزيل)) للسيوطي (ص: ١٩٩).
(٣) يُنظر: ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١١٥).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١١٦).

- قولُه: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ سُؤالُ إنكارٍ لأنْ يكونَ للعالَمينَ ربٌّ سِواهُ، حسَبَما يُعرِبُ عنه قولُه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقولُه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، ويَنطِقُ به وعيدُه عندَ تَمامِ أجوبةِ موسى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ[1]. أو: سُؤالٌ على سَبيلِ المُباهَتةِ والمُكابَرةِ والمُرادَّةِ، وكان عالمًا باللهِ، ويدُلُّ عليه: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، ولكنَّه تعامَى عن ذلك طلَبًا للرِّياسةِ ودَعوى الإلهيَّةِ، واستفهَمَ بـ (ما) استفهامًا عن مَجهولٍ مِن الأشياءِ[2]. أو: استفهامٌ مَشوبٌ بتعجُّبٍ وإنكارٍ على طَريقِ الكِنايةِ. وكان جوابُ مُوسى عليه السَّلامُ بَيانًا لحقيقةِ ربِّ العالَمينَ؛ ولهذا أتبَعَ بَيانَه بـ ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾[3].

٢- قولُه تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾

- عرَّفَه بأَظهرِ خَواصِّه وآثارِه لَمَّا امتنَع تعريفُ الأفرادِ إلَّا بذِكرِ الخَواصِّ والأفعالِ[4].

- قولُه: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ تَعيينُ ما أَرادَ بالعالَمينَ وتَفصيلُه؛ لزِيادةِ التَّحقيقِ والتَّقريرِ، وحسْمِ مادَّةِ تَزويرِ اللَّعينِ وتَشكيكِه بحمْلِ العالَمينَ على ما تحتَ مملكتِه[5].

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٠٧)، ((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٤٠٩)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٤٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١١٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٦).

(٥) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٩).

- وجاء قولُه: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ على التَّثنيةِ، والعائدُ عليه الضَّميرُ مَجموعٌ اعتِبارًا للجِنسَينِ: جِنسِ السَّماءِ، وجِنسِ الأرضِ(١).

- وضميرُ الجَمعِ في ﴿كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ مُرادٌ به: جميعُ حاضِري مَجلِسِ فِرعونَ، أرادَ موسى تَشريكَهم في الدَّعوةِ؛ تَقَصِّيًا لكمالِ الدَّعوةِ(٢).

٣- قولُه تعالى: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾

- قولُه: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ أَعرَضَ فِرعونُ عن خِطابِ موسى، واستَثارَ نُفوسَ المَلأِ مِن حَولِه، وهُم أهلُ مَجلِسِه، فاستَفهَمَهُم استِفهامَ تَعجُّبٍ مِن حالِهم: كيف لَمْ يَستمِعوا ما قاله موسى؟! فنَزَّلَهم مَنزلةَ مَن لم يَستمِعْه؛ تَهييجًا لنُفوسِهم؛ كيْ لا تَتمكَّنَ منهم حُجَّةُ موسى، فسَلَّطَ الاستِفهامَ على نَفيِ استِماعِهم. وهذا التَّعجُّبُ مِن حالِ استِماعِهم وسُكوتِهم يَقتَضي التَّعجُّبَ مِن كلامِ موسى بطريقِ فَحْوى الخِطابِ(٣)؛ فهو كِنايةٌ عن تَعجُّبٍ آخَرَ(٤).

- ولكَونِ خِطابِ فِرعونَ لمَن حَوْلَه يَتضمَّنُ جوابًا عن كلامِ موسى؛ حُكيَ كلامُ فِرعونَ بالصِّيغةِ الَّتي اعتِيدتْ في القُرآنِ حكايةُ المُقاوَلاتِ بها، كأنَّه

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٠٧)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٥٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١١٨).

(٣) فحْوَى الخطابِ: ويسمَّى تنبيهَ الخطابِ، ومفهومَ الموافقةِ، وهو إثباتُ حكم المنطوق به للمَسكوتِ عنه بطريقِ الأَولى؛ كقوله تعالَى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣]، فيه تنبيهٌ على النَّهي عن ضربِهما وسَبِّهما؛ لأنَّ الضَّربَ والسَّبَّ أعظمُ مِن التَّأْفيفِ، وكذلك قولُه تعالَى: ﴿مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٧٥]، فيه تنبيهٌ على أنَّه يُؤدِّي ما كان دونَ القنطارِ، ففي هذه الآيةِ نَبَّه بالأعلَى على الأدنَى، وفي الآيةِ الأولى نَبَّه بالأدنَى على الأعلَى. يُنظر: ((الفقيه والمتفقه)) للخطيب البغدادي (١/ ٢٣٣)، ((تقريب الوصول إلي علم الأصول)) لابن جزي (ص: ١٦٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١١٨).

يُجيبُ موسى عن كلامِه(١).

- قولُه: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ إغراءٌ به وتعجُّبٌ(٢).

٤- قولُه تعالى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾

- كَلامُ موسى هذا في مَعرِضِ الجَوابِ عن تَعجُّبِ فِرعونَ مِن سُكوتِ مَن حوْلَه؛ فلذلك كانت حِكايتُه قَوْلَه على الطَّريقةِ الَّتي تُحكى بها المُقاوَلاتُ. ولَمَّا كان في كلامِ فِرعونَ إعراضٌ عن مُخاطبةِ موسى، إذْ تَجاوَزَه إلى مُخاطَبةِ مَن حوْلَه؛ وجَّهَ موسى خِطابَه إلى جميعِهم(٣).

- وعمَّ أوَّلًا بقولِه: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾، وخصَّ ثانيًا بذِكْرِ أنفُسِهم وآبائِهم؛ لأنَّ أقرَبَ ما ينظُرُ فيه العاقلُ نفسُه، وما نشَأ عنه، وتولَّد منه، ولِيَكونَ أوضَحَ لهم في بيانِ بُطْلانِ دَعْوى فِرعونَ الإلهيَّةَ؛ إذْ كان آباؤُهمُ الأوَّلونَ تَقدَّموا فِرعونَ في الوُجودِ، فمُحالٌ أن يَكونَ وهو في العَدَمِ إلهًا لهم. معَ ما في ذلك مِن تنبيهِهم على نِعَمِ الله تعالى عليهم، وإحسانِه إليهم(٤).

- وفي قَولِه: ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ دَلالةٌ على إماتَتِهم بعْدَ إيجادِهم(٥).

- وهذا بعَينِه طريقةُ إبراهيمَ عليه السَّلامُ مع نُمْرُوذَ؛ فإنَّه استَدلَّ أوَّلًا بالإحياءِ والإماتةِ -وهو الَّذي ذَكَرَه موسى عليه السَّلامُ هاهنا بقولِه: ﴿رَبُّكُمْ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١١٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٥٠)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١١٨).

(٤) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٠٨)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٥٠)، ((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٤٠٩، ٤١٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١١٨، ١١٩)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٧/ ٦٦).

(٥) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٥٠).

وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾-؛ فأجابه نُمْروذُ بقَولِه: ﴿أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]! فقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾، وهو الَّذي ذَكَرَه مُوسى عليه السَّلامُ هاهنا بقولِه: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾[1].

٥- قولُه تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾

- في قولِه: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ أكَّدَ كلامَه بحرفَيِ التَّأكيدِ (إنَّ - واللَّام)؛ لأنَّ حالةَ موسى لا تؤْذِنُ بجُنونِه، فكان وصْفُه بالمَجنونِ مُعرَّضًا للشَّكِّ؛ ولِيَفتِنَهم بذلك، ويَصرِفَهم عن قَبولِ الحقِّ. وقصَدَ بإطلاقِ وصْفِ الرَّسولِ على موسى التَّهكُّمَ به؛ بقرينةِ رَمْيِه بالجُنونِ المُحقَّقِ عِندَه. وأضافَ الرَّسولَ إلى المُخاطَبينَ؛ تنزيهًا لنفْسِه واستبعادًا أن يَكونَ مقصودًا بالخِطابِ، وأكَّد التَّهكُّمَ والاستبعادَ بوصْفِه بالمَوصولِ ﴿ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ﴾؛ فإنَّ مَضمونَ المَوصولِ وصِلَتِه هو مَضْمونُ ﴿رَسُولَكُمُ﴾؛ فكان ذِكرُه كالتَّأكيدِ، وتَنصيصًا على المقصودِ؛ لزيادةِ تَهييجِ السَّامِعينَ؛ كيْلَا يَتأثَّروا أو يَتأثَّرَ بعضُهم بصِدْقِ موسى[2].

٦- قولُه تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾

- قال ذلك موسى عليه السَّلامُ؛ تَكميلًا لجَوابِه الأوَّلِ، وتفسيرًا له، وتنبيهًا على جهلِهم وعدَمِ فَهمِهم لمعنَى مَقالتِه؛ فإنَّ بيانَ رُبوبيَّتِه تعالى للسَّموات والأرضِ وما بيْنَهما وإنْ كان مُتضمِّنًا لبيانِ رُبوبيَّتِه تعالى للخافِقَينِ وما

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٤٩٩)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٥١).

(٢) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٦)، ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٣٤٢)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١١٩، ١٢٠).

بيْنَهما، لكنْ لمَّا لمْ يكُنْ فيه تَصريحٌ باستِنادِ حرَكاتِ السَّمواتِ وما فيها وتَغيُّراتِ أحوالِها وأوضاعِها، وكَونِ الأرضِ تارةً مُظلِمةً وأُخرى مُنوِّرةً؛ إلى الله تعالى- أرشدَهُم إلى طريقِ مَعرفةِ رُبوبيَّته تعالى لِما ذَكَر؛ فإنَّ ذِكرَ المَشرقِ والمَغربِ مُنبِئٌ عن شُروقِ الشَّمسِ وغُروبِها المنُوطَينَ بحرَكات السَّمواتِ وما فيها على نَمَطٍ بديعٍ تَتَرتَّبُ عليه هذه الأوضاعُ الرَّصينةُ، وكلُّ ذلك أمورٌ حادثةٌ مُفتقِرةٌ إلى مُحْدِثٍ قادرٍ عليمٍ حكيمٍ، لا كذَواتِ السَّمواتِ والأرضِ الَّتي رُبَّما يَتوهَّمُ جهَلَةُ المُتَوهِّمينَ باستِمرارِها استِغناءَها عنِ المُوجِدِ المُتصرِّفِ[١].

أو: خصَّصَ المَشرقَ والمَغربَ؛ لأنَّ طُلوعَ الشَّمسِ مِن أحَدِ الخافقَينِ وغُروبَها في الآخَرِ على تقديرٍ مُستقيمٍ في فُصولِ السَّنَةِ، وحسابٍ مُستَوٍ مِن أَظهَرِ ما استُدِلَّ به[٢].

- وتَكريرُ لفظِ الرَّبِّ وإعادتُه في كلِّ مرَّةٍ؛ لتَعظيمِ ما نَسَبوا إليه[٣].

- قولُه: ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ فيه إيذانٌ بغايةِ وُضوحِ الأمرِ، بحيثُ لا يَشتَبِهُ على مَن له عقْلٌ في الجُملةِ، وتَلويحٌ بأنَّهم بمَعزلٍ مِن دائرةِ العقلِ، وأنَّهمُ المُتَّصِفون بما رَمَوه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ به مِنَ الجُنونِ[٤].

- والتَّذييلُ بجملةِ ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ تَنبيهٌ لنَظرِهمُ العقليِّ؛ ليُعاوِدوا النَّظرَ فيُدْرِكوا وجْهَ الاستِدلالِ[٥].

---

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٩، ٢٤٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٠٨).

(٣) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٣٤٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٤٠).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢١).

- وفي قولِه: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ تعريضٌ بفِرعونَ أنَّ الرَّبَّ يَنبَغي أن يكونَ قادرًا على ما في يَدِه وتحتَ تَصرُّفِه، وأنتُم تَعلَمون أنَّ مَشارِقَ الأرضِ ومَغارِبَها ليستْ في تَصرُّفِه، ولا يَملِكُ منها على شيءٍ، ولا أَحاطَ منها عِلمًا بشيءٍ. وذَيَّلَه بقَولِه: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ رَدًّا لِنسبتِه الجُنونَ إليه، على طريقِ المُشاكَلةِ المَعنويَّةِ[١].

- ومِن اللَّطائِفِ والمُناسَبةِ الحَسَنةِ: أنَّ موسى عليه السَّلامُ قال أوَّلًا: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾، وآخِرًا: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ فجَعَلَ ذلك مُقابِلَ قَولِ فِرعونَ: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾؛ لأنَّ الجُنونَ يُقابِلُه العقلُ؛ فكانَ موسى يقولُ لهم قَولًا لَيِّنًا ابتِداءً فلاطَفَهم أوَّلًا، فلمَّا رأى منهمُ المُكابرةَ وشِدَّةَ الشَّكيمةِ في العِنادِ، وقِلَّةَ الإصغاءِ إلى عَرْضِ الحُجَجِ، ووصَفوه بالجُنونِ؛ خاشَنَهم في القولِ، وعارَضَ قَولَ فِرعونَ: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾، فقال: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾، أي: إنْ كنتُم أنتُمُ العُقلاءَ، أي: فلا تَكونوا أنتُمُ المَجانينَ[٢].

٧- قولُه تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾

- اللَّامُ في قَولِه: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا﴾ موَطِّئةٌ للقسَم. والمعنى: أنَّ فِرعونَ أكَّدَ وَعيدَه بما يُساوي اليَمينَ المُجمَلةَ الَّتي تؤْذِنُ بها اللَّامُ الموَطِّئةُ في اللُّغةِ العربيَّةِ، كأنْ يَكونَ فِرعونُ قال: علَيَّ يمينٌ، أو بالأيمانِ، أو أُقْسِمُ[٣].

---

(١) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٣٤٢، ٣٤٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٠٨)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٦)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٥١، ١٥٢)، ((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٤١٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢١، ١٢٢).

- قولُه: ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾، أي: لأَسجُنَنَّكَ، فسَلَكَ فيه طريقةَ الإطنابِ؛ لأنَّه أَنسَبُ بمَقامِ التَّهديدِ؛ لأنَّه يُفيدُ معنًى: لأَجعَلَنَّكَ واحدًا ممَّن عرَفْتَ أنَّهم في سِجني، ومِثلُ هذا التَّركيبِ يُفيدُ تَمكُّنَ الخبرِ مِنَ المُخبَرِ عنه(١).

٨- قولُه تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾

- قيل: الواوُ في قولِه: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ عاطِفةٌ، وهي تَستَدعي مَعطوفًا عليه، وهو ما سبَقَ في أوَّلِ المُكالَمةِ بيْنَ نبيِّ اللهِ تعالى وعدُوِّه، والهمزةُ مُقحَمةٌ بيْنَ المَعطوفِ والمَعطوفِ عليه؛ للتَّقريرِ(٢). وقيل: استَفهَمَه استِفهامًا مَشوبًا بإنكارٍ واستغرابٍ على تَقديرِ عدَمِ اجتِزاءِ فِرعونَ بالشَّيءِ المُبينِ، وأنَّه ساجِنُه لا مَحالةَ إنْ لم يَعترِفْ بإلهيَّةِ فِرعونَ؛ قَطْعًا لمَعذرتِه مِن قبْلِ الوُقوعِ. وهذا التَّقديرُ دلَّتْ عليه (لو) الوَصْليَّةُ، الَّتي هي لفَرضِ حالةٍ خاصَّةٍ. فالواوُ في قولِه: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ﴾ واوُ الحالِ، والمُستفهَمُ عنه بالهمزةِ مَحذوفٌ، دَلَّ عليه أنَّ الكلامَ جوابُ قَولِ فِرعونَ: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ٢٩]، والتقدير: أتَجعَلُني مِنَ المَسجونينَ والحالُ لو جِئتُكَ بشيءٍ مُبينٍ؟ إذِ القَصدُ الاستِفهامُ عنِ الحالةِ الَّتي تَضمَّنَها شرْطُ (لو) بأنَّها أَوْلى الحالاتِ بألَّا يَثبُتَ معها الغرضُ المُستفهَمُ عنه على فرْضِ وُقوعِها، وهو غرضُ الاستِمرارِ على التَّكذيبِ، وهو استِفهامٌ حقيقيٌّ، وليستِ الواوُ مؤَخَّرةً عن همزةِ الاستِفهامِ؛ لأنَّ لحَرفِ الاستِفهامِ الصَّدارةَ، بل هي لعَطفِ

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٠٨، ٣٠٩)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٦)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٥٣)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٤٠)، ((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٤١٠، ٤١١)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٢)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٧/ ٦٧).

(٢) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٣٤٨).

الاستِفهامِ[١].

- وتصديرُ المَجيءِ بما ذُكِر مِن كَلمةِ (لَوْ) دون (أنْ) ليس لبَيانِ استبعادِه في نفْسِه، بل بالنِّسبةِ إلى فِرعونَ، والمعنى: أتَفْعَلُ بي ذلك حالَ عدَمِ مَجيئي بشَيءٍ مُبينٍ وحالَ مَجيئي به[٢]؟

- قولُه: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ فيه التَّعبيرُ عنِ المُعجزةِ بـ (شيءٍ مبينٍ)؛ للتَّهويلِ[٣].

٩- قولُه تعالى: ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾

- في قوله: ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ إيماءٌ إلى أنَّ في كلامِ فِرعونَ ما يَقتَضي أنَّ فرْضَ صِدْقِ موسى فرْضٌ ضعيفٌ، كما هو الغالبُ في شرطِ (إنْ)، مع إيهامِ أنَّه إنْ جاء بشَيءٍ مُبينٍ يُعتبَرُ صادقًا فيما دَعَا إليه، فبَقِيَ تحقيقُ أنَّ ما سيَجيءُ به موسى مُبينٌ أو غيرُ مُبينٍ. وهذا قدِ استَبْقاهُ كلامُ فِرعونَ إلى ما بعْدَ الوُقوعِ والنُّزولِ؛ ليتأتَّى إنكارُه إنِ احتاجَ إليه[٤].

- قولُه: ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيه إيجازٌ بالحَذفِ؛ حيثُ حُذِف الجزاءُ؛ لأنَّ الأمرَ بالإتيانِ به يدُلُّ عليه[٥].

- وأُدمِجَ في سِياقِ هذا التَّركيبِ معنَى أنَّ المعجزةَ تَصديقٌ مِنَ اللهِ تعالى

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٢، ١٢٣).
(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٤٠، ٢٤١).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٦/ ٢٤٠).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٣).
(٥) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣١٠)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٥٢)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٤١).

لِمُدَّعي النُّبوَّةِ، والحكيمُ لا يُصَدِّقُ الكاذبَ(١).

١٠- قولُه تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾

- قولُه: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ فيه إيثارُ الجُملةِ الاسميَّةِ؛ للدَّلالةِ على كَمالِ سُرعةِ الانقلابِ، وثَباتِ وَصْفِ الثُّعبانيَّةِ فيها، كأنَّها في الأصلِ كذلك(٢).

- ووصَفَ ﴿ثُعْبَانٌ﴾ بأنَّه ﴿مُّبِينٌ﴾ الَّذي هو اسمُ فاعلٍ مِن الفِعلِ (أَبانَ) القاصرِ الَّذي بمعنَى بانَ بمعنَى ظهَرَ، فـ﴿مُّبِينٌ﴾ دالٌّ على شدَّةِ الظُّهورِ؛ مِن أجْلِ أنَّ زيادةَ المَبْنى تدُلُّ على زيادةِ المَعنى، أي: ثُعبانٌ ظاهرٌ أنَّه ثُعبانٌ، لا لَبْسَ فيه ولا تَخْييلَ(٣).

- إنْ قيلَ: كيف قال هاهنا: ﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾، وفي آيةٍ أُخرى: ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٢٠]، وفي آيةٍ ثالثةٍ: ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ [النمل: ١٠]، والجانُّ مائلٌ إلى الصِّغَرِ؛ والثُّعبانُ مائِلٌ إلى الكِبَرِ؟

جوابُه: أمَّا الحيَّةُ فهي اسمُ الجِنسِ، ثمَّ إنَّها لكِبَرِها صارَتْ ثُعْبانًا، وشَبَّهَها بالجانِّ لِخِفَّتِها وسُرعتِها؛ فصَحَّ الكلامانِ. ويحتمِلُ أنَّه شبَّهَها بالشَّيطانِ؛ لقولِه تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧]. ويحتمِلُ أنَّها كانت أوَّلًا صغيرةً كالجانِّ، ثمَّ عَظُمَتْ فصارَتْ ثُعبانًا(٤).

١١- قولُه تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾

---

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٠٩)، ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٣٤٨)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٥٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٢٥٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥٠١).

- نَزْعُ اليدِ: إخراجُها مِنَ القميصِ؛ فلذلك استَغنى عن ذِكرِ المَنزوعِ منه؛ لظُهورِه(١).

- -ودلَّتْ (إذا) المُفاجِئةُ على سُرعةِ انقلابِ لَونِ يدِه بَياضًا(٢).

- والتَّعريفُ في ﴿لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ للاستِغراقِ العُرْفيِّ، أي: لجَميعِ النَّاظِرينَ في ذلك المَجلِسِ. وهذا يُفيدُ أنَّ بَياضَها كان واضِحًا بَيِّنًا مُخالِفًا لَوْنَ جِلْدِه بصورةٍ بعيدةٍ عن لَونِ البَرَصِ(٣).

١٢- قولُه تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ فيه مُناسَبةٌ حَسَنةٌ، حيثُ تَقدَّمَ نَظيرُ هذه الآيةِ في سُورةِ (الأعرافِ)، سِوى أنَّ في هذه الآيةِ أنَّ هذا قولُ فِرعونَ للمَلأِ، وفي آيةِ (الأعرافِ): ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ [الأعراف: ١٠٩]، والجَمعُ بيْنَهما: أنَّ فِرعونَ قالَه لمَن حَولَه، فأعادُوه بلَفظِه؛ للموافَقةِ التَّامَّةِ، بحيث لمْ يَكتفوا بقولِ: نعَمْ، بل أعادُوا كلامَ فِرعونَ؛ ليَكونَ قَولُهم على تمامِ قَولِه(٤)، والتقديرُ في آيةِ سورةِ (الأعرافِ): «قال المَلأُ من قَومِ فِرعونَ وفِرعونُ بعضُهم لبعضٍ»؛ فحُذِفَ فِرعونُ لاشتِمالِ المَلأِ من قَومِ فِرعونَ على اسمِه، كما قال: ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: ٥٠] أي: آلَ فرعونَ وفِرعونَ؛ فحُذِفَ «فرعونُ» لأنَّ آلَ فِرعونَ اشتَمَلَ على اسمِه؛ فالقائلُ هو فِرعونُ نفْسُه؛ بدليلِ الجَوابِ وهو ﴿أَرْجِهْ﴾ بلفظِ التَّوحيدِ، والمَلأُ هُمُ المَقولُ لهم؛ إذْ ليس في الآيةِ مُخاطَبون بقَولِه: ﴿يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾ غيرَهم(٥).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٣).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٢٤).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٥) يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (١/ ٢١٦).

١٣- قولُه تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾

- قولُه: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ فيه مُناسَبةٌ حسَنةٌ، حيثُ قال تعالى هنا: ﴿بِسِحْرِهِۦ﴾ حكايةً عن فرعونَ، وقال في سورةِ (الأعرافِ): ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ حكايةً عن ملأِ فرعونَ؛ وذلك لأنَّ آيةَ (الأعرافِ) بُنِيَتْ على الاقتِصارِ، ولأنَّ لَفْظَ السَّاحرِ في قَولِه: ﴿لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ يدُلُّ على السِّحْرِ[1].

وقيل: الفرقُ أنَّ فرعونَ أراد أن يشدَّهم، وأن يُغريَهم بما يقابلون به موسَى عليه الصلاة والسلامُ[2]، ففِرعونُ كان أشَدَّهم تمرُّدًا، وأوَّلَهم تَجبُّرًا، وأبلَغَهم فيما يُرَدُّ به الحَقُّ، فذكَر السَّببَ الَّذي يَصِلُ به إلى الإخراجِ، أما المَلأُ فلم يَبْلُغوا مَبلَغَ فِرعونَ في إبطالِ ما أورَدَه موسى عليه السَّلامُ، ولمْ يَجْفوا في الخِطابِ جَفاءَه[3].

١٤- قولُه تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ فيه مُناسَبةٌ حَسَنةٌ، حيثُ قالَ هنا: ﴿وَٱبْعَثْ﴾، وفي سورةِ (الأعرافِ) قال: ﴿وَأَرْسِلْ﴾ [الأعراف: ١١١]؛ لأنَّ الإرسالَ يُفيدُ معنَى البَعثِ؛ ويَتضمَّنُ نَوعًا مِنَ العُلوِّ؛ لأنَّه يَكونُ من فَوق؛ فخُصَّتْ سورةُ (الأعرافِ) به لَمَّا الْتَبَسَ؛ لِيُعْلَمَ أنَّ المُخاطَبَ به فِرعونُ دُونَ غَيرِه[4].

---

(١) يُنظر: ((أسرار التكرار في القرآن)) للكرماني (ص: ١٢٧)، ((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٢٠٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٨٥).

(٣) يُنظر: ((درة التنزيل وغرة التأويل)) للإسكافي (٢/ ٦٥١-٦٥٣)، ((ملاك التأويل)) لأبي جعفر الغرناطي (١/ ٢١٥، ٢١٦).

(٤) يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (١/ ٢١٧).

وقيل: إنَّ (أَرسِلْ) و(ابْعَثْ) بمعنًى واحدٍ؛ وإنَّما عُبِّر بكلٍّ واحدٍ في مَوضِعٍ؛ تَكثيرًا للفائدةِ في التَّعبيرِ عنِ المُرادِ بلَفظَيْنِ مُتَساوِيَيْنِ معنًى(١). وقيل غير ذلك(٢).

١٥- قولُه تعالى: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾

- قولُه: ﴿سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ قابَلوا قولَه: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ﴾، بقَولِهم: ﴿بِكُلِّ سَحَّارٍ﴾، فجاؤُوا بكلمةِ الاستِغراقِ والبناءِ الَّذي للمُبالَغةِ؛ لِيُطامِنوا مِن نفْسِه، ويُسكِّنوا بعضَ قَلَقِه(٣).

- وأيضًا في قولِه هنا في (الشُّعراءِ): ﴿بِكُلِّ سَحَّارٍ﴾ مُناسَبةٌ حسنةٌ، حيثُ قالَه في سورةِ (الأعرافِ): ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٢]؛ لأنَّه راعَى ما قبْلَه في هذه السُّورةِ -(الأعرافِ)- وهو قولُه: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩]، وفي (الشُّعراءِ) قال: ﴿بِكُلِّ سَحَّارٍ﴾ بالاتفاقِ على قراءتِها بالألِفِ بعدَ الحاءِ المشدَّدةِ، وهو جوابٌ لقولِ فرعونَ فيما استشارهم فيه مِن أمرِ موسَى بعدَ قولِه: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ فأجابوه بما هو أبلغُ مِن قولِه؛ رعايةً لمرادِه بخلافِ التي في (الأعراف)، فإنَّ ذلك جوابٌ لقولِهم، فتناسَب اللفظانِ، وقُرِئَ في سُورةِ (الأعرافِ) ﴿بِكُلِّ سَحَّارٍ﴾ أيضًا؛ طلبًا للمُبالَغةِ، ومُوافَقةً لِمَا في (الشُّعراءِ)(٤). وقيل: السَّحَّارُ مُرادِفُ

(١) يُنظر: ((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٢٠٤).

(٢) يُنظر: ((درة التنزيل وغرة التأويل)) للإسكافي (٢/ ٦٥٤، ٦٥٥)، ((ملاك التأويل)) لأبي جعفر الغرناطي (١/ ٢١٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣١١)، ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٣٤٥)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٥٤).

(٤) يُنظر: ((النشر في القراءات العشر)) لابن الجزري (٢/ ٢٧٠)، ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (١/ ٢١٧).

للسَّاحرِ في الاستِعمالِ؛ لأنَّ صيغةَ فعَّالٍ هنا للنَّسَبِ دَلالةً على الصِّناعةِ، مِثلُ: النَّجَّارِ والقَصَّارِ؛ ولذلك أُتبِعَ في السُّورتَينِ بوَصْفِ ﴿عَلِيمٍ﴾، أي: قَويِّ العِلمِ بالسِّحرِ[1].



(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٥).

الآيات (٣٨ - ٥١)

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ
ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ
ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾
فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ
فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ
مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ
فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ
إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾.

غَريبُ الكَلِماتِ:

﴿لِمِيقَـٰتِ﴾: الميقاتُ: الوقتُ المضروبُ، أو: القدرُ المحدَّدُ للفعلِ من الزمانِ أو المكانِ، وأصلُ (وقت): يدُلُّ على حَدِّ شَيءٍ في زَمانٍ[١].

﴿تَلْقَفُ﴾: أي: تَبتَلِعُ، يقالُ: لَقِفتُ الشَّيءَ: إذا تناولْتَه بسُرعةٍ، سواءٌ في ذلك تناوُلُه بالفَمِ أو اليَدِ[٢].

﴿يَأْفِكُونَ﴾: أي: يَكذِبون[٣] ويزَوِّرون، وأصلُ (أفك): يدُلُّ على قَلبِ الشَّيءِ

---

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤٥٦)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ١٣١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٧٩)، ((فتح الباري)) لابن حجر (٢/ ٣).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٧٠)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٤٠)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٤٤)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ١١٥)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٣١٩).

(٣) قال ابن عثيمين: (الإفكُ: الكَذِبُ، وهذا كَذِبٌ بالفعلِ وليس بالقولِ، والكذبُ الفِعليُّ هو إظهارُ الإنسانِ الفعلَ بخلافِ الحقيقةِ، فهؤلاءِ أظهروا الحبالَ والعِصِيَّ حَيَّاتٍ، لكنَّها ليستْ =

وصَرفِه عن جِهتِه(١).

﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾: أي: مُخالفًا في قَطعِ ذلك منكم؛ يَدِه اليُمنى ورِجلِه اليُسرى، والعكس، يخالِفُ بيْنَ قَطعِهما(٢).

﴿لَا ضَيْرَ﴾: أي: لا ضَرَرَ، مِن: ضارَّه يَضُوره ويَضِيرُه، بمعنى: ضَرَّه، والضَّيْرُ: المَضَرَّةُ، وأصلُ (ضرر): خِلافُ النَّفعِ(٣).

﴿مُنقَلِبُونَ﴾: أي: راجِعونَ، وأصلُ (قلب): يدُلُّ على صَرفِ الشَّيءِ مِن وجهٍ إلى وَجهٍ(٤).

المعنى الإجماليُّ:

يقولُ الله تعالى: فجَمَعَ الحاشِرون السَّحَرةَ للوَقتِ المحَدَّدِ لاجتِماعِهم، وقيلَ لأهلِ مِصرَ: هل أنتم مُجتَمِعون؛ لِتَنظُروا لِمَن يكونُ النَّصرُ والغَلَبَةُ، لعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرةَ إنْ كانوا سيَغلِبون موسى؟ فلمَّا جاء السَّحَرةُ فِرعَونَ قالوا له: هل لنا مِن أجرٍ عِندَك إنْ غَلَبْنا موسى؟ قال فِرعَونُ لهم: نعم، وتكونون أيضًا من

= كذلك، وإنَّما هي حبالٌ وعِصيٌّ). ((تفسير ابن عثيمين- الشعراء)) (ص: ١٠٢) بتصرف.

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ١١٨)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ١١٥)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٩٩٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٧٠)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢١٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٢١٠)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ١١٦)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٨٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٧٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٣٦٠)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥١٣)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٦٨)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٩٩).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١١٣)، ((تفسير ابن جرير)) (١٠/ ٣٦٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ١٧)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٨١).

المقرَّبين عندي، فلمَّا اجتمَعَ السَّحَرةُ بموسى قال لهم: اطرَحوا ما تُريدونَ طَرحَه، فألقى السَّحَرةُ حِبالَهم وعِصِيَّهم الَّتي أعَدُّوها للسِّحرِ، وقالوا: بعَظَمةِ فِرعَونَ وقُدرتِه، إنَّا لنحن الغالِبون لموسى.

فألقى موسى عصاهُ فابتلَعَت ما ألقاه السَّحَرةُ مِن الحِبالِ والعِصيِّ الَّتي خيَّلوا للنَّاسِ أنَّها حيَّاتٌ، وخَدَعوهم بذلك، فلمَّا رأى السَّحَرةُ ذلك عَرَفوا صِدقَ موسى عليه السَّلامُ، وأنَّ ما جاءهم به حَقٌّ ليس سِحرًا ولا تَمويهًا، فخرُّوا ساجدينَ لله تعالى، وقالوا: آمنَّا برَبِّ العالَمينَ؛ ربِّ موسى وهارونَ. فلمَّا رآهم فِرعونُ على هذه الحالِ قال لهم: أآمنتُم بأنَّ ما جاء به موسى حقٌّ، واتبَعْتُموه قبْلَ أنْ آذَنَ لكم؟! إنَّ موسى لَرئيسُكم وكبيرُكم الذي علَّمكم السِّحرَ، فلَسَوف تَعلَمونَ.

ثمَّ توعَّدهم فِرعونُ، فقال: لَأُقطِّعَنَّ مِن كُلِّ واحدٍ منكم يدَه ورِجلَه مِن جِهَتينِ مختَلِفَتينِ، ولأُصَلِّبَنَّكم جميعًا. فقال السَّحَرةُ له: لا ضرَرَ علينا مِن عقابِك، فسنصبِرُ عليه؛ لأنَّنا إلى اللهِ راجِعونَ، فيُجازينا على إيمانِنا وصَبرِنا، إنَّا نرجو أن يغفِرَ لنا ربُّنا ذُنوبَنا؛ لأنَّنا كُنَّا أوَّلَ المؤمنينَ بالحَقِّ لَمَّا جاءَنا.

تَفسيرُ الآياتِ:

﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٣٨﴾ ﴾.

أي: فجَمَع الحاشِرون السَّحَرةَ مِن المُدُنِ للوَقتِ المحَدَّدِ لاجتِماعِهم[1].

كما قال تعالى: ﴿ قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ۞ فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى ۞ قَالَ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٦٧)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩١)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٥).

مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى﴾ [طه: ٥٧ - ٥٩].

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ٣٩﴾.

أي: وقيلَ لأهلِ مِصرَ: هل أنتم مُجتَمِعون لِتَنظُروا إلى ما يَفعَلُ الفريقانِ، ولِمَن تكونُ الغَلَبةُ[(١)]؟

﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤٠﴾.

أي: لعَلَّنا[(٢)] نتَّبِعُ السَّحَرةَ إن كانوا سيَغلِبون موسى[(٣)].

---

(١) يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٦٣)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٦٧)، ((تفسير الخازن)) (٣/ ٣٢٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩١)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٥).

(٢) قيل: لعلَّ هنا: بمعنى كَيْ. وممَّن ذهب إلى ذلك: ابنُ جريرٍ، والسعديُّ. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٦٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩١).

وقيل: لعَلَّ هنا للترجِّي. وممَّن ذهب إلى ذلك: البيضاوي، وابن عثيمين. يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة الشعراء)) (ص: ٩٢). ويُنظر أيضًا: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٦٧، ٥٦٨)، ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٣٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٦).

قال ابن جرير: (يقولُ: كَي نتَّبِعَ السَّحَرةَ إن كانوا هم الغالبينَ موسى... فغيرُ معقولٍ أن يقولَ مَن كان على دينٍ: أنظُرُ إلى حُجَّةِ مَن هو على خِلافي لعلِّي أتَّبِعُ دينَه، وإنَّما يقالُ: أنظُرُ إليها كيْ أزدادَ بصيرةً بدِيني، فأُقيمَ عليه). ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٦٧، ٥٦٨).

وقال ابن عطية: (قولُه: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ ليس معناه نتبعُهم في السِّحرِ، إنَّما أراد نتَّبِعُهم في نُصرةِ دينِنا ومِلَّتِنا، والإبطالِ على معارضتِنا). ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٣٠).

وقال البقاعي: (وزيَّن لهم هذا القائلُ البقاءَ على ما كانوا عليه من الباطِلِ بذِكرِ جانبِ السَّحَرةِ، وإن كان شَرَطَ فيه الغَلَبةَ، ولم يسمَحْ بذِكرِ جانبِ موسى عليه السَّلامُ، فقال: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾؛ لأنَّ مَن امتثَل أمرَ المَلِكِ كان حالُه حالَ مَن يُرجى منه اتِّباعُ حِزبِه ﴿إِن كَانُواْ هُمُ﴾ أي: خاصَّةً ﴿ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ أي: غَلَبةً لا يُشَكُّ في أنَّها ناشِئةٌ عن مكنةٍ، ونُعرِضُ عن أمرِ موسى الذي ينازِعُ الملِكَ في أمرِه، وهذا مرادُهم في الحقيقةِ، وعبَّرَ بهذا كنايةً عنه؛ لأنَّه أدَلُّ على عظمةِ =

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ ﴾.

أي: فلمَّا حضَرَ السَّحَرةُ قالوا لفِرعَونَ: هل ستُعطينا أجرًا إن غلَبْنا موسى[(١)]؟

﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

أي: قال فِرعَونُ لهم: نعمْ، سأُعطيكم أُجرتَكم إنْ غلبْتُم موسى، وأَزيدُكم على ذلك أنْ أجعَلَكم مِن المقرَّبينَ لدَيَّ[(٢)].

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

أي: قال موسى للسَّحَرةِ: اطرَحوا في الأرضِ ما تُريدونَ طَرحَه كائنًا ما كان[(٣)].

﴿ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

﴿ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ ﴾.

= المَلِك). ((نظم الدرر)) (١٤/ ٣١).

وقال ابن عاشور: (رَجَوا اتِّباعَ السَّحَرةِ، أي: اتِّباعَ ما يؤيِّدُه سِحرُ السَّحَرةِ، وهو إبطالُ دينِ ما جاء به موسى، فكان قولُهم: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ كنايةً عن رجاءِ تأييدِهم في إنكارِ رسالةِ موسى فلا يتَّبِعونَه، وليس المقصودُ أن يصيرَ السَّحَرةُ أئمَّةً لهم؛ لأنَّ فِرعَونَ هو المتَّبَعُ). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٦).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٦٨، ٥٦٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩١)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٦٣)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٦٩)، ((تفسير النسفي)) (٢/ ٥٦٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٩٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٦٩)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٥٤)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٣٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩١)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٩٧).

قال البيضاوي: (لم يُرِدْ به أمرَهم بالسِّحرِ والتمويهِ، بل الإذنَ في تقديمِ ما هم فاعِلوه لا محالةَ؛ توسُّلًا به إلى إظهارِ الحقِّ). ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٨).

أي: فطَرَح السَّحَرةُ الحِبالَ والعِصِيَّ الَّتي أعَدُّوها للسِّحرِ، وخيَّلوا للنَّاسِ أنَّها حَيَّاتٌ تَسعَى(١).

كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦].

﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾.

أي: وقال السَّحَرةُ: بعَظَمةِ فِرعَونَ وقُوَّتِه وقُدرتِه وقَهرِه وشِدَّةِ سُلطانِه(٢)، إنَّا لَنَحْنُ الغالِبونَ موسى(٣).

﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥)﴾.

أي: فألقَى موسَى عصاهُ فأخَذَتْ تبتَلِعُ بسُرعةٍ جميعَ ما ألقاه السَّحَرةُ مِن الحِبالِ والعِصيِّ التي أوهَموا النَّاسَ أنَّها حيَّاتٌ وخَدَعوهم بذلك(٤).

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٦٩)، ((تفسير الشربيني)) (٣/ ١١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩١).

(٢) قال ابن عاشور: (الباءُ في قولهم: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ كالباء في «باسم الله»، أرادوا التيَمُّنَ بقدرةِ فِرعونَ، قاله ابنُ عطيَّةَ. وقيل: الباءُ للقَسَم: أقسَموا بعزَّةِ فِرعَونَ على أنَّهم يغلبونَ؛ ثقةً منهم باعتقادِ ضلالِهم أنَّ إرادةَ فِرعونَ لا يغلِبُها أحدٌ؛ لأنَّها إرادةُ آلهتِهم. وهذا الذي نحاه المفسِّرون). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٧). ويُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٣٠).

وقال ابنُ عثيمين: (وقالوا لَمَّا ألقَوها: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾، والباءُ للسببيَّةِ). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٩٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٦٩)، ((البسيط)) للواحدي (١٧/ ٤٨)، ((تفسير الخازن)) (٣/ ٣٢٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩١)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٩٨).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٦٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤١)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٤٣).

قال البقاعي: (﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ أي: يَصرِفونَه عن وَجهِه وحقيقتِه التي هي الجماديَّةُ، بحِيَلِهم وتخييلِهم إلى ظنِّ أنَّه حيَّاتٌ تسعى). ((نظم الدرر)) (١٤/ ٣٣).

كما قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩].

﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ٤٦﴾.

أي: فلمْ يَتمالَكِ السَّحَرةُ أنفُسَهم لَمَّا شاهدوا ذلك، وعَلِموا أنَّه صُنعُ صانعٍ حَكيمٍ، لا مِن صُنعِ البَشَرِ، ولا مِن تَمويهِ السَّحَرةِ، فرَأَوا عظيمَ قدرةِ اللهِ سبحانَه، وعرَفوا صدقَ موسَى عليه السلامُ، وأنَّ ما جاءهم به حقٌّ، فسَجَدوا لله تعالى مُسرِعينَ بلا تردُّدٍ(١).

كما قال تعالى: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ١١٩ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١١٨ - ١٢٠].

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٤٧﴾.

أي: قال السَّحَرةُ عندَما سَجَدوا لله: آمَنَّا بخالقِ ومالكِ ومدَبِّرِ السمواتِ والأرضِ وما بيْنَهما، الَّذي دعَانا موسَى إلى عبادتِه(٢).

﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٤٨﴾.

أي: ربِّ موسى وهارونَ، الذي أيَّدَهما بهذه المُعجزةِ العظيمةِ، الدَّالَّةِ على صِدقِهما(٣).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٦٩، ٥٧٠)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٣٣)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١١٥)، ((تفسير الألوسي)) (١٠/ ٧٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٧٠)، ((العذب النمير)) للشنقيطي (٤/ ٨٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٠٥).

(٣) يُنظر: ((البسيط)) للواحدي (٢/ ٢٨٦)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٨)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٣٤)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١١٥، ١١٦).

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا خاف فِرعَونُ اتِّباعَ النَّاسِ لهم؛ لِمَا يَرَون ممَّا هالَهم مِن أمرِهم، وكان قد تَقَدَّمَ ما يُعرِّفُ أنَّ المنكرَ عليهم فِرعونُ نفْسُه؛ قال تعالى مُخبِرًا عنه(١):

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾.

أي: قال فِرعَونُ لِلَّذين كانوا سَحَرَتَه فآمَنوا: أصدَّقْتُم بأنَّ ما جاء به موسى حقٌّ وانقَدْتُم له قبلَ أنْ آذَنَ لكم بذلك(٢)؟!

كما قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٣].

﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾.

أي: إنَّ موسى لَرئيسُكم الذي علَّمَكم صناعةَ السِّحرِ، ولذلك آمنْتُم به، وتَواطأْتُم على ما فعَلْتُم(٣)!

كما قال تعالى حاكيًا قَولَ فِرعَونَ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٣٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٧٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤١)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٣٤)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١١٦)، ((تفسير ابن عثيمين-سورة الشعراء)) (ص: ١٠٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٧٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤١)، ((تفسير العليمي)) (٤/ ٣٠٨).

قال القرطبي: (أي: رئيسُكم في التَّعليم، وإنَّما غلَبَكم؛ لأنَّه أحذَقُ به منكم. وإنَّما أراد فرعونُ بقَولِه هذا ليشَبِّهَ على النَّاسِ؛ حتى لا يتَّبِعوهم فيُؤمنوا كإيمانِهم، وإلَّا فقد علِمَ فِرعونُ أنَّهم لم يتعَلَّموا مِن موسى، بل قد عَلِموا السِّحرَ قبْلَ قدومِ موسى وولادتِه). ((تفسير القرطبي)) (١١/ ٢٢٤).

مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٢٣].

﴿فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾.

أي: قال فِرعَونُ متهدِّدًا: فلَسَوفَ تعلَمونَ ما أفعلُه بكم مِن العِقابِ[1].

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ﴾.

أي: لأُقطِّعنَّ مِن كُلِّ ساحرٍ منكم يدَه ورِجلَه مِن جِهَتينِ مختَلِفتَينِ[2].

﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾.

أي: ولأُصَلِّبَنَّكم جميعًا على جُذوعِ النَّخلِ[3].

كما قال تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ

---

(١) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٨)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٣٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٠٩).

قال ابنُ جرير: (﴿فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ عندَ عِقابي إيَّاكم وَبالَ ما فعلْتُم، وخطأَ ما صنعْتُم مِن الإيمانِ به). ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٧٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٧٠)، ((تفسير القاسمي)) (٧/ ٤٥٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٠٩، ١١٠).

قال ابنُ عثيمين: (قَولُه: ﴿مِّنۡ خِلَٰفٖ﴾ يعني: مُتخالِفةً؛ إذا قطَعَ اليدَ اليُمنى قطَعَ الرِّجلَ اليسرى، وإذا قطعَ اليدَ اليُسرى قطع الرِّجلَ اليمنى، وليس معنى: ﴿مِّنۡ خِلَٰفٖ﴾ أني أخالِفُ بيْنَكم؛ فمنكم مَن أقطَعُ يديه، ومنكم مَن أقطَعُ رِجلَيه، بل هذا واقعٌ على محلٍّ واحدٍ، فالخِلافُ في محلٍّ واحدٍ، يعني: كُلُّ واحدٍ منكم أقطَعُ يدَه ورجلَه متخالفتَينِ). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١١٠). ويُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٧٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٦٤)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٧٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (٩/ ٥٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١١٠).

قال ابن عاشور: (والصَّلْبُ: ربطُ الجسم على عُودٍ مُنتَصِبٍ أو دَقُّه عليه بمساميرَ... والمبالَغةُ راجِعةٌ إلى الكيفيَّةِ أيضًا بشِدَّةِ الدَّقِّ على الأعوادِ). ((تفسير ابن عاشور)) (١٦/ ٢٦٥).

فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ٧١].

﴿ قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

أي: قال السَّحرةُ المؤمنونَ لفِرعَونَ: لا ضرَرَ علينا فيما يُصيبُنا مِن عذابِك المنقَطِعِ، ولا نُبالي به؛ لأنَّنا إلى اللهِ راجِعون، فيُجازينا أحسَنَ الجَزاءِ على إيمانِنا، وصَبرِنا على عذابِك(١).

كما قال تعالى: ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ * إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه: ٧٢، ٧٣].

﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾.

أي: إنَّنا نرجو أن يستُرَ رَبُّنا ذُنوبَنا، ويتجاوَزَ عن مؤاخَذتِنا بها؛ بسبَبِ كَونِنا أوَّلَ مَن آمَنَ بموسى عندَ ظُهورِ آيتِه(٢).

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٧٠)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٩٩)، ((تفسير ابن جزي)) (٢/ ٩٠، ٩١)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٧١)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٩٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤١)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٣٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٩).

المرادُ مِن قولِهم: ﴿أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: مِن آلِ فِرعَونَ. يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الشعراء)) (ص: ١١٦).

قال البيضاوي: (﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ﴾ لِأن كنَّا ﴿أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مِن أتباعِ فِرعَونَ، أو مِن أهلِ المشهَدِ). ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٩).

الفَوائِدُ التَّربويَّةُ:

١- في قَولِه تعالى: ﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَ﴾ أنَّ الإيمانَ إذا صَدَقَ صار أقوى مِن العاطِفةِ، فحُبُّ النفْسِ أمرٌ فِطريٌّ؛ ولكنَّ الإيمانَ يؤدِّي إلى أنْ تَرخُصَ النفْسُ عندَ المرءِ بجانبِ دِينِه[1].

٢- السَّبقُ إلى الإيمانِ وإلى العَمَلِ الصَّالح مَنقَبةٌ، ومِن أسبابِ الرُّتَبِ العاليةِ والرِّفعةِ والمَغفرةِ؛ لذا قال سَحرةُ فِرعَونَ: ﴿أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، فكان قَولُهم هذا من بابِ التحَدُّثِ بنِعمةِ اللهِ، الذي يَرَونَه سببًا ووسيلةً لِمَغفرةِ الذُّنوبِ، ولم يكُنْ قَولُهم مِن بابِ الإدلالِ على اللهِ والمِنَّةِ عليه بكَونِهم أوَّلَ المؤمِنينَ؛ ولهذا أيضًا قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠]، فالسَّبقُ إلى الإيمانِ والعَمَلِ الصَّالح له مَزِيَّتُه، ولصاحِبِه مَرتبةٌ عاليةٌ[2].

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:

١- في قَولِهم: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ مِن إظهارِ التعَصُّبِ ما لا يخفَى؛ لأنَّ الواجِبَ عليهم أن يقولوا: لعَلَّنا نتَّبِعُ الغالِبَ، لا أن يقولوا: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾، فقد يكونُ الحَقُّ مع موسى، وقد يكونُ الحَقُّ مع السَّحَرةِ، فلو وُفِّقوا لقالوا: لعَلَّنا نتَّبِعُ الغالِبَ أو الحَقَّ، ولكِنَّهم قالوا: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾، ثمَّ استدرَكوا فقالوا: ﴿إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾، وهذا ما يُسمَّى بـ(التحَفُّظ) -في لغةِ العصرِ- يعني: كأنَّهم حَكَموا بأنَّ الغَلَبَ للسَّحرةِ، لكنْ مع تحفُّظٍ لقَولِهم: ﴿إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾[3]؛

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١١٢).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ١١٤).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ٩١).

فلذلك ما أفاد فيهم ذلك إلَّا قيامَ الحُجَّةِ عليهم[١].

٢- قولُهم: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ﴾ إنَّ هذا شأنُ المغرورينَ بهواهُم، العُمي عن النظَرِ في تقَلُّباتِ الأحوالِ: أنَّهم لا يَفرِضونَ مِن الاحتِمالاتِ إلَّا ما يوافِقُ هواهم، ولا يأخُذونَ العُدَّةَ لاحتِمالِ نَقيضِه[٢].

٣- قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾، فأمَرهم موسَى عليه السلامُ بالإلقاءِ؛ لأنَّه علِم أنَّهم لا بدَّ أن يُلقوا تلك الحبالَ والعِصيَّ، وإنَّما وقَع التخييرُ في التقديم والتأخيرِ، فأذِن لهم في التقديم؛ لتَظهرَ معجزتُه أيضًا بغلَبِهم؛ لأنَّه لو ألقَى أوَّلًا لم يكنْ له غلَبٌ وظهورٌ عليهم، فلهذا المعنَى أمَرهم بالإلقاءِ أوَّلًا[٣]، وهو بمنزلةِ تَقريرِ شُبهةِ المُلحِدِ ممَّن يتَصدَّى لإبطالِها بعدَ تقريرِها[٤].

٤- في قَولِه تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ أنَّ كلَّ مَن حلَفَ بغيرِ اللهِ -كأن يقولَ: وحياةِ فلانٍ، وحقِّ رأسِه، ونحوِ ذلك- فهو تابعٌ لهذه الجاهليَّةِ[٥]، فهذا القَسَمُ ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ من نوعِ أقسامِ الجاهليَّةِ، وقد سلَك كثيرٌ من المُسلمينَ في الأَيمانِ ما هو أشنَعُ مِن أيمانِهم؛ لا يَرضَونَ بالقَسَم باللهِ تعالى وصِفاتِه عزَّ وجلَّ، ولا يَعتَدُّونَ بذلك حتى يحلِفَ أحَدُهم بنِعمةِ السُّلطانِ أو برأسِه، أو برأسِ المُحلِّفِ أو بلِحْيتِه أو بترابِ قبرِ أبيه، فحينَئذٍ يَستوثِقُ منه! ولهم أشياءُ يُعظِّمونَها ويحلِفون بها غيرُ ذلك، ولا يَبعُدُ أن يكونَ الحَلِفُ بالله تعالى كَذِبًا أقَلَّ إثمًا من الحَلِفِ بها صِدقًا، وهذا ممَّا عَمَّت به البَلوى، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ تعالى

(١) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير الخازن)) (٢/ ٢٣٥).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١١/ ٢٥٥).

(٥) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٣٣).

العليِّ العظيم[١].

٥- في قَولِه تعالى: ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾ أنَّ الحقَّ إذا تبيَّنَ كان أعلَمَ النَّاسِ به مَن يَعرِفُ الباطِلَ؛ فإنَّ أوَّلَ مَن تبيَّنَ له أنَّ ما جاء به موسى عليه السلامُ هو الحقُّ، وأنَّه ليس بسِحرٍ: هم السَّحرةُ الذين عَرَفوا السِّحرَ وباطِلَه؛ فالذي يَعرِفُ الحقَّ هو الذي يَعرِفُ الباطِلَ، أمَّا مَن لا يَعرِفُ الباطلَ فإنَّه قد تلتَبِسُ عليه الأمورُ؛ ولهذا قيل: «بِضِدِّها تَتبيَّنُ الأشياءُ»[٢].

٦- قال الله تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾ هذه الحادِثةُ الخارِقةُ للعادةِ فيها إثباتُ الصَّانعِ، وإثباتُ نُبُوَّةِ أنبيائِه؛ فإنَّ حُدوثَ هذا الحادِثِ على هذا الوَجهِ في مِثلِ ذلك المقامِ يُوجِبُ عِلمًا ضَروريًّا أنَّه مِن القادِرِ المُختارِ؛ لتَصديقِ موسى عليه السلامُ، ونَصرِه على السَّحَرةِ[٣].

٧- أخبَرَ اللهُ تعالى في غيرِ مَوضِعٍ مِن القرآنِ عن سُجودِ سَحَرةِ فِرعَونَ، كما قال الله تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ * قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ * قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٠- ١٢٢]، وذلك سُجودٌ مع إيمانِهم، وهو مِمَّا قَبِلَه اللهُ منهم، وأدخَلَهم به الجنَّةَ، ولم يَكونوا على طَهارةٍ، وشَرعُ مَن قَبْلَنا شَرعٌ لنا ما لم يَرِدْ شَرعُنا بنَسخِه، ولو قُرِئَ القُرآنُ على كُفَّارٍ فسَجَدوا لله سُجودَ إيمانٍ باللهِ ورَسولِه محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، أو رأَوا آيةً مِن آياتِ الإيمانِ فسَجَدوا لله مُؤمنينَ باللهِ ورَسولِه؛ لنَفَعهم ذلك[٤].

(١) يُنظر: ((تفسير الألوسي)) (١٠/ ٧٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٠٦).

(٣) يُنظر: ((الصفدية)) لابن تيمية (١/ ١٣٨).

(٤) يُنظر: ((الفتاوى الكبرى)) لابن تيمية (١/ ٣٥٣).

٨- في قَولِه تعالى: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عَبَّروا بالطَّمَعِ؛ إشارةً إلى أنَّ جميعَ أسبابِ السَّعادةِ منه تعالى(١).

بلاغةُ الآياتِ:

١- قولُه تعالى: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾

- دلَّتِ الفاءُ على أنَّ جَمْعَ السَّحرةِ وقَعَ في أَسرَعِ وقتٍ عَقِبَ بعْثِ الحاشِرينَ؛ حِرصًا مِنَ الحاشِرينَ والمَحشورينَ على تنفيذِ أمْرِ فِرعونَ. وبُنِيَ (جُمِعَ- وقِيلَ) لِما لم يُسَمَّ فاعِلُه؛ لعدَمِ تَعيُّنِ جامِعينَ وقائِلينَ، أي: جمَعَ مَن يَجمَعُ، وقال القائِلون(٢).

٢- قولُه تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾

- قولُه: ﴿هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾ استبطاءٌ لهم في الاجتِماعِ؛ حثًّا على مُبادرتِهم إليه؛ فالاستفهامُ مُستعمَلٌ في طلَبِ الإسراعِ بالاجتِماعِ، بحيث نُزِّلوا مَنزِلةَ مَن يُسألُ سؤالَ تَحقيقٍ عن عزْمِه على الاجتِماعِ(٣).

٣- قولُه تعالى: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ﴾

- قولُه: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ ليس غرَضُهم اتِّباعَ السَّحرةِ، وإنَّما الغرَضُ الكُلِّيُّ: ألَّا يَتَّبِعوا موسى، فساقُوا الكلامَ مَساقَ الكِنايةِ؛ لأنَّهم إذا اتَّبَعوهم لم يَكونوا مُتَّبِعينَ لموسى عليه السَّلامُ؛ فجاء الكلامُ حَمْلًا لهم على الاهتِمامِ

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٣٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣١١)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٧)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٥٤)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٤٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٥).

والجِدِّ في المُغالَبةِ[(١)].

- وقد جِيءَ في شرْطِ ﴿إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ﴾ بحرف (إنْ)؛ لأنَّها أصلُ أدواتِ الشَّرطِ، ولم يكنْ لهم شَكٌّ في أنَّ السَّحرةَ غالِبون[(٢)]. وقيل: عبَّر بأداةِ الشكِّ؛ إظهارًا للإنصافِ، واستِجلابًا للناسِ، معَ تقديرِهم لقطعِهم بظَفَرِ السحَرةِ[(٣)].

٤- قولُه تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ﴾

- تقدَّمَ نَظيرُها في سورةِ (الأعرافِ) بقولِه: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ [الأعراف: ١١٣] وبطرْحِ همزةِ الاستِفهامِ؛ إذْ قال هناك: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ [الأعراف: ١١٣]، وهو تَفنُّنٌ في حِكايةِ مَقالَتِهم عِندَ إعادتِها؛ لئلَّا تُعادَ كما هي، وبدُونِ كلمةِ (إذَنْ)، فحَكَى هنا ما في كلامِ فِرعونَ من دَلالةٍ على جزاءِ مَضمونِ قَولِهم: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ﴾ [الأعراف: ١١٣] زيادةً على ما اقتَضاه حرفُ (نعَمْ) مِن تقريرِ استِفهامِهم عنِ الأجرِ. فتقديرُ الكلامِ: إنْ كنتُم غالِبينَ إذًا إنَّكم لَمِنَ المُقرَّبينَ. وهذا وقَعَ الاستِغناءُ عنه في سورةِ (الأعرافِ)، فهو زيادةٌ في حكايةِ القصَّةِ هنا. وكذلك شأنُ القرآنِ في قَصصِه، ألَّا يَخْلوَ المُعادُ منها عن فائدةٍ غَيرِ مَذكورةٍ في مَوضعٍ آخَرَ منه؛ تَجديدًا لنَشاطِ السَّامعِ[(٤)].

- وساقوه مساقَ الاستفهامِ؛ أدبًا معه، وقالوا: ﴿إِن كُنَّا﴾ بأداةِ الشكِّ مع

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣١٢)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٨)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٥٤)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٤٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٦).

(٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٣١).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٦).

جزمِهم بالغلَبةِ؛ تخويفًا له بأنَّه إن لم يُحسِنْ في وعدِهم لم ينصَحوا له(١).

٥- قولُه تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾

- حُكِيَ كلامُ موسى في ذلك الجَمعِ بإعادةِ فِعْلِ (قال) مَفصولًا بطَريقةِ حِكايةِ المُحاوَراتِ؛ لأنَّه كان المقصودَ بالمُحاورةِ؛ إذْ هُم حَضَروا لأجْلِه(٢).

- وبيْنَ قَولِه: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ﴾ وقَولِه: ﴿لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ كلامٌ مَحذوفٌ، وهو ما ثَبَتَ في (الأعرافِ) مِن تَخييرِهم إيَّاه في البُداءةِ مَن يُلْقي(٣).

- وفيه مُناسَبةٌ حَسَنةٌ، حيثُ وقَعَ في سورةِ (الأعرافِ): ﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ * قَالَ أَلْقُواْ﴾ [الأعراف: ١١٥، ١١٦]، واختُصِر هنا تَخييرُهم موسى في الابتِداءِ بالأعمالِ، وذُكِر هنا مَفعولُ ﴿أَلْقُواْ﴾، واختُصِر في سورةِ (الأعرافِ)(٤).

- وفِعلُ الأمرِ في قوله: ﴿أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ مستعمَلٌ في التسويةِ المرادِ منها الاختيارُ، وإظهارُ قلَّةِ الاكتراثِ بأحدِ الأمْرين(٥).

- وفي كلامِ موسى عليه السَّلامُ استِخفافٌ بما سيُلْقُونه؛ لأنَّه عَبَّرَ عنه بصِيغةِ العُمومِ، أي: ما تَستَطيعونَ إلقاءَه(٦).

٦- قولُه تعالى: ﴿فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾

---

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٣٢).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٦، ١٢٧).
(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٥٤).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٧).
(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١١/ ٢٥٤).
(٦) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٢٧).

- قولُه: ﴿ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ ﴾ عَدَلوا عنِ الخِطابِ إلى اسمِ الغَيبةِ؛ تعظيمًا[١].

- وقُرِنَتْ حكايةُ قولِ السَّحرةِ بالواوِ خِلافًا للحِكاياتِ الَّتي سبقَتْها؛ لأنَّ هذا قَولٌ لم يُقصَدْ به المُحاوَرةُ، وإنَّما هو قَولٌ ابتَدَؤوا به عِندَ الشُّروعِ في السِّحْرِ[٢].

- وجملةُ ﴿ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾ استِئنافُ إنشاءٍ عن قَولِهم: ﴿ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ ﴾؛ كأنَّ السَّامعَ -وهو موسى أو غيرُه- يقولُ في نفْسِه: ماذا يؤَثِّرُ قَولُهم: بعِزَّةِ فِرعونَ؟ فيَقولون:... وقد أفادَتْ جملةُ ﴿ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾ بما فيها مِنَ المؤَكِّداتِ مُفادَ القَسَمِ[٣].

٧- قولُه تعالى: ﴿ فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴾

- قولُه: ﴿ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴾ أي: تَلقَفُ ما يَقلِبونه عن وَجْهِه وحَقيقتِه بسِحْرِهم وكَيدِهم، ويُزوِّرونه فيُخيِّلون في حِبالِهم وعِصِيِّهم أنَّها حَيَّاتٌ تَسعَى؛ بالتَّمويهِ على النَّاظِرينَ. أو تَلْقَفُ إفْكَهم، فسمَّى تِلك الأشياءَ إفكًا؛ مُبالَغةً[٤].

٨- قولُه تعالى: ﴿ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾

- قولُه: ﴿ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾ أي: فخَرُّوا ساجِدينَ، وإنَّما عُبِّر عنِ الخُرورِ بالإلقاءِ؛ لأنَّه ذُكِر مع الإلقاءاتِ، فسُلِك به طريقُ المُشاكَلةِ[٥]، وفيه أيضًا

---

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٥٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٧).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٤) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣١٣)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٨)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٤٣).

(٥) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣١٣)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٨). =

أنَّهم حينَ رأَوْا ما رأَوْا، لَمْ يَتَمالَكوا أنْ رَموا بأنفُسِهم إلى الأرضِ ساجِدينَ، كأنَّهم أُخِذوا فطُرِحوا طَرْحًا[(١)]، واندفَعوا بدُونِ شعورٍ ولا اختيارٍ، حتى سجَدوا مؤمِنينَ باللهِ ورَسولِه[(٢)].

٩- قولُه تعالى: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ عَطفُ بَيانٍ أو بدَلٌ من ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ للتَّوضيحِ، ودفْعِ تَوهُّمِ إرادةِ فِرعونَ، حيثُ كان قَومُه الجَهَلةُ يُسمُّونَه بذلك، وللإشعارِ بأنَّ المُوجِبَ لإيمانِهم به تعالى ما أجْراه على أيدِيهما مِنَ المُعجِزةِ القاهِرةِ[(٣)].

- وفي قولِه: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ أضافوا الرَّبَّ سُبحانَه إلى مُوسَى وهارُونَ؛ لأنَّهما القائمانِ بالدَّعوةِ في تِلكَ الحالِ، وفيه تبكيتٌ لفِرعونَ بأنَّه ليس برَبٍّ، وأنَّ الربَّ في الحقيقةِ هو هذا[(٤)].

- وخُصَّ موسَى وهارونُ عليهما السَّلامُ بالذِّكْرِ أيضًا تفضيلًا وتشريفًا[(٥)]، فربوبيَّةُ موسى وهارونَ لها اختِصاصٌ زائِدٌ على الرُّبوبيَّةِ العامَّةِ للخَلقِ؛ فإنَّ

= والمشاكلة: لُغةً: هي المماثلةُ، واصطلاحًا: هي ذِكرُ الشيءِ بغيرِ لفظِه؛ لوُقوعِه في صُحبتِه، كقولِه تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، فالجزاءُ عن السيئةِ في الحقيقةِ غيرُ سيئةٍ، والأصلُ: وجزاءُ سيئةٍ عقوبةٌ مِثلُها. يُنظر: ((خِزانة الأدب)) للحموي (٢/ ٢٥٢)، ((جواهر البلاغة)) للهاشمي (ص: ٣٠٩).

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣١٣)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٨)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٠٤).

(٢) يُنظر: ((شرح رياض الصالحين)) لابن عثيمين (١/ ٣٣٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣١٣)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٨)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٤٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١١٥، ١١٦).

(٥) يُنظر: ((البسيط)) للواحدي (٩/ ٢٨٦).

مَن أعطاه اللهُ مِن الكَمالِ أكثَرَ مِمَّا أعطى غيرَه، فقد رَبَّه ورَبَّاه رُبوبيَّةً وتَربيةً أكمَلَ مِن غيرِه[1].

١٠- قولُه تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾

- بالَغَ في التَّنفيرِ مِن جِهةِ قَولِه: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ موهِمًا أنَّ مُسارعتَهم للإيمانِ دَليلٌ على مَيلِهم إليه قَبْلُ، وبقَولِه: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾ صرَّحَ بما رمَزَه أوَّلًا مِن مُواطَأتِهم وتَقصيرِهم؛ لِيَظهَرَ أمْرُ كبيرِهم، وبقَولِه: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ حيث أوعَدَهم وعيدًا مُطْلَقًا، وبتَصريحِه بما هدَّدَهم به مِنَ العذابِ[2].

- قال الله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ إنْ قيل: في سورةِ (الأعرافِ): ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٢٣]، وهنا: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾؟

فالجوابُ: في الأصلِ بيْنَهما فَرقٌ: آمَنَ به: أقَرَّ به واعترفَ بالإيمانِ الكامِلِ، وآمَنَ له: مضَمَّنةٌ معنَى انقادَ. فإذا جمعْتَ بينَ الآيتَينِ هنا صارتْ أبلَغَ، يعني: كأنَّهم آمَنوا إيمانًا به، ثمَّ آمَنوا له فانقادُوا له[3].

١١- قولُه تعالى: ﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ فيه مُناسَبةٌ حسَنةٌ، حيثُ جاء قَولُه: ﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ بحذْفِ لامِ التَّأكيدِ، وفي سُورةِ (الزُّخْرُف) قال: ﴿وَتَقُولُواْ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٣، ١٤] بإثباتِها. ووجْهُه: أنَّ ما هنا كلامُ السَّحرةِ

(١) يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٥/ ١٠٥).
(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٥٥).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٠٨، ١٠٩).

حينَ آمَنوا، ولا عُمومَ فيه، فناسَبَ عدَمُ التَّأكيدِ، وما في سُورةِ (الزُّخرُفِ) عامٌّ لِمَن رَكِبَ سفينةً أو دابَّةً؛ فناسَبه التَّأكيدُ[١].

- وقولُه: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ تَعليلٌ لنَفيِ الضَّيرِ، وهي القَرينةُ على المُرادِ مِنَ النَّفيِ[٢].

١٢- قولُه تعالى: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تعليلٌ ثانٍ لنَفيِ الضَّيرِ. وقيل: هو تَعليلٌ للعِلَّةِ المُتقدِّمةِ[٣]. وقيل: بيانٌ للمَقصودِ من جملةِ ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾، وعلَّلوا ذلك الطَّمعَ بأنَّهم كانوا أوَّلَ المُؤمنينَ باللهِ بتَصديقِ موسى عليه السَّلامُ، وفي هذا دَلالةٌ على رُسوخِ إيمانِهم باللهِ ووعْدِه[٤].



(١) يُنظر: ((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٤١١).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٤٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٩)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٤٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٨، ١٢٩).

الآيات (٥٢-٦٨)

﴿ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ٥٢ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ
حَٰشِرِينَ ٥٣ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ٥٤ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ٥٥ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ٥٦
فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٧ وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٥٨ كَذَٰلِكَ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٥٩
فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ ٦٠ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ
إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ
فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥ ثُمَّ
أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٦٧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ
ٱلرَّحِيمُ ٦٨ ﴾.

غَريبُ الكَلِماتِ:

﴿لَشِرۡذِمَةٞ﴾: أي: طائِفةٌ. وكُلُّ بقيَّةٍ قليلةٍ فهي شِرذِمةٌ، من شَرَمْتُ الشَّيءَ: إذا مزَّقْتَه، فكأنَّها طائفةٌ تمزَّقت عن الجماعةِ الكثيرةِ، فالذالُ فيها زائدةٌ[(١)].

﴿لَغَآئِظُونَ﴾: أي: مُغضِبون، والغَيظُ: أشَدُّ الغَضَبِ، وأصلُ (غيظ): يدُلُّ على كَربٍ يلحَقُ الإنسانَ مِن غَيرِه[(٢)].

﴿حَٰذِرُونَ﴾: أي: مُستَعِدُّون ومتيقِّظون، وأصلُ (حذر): يدُلُّ على التحَرُّزِ والتيقُّظِ[(٣)].

(١) يُنظر: ((مجاز القرآن)) لأبي عبيدة (٢/ ٨٦)، ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣١٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٢٧٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٥٠)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٦٨).

(٢) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٤٠٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦١٩)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٦٨)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٠١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٧٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٣٧)، ((تذكرة =

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: أي: مَساكِنَ حِسانٍ، والمقامُ: محَلُّ القيامِ، والكَريمُ: النَّفيسُ(١).

﴿مُّشْرِقِينَ﴾: أي: مُصبِحينَ، وقتَ شُروقِ الشَّمسِ، وأصلُ (شرق): يدُلُّ على إضاءةٍ وفَتحٍ(٢).

﴿تَرَٰٓءَا﴾: أي: تقابَلَ وتلاقى، وأصلُ (رأى): يدُلُّ على نَظَرٍ وإبصارٍ(٣).

﴿فَٱنفَلَقَ﴾: أي: انشقَّ، وانْفَرَق، والفَلْقُ: شقُّ الشيءِ، وإبانةُ بعضِه عن بعضٍ، وأصلُ (فلق): يدُلُّ على فُرْجةٍ وبَيْنونةٍ في الشَّيءِ(٤).

﴿فِرْقٍ﴾: أي: جُزءٍ وقِطعةٍ، والفَرْقُ: الفَلْقُ مِن الشَّيْءِ إذا انفلَقَ وانقطَعَ، وكُلُّ شَيءٍ انقطع مِن شَيءٍ فهو فِرْقٌ منه وقِطعةٌ منه، وأصلُ (فرق): يدُلُّ على تمييزٍ وتَزييلٍ بيْنَ شَيئَينِ(٥).

﴿كَٱلطَّوْدِ﴾: أي: الجَبَلِ، أو الجبلِ العظيمِ(٦).

= الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٦٨)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٠٢).

(١) يُنظر: ((التفسير البسيط)) للواحدي (١٧/ ٥٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٩١).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣١٧)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٧٩)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤٤٦)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٢٦٤)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٦٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٨٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٤٧٢، ٤٧٣)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٦٨)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٣٢٠).

(٤) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٤٥٢)، ((الغريبين في القرآن والحديث)) للهروي (٥/ ١٤٧٣)، ((المفردات في غريب القرآن)) للراغب (ص: ٦٤٥)، ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٦٨)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٣٢).

(٥) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٤٩٣)، ((البسيط)) للواحدي (١٧/ ٥٩)، ((تفسير غريب ما في الصحيحين)) للحميدي (ص: ٤٤٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٣٢).

(٦) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١/ ٦٥٦)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٤٣٠)، =

﴿وَأَزْلَفْنَا﴾: أي: قرَّبْنا، وأصلُ (زلف): يدُلُّ على اندِفاعٍ وتقَدُّمٍ في قُربٍ إلى شَيءٍ[1].

المعنى الإجماليُّ:

يُبيِّنُ الله تعالى ما أمَر به نبيَّه موسَى عليه السلامُ، وما حلَّ بفرعونَ وقومِه مِن هلاكٍ، فيقولُ: وأوحى اللهُ تعالى إلى موسى أن يسيرَ ببني إسرائيلَ ليلًا؛ لأنَّ فِرعَونَ وجُنودَه سيتَّبِعونَهم لِيَحُولوا بيْنَهم وبيْنَ الخُروجِ مِن مِصرَ، ولَمَّا عَلِمَ فِرعَونُ بخُروجِ موسى ومعه بنو إسرائيلَ، أرسَل مَن يجمَعُ له الجنودَ مِن المدائنِ المتعَدِّدةِ في مملكتِه، وبعْدَ أنِ اكتمَلَ عدَدُ جُنودِه أخَذ يهَوِّنُ من شأن موسى ومَن تَبِعَه، فقال: إنَّ بني إسرائيلَ الذين خرَجوا بدُونِ إذْني لَطائفةٌ ضعيفةٌ وقليلةٌ، وإنَّهم مُغضِبون لنا أشدَّ الغضَبِ، وقد أخَذْنا حِذْرَنا منهم، وتأهَّبْنا لهم بالقُوَّةِ والسِّلاحِ.

ثمَّ يذكرُ سُبحانَه عاقِبةَ فِرعَونَ وقَومِه، فيقولُ: فأخرَجْنا فِرعَونَ وقَومَه من بساتينَ وعيونٍ عَذبةِ الماءِ كانوا يَشرَبونَ منها، وأموالٍ كانت مملوكةً لهم، ومساكِنَ حَسَنةٍ كانوا يُقيمون فيها، كذلك وأورَثْنا تلك الجنَّاتِ والعُيونَ والكُنوزَ والمساكِنَ بني إسرائيلَ.

ثمَّ يُبيِّنُ سُبحانَه بعدَ ذلك ما حدثَ مِن فِرعَونَ وقَومِه، وما قاله بنو إسرائيلَ عندَما شاهَدوهم، فيقولُ: فلَحِقَ فِرعَونُ وجُنودُه بني إسرائيلَ وقتَ شُروقِ

= ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٢٨)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٥٨٦).

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣١٧)، ((تفسير ابن جرير)) (١/ ٦٦١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٢١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٣٨٢)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٦٩).

الشَّمسِ، فلمَّا رأى كُلٌّ فريقٍ خَصمَه قال أصحابُ موسى: سيُدرِكُنا فِرعَونُ وجُنودُه ولا نستطيعُ الفِرارَ؛ فهم خَلْفَنا والبَحرُ أمامَنا. فقال موسى واثِقًا من نُصرةِ الله له: ليس الأمرُ كما تَظنُّون؛ لأنَّ ربِّي معي بنَصرِه وتأييدِه، وسيَهديني لطَريقِ النَّجاةِ والفَوزِ.

فأوحى اللهُ تعالى إلى موسى عليه السَّلامُ، فقال له: اضرِبْ بعصاكَ البَحرَ، فضرَب موسى بعَصاهُ البَحرَ فانشَقَّ، فكانت كلُّ قِطعةٍ مِن الماءِ كالجبَلِ الشامِخِ الكبيرِ، وقرَّبْنا هنالك فِرعَونَ وجُنودَه مِن موسى وقَومِه، فدخَلوا وراءَهم في الطَّريقِ المنشَقِّ مِن البَحرِ؛ ليَلحَقوا بهم، فأنجَينا موسى ومَن معه مِن الغَرَقِ، وأغرَقْنا فِرعَونَ وقَومَه أجمعينَ.

إنَّ في قصَّةِ موسى وفِرعَونَ لَعِظةً وعِبرةً عَظيمةً، وما كان أكثَرُ قَومِ فِرعَونَ مُؤمنينَ بالله، وإنَّ رَبَّك -يا محمَّدُ- لَهُوَ العزيزُ القاهِرُ المنتَقِمُ مِن أعدائِه، الرَّحيمُ بعِبادِه، فلا يعاجِلُهم بعَذابِه.

تَفسيرُ الآياتِ:

﴿ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

أي: وأوحَيْنا إلى موسى أنْ سِرْ بعِبادي بني إسرائيلَ ليلًا، وسيتَّبِعُكم فِرعَونُ وجُنودُه؛ لِيَحُولوا بيْنَكم وبيْنَ الخُروجِ مِن أرضِ مِصرَ[1].

كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٧٧].

وقال سُبحانَه: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ ۞ فَأَسۡرِ بِعِبَادِي لَيۡلًا إِنَّكُم

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٧٢)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٠٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٢).

مُّتَّبَعُونَ * وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًاۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴾ [الدخان: ٢٢ - ٢٤].

﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

أي: فأرسَلَ فِرعَونُ مَن يجمَعُ له مِن مدُنٍ كَثيرةٍ جُنودًا؛ لِيَلحَقوا بني إسرائيلَ فيَرُدُّوهم(١).

﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾.

أي: إنَّ بني إسرائيلَ لَطائِفةٌ ضَعيفةٌ وقَليلةٌ(٢).

﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٧٢)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٥٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١١٩).

قال ابن كثير: (فلمَّا أصبحوا وليس في ناديهم داعٍ ولا مجيبٌ، غاظ ذلك فِرعَونَ واشتَدَّ غَضَبُه على بني إسرائيلَ؛ لِما يريدُ اللهُ به مِن الدَّمارِ، فأرسَل سريعًا في بلادِه حاشرين). ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٧٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٢٠، ١٢١).

وممَّن اختار أنَّ هذا الكلامَ لِفرعَونَ: مقاتلُ بن سليمان، وابن جرير، والبغوي، والبيضاوي، والنسفي، والشنقيطي. يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٦٥)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٧٢)، ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٦٧)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٩)، ((تفسير النسفي)) (٢/ ٥٦٤)، ((العذب النمير)) للشنقيطي (٤/ ١٣٠).

قال الطِّيبي: (قولُه: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ يوهِمُ قِلَّةَ الاحتفالِ بهم، وأنَّ قتالَهم إنَّما هو لأجْلِ أنَّهم لنا غائظون، ومِن عادتِنا الحذرُ على دولتِنا بحُسنِ الحِفظِ، وحمايةِ حَوزةِ المملكةِ، ولقد كذَب وكان فؤادُه مملوءًا رعبًا). ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١٣/ ٤٩٥).

وقيل: هو مِن كلامِ مَن أرسلهم فرعونُ لحشرِ الجنودِ. وممَّن اختار ذلك: البِقاعي، والسعدي، وابنُ عاشور. يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٣٨، ٣٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٣٠١)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣٠).

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا ذكرَ ما يمنَعُ الخَوفَ مِن اتِّباعِهم؛ ذكَرَ ما يوجِبُ الحثَّ عليه، ويحَذِّرُ مِن التقاعُسِ عنه، فقال[1]:

﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

أي: وإنَّ بني إسرائيلَ مُغضِبون لنا أشدَّ الغضَبِ[2].

﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

القراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

١- قِراءةُ ﴿حَٰذِرُونَ﴾ بألِفٍ بعْدَ الحاءِ، ذَوو أداةٍ مِن السلاحِ وقوةٍ، أي: قد أخَذْنا حِذْرَنا من بني إسرائيلَ، وتأهَّبْنا لهم بسِلاحِنا، وقيل: رجلٌ حاذِرٌ فيما يستقبلُ، لا في وقتِه[3].

٢- قِراءةُ ﴿حَذِرُونَ﴾ بحذفِ الألفِ، أي: متيَقِّظون وخائِفون مِن شَرِّ بني

---

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٣٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٧٦)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٠١)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣١).

قال الرسعني: (﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴾ لِمُراغمتِهم إيَّانا، وقِلَّةِ اهتمامِهم بأمرِنا). ((تفسير الرسعني)) (٥/ ٣٨٤).

وقال السمعاني: (وكان غيظُه منهم بخروجِهم مِن غيرِ أمرِه، واستعارتِهم الحُليَّ مِن قَومِه، ومُضيِّهم بها). ((تفسير السمعاني)) (٤/ ٤٨). ويُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٧٦).

(٣) قرأ بها عاصم، وحمزة، والكسائي، وابن ذكوان عن ابن عامر. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (٢/ ٣٣٥).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((الحجة)) لابن خالويه (ص: ٢٦٧)، ((معاني القراءات)) للأزهري (٢/ ٢٢٥)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٥١٧).

إسرائيلَ، ومِن عادَتِنا الحَذَرُ في كُلِّ وَقتٍ. فقيل: رجلٌ حذِرٌ: إذا كان الحذرُ لازِمًا له كالخِلقةِ، وقيل: القِراءتانِ بمعنًى واحدٍ[1].

﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ٥٦﴾.

أي: وإنَّا كُلَّنا مستعِدُّون بالقوَّةِ والسِّلاحِ لحَربِ بني إسرائيلَ، وقد أخَذْنا حِذْرَنا منهم[2].

﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ٥٧﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا كان التَّقديرُ: فأطاعوا أمرَه، ونَفَروا على كلِّ صَعبٍ وذَلولٍ؛ عطَف عليه قولَه مُعلِمًا بما آلَ إليه أمرُهم[3]:

﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ٥٧﴾.

---

(١) قرأ بها الباقون. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (٢/ ٣٣٥).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((الحجة)) لابن خالويه (ص: ٢٦٧)، ((معاني القراءات)) للأزهري (٢/ ٢٢٥)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٥١٧، ٥١٨)، ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٦٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٧٧)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٧٩٠)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٠١).

قال ابن عثيمين: (واجتماعُ القِراءتَينِ يُفيدُ المعنيينِ جميعًا، أي: إنَّا متيقِّظون، ولِتيقُّظِنا كنَّا مستعِدِّينَ، فهاتان القِراءتانِ تُفيدانِ معنيَينِ؛ المعنى الأول: التيقُّظُ، وهو استعدادٌ نفْسيٌّ، والمعنى الثاني: الاستعدادُ الحِسيُّ؛ لقوله: ﴿حَٰذِرُونَ﴾؛ لأنَّ الحاذِرَ اسمُ فاعلٍ، وهو الذي فعَل ما يَحذَرُ به، وهو الاستعدادُ فقط. فإن قيل: ألَا تَشملُ (حاذرون) كِلا المعنيَينِ؟

فالجواب: لا؛ لأنَّ الإنسانَ قد يستعِدُّ ويُحسِنُ الإعدادَ والأجهزةَ، لكِنْ لا يكونُ متيقِّظًا، فقط يستعِدُّ ولا يتيقَّظُ). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٢٣).

(٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٤١).

أي: فأخرَجْنا فِرعَونَ وقَومَه مِن بساتينَ كَثيرةِ الأشجارِ والزُّروعِ، وعُيونِ الماءِ[1].

كما قال تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾ [الدخان: ٢٥ - ٢٧].

﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾.

أي: وأخرَجْناهم من أموالِهم ومساكِنِهم الحسَنةِ التي كانوا يتنعَّمون فيها[2].

﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾.

أي: كذلك[3] وأورَثْنا الجنَّاتِ والعُيونَ والكُنوزَ والمساكِنَ التي كانت لفِرعَونَ

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٧٨)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٠٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٢٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٧٨)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٠٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣٢).

قال ابن عاشور: (الكنوز: الأموالُ المدَّخرةُ. والمَقامُ: أصلُه محلُّ القيامِ، أو مصدرُ قامَ. والمعنى على الأوَّلِ: مساكِنُ كريمةٌ، وعلى الثاني: قيامُهم في مجتمَعِهم، والكريمُ: النفيسُ في نوعِه). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣٢).

(٣) قال ابن جرير: (قَولُه: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يقولُ: هكذا أخرَجْناهم مِن ذلك، كما وصَفْتُ لكم في هذه الآيةِ والَّتي قبْلَها). ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٧٨، ٥٧٩).

وقال البقاعي: (﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثلَ ذلك الإخراجِ العجيبِ الذي أراده فرعونُ مِن قومِه في السرعةِ والكمالِ والهَيبةِ، أخرَجْناهم نحن بأنْ يسَّرْنا له ولهم ذلك، ووفَّرْنا لهم الأسبابَ؛ لِما اقتضَتْه حِكمتُنا. أو مِثلَ ذلك الخروجِ الذي قصَصْناه عليك أخرَجْناهم، أي: كان الواقعُ مِن خروجِهم مطابقًا لِما عبَّرْنا به عنه. أو الأمرُ الذي قصَصْناه كلَّه كما قُلْنا. وأوَّلُها أقعَدُها وأحسَنُها وأجوَدُها). ((نظم الدرر)) (١٤/ ٤٢).

وقال ابن عثيمين: (﴿كَذَٰلِكَ﴾ تكون خبرًا لمبتدأٍ محذوفٍ، يعني: إخراجنا لهم كان كذلك. أو يكونُ التقدير: الأمرُ كذلك...، فهي جملةٌ مستقِلَّةٌ عمَّا قبْلَها وعمَّا بعْدَها). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٢٧).

وقَومِه بني إسرائيلَ[١].

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٧٨)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٠٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٢).

قيل: ردَّ اللهُ بني إسرائيلَ إلى مِصرَ بعدَ خروجِهم منها فأعطاهم جميعَ ما كان لقومِ فرعونَ مِن الخَيراتِ والنِّعَم. وممَّن قال بذلك: مقاتلُ بنُ سليمانَ، والواحديُّ. يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٢٨)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٥٤).

قال الألوسي: (قال الواحدي: إنَّ الله تعالى ردَّ بني إسرائيلَ إلى مصرَ بعدَما أغرَق فِرعونَ وقومَه، فأعطاهم جميعَ ما كان لقومِ فِرعونَ مِن الأموالِ والعقارِ والمساكنِ،... وظواهرُ كثيرٍ مِن الآياتِ تقتضي ما ذكره الواحديُّ. والله تعالى أعلَمُ). ((تفسير الألوسي)) (١٠/ ٨٢، ٨٣).

وقال أيضًا: (قوله تعالى في سورةِ الشعراء: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ظاهرٌ في أن بني إسرائيلَ رجَعوا إلى مصرَ بعدَ هلاكِ فرعونَ، وملَكوها، وبه قال الحسنُ... وقيل: لم يَرِدْ في مشهورِ التواريخِ أنَّ بني إسرائيلَ رجَعوا إلى مصرَ، ولا أنَّهم ملَكوها قطُّ... وأخَذ جمعٌ بقولِ الحسنِ، وقالوا: لا اعتبارَ بالتواريخِ، وكذا الكتبُ التي بيدِ اليهودِ اليومَ؛ لِما أنَّ الكذبَ فيها كثيرٌ، وحسْبُنا كتابُ الله تعالى، وهو سبحانَه أصدقُ القائلينَ، وكتابُه جلَّ وعلا مأمونٌ مِن تحريفِ المحرِّفينَ). ((تفسير الألوسي)) (١٣/ ١٢٢) بتصرف.

وقال طنطاوي: (لا مانعَ مِن عودةِ الضميرِ في قولِه تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا﴾ إلى الجناتِ والعيونِ والكنوزِ التي أخرَج اللهُ تعالى منها فِرعونَ وقومَه، بأنْ عاد موسى ومَن معَه إلى مِصرَ -لفترةٍ معيَّنةٍ- بعْدَ هلاكِ فرعونَ ومَلَئِه، ثمَّ خرَجوا منها بعدَ ذلك مواصِلينَ سيرَهم إلى الأرضِ المقدَّسةِ التي أمرَهم موسَى عليه السلامُ بدُخولِها). ((التفسير الوسيط)) (١٠/ ٢٥١).

وقيل: إنَّ بني إسرائيل لم يَرِثوا مُلكَ فِرعَونَ في مِصرَ، ولكنَّهم وَرِثوا مُلكًا مثلَه في أرضِ الشام، والمقصودُ نوعُ المُلكِ والنِّعمةِ الذي زالَ عن فِرعونَ وملَئِه ووَرِثَه بنو إسرائيلَ. وممَّن قال بذلك في الجملةِ: ابنُ جُزَي، والمراغي، وابن عاشور. يُنظر: ((تفسير ابن جزي)) (٢/ ٩١)، ((تفسير المراغي)) (١٩/ ٦٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣٣) و(٢٥/ ٣٠٣).

وذهب محمد رشيد رضا إلى أنَّ المعنى: أنَّ بني إسرائيلَ وَرِثوا مُلكَ فِرعونَ في أرضِ الشامِ؛ لأنَّ الشامَ كانت تابعةً لمِصرَ في عهدِ فِرعونَ. يُنظر: ((تفسير المنار)) (٩/ ٨٦).

وقال ابن عجيبة: (التحقيقُ أنَّهم ملَكوا التصَرُّفَ في مِصرَ، ووصَلتْ حكومتُهم إليها، ولم يَرجِعوا إليها، والله تعالى أعلَمُ). ((البحر المديد)) (٤/ ١٣٧). =

كما قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

وقال سُبحانَه: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

أي: فلَحِقَ فِرعَونُ وجنودُه بني إسرائيلَ وقْتَ شُروقِ الشَّمسِ[(١)].

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾.

أي: فلمَّا رأى كلٌّ مِن جمعِ موسى وجَمعِ فِرعَونَ الآخَرَ، قال أصحابُ موسى:

= وقال ابنُ عاشور: (وقيل: ضميرُ ﴿وَأَوْرَثْنَـٰهَا﴾ عائدٌ إلى خصوصِ الكنوزِ؛ لأنَّ بني إسرائيلَ استعاروا ليلةَ خروجِهم مِن جيرانِهم المصريِّينَ مَصوغَهم من ذهبٍ وفِضَّةٍ، وخرَجوا به كما تقدَّم في سورة طه [يعني في قَولِه تعالى: ﴿حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَـٰهَا﴾ [طه: ٨٧]). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣٤).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٧٩)، ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٦٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٢).

قال ابن عاشور: (يجوز أن يكونَ معناه: قاصِدين جِهةَ الشَّرقِ، يقال: أشرَقَ: إذا دخلَ في أرضِ الشَّرقِ، كما يقال: أنجَدَ وأَتْهَم وأعْرَقَ وأشأَم، ويُعلَمُ مِن هذا أنَّ بني إسرائيلَ توجَّهوا صَوْبَ الشَّرقِ، وهو صَوبُ بحرِ القُلْزُم، وهو البحرُ الأحمرُ،... وهو شرقيَّ مِصرَ. ويجوزُ أن يكونَ المعنى: داخلينَ في وقت الشروقِ، أي: أدركوهم عندَ شروقٍ بعْدَ أن قضَوا ليلةً أو لياليَ مَشيًا، فما بصُرَ بعضُهم ببعضٍ إلَّا عندَ شروقِ الشمسِ بعدَ ليالي السَّفرِ). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣٤).

وقال ابن عثيمين: (وكِلا المعنيَينِ صحيحٌ؛ فمُشرِقٌ: متَّجِهٌ نحوَ المشرقِ باعتبارِ المكانِ، ومُشرِقٌ: وقت الشُّروقِ باعتبارِ الزمانِ). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٣١).

سيُدرِكُنا فِرعَونُ وجنودُه، ولا نَستطيعُ الفِرارَ؛ فالبَحرُ أمامَنا، وهم خَلْفَنا[١].

﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهۡدِينِ ٦٢﴾.

أي: قال موسى مُطَمْئِنًا قومَه: ليس الأمرُ كما ذكَرتُم مِن أنَّنا مُدرَكون؛ لأنَّ ربِّي معي بنَصرِه وتأييدِه، وسيَهديني لطَريقِ النَّجاةِ[٢].

﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا حَكَى سُبحانَه عن موسَى عليه السَّلامُ قولَه: ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]، بيَّنَ تعالى بَعْدَه كيف هَداه ونجَّاه، وأهلَكَ أعداءَه بذلك التدبيرِ الجامعِ لِنعَمِ الدِّينِ والدُّنيا، فقال[٣]:

﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَ﴾.

أي: فأوحى اللهُ إلى موسى، فقال له: اضرِبْ بعَصاك البَحرَ الذي أمامَك[٤].

﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

أي: فضرَبَ موسَى بعصاه البحرَ، فانشَقَّ، فكانت كلُّ قِطعةٍ مِن الماءِ كالجبَلِ الكبيرِ[٥]!

(١) يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٦٦)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٨٠)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٠٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٨١)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٠٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٣، ١٤٤)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٤٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٣٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥٠٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير يحيى بن سلام)) (٢/ ٥٠٦)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٤٤).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٨٣)، ((معاني القرآن)) للزجاج (٤/ ٩٢)، ((الوجيز)) =

كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه: ٧٧].

﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

أي: وقرَّبْنا فِرعَونَ وجُنودَه مِن البَحرِ، وأدخَلْناهم في ذلك الطَّريقِ المنشَقِّ لِنُغرِقَهم[1].

﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾﴾.

أي: وأنجَيْنا مِن الغرَقِ موسى والذين معه كُلَّهم، وسلَّمْناهم مِن عدُوِّهم[2].

= للواحدي (ص: ٧٩٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٤)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٤٤)، ((تفسير القاسمي)) (٧/ ٤٥٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٢).

قال البقاعي: (﴿كَٱلطَّوْدِ﴾ أي: الجبَلِ في إشرافِه وطولِه وصلابتِه بعدمِ السَّيلانِ ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ المتطاوِلِ في السماءِ، الثابتِ لا يتزلزَلُ؛ لأنَّ الماءَ كان منبَسِطًا في أرضِ البحرِ، فلما انفرَقَ وانكشَفَت فيه الطرُقُ انضَمَّ بعضُه إلى بعضٍ، فاستطال وارتفَعَ في السَّماءِ). ((نظم الدرر)) (١٤/ ٤٤).

وقال ابنُ عثيمين: (ظاهِرُه أنَّه عريضٌ؛ لأنَّ الطودَ العظيمَ يتناوَلُ الكِبَرَ والارتفاعَ والعَرْضَ... وقولُه: ﴿كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ظاهِرُه أنَّ الماءَ لم يتغيَّرْ، يعني: لم يتجمَّدْ بالمعنى المعروفِ فيكونَ أبيضَ جامدًا، ولكنَّه بقِي جامدًا على طبيعتِه أسودَ، وهذا أعظَمُ مما لو تجمَّد وهو على غيرِ طبيعتِه، لصارت فيه آيةٌ واحدةٌ، وهي سرعةُ التجمُّد بهذه اللحظةِ، فكوْنُه لا يسيلُ وهو جامِدٌ أمرٌ طبيعيٌّ عاديٌّ، لكِنْ كونُه يبقَى مائعًا ولكِنْ لا يسيلُ، فهذا أبلَغُ من ذلك. ففيه آيتان: أنَّه لا يسيلُ، وأنَّه لا يسيلُ وهو على طبيعتِه، والله تعالى على كلِّ شيءٍ قديرٌ). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٣٦).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٨٥)، ((تفسير ابن الجوزي)) (٣/ ٣٤٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٤، ١٤٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٨٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٥)، ((تفسير الألوسي)) (١٠/ ٨٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٢).

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

أي: ثمَّ أغرَقْنا فِرعَونَ وقَومَه كُلَّهم في البَحرِ، فلمْ يُفلِتْ منهم أحَدٌ[١].

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾.

أي: إنَّ في قِصَّةِ موسى وفِرعَونَ لَعِظةً وعِبرةً عَظيمةً، ودَلالةً واضِحةً للنَّاسِ على صِدقِ الرَّسولِ، وحِكمةِ اللهِ وتَوحيدِه، وقُدرتِه العظيمةِ على إهلاكِ الكافرين وإنجاءِ المؤمنينَ[٢].

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

أي: ولم يكُنْ أكثَرُ قَومِ فِرعَونَ مؤمنينَ باللهِ، فلم يُؤمِنْ منهم إلَّا قِلَّةٌ قَليلةٌ[٣].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٨٨)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٠٧)، ((تفسير الخازن)) (٣/ ٣٢٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٥)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٤٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٨٨)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٠٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٦٧)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٥٤، ٣٥٥)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٠٨)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٤٥).

وممَّن قال بأنَّ المرادَ هنا قومُ فرعونَ: مقاتلُ بن سليمان، والواحدي، والقرطبي، والبقاعي.

يُنظر: المصادر السابقة.

قال الشوكاني: (ليس المرادُ أكثرَ مَن كان معَ فرعونَ عندَ لحاقه بموسَى؛ فإنَّهم هلَكوا في البحرِ جميعًا، بل المرادُ مَن كان معه من الأصلِ، ومَن كان متابعًا له ومنتسبًا إليه، هذا غايةُ ما يمكنُ أن يُقالَ). ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١١٩).

وذهب ابنُ جرير ومكِّيٌّ إلى أنَّ المعنى: وما كان أكثَرُ قومِك -يا محمَّدُ- مؤمنينَ. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٨٨)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (٨/ ٥٣١٤). =

كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

وقال سُبحانَه: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [هود: ١٧].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦٨﴾.

أي: وإنَّ رَبَّك -يا محمَّدُ- لَهُوَ العزيزُ القاهِرُ الغالِبُ المنتَقِمُ مِن أعدائِه، الرَّحيمُ بعبادِه، فلا يُعاجِلُهم بعَذابِه، ومِن رحمتِه أنَّه يُرسِلُ رسُلًا، ويُنزِلُ معهم ما يبيِّنُ به ما يُرضيه وما يُسخِطُه، فلا يُهلِكُ قومًا إلَّا بعدَ إعذارِهم، ومِن رحمتِه أنَّه ينجِّي أتْباعَ رسُلِه[١].

الفَوائِدُ التَّربويَّةُ:

١- في قَولِه تعالى: ﴿فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ﴾ تحذيرٌ للطُّغاةِ مِن أن تزولَ نِعَمُهم بسبَبِ طُغيانِهم؛ ففي عصرِنا هذا فتَح اللهُ على النَّاسِ مِن أنواعِ النَّعيمِ ما لم يكن مَوهومًا مِن قَبلُ -وبالأَولى ليس معلومًا- فيُخشَى أن يُخرَجَ هؤلاء مِن هذا النَّعيمِ إذا طَغَوا وعَتَوا عن أمرِ اللهِ سُبحانَه وتعالى[٢].

٢- في قَولِه تعالى: ﴿قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ * قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ دَلالةٌ على أنَّ المُعايَنةَ والتَّجرِبةَ أقوَى في نُفوسِ البشَرِ، وقلوبَهم إليها أشدُّ طُمأنينةً -صالحةً كانت النَّفسُ أو طالحةً-؛ لأنَّها على ذلك مجبولةٌ، لا تقدِرُ أن تُغيِّرَه مِن أنفُسِها؛ لأنَّ موسى خاف عَصاهُ حينَ تحوَّلتْ ثُعبانًا في بُدُوِّ أمرِه، وخاف

= وقال ابن عثيمين: (والأَولى أن يُقال: ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ أنَّه يَعودُ على الذين نزَل عليهم القرآنُ، لا على بني إسرائيلَ، أو آلِ فِرعَونَ). ((تفسير ابن عثيمين-سورة الشعراء)) (ص: ١٤٧).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٨٨)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٥٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٦)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٤٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٢٦).

حِبالَ السَّحَرةِ وعِصِيَّهم يومَ ألقَوْها، فلمَّا تَمكَّنَ في النبوَّةِ، وكثُرَتْ آياتُ اللهِ الجميلةُ عندَه، وعايَنَها منه وَقتًا بعدَ وقتٍ؛ أيقنَ أنَّه لا يُسلِمُه لشِدَّةٍ، وقد سَلَّمَه منها مرَّةً بعدَ أخرى؛ فقال ما قال ثقةً بربِّه، وتوكُّلًا عليه(١).

٣- أنَّ اللهَ سُبحانَه وتعالى كما يهدي إلى الطَّريقِ المعنويِّ يهدي أيضًا إلى الطَّريقِ الحِسِّيِّ؛ لِقَولِه: ﴿ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾، وليس المرادُ هنا هداية العِلمِ والتَّوفيقِ للعَمَلِ الصَّالحِ، وإنَّما المرادُ الهدايةُ لطريقِ النَّجاةِ التي يَنجو بها، فهَداه اللهُ سُبحانَه وتعالى(٢).

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:

١- في قَولِه تعالى: ﴿ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾ إلى قَولِه: ﴿ فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ * وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴾ دَليلٌ على أنَّ الإنسانَ قد يُؤخَذُ مِن حيثُ يَرى أنَّه علا وظهَرَ؛ فإنَّ فِرعَونَ بَعَث في المدائنِ حاشِرينَ، يَدعوهم إلى قتالِ موسى وقَومِه، فخَرجوا تابعينَ لهم على أنَّهم سيُدركونَهم، فصار في هذا الخروجِ حَتْفُهم وهلاكُهم، ونظيرُه في هذه الأُمَّةِ ما صنعتْ قُرَيشٌ حين خرجتْ إلى بدْرٍ، وكان أبو جَهلٍ يقولُ: (واللهِ لا نَرجِعُ حتى نَقْدَمَ بدرًا فنَسقيَ فيها الخُمورَ، وتَعزِفَ علينا القِيانُ(٣)، ونَشرَبَ الخُمورَ؛ حتى تسمَعَ بنا العرَبُ، فلا يَزالون يَهابونَنا أبدًا)(٤)، فأُخِذوا مِن حيثُ أَتَوا(٥)!

(١) يُنظر: ((النكت الدالة على البيان)) للقصاب (٣/ ٥٢٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٣٤).

(٣) القَيْنَة: الأَمَةُ غَنَّت أو لم تُغَنِّ، والماشِطةُ، وكثيرًا ما تُطْلَقُ على المُغَنِّيةِ مِن الإماءِ. يُنظر: ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) (٤/ ١٣٥).

(٤) يُنظر: ((السيرة النبوية)) لابن هشام (١/ ٦١٨).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٢٦).

٢- قولُه: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ أي: إنَّا مِن عادتِنا التيقُّظُ للحَوادِثِ، والحَذَرُ مِمَّا عسى أن يكونَ لها مِن سيِّئِ العواقِبِ، وهذا أصلٌ عظيمٌ مِن أصولِ السياسةِ، وهو سَدُّ ذرائعِ الفَسادِ -ولو كان احتمالُ إفضائِها إلى الفَسادِ ضعيفًا-، فالذرائعُ المُلغاةُ في التَّشريعِ في حُقوقِ الخُصوصِ غيرُ مُلغاةٍ في سياسةِ العُمومِ؛ ولذلك يقولُ عُلماءُ الشريعةِ: إنَّ نَظَرَ وُلاةِ الأمورِ في مصالحِ الأُمَّةِ أوسَعُ مِن نَظَرِ القُضاةِ، فالحذَرُ أوسعُ مِن حِفظِ الحُقوقِ، وهو الخَوفُ مِن وقوعِ شَيءٍ ضارٍّ يمكِنُ وقوعُه، والترصُّدُ لِمنعِ وقوعِه، والمحمودُ منه هو الخَوفُ مِن الضَّارِّ عندَ احتِمالِ حُدوثِه دونَ الأمرِ الذي لا يمكِنُ حُدوثُه؛ فالحذَرُ منه ضَربٌ مِن الهوَسِ[١].

٣- قَوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ فيه بيانُ عُقوبةِ اللهِ سُبحانَه وتعالى للطَّاغينَ، وذلك بإزالةِ النِّعَمِ عنهم؛ إمَّا بإخراجِهم منها، وإمَّا بإزالتِها هيَ[٢].

٤- في قَولِه تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ...﴾ أنَّ العُقوبةَ بعدَ التَّنعيمِ أشدُّ؛ ولذلك نُصَّ عليها، فما قال: «فأخرَجْناهم مِن أماكِنِهم» فقط، أو مِن ديارِهم، ولكنْ بَيَّنَ على سبيلِ التَّعيينِ ما هم فيه مِن النَّعيمِ؛ لأنَّ الأخذَ بالعُقوبةِ بعدَ النَّعيمِ يكونُ أشَدَّ[٣].

٥- قال اللهُ تعالى: ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ قال مجاهِدٌ: (سَمَّاها كُنوزًا؛ لأنَّه لم يُعْطَ حقُّ اللهِ منها، وما لم يُعْطَ حقُّ اللهِ منه فهو كَنْزٌ، وإنْ كان ظاهِرًا)[٤].

٦- قَولُه تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ فيه مِن الإشكالِ أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣١).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٢٦).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٤) يُنظر: ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٦٨). ويُنظر أيضًا: ((مصنف ابن أبي شيبة)) (٢/ ٤١١) (١٠٥٢١).

عليه وسلَّم يقولُ: ((أُحِلَّتْ ليَ الغنائمُ، ولم تَحِلَّ لأحدٍ قَبْلي))[١]، وهنا أورَثَ اللهُ ديارَ فِرعَونَ وقومِه وأموالَهم بني إسرائيلَ!

والجوابُ: أنَّ اللهَ سُبحانَه وتعالى أهلَكَ فِرعَونَ في البَحرِ بدونِ حربٍ، والغَنيمةُ هي ما أُخِذَ مِن مالِ الكفَّارِ بقتالٍ وما أُلحِقَ به، هذا تعريفُها شَرعًا، وهذا ما أُخِذَ بقتالٍ، فهؤلاء هَلَكوا فبقِيتْ ديارُهم لبني إسرائيلَ، وحتى لو لم يَسكُنْها بنو إسرائيلَ لَسكَنَها آخَرون غيرُهم، فالمسألةُ هذه ما غَنِمُوها بأيديهم، ولكِنَّها مِن اللهِ عزَّ وجلَّ لهلاكِ هؤلاء، يعني: كان الأمرُ أنَّهم لَمَّا هَلَكوا صارتْ إرثًا لبني إسرائيلَ إرثًا قَدَريًّا؛ لأنَّه لا بُدَّ أنْ يكونَ كذلك[٢].

٧- قولُه تعالى: ﴿قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ فيه قوَّةُ يقينِ موسى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، فقد قال ذلك في هذا المقامِ المُحْرِجِ الذي لا يرى الإنسانُ فيه إلَّا أنَّه هالِكٌ؛ ولهذا قال أصحابُه: ﴿إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾[٣]!

٨- في قَولِه تعالى: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ﴾ دَليلٌ على أنَّ لكلِّ شيءٍ سَببًا، حتى الآياتُ التي يَجعلُها اللهُ على يدِ الشَّخصِ لها سببٌ؛ فإنَّ اللهَ تعالى لم يَفلِقِ البحرَ إلَّا بعدَ أنْ أوحَى إلى موسَى أنِ اضربِ البحرَ بعصاك، فضَربَه فانفلَقَ[٤]. فأرادَ تعالى أن يَجعَلَ هذه الآيةَ متَّصِلةً بموسى، ومُتعلِّقةً بفِعلٍ فعَلَه، ولكنَّه بقُدرةِ اللهِ؛ إذْ ضرْبُ البحرِ بالعَصا لا يوجِبُ انفِلاقَ البَحرِ بذاتِه، ولو شاءَ تعالى لفلَقَه دُونَ ضرْبِه بالعَصا[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨)، ومسلم (٥٢١) واللفظ له، من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٢٧).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ١٣٣).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ١٤٢).

(٥) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٦٠).

٩- في قَولِه تعالى: ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ تمامُ قُدرةِ اللهِ عزَّ وجلَّ بفَلْقِ البحرِ وتيبيسِه في الحالِ[١].

١٠- في قَولِه تعالى: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ أنَّ كلَّ شيءٍ يَمتَثِلُ لأمرِ اللهِ، وأنَّ اللهَ تعالى قادرٌ على قَلْبِ الأمورِ عن طبائعِها، فضلًا عن تَغَيُّرِ صِفاتِها؛ فهذه النارُ التي مِن طبيعتِها الإحراقُ والحرارةُ كانت بَرْدًا وسلامًا على إبراهيمَ في الحالِ، وهذا الماءُ الذي مِن طبيعتِه الإغراقُ والسَّيلانُ صار آمنًا لا يَسيلُ بالنِّسبةِ لبني إسرائيلَ[٢]!

١١- يَذكرُ سُبحانَه في هذه السورةِ قِصَّةَ موسى وإبراهيمَ، ونوحٍ وعادٍ، وثمودَ ولوطٍ وشعيبٍ، ويَذكرُ لكلِّ نبيٍّ إهلاكَه لمُكَذِّبيهم، والنَّجاةَ لهم ولأتبَاعِهم، ثم يَختِمُ القِصَّةَ بقَولِه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾، فخَتَمَ القصةَ باسمين مِن أسمائِه تقتضيهما تلك الصفةُ، وهو «العزيزُ الرحيمُ»، فانتَقَم مِن أعدائِه بعِزَّتِه، وأنجى رُسُلَه وأتباعَهم برحَمتِه[٣].

١٢- مِن آياتِ الأنبياءِ إهلاكُ اللهِ لمُكَذِّبيهم، ونَصرُه للمؤمنينَ بهم، فهذا مِن أعلامِ نُبُوَّتِهم، ودلائلِ صِدقِهم؛ كإغراقِ اللهِ قومَ نوحٍ لَمَّا كذَّبوه، وكإهلاكِه قومَ عادٍ بالرِّيحِ الصَّرصَرِ، وإهلاكِ قومِ صالحٍ بالصَّيحةِ، وإهلاكِ قومِ شُعيبٍ بالظُّلَّةِ، وإهلاكِ قومِ لوطٍ بقلْبِ مدائنِهم، ورجمِهم بالحجارةِ، وكإهلاكِ قومِ فِرعَونَ بالغَرَقِ، وقد ذكر اللهُ القَصَصَ في القرآنِ في غيرِ موضعٍ، وبيَّنَ أنَّها مِن آياتِ الأنبياءِ الدالَّةِ على صِدقِهم كما يذكُرُه في هذه السورةِ، لَمَّا ذكر قِصَّةَ موسى قال:

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٤٢).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ١٣٧).

(٣) يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (١٩/ ٩٨).

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾، ثمَّ ذكَرَ قِصَّةَ إبراهيمَ وقال في آخِرِها: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٣]، وكذلك ذكَرَ مِثلَ ذلك في قِصَّةِ نوحٍ، وهودٍ، وصالحٍ، ولوطٍ، وشُعَيبٍ[١].

بلاغةُ الآياتِ:

١- قولُه تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ هذه قِصَّةٌ أُخرى من أحوالِ موسى عليه السَّلامُ في دَعوةِ فِرعونَ؛ فالواوُ لعَطفِ القصَّةِ، ولا تُفيدُ قُرْبَ القصَّةِ مِنَ القصَّةِ[٢].

- وقولُه: ﴿ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ تَعليلٌ للأمرِ بالإسراءِ[٣].

٢- قولُه تعالى: ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ ظاهرُ ترتيبِ الجُمَلِ يَقتَضي أنَّ الفاءَ للتَّعقيبِ على جملةِ ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ ﴾ [الشعراء: ٥٢]، وأنَّ بيْنَ الجُمْلتَينِ مَحذوفًا، تَقديرُه: فأَسرَى موسى عليه السَّلامُ وخَرَج بهم، فأَرسَلَ فِرعونُ حاشِرينَ[٤].

٣- قولُه تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ مَقُولٌ لقَولٍ مَحذوفٍ؛ لأنَّ ﴿ حَاشِرِينَ ﴾ يَتضمَّنُ معنَى النِّداءِ، أي: يقولون: ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾[٥].

- وفي قولِه: ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ ذكَرَهم بالاسمِ الدَّالِّ على القِلَّةِ،

(١) يُنظر: ((الجواب الصحيح)) لابن تيمية (٦/ ٣٨٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣١٤)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٩)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٤٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٢٩).

(٥) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣١٤)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣٠).

ثمَّ جعلَهم قليلًا بالوَصفِ، ثمَّ جَمَعَ القليلَ فجَعَل كلَّ حِزبٍ منهم قليلًا، واختارَ جَمْعَ السَّلامةِ الَّذي هو للقِلَّةِ. وقيل: جُمِعَ «قليلًا» بالواوِ والنُّونِ؛ لموافَقةِ رُؤوسِ الآيِ، وإنْ أَفرَدَها جازَ؛ لأنَّ لفْظَ «الشِّرذِمةِ» مُفرَدٌ[1]. ولَمَّا كانت قِلَّتُهم إنَّما هي بالنِّسبةِ إلى كَثرةِ آلِ فِرعونَ وقوَّتِهم، وما لَهم عليهم مِن هَيبةِ الاستِعبادِ، وكان التَّعبيرُ بالشِّرذِمةِ موهِمًا لأنَّهم في غايةِ القِلَّةِ- أزالَ هذا الوَهمَ بالتَّعبيرِ بالجَمعِ دُونَ المُفرَدِ؛ ليُفيدَ أنَّه خَبرٌ بعدَ خَبرٍ، لا صِفةٌ، وأنَّ التَّعبيرَ بالشِّرذِمةِ إنَّما هو للإشارةِ إلى تَفرُّقِ القلوبِ. والجَمعُ ولا سيَّما ما للسَّلامةِ مع كَونِه أيضًا للقِلَّةِ أدَلُّ على أنَّهم أَوْزاعٌ. وفيه أيضًا إشارةٌ إلى أنَّهم مع ضَعفِهم بقِلَّةِ العَددِ آيِسونَ مِن إسعافٍ بمَدَدٍ، وليس لهم أُهْبَةٌ لقتالٍ؛ لعدَمِ العُدَّةِ؛ لأنَّهم لَمْ يَكونوا قطُّ في عِدادِ مَن يُقاتِلُ، كما تقولُ لمَن تَزْدَريه: هو أَقَلُّ مِن أن يَفعَلَ كذا، فقال: ﴿قَلِيلُونَ﴾، أي: بالنِّسبةِ إلى ما لنا مِنَ الجُنودِ الَّتي لا تُحصَى، وإنْ كانوا في أنفُسِهم كَثيرينَ، فلا كَثرةَ لهم تَمنعُكم أيُّها المَحشورونَ مِنَ اتِّباعِهم[2].

- وفي اسمِ الإشارةِ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إيماءٌ إلى تَحقيرٍ لشأنِهم، أكَّدَه التَّصريحُ بأنَّهم شِرْذِمةٌ قَليلون، والشِّرْذِمةُ: الطَّائفةُ القليلةُ مِنَ النَّاسِ؛ فإتْباعُه بوصْفِ ﴿قَلِيلُونَ﴾ للتَّأكيدِ؛ لدفْعِ احتمالِ استعمالِها في تَحقيرِ الشَّأنِ أو بالنِّسبةِ إلى جُنودِ فِرعونَ. و﴿قَلِيلُونَ﴾ خبرٌ ثانٍ عنِ اسمِ الإشارةِ، فهو وصْفٌ في المَعنى لمَدلولِ هؤلاءِ، وليس وصْفًا لشِرْذِمة، ولكنَّه مؤكِّدٌ لمَعْناها؛ ولهذا جِيءَ به

---

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣١٤، ٣١٥)، ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٣٦٢)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٥٧)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٧/ ٨٠).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٣٨، ٣٩).

بصيغةِ جمْعِ السَّلامةِ، الَّذي هو ليس مِن جُموعِ الكَثْرةِ[١].

٤- قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾ فيه تَقديمُ ﴿لَنَا﴾ على ﴿لَغَآئِظُونَ﴾؛ لِرعايةِ الفاصِلةِ[٢]، وللحصرِ، واللامُ للتقويةِ، أو تنزيلِ المتعدِّي منزلةَ اللازمِ[٣].

٥- قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ هذا حثٌّ لأهلِ المَدائنِ على أن يَكونوا حَذِرينَ على أبلَغِ وجْهٍ؛ إذْ جَعَل نفْسَه معهم في ذلك بقَولِه: ﴿لَجَمِيعٌ﴾، وذلك كِنايةٌ عن وُجوبِ الاقتِداءِ به في سياسةِ المَملَكةِ[٤].

٦- قولُه تعالى: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾ تَفريعٌ على جُملةِ ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم﴾، وما بيْنَهما اعتِراضٌ؛ لأنَّ الإتْباعَ عَقِبَ الإخراجِ، لا الإيراثِ[٥].

٧- قولُه تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾

- قولُه: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ قالُوه بالتَّأكيدِ؛ لشدَّةِ الاهتِمامِ بهذا الخَبرِ، وهو مُستعمَلٌ في معنَى الجَزَعِ[٦]. وكذلك جاؤُوا بالجملةِ الاسميَّةِ مؤكَّدةً بحرفَيِ التَّأكيدِ؛ للدَّلالةِ على تَحقُّقِ الإدراكِ واللَّحاقِ وتَنَجُّزِهما[٧].

٨- قولُه تعالى: ﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ زجَرَهم ورَدَعَهم بحَرْفِ الرَّدْعِ ﴿كَلَّآ﴾، واقتَصَر مُوسَى عليه السَّلامُ على نفْسِه في قَولِه: ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾؛

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣٠).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٣١).

(٣) يُنظر: ((تفسير الألوسي)) (١٠/ ٨١).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣١).

(٥) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٣٦٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣٣، ١٣٤).

(٦) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣٥).

(٧) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٤٥).

لأنَّهم لَمْ يكونوا عالِمينَ بما ضَمِنَ اللهُ له مِن مَعِيَّةِ العنايةِ؛ فإذا عَلِموا ذلك عَلِموا أنَّ هِدايتَه تَنفَعُهم؛ لأنَّه قائِدُهم، والمُرسَلُ لفائِدتِهم. ووجْهُ اقتِصارِه على نفْسِه أيضًا: أنَّ طريقَ نَجاتِهم بعدَ أنْ أدركَهُم فِرعونُ وجُنْدُه لا يَحصُلُ إلَّا بفِعلٍ يَقطَعُ دابِرَ العدُوِّ، وهذا الفعلُ خارِقٌ للعادةِ؛ فلا يَقَعُ إلَّا على يَدِ الرَّسولِ. وهذا وجْهُ اختِلافِ المَعِيَّةِ بيْنَ ما في هذه الآيةِ وبيْنَ ما في قَولِه تعالى في قِصَّةِ الغارِ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]؛ لأنَّ تلك مَعِيَّةُ حِفظِهما كِلَيْهِما بصرْفِ أَعيُنِ الأعداءِ عنهما[١].

- وقدَّم مَعيَّةَ اللهِ؛ لأنَّها أقوى في تَثبيتِ قَومِه، وكلُّ إنسانٍ يكونُ اللهُ معه فلن يَضُرَّه شيءٌ، ثمَّ قال أيضًا مؤكِّدًا أثَرَ هذه المعيَّةِ: ﴿سَيَهْدِينِ﴾، والسِّينُ تدُلُّ على التَّحقيقِ والقُربِ[٢].

٩- قولُه تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾

- قولُه: ﴿فَٱنفَلَقَ﴾ الفاءُ فصيحةٌ، أي: فضَرَبَ فانفلَقَ؛ ففيه إيجازٌ بالحَذْفِ[٣].

ومِن عادةِ العربِ الحَسَنةِ في خِطابِها أنهم يَحذِفونَ مِن الكلامِ ما يكونُ المذكورُ دليلًا عليه؛ اختِصارًا، ومِن ذلك هذه الآيةُ، فمَعلومٌ أنَّ المرادَ «فضَرَبَ فانفلَقَ»، لكنْ لم يُحتَجْ إلى ذِكرِ ذلك في اللَّفظِ؛ إذْ كان قولُه: ﴿أَنِ ٱضْرِب﴾ ﴿فَٱنفَلَقَ﴾ دليلًا على أنَّه ضُرِبَ فانفلَقَ[٤].

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٦٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٣٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٦٠)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٤٥).

(٤) يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٢٠/ ٤٦٦).

١٠- قولُه تعالى: ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴾

- في الكلامِ إيجازٌ بالحذْفِ، تَقديرُه: ودخَلَ موسى وبَنو إسرائيلَ البحرَ، وأنجَيْنا...[1].

١١- قولُه تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ تَذييلٌ[2]، وتَسليةٌ لحبيبِه صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم[3].

- قولُه: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ﴾ ما في اسمِ الإشارةِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ مِن معنَى البُعدِ؛ لتَهويلِ أمْرِ المُشارِ إليه وتَفظيعِه، كتَنكيرِ الآيةِ في قَولِه تعالى: ﴿لَآيَةً﴾، أي: أيَّةُ آيةٍ، أو: آيةً عظيمةً لا تَكادُ توصَفُ[4].

- وقولُه: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾، أي: وما أكثَرُهم مؤْمِنينَ، على أنَّ (كانَ) صِلَةٌ؛ فيَكونُ كقَولِه تعالى: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣]، وهو إخبارٌ منه تعالى بما سيَكونُ مِنَ المُشركينَ -على أحدِ الأقوالِ- بعْدَما سمِعُوا الآياتِ النَّاطقةَ بالقصَّةِ؛ تَقريرًا لِما مَرَّ من قَولِه تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا۟ ... ﴾ [الشعراء: ٥- ٦]. وإيثارُ الجُملةِ الاسميَّةِ؛ للدَّلالةِ على استِقرارِهم على عدَمِ الإيمانِ، واستِمرارِهم عليه. ويَجوزُ أن يُجعلَ (كان) بمعنَى (صَار)، كما فُعِل ذلك في قَولِه تعالَى: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، فالمَعْنى:

---

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٦١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣٥)، ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٢٦٨).

(٣) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٢٦٨).

(٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٤٦).

وما صار أَكثَرُهم مؤْمِنينَ مع ما سمِعُوا مِنَ الآيةِ العظيمةِ الموجِبةِ له بما ذُكِر مِنَ الطَّرفَينِ، فيَكونَ الإخبارُ بعدَمِ الصَّيرورةِ قبْلَ الحدوثِ؛ للدَّلالةِ على كمالِ تَحقُّقِه وتَقرُّرِه، كقَولِه تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ ...﴾ [النحل: ١] الآيةَ[١].



(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٤٦).

الآيات (٦٩-٨٩)

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ (٦٩) إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ (٧٠) قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا
فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ (٧٢) أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُواْ
بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ (٧٥) أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ
ٱلۡأَقۡدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٧٧) ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ (٧٨) وَٱلَّذِي هُوَ
يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ (٨٠) وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ (٨١)
وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ (٨٢) رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي
بِٱلصَّٰلِحِينَ (٨٣) وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ (٨٤) وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ (٨٥)
وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ (٨٦) وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ (٨٧) يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ (٨٨)
إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ (٨٩)﴾.

غَريبُ الكَلِماتِ:

﴿عَٰكِفِينَ﴾: أي: مُقيمينَ، والعُكُوفُ: الإقبالُ على الشَّيءِ ومُلازمتُه على سَبيلِ التَّعظيمِ له، وأصلُ (عكف): يدُلُّ على الإقبالِ والحَبسِ[١].

﴿لِسَانَ صِدۡقٖ﴾: أي: ذِكرًا وثناءً حَسَنًا، وأصلُ (صدق): يدُلُّ على قُوَّةٍ في الشَّيءِ قولًا وغيرَه[٢].

﴿تُخۡزِنِي﴾: أي: تَفضَحْني وتُذِلَّني، وأصلُ الخزيِ: الإبعادُ[٣].

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٣٢٨)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ١٠٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٧٩)، ((تفسير القرطبي)) (١١/ ٢٣٧)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٦٥٨).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٢٧٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٣٣٩) و(٥/ ٢٤٦)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٢٤)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٨٠١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٤/ ٩٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ١٧٩)، ((تذكرة =

مُشكِلُ الإعرابِ:

قَولُه تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾

الاستِثناءُ في قَولِه تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ﴾ فيه وجهانِ؛ أحدُهما: أنَّه مُنقطِعٌ، أي: لكِنْ من أتى اللهَ بقَلبٍ سليمٍ فإنَّه ينفعُه ذلك... الثاني: أنَّه متَّصِلٌ.

وفي إعرابِ (مَن) وَجهانِ:

أحدُهما: أنَّه بَدَلٌ مِن المفعولِ المَحذوفِ، أو مُستثنًى منه؛ إذ التقديرُ: لا ينفَعُ مالٌ ولا بَنونَ أحدًا من النَّاسِ إلَّا مَن كانت هذه صِفتُه.

والثاني: أنَّ (مَن) مفعولٌ به لـ﴿يَنفَعُ﴾، أي: لا ينفَعُ المالُ والبَنونَ إلَّا هذا الشَّخصَ(١).

المعنى الإجماليُّ:

يحكي الله تعالى جانبًا مِن قصةِ إبراهيمَ عليه السلامُ، فيقولُ: واقرأْ -يا مُحمَّدُ- على قَومِك خَبَرَ إبراهيمَ حينَ قال لأبيه وقَومِه: ما هذا الذي تَعبُدونَه؟

قالوا: نَعبُدُ أصنامًا فنظَلُّ مُقيمينَ على عِبادتِها. قال لهم إبراهيمُ: هل تسمَعُ أصنامُكم دُعاءَكم حينَ تَدْعونَها، أو تنفَعُكم أو تضُرُّكم أنتم أو أعداءَكم؟ قال قومُ إبراهيمَ: لا، ولكِنَّنا وجَدْنا آباءَنا يَعبُدونَها، فنحن نعبُدُها مِثلَهم.

قال إبراهيمُ لهم: أرأيتُم هذه الأصنامَ التي تَعبُدونَها أنتم وأجدادُكم الماضون، فإنَّهم كُلَّهم عدوٌّ لي إلَّا رَبَّ العالَمينَ، الذي خلقَني فهو يُرشِدُني، والذي يَرزُقُني

= الأريب)) لابن الجوزي (ص: ١٦٥)، ((تفسير القرطبي)) (٩/ ٧٧).

(١) يُنظر: ((التبيان)) للعكبري (٢/ ٩٩٧)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٨/ ٥٣٢)، ((المجتبى)) للخراط (٣/ ٨٤١).

الطَّعامَ والشَّرابَ، وإذا مَرِضتُ فهو وَحْدَه الذي يُعافيني، وهو وحْدَه الذي يُميتُني ثمَّ يَبعثُني يومَ القيامةِ، والذي أرجو أن يغفِرَ لي ذُنوبي يومَ القيامةِ.

ثمَّ أتْبَع إبراهيمُ عليه السلامُ ذلك بالتوجُّهِ إلى الله بالدعاءِ قائلًا: ربِّ أعطِني فَهمًا وعِلمًا، واجعَلْني مع الصَّالحينَ، واجعَلْ لي ثناءً حَسنًا في العالَمينَ من بَعدي، واجعَلْني ممَّن تُورِثُهم الجنَّةَ في الآخرةِ، واغفِرْ لأبي؛ لأنَّه كان من الضالِّينَ، ولا تَفْضَحْني حينَ تَبعَثُ عِبادَك؛ يومَ لا ينفَعُ أحدًا مالُه ولا أبناؤه، إلَّا مَن لَقِيَ اللهَ يومَ القيامةِ بقَلبٍ سَليمٍ خالصٍ من الشِّركِ.

تَفسيرُ الآياتِ:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ٦٩﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

اعلَمْ أنَّه تعالى ذكَرَ في أوَّلِ السُّورةِ شِدَّةَ حُزنِ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بسبَبِ كُفرِ قَومِه، ثمَّ إنَّه ذكَرَ قِصَّةَ موسى عليه السَّلامُ؛ لِيَعرِفَ محمَّدٌ أنَّ مِثلَ تلك المِحنةِ كانت حاصِلةً لموسى عليه السَّلامُ، ثمَّ ذكَرَ عَقِبَها قِصَّةَ إبراهيمَ عليه السَّلامُ؛ لِيَعرِفَ مُحمَّدٌ أيضًا أنَّ حُزنَ إبراهيمَ عليه السَّلامُ بهذا السبَبِ كان أشَدَّ من حُزنِه؛ لأنَّ من عَظيمِ المِحنةِ على إبراهيمَ عليه السَّلامُ أن يرى أباه وقومَه في النَّارِ، وهو لا يتمَكَّنُ مِن إنقاذِهم[١]!

وأيضًا لَمَّا كانت العَرَبُ لها خُصوصيَّةٌ بإبراهيمَ عليه السَّلامُ؛ أمَرَ اللهُ نبيَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أن يتلوَ عليهم قَصَصَه، وما جرَى له مع قَومِه، ولم يأتِ في قِصَّةٍ مِن قِصَصِ هذه السُّورةِ أمْرُه عليه السَّلامُ بتلاوةِ قِصَّةٍ إلَّا في هذه[٢].

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥٠٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٦٢).

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾.

أي: واقرأْ -يا مُحمَّدُ- على قَومِك خبَرَ إبراهيمَ العَظيمَ(١).

﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٧٠﴾.

أي: حينَ قال إبراهيمُ لأبيه وقَومِه المُشرِكين: أيُّ شَيءٍ تعبدونَ، وتُواظِبونَ على عبادتِه(٢)؟

﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ۝٧١﴾.

أي: قال المُشرِكون لإبراهيمَ: نعبُدُ أصنامًا، فنُقيمُ على عبادتِها وَقتًا طَويلًا(٣).

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٨٩)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٠٩)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٤٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٥٠).

قال القرطبي: (قَولُه تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ نبَّه المشركين على فَرطِ جَهلِهم؛ إذ رَغِبوا عن اعتقادِ إبراهيمَ ودينِه، وهو أبوهم). ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٠٩).

وقال السعدي: (أي: واتلُ -يا محمَّدُ- على النَّاسِ نبأَ إبراهيمَ الخليلِ، وخبَرَه الجليلَ في هذه الحالةِ بخصوصِها، وإلَّا فله أنباءٌ كثيرةٌ، ولكِنْ مِن أعجبِ أنبائِه وأفضَلِها هذا النبأُ المتضَمِّنُ لرسالتِه ودعوتِه قَومَه، ومحاجَّتِه إيَّاهم، وإبطالِه ما هم عليه؛ ولذلك قيَّده بالظَّرفِ فقال: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ ...﴾). ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٢).

وقال ابن عاشور: (ونبأُ إبراهيمَ: قصَّتُه المذكورةُ هنا، أي: اقرأْ عليهم ما ينزِلُ عليك الآنَ مِن نبأِ إبراهيمَ). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٨٩)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٠٩)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٤٧)، ((تفسير القاسمي)) (٧/ ٤٥٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٨٩)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٠٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣٩).

قال مكي: (لا يكونُ «ظلَّ» إلا بالنَّهارِ، كما أنَّ «باتَ» بالليلِ، واشتقاقُه مِن «الظِّلِّ»، و«الظلُّ» إنَّما يكونُ بالنَّهارِ؛ فلذلك لم يقَعْ «ظل» إلَّا بالنَّهارِ). ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) (٧/ ٤٩٢٦).

وقال الزمخشري: ((إنما قالوا: نَظَلُّ؛ لأنَّهم كانوا يعبُدونَها بالنَّهارِ دونَ اللَّيلِ). ((تفسير =

﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾.

أي: قال إبراهيمُ لِقَومِه: هل تَسمَعُ أصنامُكم دُعاءَكم حينَ تَدْعونَها[١]؟

﴿ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

أي: أو هل تنفَعُكم أو تُوقِعُ الضَّرَرَ عليكم أو على أعدائِكم[٢]؟!

﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

أي: قال قَومُ إبراهيمَ: لا تَسمَعُنا الأصنامُ، ولا تنفَعُنا ولا تضُرُّنا، ولكِنَّنا وجَدْنا آباءَنا يَعبُدونَها ويَعكُفونَ عليها، فنحنُ نقتَدي بهم[٣]!

﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾.

أي: قال إبراهيمُ: أفرأيتُم -أيُّها القَومُ- هذه الأصنامَ التي كنتُم تَعبدونَها أنتم وأجدادُكم الماضُونَ الأوَّلونَ[٤].

= الزمخشري)) (٣/ ٣١٨).

وقال ابن عاشور: (... هم كانوا صابئةً يعبدون الكواكبَ، وجعلوا الأصنام رموزًا على الكواكب تكونُ خَلَفًا عنها في النهارِ، فإذا جاء الليلُ عبدوا الكواكِبَ الطالعةَ... وكانت الأممُ الوَثَنيةُ تَعبُدُ الوثَنَ؛ لرجاءِ نفعِه أو لدَفعِ ضَرِّه، ولذلك عَبَد بعضُهم الشياطينَ). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣٩).

(١) يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٦٨)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٨٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٠)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٥٥)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٠٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٠، ٥٩١)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٥٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٥٥، ١٥٦).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩١)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٥٧)، ((البسيط)) للواحدي (١٧/ ٦٥)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٠). =

﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٧٧﴾.

أي: فإنَّها كُلَّها عدوٌّ لي لا أعبُدُها، وأتبرَّأُ منها، إلَّا رَبَّ العالَمينَ؛ فإنِّي أعبُدُه وحْدَه[1].

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ٧٨﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا حكى سُبحانَه عن إبراهيمَ عليه السلامُ أنَّه استثنى ربَّ العالَمينَ؛ حكى عنه أيضًا ما وَصَفَه به ممَّا يستَحِقُّ العبادةَ لأجْلِه[2].

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ٧٨﴾.

أي: الذي أوجَدني وحْدَه مِنَ العَدَمِ، ويُرشِدُني لِمَصالحي في دِيني ودُنياي[3].

= قال الألوسي: (﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ أي: أنظَرْتُم فأبصَرْتُم أو تأمَّلتُم فعَلِمتُم أيُّ شيءٍ استدَمْتُم على عبادتِه، أو أيُّ شَيء تعبدونَه). ((تفسير الألوسي)) (١٠/ ٩٣).

(١) يُنظر: ((معاني القرآن)) للفراء (٢/ ٢٨١)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩١)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٥/ ٥٤٩).

قال ابن عطية: (لفظةُ عدوٍّ تقع للجَميعِ والمفرَدِ، والمؤنَّثِ والمذكَّرِ). ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٣٤).

وقال ابن الجوزي: (في قَولِه تعالى: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قولان؛ أحدُهما: أنَّه استثناءٌ مِن الجنسِ؛ لأنَّه علِمَ أنَّهم كانوا يعبدونَ اللهَ مع آلهتِهم، قاله ابن زيد. والثاني: أنَّه مِن غيرِ الجنسِ، فالمعنى: ولكِنْ رَبُّ العالَمينَ ليس كذلك، قاله أكثَرُ النَّحويِّينَ). ((تفسير ابن الجوزي)) (٣/ ٣٤١). ويُنظر: ((معاني القرآن)) للزجاج (٤/ ٩٣)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤١)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٨/ ٥٣٠)، ((تفسير الشربيني)) (٣/ ١٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥١١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٤٢).

﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ ﴾.

أي: والذي يُغَذِّيني وحْدَه بالطَّعامِ والشَّرابِ[(١)].

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ ﴾.

أي: وإذا سَقِمَ بَدَني واعتَلَّت صِحَّتي فهو وحْدَه الذي يُعافيني[(٢)].

﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١ ﴾.

أي: وهو وحْدَه الذي يَقبِضُ رُوحي عند انقضاءِ أجلي، ثمَّ يبعَثُني يومَ القيامةِ لِيُجازيَني[(٣)].

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝٨٢ ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا ذَكَرَ البعثَ؛ ذَكَرَ ما يترتَّبُ عليه، فقال[(٤)]:

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝٨٢ ﴾.

أي: وهو وحْدَه الذي أرجو أن يغفِرَ لي ذُنوبي يومَ القيامةِ[(٥)].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٢)، ((الهداية)) لمكي (٨/ ٥٣١٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٤٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٧)، ((تفسير الشربيني)) (٣/ ١٩).

(٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٥٣).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٧).

قال ابنُ عطيةَ: (قولُهُ: ﴿خَطِيٓـَٔتِى﴾ ذهب فيه أكثرُ المفسِّرينَ إلى أنَّه أراد كَذِباتِه الثَّلاثَ؛ =

عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: ((قلتُ: يا رَسولَ اللهِ، ابنُ جُدْعانَ كان في الجاهليَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، ويُطعِمُ المِسكينَ، فهل ذاك نافِعُه؟ قال: لا ينفَعُه؛ إنَّه لم يَقُلْ يومًا: ربِّ اغفِرْ لي خطيئتي يومَ الدِّينِ))(١).

﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣﴾.

﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا﴾.

أي: ربِّ أعطِني فَهمًا، وعِلمًا كثيرًا(٢).

= قولُه: «هي أختي»، في شأنِ سارَةَ، وقولُه: ﴿إِنِّي سَقِيمٞ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقولُه: ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ﴾ [الأنبياء: ٦٣]. وقالت فِرقةٌ: أراد بـ«الخطيئة» اسمَ الجنسِ، فدعا في كُلِّ أمْرِه مِن غيرِ تعيينٍ. وهذا أظهَرُ عندي؛ لأنَّ تلك الثَّلاثَ قد خرَّجها كثيرٌ مِن العلماء على المعاريضِ). ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٣٥).

(١) رواه مسلم (٢١٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (٤/ ٥٤)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٢٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٣).

قال ابن الجوزي: (﴿حُكۡمٗا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ؛ أحدُها: النبوَّةُ، قاله أبو صالحٍ، عن ابنِ عباسٍ. والثاني: اللُّبُّ، قاله عِكْرِمةُ. والثالث: الفَهمُ والعلمُ، قاله مقاتلٌ). ((تفسير ابن الجوزي)) (٣/ ٣٤١). ويُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٦٩).

ممَّن اختار في الجملةِ أنَّ المرادَ بالحُكم: العِلمُ والفَهمُ: مقاتلُ بنُ سليمانَ، والسمعانيُّ، وجلال الدين المحلي، والشوكاني، والسعدي. يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٦٩)، ((تفسير السمعاني)) (٤/ ٥٤)، ((تفسير الجلالين)) (ص: ٤٨٥)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٢٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٣).

وممَّن اختار أنَّ المرادَ: النُّبوَّةُ: يحيى بنُ سلَّام، وابنُ جرير، والسمرقنديُّ، ومكِّي. يُنظر: ((تفسير يحيى بن سلام)) (٢/ ٥٠٨)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٣)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٥٧)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (٨/ ٥٣٢٠).

وممَّن اختار أنَّ المرادَ: الحكمةُ والنبوةُ: ابنُ عطية، وابنُ عاشور. يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٣٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٤٥). =

﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

أي: واجعَلْني معَ الصَّالحينَ في الدُّنيا والآخرةِ(١).

= وقال ابنُ عاشور: (الحُكمُ: هو الحِكمةُ والنبوَّةُ... وقد كان إبراهيمُ حين دعا نبيًّا؛ فلذلك كان السؤالُ طلبًا للازدياد؛ لأنَّ مراتِبَ الكمالِ لا حَدَّ لها بأن يُعطى الرِّسالةَ مع النبوَّةِ، أو يُعطى شريعةً مع الرِّسالةِ، أو سَأل الدَّوامَ على ذلك). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٤٥).

وممَّن اختار أنَّ المرادَ: الكمالُ في العِلمِ والعَملِ: البيضاويُّ، والشربيني، وأبو السعود. يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٢)، ((تفسير الشربيني)) (٣/ ١٩)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥٠).

قال البقاعي: (﴿هَبۡ لِي حُكۡمٗا﴾ أي: عملًا متقنًا بالعلمِ، وأصلُه بناءُ الشيءِ على ما تُوجِبُه الحكمةُ). ((نظم الدرر)) (١٤/ ٥٤).

وقال أبو حيان: (والظاهرُ أنَّ الحكمَ هو الفصلُ بينَ الناسِ بالحقِّ). ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٦٧).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٧).

ممَّن اختار أنَّ المرادَ بالصالحينَ: الأنبياءُ والمرسَلونَ: مقاتلُ بنُ سليمانَ، والثعلبي، والسمعاني، والبغوي، والقرطبي، والنسفي، والخازن، وجلال الدين المحلي، والشوكاني، والسعدي. يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٦٩)، ((تفسير الثعلبي)) (٧/ ١٧٠)، ((تفسير السمعاني)) (٤/ ٥٤)، ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٧١)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٢)، ((تفسير النسفي)) (٢/ ٥٦٨)، ((تفسير الخازن)) (٣/ ٣٢٧)، ((تفسير الجلالين)) (ص: ٤٨٥)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٢٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٣).

قيل: المرادُ: في المنزلةِ والدَّرجةِ، وممَّن اختاره: الثعلبيُّ، والبغوي، والقرطبي، والخازن. يُنظر: ((تفسير الثعلبي)) (٧/ ١٧٠)، ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٧١)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٢)، ((تفسير الخازن)) (٣/ ٣٢٧).

وقال ابن جرير: (﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يقولُ: واجعَلْني رسولًا إلى خَلقِك؛ حتى تُلحِقَني بذلك بعِدادِ مَن أرسَلْتَه من رُسلِك إلى خَلقِك، وائْتَمَنْتَه على وحْيِك، واصطَفَيْتَه لنفْسِك). ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٣). ويُنظر: ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (٨/ ٥٣٢٠).

وقيل: المرادُ بالصالحينَ: أهلُ الجنةِ، وممَّن اختاره: يحيى بنُ سلام. يُنظر: ((تفسير يحيى بن سلام)) (٢/ ٥٠٨).

واختار ابنُ عاشورٍ أنَّ لفظَ الصَّالحينَ يَعُمُّ جميعَ الصَّالحينَ مِن الأنبياءِ والمرسلينَ، والشُّهداءِ والصَّالحينَ. ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٤٥). =

﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا كان الصَّالحُ قد لا يَظهرُ عملُه، وكان إظهارُ اللهِ له مَجلَبةً للدُّعاءِ وزيادةً في الأجرِ؛ قال(١):

﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤﴾.

أي: واجعَلْ لي ثناءً حَسَنًا دائمًا، فأُذكَرَ مِن بَعدي، ويَقتديَ النَّاسُ بي(٢).

كما قال تعالى: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ * سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ * كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ * إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٨ - ١١١].

﴿وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥﴾.

= وقيل: معنى ﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾: أي: وفِّقْني للكمالِ في العملِ؛ لأنتظِمَ به في عِدادِ الكاملينَ في الصلاحِ، الراسخينَ فيه. وممَّن اختار هذا القولَ في الجملةِ: الرازيُّ، والبيضاوي، والألوسي. يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥١٥)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٢)، ((تفسير الألوسي)) (١٠/ ٩٦).

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٥٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٣)، ((معاني القرآن)) للزجاج (٤/ ٩٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٧)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٥٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٤٥، ١٤٦).

قال ابن عطية: (لسانُ الصِّدقِ في الآخِرينَ: هو الثناءُ وتخليدُ المكانةِ، بإجماعٍ مِن المفسِّرينَ، وكذلك أجاب اللهُ دَعْوتَه؛ فكلُّ مِلَّةٍ تتمَسَّكُ به وتعَظِّمُه). ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٣٥).

وقال القرطبيُّ: (وقد فعَل اللهُ ذلك؛ إذ ليس أحدٌ يصَلِّي على النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلَّا وهو يصلِّي على إبراهيمَ، وخاصَّةً في الصَّلواتِ، وعلى المنابرِ، التي هي أفضلُ الحالاتِ، وأفضَلُ الدَّرَجاتِ). ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٣).

مُناسَبةُ الآيةِ لما قَبلَها:

لَمَّا طَلَبَ عليه السَّلامُ سَعادةَ الدُّنيا، وكان لا نفْعَ لها إلَّا باتِّصالِها بسَعادةِ الآخرةِ التي هي الجنةُ؛ طَلَبها بقَولِه[1]:

﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥﴾.

أي: واجعَلْني ممَّن تُورِثُهم الجنَّةَ في الآخِرةِ[2].

﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لما قَبلَها:

لَمَّا دعا لنفْسِه، ثنَّى بأحقِّ الخَلقِ ببرِّه، فقال[3]:

﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦﴾.

أي: واغفِرْ لأبي؛ لأنَّه مِنَ الضَّالِّينَ عن طَريقِ الحَقِّ، فلا تُعاقِبْه[4].

---

(١) يُنظر: ((تفسير الشربيني)) (٣/ ٢٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٣).

قال ابنُ جرير: (يعني إبراهيمُ صلواتُ الله عليه بقَولِه: ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الشعراء: ٨٥] أورِثْني -يا رَبِّ- مِن منازِلِ مَن هَلَك مِن أعدائِك المشركينَ بك مِن الجنَّةِ، وأسْكنِّي ذلك). ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٥).

وقال البقاعي: (شبَّه إدخالَها بالإرثِ الذي يحصُلُ بغيرِ اكتسابٍ مِن الوارِثِ، وهو أقوى أسبابِ المِلْكِ). ((نظم الدرر)) (١٤/ ٥٥).

(٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٥٦).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٥)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٢٣)، ((تفسير الألوسي)) (١٠/ ٩٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٤٦، ١٤٧).

قال السعدي: (هذا الدعاءُ بسببِ الوعدِ الذي قال لأبيه: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧]، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ=

﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ٨٧﴾.

أي: ولا تَفْضَحْني يومَ القيامةِ حينَ تَبعَثُ عِبادَك لفصلِ القضاءِ[1].

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، قال: ((يَلقى إبراهيمُ أباه آزَرَ يومَ القيامةِ، وعلى وَجهِ آزَرَ قَترةٌ وغَبَرةٌ، فيقولُ له إبراهيمُ: ألم أقُلْ لك: لا تَعصِني؟ فيقولُ أبوه: فاليومَ لا أعصيك. فيقولُ إبراهيمُ: يا رَبِّ، إنَّك وعَدْتَني ألَّا تُخزيَني يومَ يُبعَثونَ، فأيُّ خزيٍ أخزَى مِن أبي الأبعَدِ[2]؟! فيقولُ الله

= ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]. ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٣).

وذهب السمرقنديُّ إلى أنَّ هذا الدُّعاءَ مِن إبراهيمَ كان في حياةِ أبيه، والمرادُ هدايتُه إلى الحَقِّ، يعني: إنَّه كان مِن المشركينَ في الحالِ، كقَولِه عزَّ وجلَّ: ﴿مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩] يعني: مَن هو في الحالِ صبيٌّ. يُنظر: ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٥٨).

وقال الواحدي: (هذا الاستغفارُ منه لأبيه إنَّما كان قبْلَ أن يتبرَّأَ منه). ((البسيط)) (١٧/ ٧٤).

وقال البيضاوي: (إنْ كان هذا الدُّعاءُ بعْدَ مَوتِه، فلعلَّه... لم يُمنَعْ بَعدُ مِن الاستغفارِ للكُفَّارِ). ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٢).

وقال الألوسي: (حاصِلُه: وفِّقْه للإيمانِ، كما يلوحُ به تعليلُه بقَولِه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾، وهذا ظاهِرٌ إذا كان هذا الدعاءُ قبلَ موتِه، وإنْ كان بعْدَ الموتِ فالدُّعاءُ بالمغفرةِ على ظاهِرِه، وجاز الدعاءُ بها لمُشرِكٍ، واللهُ تعالى لا يغفِرُ أن يُشرَكَ به؛ لأنَّه لم يوحَ إليه عليه السَّلامُ بذلك إذ ذاك، والعَقلُ لا يَحكُمُ بالامتناعِ). ((تفسير الألوسي)) (١٠/ ٩٨).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٥)، ((تفسير الرسعني)) (٥/ ٣٩٥)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٣).

قال الشوكاني: (﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: لا تَفضَحْني على رؤوس الأشهادِ بمُعاتَبتي، أو: لا تُعَذِّبْني يومَ القيامةِ، أو: لا تُخزِني بتعذيبِ أبي، أو ببَعْثِه في جملةِ الضَّالِّينَ). ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٢٣).

وقال السعدي: (﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: بالتوبيخِ على بعضِ الذُّنوبِ، والعقوبةِ عليها والفضيحةِ، بل أسعِدْني في ذلك اليوم). ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٣).

(٢) قيل: وصَفَ إبراهيمُ عليه السلامُ نفْسَه بالأبعدِ على طريقِ الفرضِ إذا لم تُقبَلْ شفاعتُه في أبيه. =

تعالى: إنِّي حرَّمتُ الجنَّةَ على الكافرينَ. ثمَّ يُقالُ: يا إبراهيمُ، ما تحتَ رِجْلَيْك؟ فينظُرُ فإذا هو بذِيخٍ مُلتَطِخٍ[١]، فيُؤخَذُ بقوائِمِه فيُلقى في النَّارِ))[٢].

﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا نَبَّهَ على أنَّ المقصودَ هو الآخرةُ، صَرَّحَ بالتَّزهيدِ في الدُّنيا بتحقيرِ أجَلِّ ما فيها، فقال[٣]:

﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨﴾.

أي: يومَ لا ينفَعُ العَبدَ فيه مالُه ولا أبناؤُه[٤].

= وقيل: الأبعدُ صفةُ أبيه، أي: أنَّه شديدُ البعدِ من رحمةِ الله؛ لأنَّ الفاسقَ بعيدٌ منها، فالكافرُ أبعدُ. وقيل: الأبعد بمعنى البعيدِ، والمرادُ الهالكُ. يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (٨/ ٥٠٠).

(١) الذِّيخُ: ذكَرُ الضِّباعِ، وأراد بالتلطُّخِ التلَطُّخَ برَجيعِه أو بالطِّينِ. يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (٢/ ١٧٤).

(٢) رواه البخاري (٣٣٥٠).

(٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٥٦).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٩)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٢٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٣).

ممَّن اختار أنَّ قولَه: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ...﴾ من كلامِ إبراهيمَ عليه السلامُ: مقاتلُ بنُ سليمانَ، وهو ظاهرُ اختيارِ ابنِ جرير، واختاره أبو حيَّان، والشوكانيُّ، وابنُ عاشور. يُنظر: ((تفسير مقاتل ابن سليمان)) (٣/ ٢٧٠)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٥)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٧١)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٢٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٤٧).

قال أبو حيان: (والظَّاهِرُ أن هذه الجُمَلَ كُلَّها متعلِّقةٌ بقولِ إبراهيمَ؛ أخبَرَ بما أعلَمَه اللهُ من أحوالِ يومِ القيامةِ، وما يكونُ فيها من حالِ قَومِه). ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٧١).

وذهب السمرقنديُّ وابنُ عطيَّةَ إلى أنَّ كلامَ إبراهيمَ انقطع عندَ قولِه: ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ﴾، ثمَّ إنَّ الله وصَف ذلك اليومَ فقال: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ...﴾. يُنظر: ((تفسير السمرقندي)) =

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾.

أي: إلَّا مَن لَقِيَ اللهَ يومَ القيامةِ وقَلبُه خالِصٌ مِنَ الشِّركِ والشَّكِّ، والعقائِدِ الباطِلةِ، والأوصافِ الذَّميمةِ، والإراداتِ الفاسدةِ[1].

الفَوائِدُ التَّربويَّةُ:

١- إنَّما قال إبراهيمُ عليه السلامُ: ﴿ عَدُوٌّ لِّيٓ ﴾؛ تصويرًا للمسألةِ في نفْسِه، وأَراهُم بذلك أنَّها نصيحةٌ نَصَح بها نفْسَه أوَّلًا، وبَنَى عليها تَدبيرَ أمْرِه؛ لِيَنظُروا فيَقولوا: ما نَصَحَنا إبراهيمُ إلَّا بما نَصَح به نفْسَه، وما أرادَ لنا إلَّا ما أرادَ لرُوحِه؛ لِيَكونَ أدْعى لهم إلى القَبولِ، وأَبعَثَ على الاستماعِ منه، ولو قال: فإنَّه عدُوٌّ لكم، لم يكنْ بتلك المَثابةِ، ولأنَّه دَخَل في بابٍ مِنَ التَّعريضِ، وقد يَبلُغُ التَّعريضُ للمَنصوحِ ما لا يَبلُغُه التَّصريحُ؛ لأنَّه يتأمَّلُ فيه، فرُبَّما قادَه التَّأمُّلُ إلى التَّقبُّلِ[2].

٢- قولُ الله تعالى حكايةً عن إبراهيمَ: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ أضافَ

= (٢/ ٥٥٨)، ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٣٦).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٥)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٤، ١١٥)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (١٠/ ٧٤، ٣٣٧)، ((الجواب الكافي)) لابن القيم (ص: ١٢١، ١٢٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٩)، ((كلمة الإخلاص)) لابن رجب (ص: ٣٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٣).

قال ابن رجب: (القَلبُ السَّليمُ هو الذي ليس فيه شَيءٌ مِن محبَّةِ ما يكرَهُه اللهُ، فدخَل في ذلك سلامتُه مِن الشِّركِ الجَليِّ والخَفيِّ، ومِن الأهواءِ والبِدَعِ، ومِن الفُسوقِ والمعاصي؛ كبائِرِها وصغائرِها، الظَّاهرةِ والباطنةِ، كالرِّياءِ، والعُجْبِ، والغِلِّ، والغِشِّ، والحِقدِ، والحسدِ، وغيرِ ذلك). ((مجموع رسائل ابن رجب)) (١/ ٣٥٤). ويُنظر: ((جامع العلوم والحِكَم)) لابن رجب (١/ ٢١١).

(٢) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣١٨، ٣١٩)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤١)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٦٤)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٤٨)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٧/ ٩٠).

المرضَ إلى نفْسِه والشِّفاءَ إلى ربِّه -وإنْ كان المرضُ والشفاءُ كلُّه مِن اللهِ، وعن قَدَرِه وقضائِه وخَلْقِه-؛ استعمالًا لحُسنِ الأدبِ، فمِن الأدبِ إضافةُ نوعِ الحسنةِ إلى اللهِ، ونوعِ السيئةِ إلى النفْسِ، وقد تأدَّب العارفونَ مِن عبادِ الله سُبحانَه وتعالى بهذا الأدبِ، فأضافوا إليه النِّعَمَ والخَيراتِ؛ وأضافوا الشرورَ إلى محَلِّها، كما قال الخَضِرُ: ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، وقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]، وكما قالت الجِنُّ: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا﴾ [الجن: ١٠]، وقال تعالى آمِرًا للمصلِّي أن يقولَ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]، فأسندَ الإنعامَ إلى اللهِ سُبحانَه وتعالى، والغَضَبُ حُذِفَ فاعِلُه أدبًا، وأُسنِدَ الضَّلالُ إلى العَبيدِ(١).

٣- قولُه تعالى حكايةً عن إبراهيمَ عليه السلامُ: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي﴾ قال إبراهيمُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ذلك؛ هَضْمًا لنفْسِه، وتعليمًا للأُمَّةِ أنْ يَجتنِبُوا المعاصيَ، ويَكونوا على حَذَرٍ وطلَبِ مَغفرةٍ لِما يَفرُطُ منهم، وتَلافيًا لِما عَسَى يَندُرُ منه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ مِنَ الصَّغائرِ، وتَنبيهًا لأبيه وقَومِه على أنْ يَتأمَّلوا في أمْرِهم، فيَقِفُوا على أنَّهم مِن سوءِ الحالِ في درجةٍ لا يُقادَرُ قَدْرُها؛ فإنَّ حالَه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مع كَونِه في طاعةِ اللهِ تعالى وعبادتِه في الغايةِ القاصيةِ حيثُ كانت بتلك المَثابةِ، فما ظَنُّكِ بحالِ أولئك المَغمُورينَ في الكُفرِ وفُنونِ المعاصي والخَطايا(٢)؟!

(١) يُنظر: ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٧٠)، ((شفاء العليل)) لابن القيم (ص: ١٦٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٢٠)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٢)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٤٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٤٣).

٤- قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ تخويفٌ للمُؤمِنينَ شديدٌ لأنْ يَعمَلوا ولا يَتَّكِلوا؛ إذ كان خليلُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم طامعًا في غُفرانِ خطيئتِه، غيرَ حاتمٍ[1] بها على ربِّه، فمَنْ بعْدَه من المؤمنينَ أَحرى أنْ يكونَ أشدَّ خوفًا مِن خطاياه[2]، فقد أوقَفَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ نفْسَه على الطَّمعِ في المغفرةِ؛ وهذا دليلٌ على شدَّةِ خَوفِه مع مَنزلتِه وخُلَّتِه[3].

٥- يُستفادُ مِن قَولِه: ﴿رَبِّ هَبۡ لِى حُكۡمًا وَأَلۡحِقۡنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بعْدَ قولِه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ...﴾ أنَّ اللهَ تعالى لَمَّا حكى عن إبراهيمَ عليه السَّلامُ ثناءَه على اللهِ تعالى، ذَكَر بعْدَ ذلك دُعاءَه ومسألتَه، وذلك تنبيهٌ على أنَّ تقديمَ الثَّناءِ على الدُّعاءِ مِن المهمَّاتِ[4].

٦- قال الله تعالى حكايةً عن إبراهيمَ عليه السلامُ: ﴿وَٱجۡعَل لِّى لِسَانَ صِدۡقٖ فِى ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ في هذا دَليلٌ على التَّرغيبِ في العَمَلِ الصَّالحِ الذي يُكسِبُ الثَّناءَ الحَسَنَ[5]، واستِحبابِ اكتِسابِ ما يُورِثُ الذِّكرَ الجَميلَ[6].

٧- في قَولِه تعالى: ﴿وَلَا تُخۡزِنِى يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ﴾ أنَّ كلَّ إنسانٍ مُفتَقِرٌ إلى الدُّعاءِ حتى الأنبياءَ؛ لأنَّ إبراهيمَ عليه الصلاةُ والسلامُ دعا اللهَ سُبحانَه وتعالى بذلك[7].

---

(١) الحتمُ: اللازمُ الواجبُ الذي لا بُدَّ مِن فِعلِه. يُقالُ: حَتَمْتُ عليه الشيءَ: أوجَبْتُ. يُنظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١٢/ ١١٣).

(٢) يُنظر: ((النكت الدالة على البيان)) للقصاب (٣/ ٥٢٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٦٦، ١٦٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥١٤).

(٥) يُنظر: ((أحكام القرآن)) لابن العربي (٣/ ٤٥٩).

(٦) يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٣).

(٧) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٥٨).

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:

١- قال الله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ...﴾ إلى آخِرِ القصةِ، أخلى سُبحانَه قِصَّةَ أبي العَرَبِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ من ذِكْرِ الإهلاكِ؛ إشارةً إلى البِشارةِ بالرِّفقِ ببَنيه العَرَبِ في الإمهالِ، كما رَفَقَ بهم في الإنزالِ والإرسالِ[(١)].

٢- قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ * أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ﴾ التقَدُّمُ لا يدُلُّ على الصِّحَّةِ، ولا ينقَلِبُ به الباطِلُ حَقًّا[(٢)].

٣- قولُه تعالى حكايةً عن إبراهيمَ عليه السلامُ: ﴿قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ * أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ﴾ في وصْفِهم بالأقدَمينَ دَلالةٌ على تَقادُمِ عِبادةِ الأصنامِ فيهم[(٣)].

٤- قوله: ﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ إنْ قيل: كيف وصَفَ الأصنامَ بالعَداوةِ، وهي جماداتٌ لا تَعقِلُ؟

فالجوابُ: أنَّ معناه فإنَّهم عدوٌّ لي يومَ القيامةِ لو عبَدْتُهم في الدُّنيا. وقيل: إنَّ الكُفَّارَ لَمَّا عَبَدوها ونزَّلوها مَنزِلةَ الأحياءِ العُقَلاءِ، أطلقَ إبراهيمُ لَفظَ العَداوةِ عليها. وقيل غيرُ ذلك[(٤)].

٥- إذا كان الحُبُّ أصلَ كُلِّ عَمَلٍ من حَقٍّ وباطلٍ، فأصلُ الأعمالِ الدينيَّةِ حُبُّ اللهِ ورَسولِه، كما أنَّ أصْلَ الأقوالِ الدِّينيةِ تصديقُ اللهِ ورَسولِه، وكُلُّ إرادةٍ تمنَعُ كَمالَ الحُبِّ لله ورَسولِه، وتُزاحِمُ هذه المحبَّةَ؛ أو شُبهةٍ تَمنَعُ كمالَ

---

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤١).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٦٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير الخازن)) (٣/ ٣٢٧).

التَّصديقِ: فهي مُعارِضةٌ لأصلِ الإيمانِ أو مُضعِفةٌ له، فإنْ قَوِيَت حتى عارَضَتْ أصلَ الحُبِّ والتَّصديقِ، كانت كُفرًا أو شِركًا أكبَرَ، وإنْ لم تعارِضْه قَدَحت في كمالِه، وأثَّرَت فيه ضَعفًا وفُتورًا في العزيمةِ والطَّلَبِ، وهي تَحجُبُ الواصِلَ، وتقطَعُ الطَّالِبَ، وتَنكُسُ الرَّاغِبَ؛ فلا تَصِحُّ الموالاةُ إلَّا بالمعاداةِ، كما قال تعالى عن إمامِ الحُنَفاءِ المحبِّينَ إنَّه قال لِقَومِه: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فلمْ يصِحَّ لخليلِ اللهِ هذه الموالاةُ والخُلَّةُ إلَّا بتحقيقِ هذه المعاداة، فإنَّه لا ولاءَ إلَّا بالبراءةِ من كُلِّ معبودٍ سِواهُ؛ قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾[1] [الممتحنة: ٤].

٦- إنَّ مَن تَفَرَّدَ بخَلْقِ العبدِ وبهدايتِه وبرَزْقِه، وإحيائِه وإماتتِه في الدنيا، وبمغفرةِ ذنوبِه في الآخرةِ؛ مُستحِقٌّ أنْ يُفرَدَ بالإلهيَّةِ والعبادةِ، والسؤالِ والتضرُّعِ إليه والاستكانةِ له، وقد استدَلَّ إبراهيمُ الخليلُ عليه السَّلامُ بتفرُّدِ الله بهذه الأمورِ على أنَّه لا إلهَ غيرُه، وأنَّ كُلَّ ما أُشرِك معه فباطِلٌ، فقال لِقَومِه: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ * ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ * وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ * وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾[2].

٧- قولُ الله تعالى إخبارًا عن إبراهيمَ عليه السَّلامُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ * وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾

(١) يُنظر: ((الجواب الكافي)) لابن القيم (ص: ١٩٥).
(٢) يُنظر: ((جامع العلوم والحكم)) لابن رجب (٢/ ٣٨).

فيه ردٌّ على المُعتَزلةِ والقدَريَّةِ فيما يَزعمون أنَّ أفعالَ العِبادِ لا صُنعَ فيها الْبَتَّةَ، ولا يقولونَ: إنَّ أفعالَهم وإن كانت منسوبةً إليهم فهم في الحقيقةِ ميسَّرونَ لها، أفيَشُكُّ أحدٌ أنَّ إبراهيمَ صلَّى الله عليه وسلَّم كان يتناوَلُ مأكولَه ومَشروبَه بيَدِه، ويرفَعُه إلى فيه، ويبتَلِعُه بحَلقِه، ويكونُ فِعلُه بها منسوبًا إليه، وقد قال كما ترَى: إنَّ الله مُطعِمُه وساقيه، فما يُنكَرُ أن تكونَ هدايةُ إبراهيمَ وغيره وإنْ كانت منسوبةً إليهم، فاللهُ هاديهم كما هو مُطعِمُهم وساقيهم، وضَلالُ مَن ضَلَّ وإنْ كان منسوبًا إليه فالله مُضِلُّه وخاذِلُه، كما هو مميتُه ومُحْييه[١]؟!

٨- قال الله تعالى حكايةً عن إبراهيمَ عليه السلامُ: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ * ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ...﴾ إلى آخرِ كلامِ الخليلِ، وقد أشارَ في هذه النُّعوتِ إلى ما هو من تَصرُّفاتِ اللهِ في العالَمِ الحِسِّيِّ، بحيثُ لا يَخفَى عن أحدٍ؛ قَصْدًا لاقتِصاصِ إيمانِ المُشرِكينَ إنْ رامُوا الاهتِداءَ. وفي تلك النُّعوتِ إشارةٌ إلى أنَّها مُهيَّئاتٌ للكمالِ النَّفسانيِّ؛ فقد جمَعَتْ كلِماتُ إبراهيمَ عليه السَّلامُ -مع دَلالتِها على انفِرادِ اللهِ بالتَّصرُّفِ في تلك الأفعالِ الَّتي هي أصلُ أَطوارِ الخَلْقِ الجُسْمانيِّ- دَلالةً أُخرى على جميعِ أُصولِ النِّعَمِ مِن أوَّلِ الخَلْقِ إلى الخَلْقِ الثَّاني وهو البَعثُ، فذَكَر خَلْقَ الجسدِ، وخَلْقَ العقلِ، وإعطاءَ ما به بَقاءُ المَخلوقِ، وهو الغِذاءُ والماءُ، وما يَعترِي المَرءَ مِن اختِلالِ المِزاجِ وشِفائِه، وذَكَر المَوتَ الَّذي هو خاتمةُ الحياةِ الأُولى، وأَعقبَه بذِكرِ الحياةِ الثَّانيةِ؛ للإشارةِ إلى أنَّ المَوتَ حالةٌ لا يَظهَرُ كَونُها نِعمةً إلَّا بغَوصِ فِكْرٍ، ولكنَّ وراءَه حياةً هي نعمةٌ لا مَحالَةَ لِمَنْ شاءَ أنْ تكونَ له نِعمةً[٢].

٩- قَولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ فيه جَوازُ

---

(١) يُنظر: ((النكت الدالة على البيان)) للقصاب (٣/ ٥٢٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٤٤).

الصَّغائرِ على الأنبياءِ[(١)]، والقَولُ بأنَّ الأنبياءَ معصومون عن الكبائِرِ دونَ الصَّغائِرِ هو قَولُ أكثرِ عُلَماءِ الإسلامِ وجميعِ الطَّوائِفِ، حتى إنَّه قَولُ أكثرِ أهلِ الكلامِ وأكثَرِ أهلِ التَّفسيرِ والحَديثِ، والفُقَهاءِ، بل لم يُنقَلْ عن السَّلَفِ والأئمَّةِ والصَّحابةِ والتَّابعينَ وتابعيهم إلَّا ما يُوافِقُ هذا القَولَ، وقد اتَّفَق سلَفُ الأمَّةِ وأئمَّتُها ومَن اتَّبَعَهم على ما أخبَرَ اللهُ به في كتابِه وما ثبَت عن رَسولِه مِن توبةِ الأنبياءِ عليهم السَّلامُ مِن الذُّنوبِ التي تابوا منها، وهذه التَّوبةُ رَفَع اللهُ بها دَرَجاتِهم؛ فإنَّ اللهَ يحِبُّ التَّوابينَ ويحِبُّ المتطَهِّرينَ، وعِصمَتُهم هي مِن أن يُقَرُّوا على الذُّنوبِ والخَطأِ؛ فإنَّ مَن سِوى الأنبياءِ يجوزُ عليهم الذَّنبُ الخَطأُ مِن غيرِ تَوبةٍ، والأنبياءُ عليهم السَّلامُ يَستدرِكُهم اللهُ فيتوبُ عليهم ويبَيِّنُ لهم، وقد ذكَرَ اللهُ تعالى مِن تَوبةِ الأنبياءِ واستغفارِهم؛ كقَولِه: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة: ٣٧]، وقَولِ نوحٍ عليه السلامُ: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧]، وقَولِ إبراهيمَ عليه السلامُ: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١]، وقَولِه سُبحانَه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩] إلى غيرِ ذلك[(٢)].

١٠- روى أشهَبُ عن مالكٍ قال: (قال اللهُ عزَّ وجَلَّ: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ لا بأسَ أن يحِبَّ الرجُلُ أن يُثنَى عليه صالِحًا، ويُرى في عمَلِ الصَّالحينَ، إذا قصَدَ به وجْهَ اللهِ تعالى)[(٣)]، فالآيةُ فيها دَلالةٌ على جوازِ حُبِّ الإنسانِ الثناءَ الحسَنَ[(٤)].

(١) يُنظر: ((الإكليل)) للسيوطي (ص: ٢٣٨).

(٢) يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٤/ ٣١٩)، ((جامع الرسائل لابن تيمية)) (١/ ٢٦٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٣).

(٤) يُنظر: ((النكت الدالة على البيان)) للقصاب (٣/ ٥٣٠).

١١- قال اللهُ تعالى حكايةً عن إبراهيمَ عليه السلامُ: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ ذكَرَ اللهُ تعالى في كتابه خمسةَ أشياءَ مُضافةً إلى الصِّدقِ؛ وهي: لِسانُ الصِدْقِ، كما هنا، وقدَمُ الصِّدقِ، كما في سورة (يونسَ) [الآية: ٢]، ومُدخَلُ الصِّدقِ، ومُخرَجُ الصِّدقِ، كما في سورةِ (الإسراءِ) [الآية: ٨٠]، ومَقعَدُ الصِّدقِ، كما في سورة (القمر) [الآية: ٥٥]، وحقيقةُ الصِّدقِ في هذه الأشياءِ: هو الحقُّ الثَّابتُ، المتَّصِلُ باللهِ، المُوصِلُ إلى اللهِ -وهو ما كان به وله، مِن الأقوالِ والأعمالِ-، وجزاءُ ذلك في الدُّنيا والآخرةِ[١].

١٢- قال إبراهيمُ عليه السَّلامُ داعيًا ربَّه: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾؛ لأنَّ الذِّكرَ الجَميلَ قائِمٌ مَقامَ الحياةِ الشَّريفةِ، بل الذِّكرُ أفضَلُ مِن الحياةِ؛ لأنَّ أثَرَ الحياةِ لا يحصُلُ إلَّا في مَسكَنِ ذلك الحيِّ، أمَّا أثَرُ الذِّكرِ الجَميلِ فإنَّه يحصُلُ في كلِّ مكانٍ وفي كلِّ زمانٍ[٢].

١٣- من أعظَمِ نِعَمِ اللهِ على العَبدِ أن يرفَعَ له بينَ العالَمينَ ذِكْرَه، ويُعليَ قَدْرَه؛ ولهذا خَصَّ أنبياءَه ورُسُلَه مِن ذلك بما ليس لِغَيرِهم، كما قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ * إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ [ص: ٤٥، ٤٦]، أي: خصَصْناهم بخَصِيصةٍ، وهو الذِّكرُ الجَميلُ الذي يُذكَرون به في هذه الدَّارِ -على أحدِ الأقوالِ في الآيةِ-، وهو لِسانُ الصِّدق الذي سأله إبراهيمُ الخَليلُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ؛ حيثُ قال: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾، وقال سُبحانه وتعالى عنه وعن بَنيه: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾ [مريم: ٥٠]، وقال لنبيِّه صلَّى الله عليه وسلَّم: ﴿وَرَفَعۡنَا

(١) يُنظر: ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٢/ ٢٥٩).
(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٧/ ٦٣٥).

لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، فأتْباعُ الرُّسُلِ لهم نصيبٌ مِن ذلك بحسَبِ ميراثِهم مِن طاعتِهم ومُتابعتِهم، وكلُّ مَن خالَفهم فإنَّه بعيدٌ مِن ذلك بحسَبِ مُخالفتِهم ومَعصيتِهم(١).

١٤- إنْ قيل: لمَ خَصَّ أباه بسُؤالِ المغفرةِ له في قولِه: ﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾؟

فالجوابُ: للمَوعِدةِ التي وعَدَها إيَّاه، على أنَّه قد قيل: إنَّ أمَّه كانت مُؤمِنةً(٢).

١٥- في قَولِه تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ دليلٌ على فضيلةِ القَلبِ السليم؛ لأنَّه سببٌ لاستفادةِ الإنسانِ مِن مالِه وبَنيه، وهذا بِناءً على أنَّ الاستثناءَ متَّصِلٌ(٣).

١٦- قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ لا يكونُ القَلبُ سَليمًا إذا كان حَقودًا حَسودًا، مُعجَبًا مُتكَبِّرًا، وقد شرَطَ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم في الإيمانِ أن يحِبَّ لأخيه ما يحِبُّ لنَفْسِه، والله الموفِّقُ برَحمتِه(٤).

١٧- ممَّا أكرَمَ اللهُ تعالى به خليلَه، ونبَّهَ على جلالةِ محَلِّه في الإخلاصِ: أنْ حَكى استِثناءَه هذا حكايةَ راضٍ بإصابتِه فيه في قولِه: ﴿إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾، ثمَّ جَعَلَه صِفةً له في قَولِه: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ * إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ﴾(٥) [الصافات: ٨٣، ٨٤].

(١) يُنظر: ((الجواب الكافي)) لابن القيم (ص: ٨٠).
(٢) يُنظر: ((تفسير الرسعني)) (٥/ ٣٩٤).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٥٩).
(٤) يُنظر: ((أحكام القرآن)) لابن العربي (٣/ ٤٥٩).
(٥) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٢١).

بلاغةُ الآياتِ:

١- قولُه تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ قُدِّمَتْ هنا قِصَّةُ إبراهيمَ عليه السَّلامُ على قِصَّةِ نوحٍ على خِلافِ المُعتادِ في تَرتيبِ قَصصِهم في القُرآنِ؛ لشدَّةِ الشَّبهِ بيْنَ قَومِ إبراهيمَ وبيْن مُشرِكي العربِ في عبادةِ الأصنامِ الَّتي لا تَسمَعُ ولا تُبصِرُ، وفي تَمسُّكِهم بضَلالِ آبائِهم، وأنَّ إبراهيمَ دعاهُم إلى الاستِدلالِ على انحِطاطِ الأصنامِ عن مَرتبةِ استِحقاقِ العِبادةِ؛ لِيَكونَ إيمانُ النَّاسِ مُستنِدًا لدليلِ الفِطرةِ، وفي أنَّ قَومَ إبراهيمَ لمْ يُسلَّطْ عليهم مِن عذابِ الدُّنيا مِثلُ ما سُلِّطَ على قَومِ نُوحٍ وعلى عادٍ وثَمودَ وقَومِ لُوطٍ وأهلِ مَدْيَنَ؛ فأَشْبَهوا قُرَيشًا في إمهالِهم، فرسالةُ محمَّدٍ وإبراهيمَ صلى اللهُ عليهما قائِمتانِ على دِعامةِ الفِطرةِ في العقلِ والعملِ، أي: في الاعتِقادِ والتَّشريعِ؛ فإنَّ اللهَ ما جَعَلَ في خلْقِ الإنسانِ هذه الفِطرةَ لِيُضيِّعَها ويُهْمِلَها، بل لِيُقيمَها ويُعْمِلَها. فلمَّا ضَرَبَ اللهُ المَثَلَ للمُشركينَ لإبطالِ زَعْمِهم أنَّهم لا يؤْمِنونَ حتَّى تأتيَهمُ الآياتُ كما أُوتيَ موسى، فإنَّ آياتِ موسى -وهي أَكثَرُ آياتِ الرُّسُلِ السَّابقينَ- لم تَقضِ شيئًا في إيمانِ فِرعونَ وقَومِه لَمَّا كان خُلُقُهمُ المُكابرةَ والعِنادَ- أَعقَبَ ذلك بضَربِ المَثَلِ بدَعوةِ إبراهيمَ المُماثِلةِ لدَعوةِ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في النِّداءِ على إعمالِ دَليلِ النَّظرِ[1].

- وفي قولِه: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ أُمِر الرَّسولُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بتِلاوَتِه؛ للإشارةِ إلى أنَّ الكلامَ المُتضمِّنَ نَبأَ إبراهيمَ هو آيةٌ مُعجِزةٌ، وما تَضمَّنَتْه مِن دليلِ العقلِ على انتفاءِ إلهيَّةِ الأصنامِ الَّتي هي كأصنامِ العربِ آيةٌ أيضًا؛ فحَصَلَ مِن مجموعِ ذلك آيتانِ دالَّتانِ على صِدْقِ الرَّسولِ[2].

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣٧).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٣٧، ١٣٨).

٢- قولُه تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ﴾ الاستِفهامُ في قَولِه: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ صُوريٌّ؛ فإنَّ إبراهيمَ يَعلَمُ أنَّهم يَعبُدون أصنامًا، ولكنَّه أرادَ بالاستِفهام: افتِتاحَ المُجادَلةِ معهم؛ فألْقى عليهم هذا السُّؤالَ؛ لِيَكونوا هُمُ المُبتدِئينَ بشرحِ حقيقةِ عِبادتِهم ومَعبوداتِهم، فتَلُوحَ لهم مِن خلال شرحِ ذلك لَوائحُ ما فيه مِن فسادٍ؛ لأنَّ الَّذي يَتصدَّى لشرحِ الباطلِ يَشعُرُ بما فيه مِن بُطلانٍ عِندَ نَظْمِ مَعانيهِ أكثَرَ ممَّا يَشعُرُ بذلك مَن يَسمَعُه؛ ولأنَّه يَعلَمُ أنَّ جَوابَهم يَنشأُ عنه ما يُريدُه مِنَ الاحتِجاجِ على فسادِ دينِهم[١]. وقيل: الاستِفهامُ بمعنَى التَّحقيرِ والتَّقرير[٢].

- وفيه مُناسَبةٌ حسَنةٌ، حيث جاءَ قَولُه هنا: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ بدُونِ ذِكرِ (ذا)، وفي (الصَّافات) بذِكرِه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الصافات: ٨٥]؛ ووجْهُه: أنَّ (ما) لمُجرَّدِ الاستِفهامِ، فأجابُوا بقَولِهم: ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ [الشعراء: ٧١]، و(ماذا) فيه مُبالَغةٌ؛ لتَضمُّنِه معنَى التَّوبيخِ، فلمَّا وبَّخَهم ولمْ يُجيبُوه، زادَ على التَّوبيخِ فقال: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ٨٦، ٨٧]؛ فذَكَر في كلِّ سورةٍ ما يُناسِبُ ما ذُكِر فيها[٣]. وقيل: هذه هي المُحاجَّةُ الأُولى في مَلأ أبيه وقَومِه ألْقى فيها دَعْوتَه في صورةِ سؤالِ استِفسارٍ غيرِ إنكارٍ؛ استِنزالًا لطائرِ نُفورِهم، وأمَّا قَولُه في الآيةِ الأُخرى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصافات ٨٥، ٨٦] فذلك مَقامٌ آخَرُ له في قَومِه كان بعْدَ الدَّعوةِ الأُولى المَحكيَّةِ في سورةِ (الشعراء)؛ ولأجْلِ ذلك كان الاستِفهامُ مُقترِنًا بما يَقتَضي التَّعجُّبَ مِن حالِهم بزيادةِ كَلِمةِ (ذا) بعدَ (ما) الاستِفهاميَّةِ في

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣٨).
(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٦٢).
(٣) يُنظر: ((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٤١٢).

سورةِ (الصافاتِ). وكَلِمةُ (ذا) إذا وقعَتْ بعدَ (ما) تَؤولُ إلى معنَى اسمِ المَوصولِ؛ فصارَ المعنى في سورةِ (الصافاتِ): ما هذا الَّذي تَعْبُدونه؛ فصارَ الإنكارُ مُسلَّطًا إلى كَونِ تلك الأصنامِ تُعبَدُ[١].

٣- قولُه تعالى: ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ أَتَوْا في جَوابِهم بفِعلِ ﴿نَعْبُدُ﴾، مع أنَّ الشَّأنَ الاستِغناءُ عنِ التَّصريحِ؛ إذْ كان جَوابُهم عن سُؤالٍ فيه: ﴿تَعْبُدُونَ﴾؛ فلا حاجةَ إلى تَعيينِ جنسِ المَعبوداتِ فيَقولوا: أصنامًا، كما في قَولِه تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ: ٢٣]؛ فعَدَلوا عن سُنَّةِ الجَوابِ إلى تكريرِ الفِعلِ الواقعِ في السُّؤالِ؛ ابتِهاجًا بهذا الفِعلِ، وافتِخارًا به؛ ولذلك عَطَفوا على قَولِهم: ﴿نَعْبُدُ﴾ ما يَزيدُ فِعلَ العبادةِ تأكيدًا بقَولِهم: ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾. وفي فِعلِ (نَظَلُّ) دَلالةُ الاستِمرارِ جَميعَ النَّهارِ. وصِلَةُ العُكوفِ كَلِمةُ (على)؛ فلم يَقُلْ: (فنَظلُّ عليها)، وإنما أَورَدَه باللَّامِ ﴿فَنَظَلُّ لَهَا﴾؛ لإفادةِ معنًى زائدٍ، كأنَّهم قالوا: فنَظَلُّ لأجْلِها مُقْبِلينَ على عبادتِها، أو مُستَديرينَ حَوْلَها، وهذا أيضًا مِن جملةِ إطنابِهم[٢]. أو عَدَّى العُكوفَ باللَّامِ؛ لأنَّ المعنى: (لها قانِتون)[٣].

- والتَّنْوينُ في ﴿أَصْنَامًا﴾ للتَّعظيمِ؛ ولذا عُدِلَ عن تَعريفِها، وهُم يَعْلَمون أنَّ إبراهيمَ يَعرِفُها، ويَعلَمُ أنَّهم يَعبُدونها، واسمُ (الأصنام) عِندَهم اسمٌ عظيمٌ؛ فَهُمْ يَفتَخِرونَ به، على عَكسِ أهلِ التوحيدِ[٤].

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣١٧، ٣١٨)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٠)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٦٢)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٤٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣٩)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٧/ ٨٩).

(٣) يُنظر ((شرح العمدة - كتاب الصيام)) لابن تيمية (٢/ ٧٠٥).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣٩).

٤- قولُه تعالى: ﴿ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ * أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴾ استِئنافٌ مَبْنيٌّ على سؤالٍ نَشأَ مِن تَفصيلِ جَوابِهم[١].

- والاستِفهامُ في قَولِه: ﴿ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴾ لافتِتاحِ المُجادَلةِ معهم؛ ولأجْلِ ذلك كان الاستِفهامُ مُقترِنًا بما يَقتَضي التَّعجُّبَ مِن حالِهم[٢]. ولَمَّا كان شأنُ الرَّبِّ أنْ يُلجأَ إليه في الحاجةِ، وأن يَنفَعَ أو يَضُرَّ؛ أَلْقَى إبراهيمُ عليهِمُ استِفهامًا عن حالِ هذه الأصنامِ: هل تَسمَعُ دُعاءَ الدَّاعِينَ؟ وهل تَنفَعُ أو تَضُرُّ؟ تَنبيهًا على دليلِ انتِفاءِ الإلهيَّةِ عنها[٣].

- وجُعِل مفعولُ ﴿ يَسۡمَعُونَكُمۡ ﴾ ضَميرَ المُخاطَبينَ؛ تَوسُّعًا بحَذفِ مُضافٍ، تَقديرُه: هل يَسمَعون دُعاءَكم؟ أو التَّقديرُ: يَسْمَعونَكم تَدْعُون؛ حُذِفَ لدَلالةِ قَولِه: ﴿إِذۡ تَدۡعُونَ﴾ عليه[٤].

- وصِيغةُ المُضارِعِ مع (إذْ) في قولِه: ﴿إِذۡ تَدۡعُونَ﴾ على حِكايةِ الحالِ الماضيةِ؛ لاستِحضارِ صورتِها؛ كأنَّه قيل لهم: استَحضِرُوا الأحوالَ الماضيةَ الَّتي كنتُم تَدْعونها فيها، وأَجيبُوا: هل سمِعُوا أو أَسْمَعوا قطُّ؟! وهذا أَبلَغُ في التَّبكيتِ[٥].

- قولُه: ﴿أَوۡ يَضُرُّونَ﴾ الحذفُ هنا مراعاة للفواصِلِ، وللعُمومِ، ويصيرُ: إمَّا:

---

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٤٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣٨).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٣٩).

(٤) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣١٨)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٠)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٦٣)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٤٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٣٩).

(٥) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣١٨)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤١)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٦٣)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٤٧، ٢٤٨).

أو يَضرُّونكم إن لم تعبُدوهم، أو: أو يَضرُّون عَدُوَّكم إذا عبَدْتُموهم[١].

٥- قولُه تعالى: ﴿قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ هذا منهم حَيْدةٌ عن جَوابِ الاستفهامِ، و(بل) هنا إضرابُ انتِقالٍ عن جَوابِه لِما سأل، وأَخْذٌ في شَيءٍ آخَرَ لم يَسألْهم عنه؛ انقِطاعًا وإقرارًا بالعجزِ[٢].

- وقولُه: ﴿كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ تَشبيهُ فِعلِ الآباءِ بفِعلِهم، وهو نَعْتٌ لمَصدرٍ مَحذوفٍ، والتَّقديرُ: يَفْعَلون فِعلًا كذلك الفِعلِ. وقُدِّم الجارُّ والمَجرورُ على ﴿يَفْعَلُونَ﴾؛ للاهتِمامِ بمَدلولِ اسمِ الإشارةِ[٣].

٦- قولُه تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ جملةٌ مُفرَّعةٌ على جُمَلِ كَلامِ القَومِ المُتضمِّنةِ عِبادتَهمُ الأصنامَ، وأنَّهم مُقتَدونَ في ذلك بآبائِهم؛ فالفاءُ في ﴿أَفَرَءَيْتُم﴾ للتَّفريعِ، ومِثلُ هذا التَّركيبِ يُستعمَلُ في التَّنبيهِ على ما يَجِبُ أن يُعلَمَ؛ على إرادةِ التَّعجُّبِ ممَّا يُعلَمُ مِن شَأنِه[٤].

٧- قولُه تعالى: ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴾ فيه عَطْفُ ﴿آبَاؤُكُمُ﴾ على ﴿أَنتُمْ﴾؛ لزِيادةِ إظهارِ قلَّةِ اكتراثِه بتلك الأصنامِ، معَ العِلمِ بأنَّ الأَقدَمينَ عَبَدوها؛ فتَضمَّنَ ذلك إبطالَ شُبهتِهم في استِحقاقِها العِبادةَ. ووصْفُ الآباءِ بالأَقدميَّةِ؛ إيغالٌ في قلَّةِ الاكتِراثِ بتَقليدِهم؛ لأنَّ عُرْفَ الأُمَمِ أنَّ الآباءَ كلَّما تَقادَمَ عَهْدُهم كان تَقليدُهم آكَدَ[٥].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٥٥).
(٢) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٠)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٦٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٤٠).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٤٠).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٤٠، ١٤١).
(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٤١).

٨- قولُه تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

- الفاءُ في قَولِه: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ للتَّفريعِ على ما اقتَضَتْه جُملةُ ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ مِنَ التَّعجيبِ من شأنِ عِبادتِهم إيَّاها. ويَجوزُ جعْلُ الرُّؤيةِ بَصَريَّةً لها مفعولٌ واحدٌ، وجَعْلُ الاستِفهامِ تَقريريًّا، والكلامُ مُستعمَلٌ في التَّنبيهِ لشَيءٍ يُريدُ المُتكلِّمُ الحديثَ عنه؛ لِيَعِيَه السَّامعُ حقَّ الوَعْيِ. أو فاءٌ فصيحةٌ بتَقديرِ: إنْ رأَيْتُموهُم فاعلَموا أنَّهم عدُوٌّ لي[١].

- والتَّعبيرُ عنِ الأصنامِ بضَميرِ جمْعِ العُقلاءِ ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ دُونَ (فإنَّها)، جرْيٌ على غالبِ العِباراتِ الجاريةِ بيْنَهم عنِ الأصنامِ؛ لأنَّهم يَعتَقِدونها مُدْرِكةً[٢].

٩- قولُه تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾

- قولُه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى﴾ صِفَةٌ لـ﴿رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٧]، والفاءُ في قولِه: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ للعَطفِ. ويَجوزُ أن يَكونَ قولُه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى﴾ مُبتدَأً مُستأنَفًا به، ويَكونَ ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ خبرًا عنِ ﴿ٱلَّذِى﴾، والفاءُ فيه للسَّببيَّة، وزِيدَتِ الفاءُ في الخَبرِ؛ لمُشابَهةِ المَوصولِ للشَّرطِ. وإنَّما وصَفَه تعالَى بذلك وبما عطَفَه عليه مع اندِراجِ الكُلِّ تحتَ رُبوبيَّتِه تعالى للعالَمينَ؛ تَصريحًا بالنِّعَمِ الخاصَّةِ به عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، وتَفصيلًا لها؛ لكَونِها أَدخَلَ في اقتِضاءِ تخصيصِ العبادةِ به تعالى، وقَصْرِ الالتِجاءِ في جَلْبِ المَنافعِ الدِّينيَّةِ والدُّنْيَويَّةِ ودفْعِ المَضارِّ العاجلةِ والآجلةِ عليه تعالى[٣].

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٤١).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٤٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤١)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٤٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٤٢).

- وفي قولِه: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ تَقديمُ المُسنَدِ إليه على الخبرِ الفِعليِّ دُونَ أن يقولَ: (فيَهدينِ)؛ لتَخصيصِه بأنَّه مُتولِّي الهِدايةِ دُونَ غَيرِه؛ لأنَّ المَقامَ لإبطالِ اعتِقادِهم تَصرُّفَ أصنامِهم بالقَصرِ الإضافيِّ، وهو قَصْرُ قَلْبٍ[١].

- واختِلافُ النَّظمِ في قولِه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ -حيث قال: ﴿خَلَقَنِى﴾ فذَكَره بلفظِ الماضي، وقال: ﴿يَهْدِينِ﴾ فذَكَره بلفظِ المستقبَلِ-؛ لتَقدُّمِ الخَلْقِ واستِمرارِ الهِدايةِ؛ فخَلْقُ الذاتِ لا يَتجدَّدُ في الدُّنيا، بل لَمَّا وَقَعَ بقيَ إلى الأمدِ المعلومِ، أمّا هدايتُه تعالى فهي ممَّا يَتكررُ كلَّ حينٍ وأَوانٍ؛ سواءٌ كان ذلك هدايةً في المنافعِ الدُّنيويَّةِ، أو في المنافعِ الدِّينيَّةِ، فبَيَّنَ بذلك أنَّه سُبحانَه هو الذي خَلَقَه بسائرِ ما تكاملَ به خلْقُه في الماضي دَفْعةً واحدةً؛ وأنَّه يَهديه إلى مصالحِ الدِّينِ والدُّنيا بضُروبِ الهداياتِ في كلِّ لحظةٍ ولمحةٍ[٢].

- ولَمَّا كان الخَلقُ لا يُمكِنُ أنْ يَدَّعِيَه أحدٌ لم يُؤَكِّدْ فيه بـ(هو)، فلمْ يَكُنِ التَّركيبُ (الَّذي هو خَلَقني)، ولمَّا كانت الهدايةُ قد يُمكِنُ ادِّعاؤُها -والإطعامُ والسَّقْيُ كذلك- أكَّد بـ﴿هُوَ﴾[٣].

١٠- قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾

- قَولُه: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ مُبتدَأٌ مَحذوفُ الخبرِ؛ لدَلالةِ ما قبْلَه

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٤٢).

وقصرُ القلبِ: هو أنْ يَقلِبَ المتكلِّمُ فيه حُكمَ السامعِ؛ كقولِك: ما شاعرٌ إلَّا زيدٌ، لِمَن يعتقِدُ أنَّ شاعرًا في قبيلةٍ معيَّنةٍ أو طرَفٍ معيَّنٍ، لكنَّه يقولُ: ما زيدٌ هناك بشاعرٍ. يُنظر: ((مفتاح العلوم)) للسكاكي (ص: ٢٨٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥١٢)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤١).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٦٥).

عليه، وكذا اللَّذانِ بعْدَه. وهذا على الوَجهِ بأنَّ قولَه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى﴾ مُبتدأٌ[(١)].

- وتقديمُ المُسنَدِ إليه على الخبرِ الفِعليِّ في قَولِه: ﴿هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾، وقَولِه: ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾؛ للرَّدِّ على زعْمِهم أنَّ الأصنامَ تُقدِّرُ لهم تَيسيرَ ما يَأكُلونَ وما يَشرَبونَ، وبها بُرْؤُهم إذا مَرِضوا[(٢)].

١١- قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ عطْفٌ على ﴿يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾؛ لأنَّه مِن رَوادِفِهما، مِن حَيثُ إنَّ الصِّحَّةَ والمرضَ في الأغلَبِ يَتبَعانِ المَأكولَ والمَشروبَ[(٣)].

- وقيل: عَطَف ﴿إذا مَرِضْتُ﴾ على ﴿يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾؛ لأنَّه لم يَكُنْ حينَ قال ذلك مريضًا، فإنَّ (إذا) تُخلِّصُ الفِعلَ بعْدَها للمُستقبَلِ، أي: إذا طَرأَ علَيَّ مرَضٌ. فأمَّا قَولُه: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ فلمْ يَأتِ فيه بما يَقتَضي الحَصرَ؛ لأنَّهم لم يَكونوا يَزْعُمون أنَّ الأصنامَ تُميتُ، بل عمَلُ الأصنامِ قاصِرٌ على الإعانةِ أوِ الإعاقةِ في أعمالِ النَّاسِ في حياتِهم[(٤)].

- ولم يَنسبِ المرضَ إليه تعالى؛ لأنَّ المقصودَ تَعديدُ النِّعَمِ، ولا يُنتقَضُ بإسنادِ الإماتةِ إليه؛ فإنَّ الموتَ مِن حيثُ إنَّه لا يُحَسُّ به لا ضَرَرَ فيه، وإنَّما الضَّررُ في مُقدِّماتِه وهي المرضُ، ثمَّ إنَّه لأهلِ الكمالِ وُصْلةٌ إلى نَيلِ المَحابِّ الَّتي تُستحقَرُ دُونَها الحياةُ الدُّنيويَّةُ، وخَلاصٌ مِن أنواعِ المِحَنِ

---

(١) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٤٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤١)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٦٥)، ((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٤١٣)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٤٩)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٧/ ٩١).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٤٣).

والبَليَّاتِ؛ ولأنَّ المرضَ في غالبِ الأمرِ إنَّما يَحدُثُ بتَفريطٍ مِنَ الإنسانِ في مَطاعِمِه ومَشارِبِه، وغَيرِ ذلك. ولذا قال: ﴿مَرِضْتُ﴾ دُونَ: (أمرَضَني) (١).

وقيل: يُفرَّقُ بينَ نِسبةِ المَوتِ ونِسبةُ المرضِ في مُقتَضى الأدبِ: بأنَّ المَوتَ قد عُلِم واشتهرَ أنَّه قَضاءٌ مَحتومٌ مِنَ اللهِ تعالى على سائرِ البشرِ، وحُكْمٌ عامٌّ لا يُخَصُّ، ولا كذلك المرَضُ؛ فكَمْ مِن مُعافى منه قد بَغَتَه الموتُ؛ فالتَّأسِّي بعُمومِ المَوتِ لعلَّه يُسقِطُ أثَرَ كَونِه بَلاءً؛ فيَسوغُ في الأدبِ نِسْبَتُه إلى اللهِ تعالى. وأمَّا المرضُ فلمَّا كان ممَّا يُخَصُّ به بعضُ البشرِ دُونَ بعضٍ، كان بَلاءً مُحقَّقًا؛ فاقتَضى العُلُوُّ في الأدبِ مع اللهِ تعالى أن يَنسبَه الإنسانُ إلى نفْسِه باعتِبارِ ذلك السَّببِ الَّذي لا يَخْلو منه، ويؤيِّدُ ذلك: أنَّ كلَّ ما ذَكَره مع المرضِ أخبَرَ عن وُقوعِه بَتًّا وجَزْمًا؛ لأنَّه أمْرٌ لا بدَّ منه، وأمَّا المرضُ فلمَّا كان قد يَتَّفِقُ وقد لا، أورَدَه مَقرونًا بشرط (إذا)، فقال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾، وكان مُمكِنًا أن يقولَ: والَّذي يُمْرِضُني فيَشفِيني، كما قال في غَيرِه، فما عَدَل عنِ المُطابَقةِ المُجانِسةِ المَأثورةِ إلَّا لذلك (٢).

- ولَمَّا كان قَولُه تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ وارِدًا على الاستِدراجِ، وإرخاءِ العِنانِ؛ جاءَ قَولُه: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ تَخلُّصًا منه إلى التَّمكُّنِ مِن إجراءِ الأوصافِ الَّتي يُصحِّحُ بها معنَى الإلهيَّةِ مِن كَونِه خالقًا رازقًا، مُحْيِيًا ومُميتًا، مُعاقِبًا ومُثيبًا؛ تربيةً لمعنَى النُّصحِ والاستِدراجِ، وبَعْثًا على التَّفكُّرِ

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣١٩)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤١)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٦٥، ١٦٦)، ((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٤١٣)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٤٩)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٧/ ٩١).

(٢) يُنظر: ((تفسير الزمخشري- حاشية ابن المنير)) (٣/ ٣١٩)، ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٣٧٤).

والتَّدبُّرِ، وأمَّا ذِكرُ المرضِ والشِّفاءِ في قولِه: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾؛ فكالمُتابِعِ لمعنَى الإطعامِ والسَّقيِ؛ ولذلك تُرِك فيهما المَوصولُ إلى الشَّرطِ والجَزاءِ، فرُوعيَتْ فيهما تلك النُّكتةُ(١).

١٢- قولُه تعالى: ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ فيه مُراعاةُ حروفِ العَطفِ؛ فقد قال: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: ٧٩ - ٨١]، فالأوَّلُ عطَفَه بالواوِ الَّتي هي لمُطْلَقِ الجَمعِ، وتقديمُ الإطعامِ على الإسقاءِ، والإسقاءِ على الإطعامِ جائزٌ لولا مُراعاةُ حُسنِ النَّظمِ. ثمَّ عَطَف الثَّاني بالفاءِ؛ لأنَّ الشِّفاءَ يعقبُ المرضَ بلا زَمانٍ خالٍ من أحدِهما. ثمَّ عَطَف الثَّالثَ بـ(ثُمَّ)؛ لأنَّ الإحياءَ يَكونُ بعدَ المَوتِ بزمانٍ؛ ولهذا جِيءَ في عطْفِه بـ(ثُمَّ) الَّتي هي للتَّراخي(٢).

- وحُذِفَتْ ياءاتُ المُتكلِّمِ مِن (يَهْدِين، ويَسْقِين، ويَشْفين، ويُحْيين)؛ لأجْلِ التَّخفيفِ، ورِعايةِ الفاصِلةِ؛ لأنَّها يُوقَفُ عليها، وفواصِلُ هذه السُّورةِ أكثَرُها بالنُّونِ السَّاكنةِ(٣).

- وفي هذِه الآياتِ مُناسَبةٌ حَسَنةٌ، حيثُ أدْخَلَ (هُوَ) في قَولِه: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾، وقَولِه: ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾، بخِلافِ قَولِه: ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي﴾ منها، فلم يَقُلْ: (والَّذي هو يُميتُني)، كما قال: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي﴾؛ ووَجهُ ذلك: أنَّه لو جاء: (والَّذي يُطْعِمُني ويَسْقِين، وإذا مرِضْتُ يَشْفِين)، لَكان مَعلومًا أنَّ مُرادَه اللهُ تعالى، وذِكرُ (هو) تَوكيدًا لمعنَى الكلامِ، وتَخصيصِ

(١) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٣٧٤).

(٢) يُنظر: ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٧/ ٩٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٤٤).

الفِعلِ به دُونَ غَيرِه، واحتاجَ ذِكرُ الإطعامِ والشِّفاءِ إلى هذا التَّوكيدِ؛ لأنَّهما ممَّا يَدَّعي الخَلْقُ فِعلَه، فيُقالُ: فُلانٌ يُطعِمُ فُلانًا، والطَّبيبُ يُداوي ويُسبِّبُ الشِّفاءَ؛ فكانت إضافةُ هذَينِ الفِعلَينِ إلى اللهِ تعالى مُحتاجةً إلى لفظِ التَّوكيدِ بخلافِ المَوتِ والحياةِ؛ لأنَّ أحدًا لا يَدَّعي فِعْلَهما كما يَدَّعي الأوَّلَينِ؛ فافترَقا لهذا الشَّأنِ[1].

١٣- قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ هذا الكلامُ خبرٌ يَتضمَّنُ تَعريضًا بالدُّعاءِ[2].

- وفيه تَكريرُ المَوصولِ ﴿الَّذي﴾ في المَواقعِ الثَّلاثةِ مع كِفايةِ عَطْفِ ما وَقَع في حَيِّزِ الصِّلةِ مِنَ الجُمَلِ السِّتِّ على صِلَةِ المَوصولِ الأوَّلِ؛ للاهتِمامِ، وللإيذانِ بأنَّ كلَّ واحدةٍ مِن تلك الصِّلاتِ نَعتٌ جليلٌ له تعالى، مُستقِلٌّ في استِيجابِ الحُكمِ، حقيقٌ بأنْ تَجريَ عليه تعالى بحِيالِها، ولا تُجعلَ مِن رَوادِفِ غَيرِها[3].

- وفي قولِه: ﴿يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ عَلَّقَ مَغفرةَ الخطيئةِ بيَوم الدِّين، وإنَّما تُغفَرُ في الدُّنيا؛ لأنَّه اليَومُ الَّذي يَظهَرُ فيه أثَرُ العَفوِ، وهو الآنَ خَفيٌّ لا يُعْلَمُ[4]؛ ولأنَّ في ذلك تَهويلًا له، وإشارةً إلى وُقوعِ الجزاءِ فيه إنْ لم تُغفَرْ[5].

---

(١) يُنظر: ((درة التنزيل وغرة التأويل)) للإسكافي (١/ ٩٦٧، ٩٦٨)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٦٥، ١٦٦)، ((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٤١٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٤٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤١)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٤٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٤٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٢٠)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٤٣).

(٥) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥٠).

١٤- قولُه تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ * وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ﴾

- لَمَّا كان آخِرُ مَقالِه في الدَّعوةِ إلى الدِّينِ الحَقِّ مُتضمِّنًا دُعاءً بطَلبِ المغفرةِ؛ تَخلَّصَ منه إلى الدُّعاءِ بما فيه جَمْعُ الكمالِ النَّفْسانيِّ بالرِّسالةِ، وتبليغِ دَعوةِ الخَلقِ إلى اللهِ؛ فإنَّ الحُجَّةَ التي قامَ بها في قومِه بوحيٍ مِن اللهِ؛ فكان حينَئذٍ في حالِ قُربٍ مِن اللهِ، وجَهَر بذلك في ذلك الجَمعِ؛ لأنَّه عَقِبَ الانتهاءِ مِن أَقدَسِ واجبٍ وهو الدَّعوةُ إلى الدِّينِ؛ فهو ابتِهالٌ أَرْجى للقَبولِ. ونَظيرُ ذلك دُعاؤُه عِندَ الانتهاءِ مِن بِناءِ أساسِ الكعبةِ المَحْكيِّ في قَولِه تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ إلى قَولِه: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ إلى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1] [البقرة: ١٢٧ - ١٢٩].

- ولفظُ ﴿الصَّالِحِينَ﴾ يَعُمُّ جميعَ الصَّالِحينَ مِنَ الأنبياءِ والمُرسَلينَ؛ فيَكونُ قد سأل بُلوغَ دَرَجاتِ الرُّسُلِ أُولي العَزمِ نُوحٍ وهُودٍ وصَالحٍ والشُّهداءِ والصَّالِحينَ، فجَعَل الصَّالِحينَ آخِرًا؛ لأنَّه يَعُمُّ؛ فكان تَذْييلًا[2].

١٥- قولُه تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ﴾ إضافةُ ﴿لِسَانَ﴾ إلى ﴿صِدْقٍ﴾ مِن إضافةِ المَوصوفِ إلى الصِّفةِ؛ ففيه مُبالَغةُ الوَصفِ بالمصدرِ، أي: لِسانًا صادِقًا. و(الصِّدقُ) هنا كِنايةٌ عنِ المَحبوبِ المَرغوبِ فيه؛ لأنَّه يُرغَبُ في تَحقُّقِه ووُقوعِه في نفْسِ الأمرِ[3].

١٦- قولُه تعالى: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ سَأل المَغفرةَ لأبيه قبْلَ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٤٤، ١٤٥).
(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٤٥).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٤٦).

سؤالِ ألَّا يُخزيَه اللهُ يومَ القِيامةِ؛ لأنَّه أرادَ ألَّا يَلحَقَه يومَئذٍ شَيءٌ يَنكسِرُ منه خاطِرُه، وقد اجتَهَد في العملِ المُبلِّغِ لذلك، واستَعانَ اللهَ على ذلك، وما بَقِيَتْ له حَزازةٌ إلَّا حَزازةُ كُفْرِ أبيه، فسَألَ المغفرةَ له؛ لأنَّه إذا جِيءَ بأبيه مع الضَّالِّينَ لَحِقَه انكِسارٌ، ولو كان قد استُجيبَ له بقيَّةُ دَعَواتِه؛ فكان هذا آخِرَ شَيءٍ تَخوَّفَ منه لَحاقَ مَهانةٍ نفْسيَّةٍ مِن جِهةِ أصْلِه لا مِن جهةِ ذاتِه[١].

- قولُه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ تَعليلٌ لطلَبِ المغفرةِ لأبيه، وفيه إيماءٌ إلى أنَّه سألَ له مَغفرةً خاصَّةً، وهي مغفرةُ أكبَرِ الذُّنوبِ، أي: الإشراكِ باللهِ، وهو سؤالٌ اقتضاهُ مَقامُ الخُلَّةِ، وقد كان أبوه حيًّا حينَئذٍ. ولعلَّ إبراهيمَ عليه السَّلامُ عَلِمَ مِن حالِ أبيه أنَّه لا يُرجَى إيمانُه بما جاء به ابنُه، أو أنَّ اللهَ أوْحَى إليه بذلك. ويجوزُ أنَّه لم يَتقرَّرْ في شَرْعِ إبراهيمَ حينَئذٍ حِرمانُ المشركينَ مِن المغفرةِ؛ فيكون ذلك مِن معنى قولِه تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤]. ويجوزُ أنْ يكونَ طلبُ الغُفرانِ له كِنايةً عن سَببِ الغُفرانِ، وهو هِدايتُه إلى الإيمانِ[٢].

١٧- قولُه تعالى: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾

- قولُه: ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ فيه إضمارٌ قبْلَ الذِّكرِ -حيثُ لم يُذْكَرِ المَبعُوثونَ قبْلُ-؛ لِما في عُمومِ البَعثِ مِنَ الشُّهرةِ الفاشيةِ المُغْنِيةِ عنه[٣].

١٨- قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ...﴾ على القولِ بأنَّه مِن كلامِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ؛ فيَكونُ بدَلًا مِن ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾؛ جِيءَ به تأكيدًا للتَّهويلِ،

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٤٦).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٤٧).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٦/ ٢٥٠).

وتَمهيدًا لِما يَعقُبُه مِنَ الاستِثناءِ، وهو مِن أَعَمِّ المَفاعيلِ، وقُصِد به إظهارُ أنَّ الالتِجاءَ في ذلك اليَومِ إلى اللهِ وحْدَه، ولا عَوْنَ فيه بما اعتادَه النَّاسُ في الدُّنيا مِن أسبابِ الدَّفعِ عن أنفُسِهم. وقيل: إنَّ الآياتِ الَّتي أوَّلُها: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ﴾ إلى قَولِه: ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٢] مُنقطِعةٌ عن كلامِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ، وهي إخبارٌ مِنَ اللهِ تعالى صِفةً لليَومِ الَّذي وقَفَ إبراهيمُ عِندَه في دُعائِه ألَّا يُخزَى فيه؛ فيَكونُ: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ﴾ استِئنافًا خبرًا لمُبتدأٍ مَحذوفٍ تَقديرُه: هو يومٌ لا يَنفَعُ مالٌ ولا بَنونَ. ويَظهَرُ على هذا الوجهِ أن يَكونَ المُرادُ بـ﴿مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ الإشارةَ إلى إبراهيمَ عليه السَّلامُ؛ لأنَّ اللهَ تعالى وصَفَه بمِثلِ هذا في آيةِ سورةِ (الصَّافَّاتِ)، في قَولِه: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾، أي: شيعةِ نُوحٍ ﴿لَإِبۡرَٰهِيمَ * إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ﴾[1] [الصافات: ٨٣، ٨٤].

- والاقتِصارُ على المالِ والبَنِينَ في نَفْيِ النَّافِعِينَ جرَى على غالبِ أحوالِ القَبائلِ في دِفاعِ أحدٍ عن نفْسِه بأنْ يُدافِعَ إمَّا بفِدْيةٍ وإما بنَجْدةٍ (وهي النَّصرُ)؛ فالمالُ وسيلةُ الفِديةِ، والبَنونَ أحَقُّ مَن يَنصُرونَ أباهُم، واقتَضى ذلك أنَّ انتِفاءَ نَفْعِ ما عدَا المالَ والبَنِينَ مِن وسائلِ الدِّفاعِ حاصِلٌ بالأَوْلى؛ بحُكمِ دَلالةِ الاقتِضاءِ[2] المُستنِدةِ إلى العُرْفِ؛ فالكلامُ مِن قَبيلِ الاكتِفاءِ[3].

- وحُذِف مَفعولُ ﴿يَنفَعُ﴾؛ لقَصدِ العُمومِ، كحَذفِه في قَولِه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥] أي: يَدْعو كلَّ أحَدٍ؛ فتَحصَّلَ أنَّ التَّقديرَ:

---

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٤٧).

(٢) دلالةُ الاقتِضاءِ: هي دَلالةُ اللفظِ على مقصودٍ محذوفٍ لا بدَّ مِن تقديرِه؛ لتوقُّفِ الصِّدقِ أو الصِّحةِ عليه. يُنظر: ((إجابة السائل شرح بغية الآمل)) لابن الأمير (ص: ٣٥٥)، ((مذكرة في أصول الفقه)) للشنقيطي (ص: ٢٨٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٤٨).

يومَ لا ينفعُ أحدًا شيءٌ يأتي به للدَّفعِ عن نفْسِه(١).

١٩- قولُه تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

- السَّليمُ هو السَّالمُ، وجاء على هذا المثالِ لأنَّه للصِّفاتِ، كالطويلِ والقصيرِ والظريفِ، فالسليمُ: القلبُ الذي قد صارتِ السَّلامةُ صفةً ثابتةً له، كالعليمِ والقديرِ، وأيضًا فإنَّه ضدُّ المريضِ والسَّقيمِ والعليلِ(٢).

- وفي قولِه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا ...﴾ إلى قولِه: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ قابَلَ إبراهيمُ عليه السَّلامُ في دُعائِه النِّعَمَ الخمسَ الَّتي أنعمَ اللهُ بها عليه المَذكورةَ في قَولِه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ إلى قَولِه: ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٨- ٨٢] الرَّاجعةَ إلى مَواهِبَ حِسِّيَّةٍ، بسُؤالِ خَمسِ نِعَمٍ راجعةٍ إلى الكَمالِ النَّفْسانيِّ، كما أَوْمأَ إليه قَولُه: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩]، وأَقحَمَ بيْن طلَباتِه سُؤالَه المَغفرةَ لأبيهِ؛ لأنَّ ذلك داخِلٌ في قَولِه: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾(٣) [الشعراء: ٨٧].

- وفي الآياتِ مِن قَولِه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ إلى قَولِه: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧٨- ٨٩] أنواعٌ شَتَّى من البَلاغةِ:

منها: حُسْنُ النَّسَقِ(٤)؛ فإنَّه قَدَّم الخَلْقَ الَّذي يَجِبُ تقديمُ الاعتِدادِ به مِنَ

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٤٩).

(٢) يُنظر: ((إغاثة اللهفان)) لابن القيم (١/ ٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٤٥).

(٤) حُسنُ النَّسَق: هو عبارةٌ عن أن يأتيَ المتكلِّمُ بالكلماتِ مِن النثرِ والأبياتِ مِن الشِّعرِ مُتتالياتٍ مُتلاحِماتٍ تلاحُمًا سليمًا مستحسَنًا، لا مَعيبًا مستهجنًا، وأن تكونَ كلُّ واحدةٍ منها قابلةً لأنْ تَستقِلَّ بنفْسِها لو أُفرِدَتْ. يُنظر: ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٤/ ٣٦٤)، ((البلاغة العربية)) لعبد الرحمن حَبَنَّكَة الميداني (٢/ ٤٦٢).

الخالقِ على المَخلوقِ، واعترافِ المَخلوقِ بنِعمتِه؛ فإنَّه أوَّلُ نعمةٍ، وفي إقرارِ المخلوقِ بنِعمةِ الإيجادِ مِنَ العدَمِ إقرارُه بقُدرةِ الخالقِ على الإيجادِ والاختراعِ وحِكمتِه، ثمَّ ثَنَّى بنِعمةِ الهِدايةِ الَّتي هي أَوْلى بالتَّقديمِ بعْدَ نِعمةِ الإيجادِ مِن سائرِ النِّعَمِ، ثمَّ ثلَّثَ بالإطعامِ والإسقاءِ اللَّذَينِ هُمَا مادَّةُ الحياةِ، وبهما مِنَ اللهِ استِمرارُ البقاءِ إلى الأجَلِ المَحْتومِ، وذَكَر المرضَ وأسنَدَه إلى نفْسِه؛ أدبًا مع ربِّه، ثمَّ أَعقَبَ ذِكرَ المرضِ بذِكرِ الشِّفاءِ مُسندًا ذلك الى ربِّه، ثمَّ ذَكَر الإماتةَ مُسنِدًا فِعلَها الى ربِّه؛ لتَكميلِ المدحِ بالقُدرةِ المُطْلَقةِ على كلِّ شيءٍ مِنَ الإيجادِ والإعدامِ، ثمَّ أَردَفَ ذِكرَ المَوتِ بذِكرِ الإحياءِ بعدَ الموتِ، وفيه -مع الإقرارِ بهذه النِّعمةِ، والاعتِرافِ بالقُدرةِ- الإيمانُ بالبعثِ، وكلُّ هذه المعاني جُمَلُ ألفاظِها مَعطوفٌ بعضُها على بعضٍ بحُروفٍ مُلائِمةٍ لمعاني الجُمَلِ المَعطوفةِ.

ومنها: صِحَّةُ التَّقسيم[1]؛ فقد استَوعبَتْ هذه الآياتُ أقسامَ النِّعَمِ الدُّنْيَويَّةِ والأُخْرَويَّةِ؛ مِنَ الخَلْقِ والهِدايةِ، والإطعامِ والإسقاءِ، والمرضِ والشِّفاءِ، والموتِ والحياةِ، والإيمانِ بالبعثِ، وغُفرانِ الذَّنبِ[2].



(١) صِحَّةُ التَّقسيم: وهو أنْ يَستوعِبَ الكلامُ جميعَ أقسامِ المعنى الذي أخَذ المتكلِّمُ فيه. يُنظر: ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٥/ ٣٥٥، ٤٥٧).

(٢) يُنظر: ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٧/ ٩١، ٩٢).

الآيات (٩٠-١٠٤)

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ
﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ
أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ
أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾.

غَريبُ الكَلِماتِ:

﴿وَأُزْلِفَتِ﴾: أي: قُرِّبَت وأُدنِيَت، وأصلُ (زلف): يدُلُّ على اندِفاعٍ وتقَدُّمٍ في قُربٍ إلى شَيءٍ[١].

﴿وَبُرِّزَتِ﴾: أي: أُظهِرَت وكُشِفَت، والبَرازُ: الفَضاءُ، وأصلُ (برز): يدُلُّ على ظُهورِ الشَّيءِ[٢].

﴿ٱلْجَحِيمُ﴾: أي: النارُ، والجُحْمةُ: شِدَّةُ تأجُّجِ النَّارِ، والجاحِمُ: المكانُ الشديدُ الحرِّ، وبذلك سُمِّيت الجحيمُ، وأصلُ (جحم): الحرارةُ وشِدَّتُها[٣].

﴿لِلْغَاوِينَ﴾: أي: للضَّالِّينَ والكافِرين، والغَيُّ: جَهلٌ مِن اعتقادٍ فاسِدٍ، والانهماكُ

---

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣١٨)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٢١)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٣١٩)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٦٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٧)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١١٨)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٢١٨).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣٧٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٤٢٩)، ((مجمل اللغة)) لابن فارس (ص: ١٧٧)، ((المفردات في غريب القرآن)) للراغب (ص: ١٨٧).

في الباطلِ، وأصلُ (غوي): يدُلُّ على خِلافِ الرُّشدِ، وإظلامِ الأمرِ[1].

﴿فَكُبْكِبُواْ﴾: أي: جُمِعوا وطُرِحوا، والكَبْكَبةُ: تَدَهْورُ الشَّيءِ في هُوَّةٍ، وأصلُ الكبِّ: إسقاطُ الشَّيءِ على وجْهِه[2].

﴿يَخْتَصِمُونَ﴾: أي: يختَلِفون ويَتنازَعون، وأصلُ (خصم): يدُلُّ على مُنازَعةٍ[3].

﴿شَٰفِعِينَ﴾: الشَّفاعةُ: الانْضِمامُ إلى آخَرَ نُصْرةً له، وسؤالًا عنه، وشَفَعَ لِفُلانٍ: إذا جاء مُلتَمِسًا مَطْلَبَه، ومُعِينًا له؛ فأصلُ الشَّفْعِ: ضَمُّ الشَّيءِ إلى مِثلِه[4].

﴿حَمِيمٍ﴾: أي: قَريبٍ مُشفِقٍ، وهو أخصُّ مِن الصَّديقِ، وحميمُ الرَّجُلِ: خاصَّتُه، مِنْ (حَمَّ): إذا دنا وقَرُبَ، وأصلُ (حمم) هنا: الدنوُّ والحضورُ[5].

﴿كَرَّةً﴾: أي: رَجعةً إلى الدُّنيا، مِنَ الكَرِّ: وهو الرُّجوعُ[6].

المعنى الإجماليُّ:

يقولُ تعالى مُبيِّنًا مَشهدًا من مَشاهدِ يوم القيامةِ: وقُرِّبتِ الجنَّةُ يومَ القيامةِ للمُتَّقينَ، وأُظهِرَت النَّارُ للضالِّين عن الحَقِّ، وقيل لهم: أين ما كنتُم تَعبُدون في

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٣٩٩)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٢٠)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ١٢١)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٦).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣١٨)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٧، ٥٩٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٩٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٨/ ٨٦)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ١٨٧).

(٤) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٢٠١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٥٧).

(٥) يُنظر: ((مجاز القرآن)) لأبي عبيدة (٢/ ١٩٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٢٣)، ((الغريبين)) للهروي (٢/ ٤٩٧)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٥٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٥).

(٦) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٦٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٠٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٦).

الدُّنيا مِن دونِ الله تعالى، هل يَدفَعون عنكم أو عن أنفُسِهم عذابَ اللهِ؟!

فطُرِحوا في جهنَّمَ جَميعًا: المعبودون، والعابِدون، وأتباعُ إبليسَ. وقال العابِدون لمَعبوديهم في النَّارِ وهم يختَصِمون: واللهِ قد كنَّا في الدُّنيا في ضَلالٍ واضِحٍ عن الحَقِّ حينَ سوَّيْناكم بربِّ العالَمينَ فعَبَدْناكم، وما أغْوانا عن الهُدى إلَّا الضَّالُّون، فما لنا مِن شُفَعاءَ يَشفَعون لنا، ولا صديقٍ خالصِ الوُدِّ، فلو أنَّ لنا رُجوعًا إلى الدُّنيا فنُؤمِنَ بالله! إنَّ في ذلك لَعِظةً وعِبرةً، وما كان أكثَرُهم مؤمِنين، وإنَّ ربَّك -يا مُحمَّدُ- لهو العزيزُ القاهِرُ لأعدائِه، الرَّحيمُ بعبادِه.

تَفسيرُ الآياتِ:

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾.

أي: وقُرِّبتِ الجنَّةُ يومَ القيامةِ للذين اتَّقَوا عذابَ اللهِ في الدُّنيا؛ بفِعلِ أوامِره، واجتِنابِ نواهيه[1].

كما قال تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ [ق: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ [التكوير: ١٣].

﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ ﴾.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٧)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٤٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥١).
قال القرطبي: (قوله تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أي: قُرِّبت وأُدنِيتْ ليَدخُلوها). ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٥).
وقال ابن عاشور: (والمعنى: أنَّ المتَّقينَ يجِدون الجنَّةَ حاضِرةً، فلا يَتجشَّمون مشقَّةَ السَّوقِ إليها). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥١).
وقال الزجاج: (وقوله: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ معناه قُرِّبَتْ، وتأويلُه أنَّه قرُبَ دُخولُهم إيَّاها، ونظَرُهم إليها). ((معاني القرآن وإعرابه)) (٤/ ٩٤).

أي: وأُظهِرَت النَّارُ يومَ القيامةِ للذين ضَلُّوا في الدُّنيا عن الحَقِّ[١].

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ...﴾.

أي: وقيل للغاوينَ توبيخًا لهم: أين مَعبوداتُكم التي كنتُم تعبُدونَها في الدُّنيا مِن دونِ اللهِ، وتزعُمونَ أنَّها تنفَعُكم وتشفَعُ لكم[٢]؟!

﴿... هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

أي: هل تُنقِذُكم مَعبوداتُكم مِن عذابِ اللهِ، أو تُنقِذُ أنفُسَها منه[٣]؟!

﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾﴾.

أي: فطُرِح في جهنَّمَ المعبودونَ وعابِدوهم بعضُهم على بعضٍ[٤].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٧)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٥، ١١٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٣).

قال القرطبي: (أي: تظهَرُ جهنَّمُ لأهلِها قبْلَ أن يَدخُلوها حتى يَستشعِروا الرَّوعَ والحَزَنَ، كما يستشعِرُ أهلُ الجنَّةِ الفَرَحَ لِعلمِهم أنَّهم يَدخلونَ الجنَّةَ). ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٧)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٥٩)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٥٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٠)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥١)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٧)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٧، ٥٩٨)، ((معاني القرآن)) للزجاج (٤/ ٩٤)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٢).

قال ابن عاشور: (قال: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا﴾، أي: كُبْكِبت الأصنامُ في جهنَّمَ. ومعنى ﴿فَكُبْكِبُوا۟﴾: كُبُّوا فيها كَبًّا بعدَ كَبٍّ، فإنَّ «كُبكِبوا» مُضاعَفُ «كُبُّوا» بالتكريرِ، وتكريرُ اللَّفظِ مفيدٌ تكريرَ المعنى). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٢).

وقال ابنُ عثيمينَ: (قولُه: ﴿فَكُبْكِبُوا۟﴾ بمعنى: أُلقُوا، ولكِنَّ هذا التَّكرارَ يدُلُّ على معنًى أدَقَّ =

قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ * لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨، ٩٩].

﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

أي: وطُرِحَ في جهنَّمَ جَميعُ مَن كانوا أعوانًا وأتباعًا لإبليسَ في الدُّنيا من الإنسِ والجِنِّ[(١)].

كما قال تعالى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨].

﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

أي: قال أهلُ النَّارِ لِمَعبوداتِهم وهم في النَّارِ يتخاصَمونَ، ويجادِلُ بعضُهم بعضًا[(٢)].

= من الإلقاءِ فقط، يعني: كأنهم يُكَبُّون فيها على وجوهِهم، وأيضًا بدون ترتيبٍ، وبدونِ نظامٍ، كأنَّما يُحْثَون حَثْيًا -والعياذُ بالله- ويُلقَوْن!). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٦٢).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٨)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٧٩٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٢).

قال ابن عثيمين: (ولكِنْ قولُه: ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ هذا، هل هو من بابِ عطفِ المتغايرينِ، وأنَّ الغاويَ ليس مِن جنودِ إبليسَ، أم أنَّه من بابِ عَطفِ المترادِفَينِ؟

نقولُ: الأصلُ في العطفِ التغايرُ، والظاهِرُ أنَّ الغاويَ هو الفاسِدُ في نفْسِه، وأنَّ جنودَ إبليسَ على اسمِهم جنودٌ يَنصُرونَه ويَدْعون لِما يَدْعو إليه). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٦٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٩)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٧٩٢)، ((تفسير =

﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ ﴾.

أي: واللهِ إنَّنا كُنَّا في الدُّنيا في ذَهابٍ واضحٍ عن الحَقِّ[1].

﴿ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾.

أي: حينَ سوَّيْناكم برَبِّ العالَمينَ، فعَبَدْناكم وأطَعْناكم كما يُعبَدُ اللهُ ويُطاعُ[2].

﴿ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾.

أي: وما صرَفَنا وأغوانَا عن الحَقِّ إلَّا الضالُّونَ[3].

= السمعاني)) (٤/ ٥٦)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٦٤).

قال ابن جرير: (يقول تعالى ذِكرُه: قال هؤلاء الغاوونَ والأندادُ التي كانوا يعبدونَها مِن دُونِ الله، وجنودُ إبليسَ، وهم في الجحيمِ يختَصِمون). ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٩). ويُنظر: ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٣).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٩)، ((البسيط)) للواحدي (١٧/ ٧٩)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٩)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٣، ١٥٤).

قال ابنُ القيم: (مِن المعلومِ أنَّهم إنَّما سَوَّوْهم به سبحانَه في الحُبِّ والتألُّه والعبادةِ، وإلَّا فلمْ يقُلْ أحَدٌ قطُّ: إنَّ الصَّنمَ أو غيرَه مِن الأندادِ مساوٍ لربِّ العالَمينَ في صفاتِه وفي أفعالِه، وفي خلقِ السَّمواتِ والأرض، وفي خَلقِ عبادِه أيضًا! وإنَّما كانت التسويةُ في المحبَّةِ والعبادةِ). ((جلاء الأفهام)) (ص: ٤٤٩). ويُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٧/ ٧٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٩٩)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٧٩٢)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٤).

قال ابنُ عثيمين بعدَ أن ذكَر المعنيَينِ المحتملينِ للآيةِ: أنَّ المرادَ بالمجرمينَ: الشياطينُ، أو الأوَّلونَ الذين اقتدَوا بهم، قال: (لا يَبعُدُ أن يُرادَ بالآياتِ المعنيانِ جميعًا؛ فإنَّهم ضَلُّوا بأمْرين: الأوَّل: بمَن يَدْعونهم -وهم أحياءٌ- إلى الضَّلال. =

كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ [الأحزاب: ٦٧].

وقال سُبحانَه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ﴾ [سبأ: ٣٣].

﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ ﴾.

أي: فما لنا مِن شُفَعاءَ يَشفَعونَ لنا عندَ اللهِ؛ لِيَعفوَ عنَّا، ويُخرِجَنا مِنَ النَّارِ[1]!

﴿ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ١٠١ ﴾.

أي: ولا صديقٍ، مُشفِقٍ، صادِقٍ في وُدِّه[2].

﴿ فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٢ ﴾.

أي: فلو أنَّ لنا رَجعةً إلى الدُّنيا فنُؤمِنَ بالله ونعمَلَ بطاعتِه، فنَسلَمَ مِن عقابِ

= والثاني: بمَن يقلِّدونهم، وهؤلاء مِن الأمواتِ). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٧١).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠٠)، ((الهداية)) لمكي (٨/ ٥٣٢٦)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠٠)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٣).

قال البقاعي: (ولَمَّا كان الصَّديقُ قد لا يكونُ أهلًا لأنْ يَشفَعَ، قالوا تأسُّفًا على أقَلِّ ما يمكِنُ: ﴿وَلَا صَدِيقٍ﴾ أي: يَصدُقُ في وُدِّنا؛ ليفعَلَ ما ينفَعُنا، ولَمَّا كان أصدَقَ الصَّداقةِ ما كان مِن القريبِ، قال: ﴿حَمِيمٖ﴾ أي: قريبٍ، وأصلُه المُصافي الذي يُحرِقُه ما يُحرِقُك). ((نظم الدرر)) (١٤/ ٥٩).

وقال السعدي: (﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ﴾ أي: قريبٍ مُصافٍ ينفَعُنا بأدنى نفعٍ، كما جرَتِ العادةُ بذلك في الدُّنيا). ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٣).

الآخرةِ، ونَستحِقَّ ثوابَها(١)!

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾.

أي: إنَّ في ذلك المذكورِ مِن قِصَّةِ إبراهيمَ وقَومِه لَعِظةً وعِبرةً ودَلالةً واضِحةً على توحيدِ اللهِ وبُطلانِ الشِّركِ، وأنَّ اللهَ يعَذِّبُ يومَ القيامةِ مَن أشرَكَ به(٢).

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

أي: ولم يكُنْ أكثَرُهم(٣) مؤمنينَ بتوحيدِ اللهِ، مع وضوحِ المُعجِزاتِ، ونُزولِ الآياتِ(٤).

كما قال تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠٠)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠١)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٠٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٦).

(٣) قيل: المرادُ بهم: قومُ إبراهيمَ. وهو ظاهرُ اختيارِ البيضاوي، والبقاعي، والقاسمي، وابنِ عاشور. يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٣)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٦٠)، ((تفسير القاسمي)) (٧/ ٤٦٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٦).

قال الرازي: (والأكثرونَ مِن المفسِّرينَ حمَلوه على قومِ إبراهيمَ). ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥١٩).

وقيل: المرادُ بهم: مَن كانوا في عهدِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وهم: قريشٌ ومَن دانَ بدينِهم. وممَّن قال بذلك: الشوكانيُّ، وابنُ عثيمين. يُنظر: ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٨٠).

(٤) يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٧١)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٠٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٦).

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤﴾.

أي: وإنَّ رَبَّك -يا مُحمَّدُ- لهو العزيزُ القاهِرُ الغالِبُ، المنتَقِمُ مِن أعدائِه، الرَّحيمُ بعبادِه فلا يُعاجِلُهم بعذابِه، ومِن رحمتِه أنَّه يُرسِلُ رُسُلًا، ويُنزِلُ معهم ما يُبيِّنُ به ما يُرضيه وما يُسخِطُه، فلا يُهلِكُ قومًا إلَّا بعْدَ إعذارِهم، ومِن رحمتِه أنَّه يُنجي أتْباعَ رُسُلِه(١).

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:

١- في قَولِه تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ * وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ فرَّقَ اللهُ سُبحانَه وتعالى بيْنَ التَّعبيرَينِ في إزلافِ الجنةِ وإظهارِ النارِ، وهو دليلٌ على أنَّ الرحمةَ سبقتِ الغضبَ؛ لأنَّ الجنةَ تُدنَى للمؤمنينَ، أمَّا أولئك فتَظْهَرُ لهم، فيَرَوْنها مِن بعيدٍ، ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢]؛ لأجْلِ أنْ يكونوا في خَوفٍ وذُعْرٍ مِن قَبْلِ أنْ يَصِلوا إليها(٢). ففي اختلافِ الفِعلينِ ترجيحٌ لجانبِ الوعدِ على الوعيدِ؛ حيثُ قال في حقِّ المتَّقين: ﴿وَأُزْلِفَتِ﴾ أي: قُرِّبَت، وفي حقِّ الغاوين: ﴿وَبُرِّزَتِ﴾ أي: أُظهِرَت، ولا يلزَمُ مِن الظهورِ القُربُ(٣).

٢- في قَولِه تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ * وَقِيلَ لَهُمْ﴾ دليلٌ على التَّعذيبِ البدنيِّ والقلبيِّ لأصحابِ النارِ؛ البَدَني: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾، والقَلبي: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾(٤).

٣- في قَولِه تعالى: ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ أنَّ هذه الأصنامَ تُلْقَى في جهنَّمَ، كما

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠١)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٥٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٦)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٦٠، ٦١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٦١).

(٣) يُنظر: ((تفسير الشربيني)) (٣/ ٢١).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٦١).

في قَولِه تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، لكنْ إذا كان الذي يُعبَدُ مِن دونِ اللهِ ممَّا كُلِّفَ، فإنْ رَضِيَ بعبادتِهم فهو معهم، وإنْ لم يَرضَ فقد قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١] أي: لا يَدخُلون النارَ(١).

٤- قولُه تعالى: ﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ إذا قيل: ما فائدةُ إدخالِ الأصنامِ النَّارَ معَ أنَّها لا تفهمُ؟

فالجواب: أنَّ في ذلك إهانةً لعابديها؛ ففيه مِن الإهانةِ، وبيانِ أنهَّا لا تنفَعُ ما هو ظاهرٌ(٢).

٥- في قَولِه تعالى: ﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ جنودُ إبليسَ هم الذين يَتَّبِعونه، ويُغوونَ الناسَ، فكلُّ مَن سعَى في إغواءِ الناسِ، والإفسادِ بيْنَهم، فهو مِن جنودُ إبليسَ، ومعلومٌ أنَّ جنودَ إبليسَ على عكسِ جنودِ الرحمنِ؛ فجنودُ الرحمنِ يَدْعُون إلى الخَيرِ، ويأمُرون بالمعروفِ، ويَنهَون عن المنكَرِ، وأولئك يَدْعُون إلى الشَّرِّ، ويأمُرون بالمنكَرِ، ويَنهَون عن المعروفِ، وفي هذا دليلٌ على أنَّ كلَّ مَن نَصَرَ أحدًا فهو مِن جُنودِه، ولو بالاتِّباعِ؛ فإنَّه يكونُ مِن جُندِه؛ ولهذا قال النَّبيُّ عليه الصلاةُ والسلامُ: ((المرءُ معَ مَن أَحَبَّ))(٣)، ومَن أحبَّ شخصًا أطاعَه واتَّبعه، فمَنِ اتَّبَعَ الشيطانَ لم يكُنْ مِن أتْباعِه فحَسْبُ، بل مِن جنودِه المُناصرِين له؛ لِقَولِه: ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾؛ وذلك لأنَّ المُتَّبِعَ للشَّخصِ مُقَوٍّ له، وناصرٌ له، وناشرٌ لِمَا يريدُ، فيكون كالجُنديِّ المُسَخَّرِ له(٤).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٦٠).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ١٦١).

(٣) رواه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص:١٦٢، ١٦٣).

٦- في قَولِه تعالى: ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ دليلٌ على نَدَم أهلِ النار ندمًا عظيمًا، حينَ قالوا وهم يختَصِمون -يُخاصِمُ بعضُهم بعضًا: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾، وهنا أقسموا وأكَّدوا: ﴿تَٱللَّهِ﴾ قَسَمٌ، ﴿إِن كُنَّا﴾ إنْ مخففةٌ مِن الثقيلةِ، وتفيدُ التوكيدَ، واللامُ في ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ كذلك[١].

٧- في قَولِهم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ فيه نفيُ تشبيهِ المخلوقِ بالخالقِ، وأنَّ اللهَ تبارك وتعالى لا شَبيهَ له[٢]، فقد اعترَفوا أنَّهم كانوا في أعظمِ الضلالِ وأبيَنِه، إذْ جعَلوا للهِ شبهًا وعِدْلًا مِن خلْقِه، سوَّوْهم به في العبادةِ والتعظيم[٣].

٨- في قَولِهم: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ إشارةٌ إلى بيانِ الضَّلالِ؛ إذ لا يمكنُ التسويةُ بيْنَ مَن هذا وصْفُه «ربُّ العالَمينَ» وبيْنَ مَن لم يَستحِقَّ من هذا الوَصفِ شيئًا، وهذه الأصنامُ لا تستحِقُّ وصفًا مِن الرُّبوبيَّةِ إطلاقًا، فضلًا عنِ الرُّبوبيَّةِ العامَّةِ لجَميعِ العالَمينَ[٤].

٩- قال بعضُ العُلَماءُ: (في سورةِ الشُّعراءِ ثلاثُ آياتٍ مُتوالياتٍ رَدٌّ على ثلاثِ فِرَقٍ: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ ردٌّ على المشَبِّهةِ[٥]، ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٦٨).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ١٦٨، ١٦٩).

(٣) يُنظر: ((إغاثة اللهفان)) لابن القيم (٢/ ٢٣٠).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٦٨).

(٥) المشبهةُ: هُمُ الذين يُشَبِّهونَ الخالِقَ سبحانَه بالمخلوقِ، وهم صنفانِ: صنفٌ شبَّهوا ذاتَ الباري بذاتِ غيرِه، وصنفٌ آخرونَ شبَّهوا صِفاتِه بصِفاتِ غيرِه! يُنظر: ((الفَرْق بين الفِرَق)) لعبد القاهر البغدادي (ص: ٢١٤)، ((شرح الطحاوية)) لابن أبي العز (١/ ٨٤).

ردٌّ على المُجبرةِ[(١)]، ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ ردٌّ على المُرجِئة[(٢)].

١٠- قولُهم: ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ يُستفادُ منه سَبُّ هؤلاء بعضِهم بعضًا؛ لقَولِه تعالى: ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾، فهذا قَدْحٌ فيهم مِن جهةِ أنَّهم أضَلُّوهم، ومِن جهةِ أنَّهم مُجرِمون[(٣)].

١١- قولُهم: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ يُؤخَذُ منه انتفاءُ الشَّفاعةِ عن المكذِّبين للرُّسُلِ؛ وأنَّه لا يُشفَعُ لهم[(٤)].

١٢- في قَولِه تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ دليلٌ على أنَّ اللهَ جلَّ جلالُه يُشَفِّعُ غيرَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؛ قومًا مِن المؤمنين بعضَهم في بعضٍ، وأنَّ الصَّديقَ يَشفَعُ لصديقِه[(٥)]، فالآيةُ فيها إثباتُ الشَّفاعةِ للمؤمنينَ، ويُؤخَذُ مِن قَولِهم: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾، فنَفَوا أنْ يكونَ لهم شافِعون، ومفهومُ هذا أنَّ المؤمنينَ لهم شفاعةٌ، كأنَّهم لَمَّا رأَوْا أنَّ المؤمِنينَ يَشفعونَ بعضُهم لبعضٍ، قالوا: نحنُ ما لنا مِن شافِعين، ولا صديقٍ حَميمٍ[(٦)].

---

(١) المجبرةُ أو الجبريَّةُ أو القدريَّةُ المجبرةُ، وهم غلاةُ الجهميَّةِ الذين يقولون: إنَّ العبدَ مجبورٌ على أفعالِه، فلا فعلَ له، ولا اختيارَ! وهم أصنافٌ متعدِّدةٌ. يُنظر: ((المِلَل والنِّحَل)) للشَّهْرَسْتاني (١/ ٨٥، ٨٦)، ((اعتقادات فرق المسلمين والمشركين)) للرازي (ص: ٦٧)، ((الدرر السنية في الأجوبة النجدية)) (١/ ٤٩٠)، ((الدرة البهية)) للسعدي (ص: ٢٤).

(٢) يُنظر: ((الإكليل في استنباط التنزيل)) للسيوطي (ص: ١٩٩).

والمرجئة: فرقةٌ كانت ترى تأخيرَ العمَلِ عن النيةِ والعَقدِ، ويقولون: لا تضرُّ مع الإيمانِ معصيةٌ، كما لا تنفَعُ مع الكفرِ طاعةٌ! يُنظر: ((الملل والنحل)) للشهرستاني (١/ ١٣٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٧١).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ١٧٣).

(٥) يُنظر: ((النكت الدالة على البيان)) للقصاب (٣/ ٥٣٠).

(٦) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٧٣).

١٣- قولُهم: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه دَليلٌ على النَّدَمِ البالغِ الذي يُصيبُ هؤلاء في ذلك اليومِ، وتمنِّيهم لو أنَّهم رجَعوا إلى الدنيا؛ لِقَولِه تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وهذا التمنِّي ليس بصحيحٍ؛ فإنَّهم لو رجعوا لَمَا كانوا مُؤمِنينَ، والدَّليلُ قولُه تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[1] [الأنعام: ٢٨].

١٤- في قَولِه تعالى إخبارًا عن أهلِ النَّارِ: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ دليلٌ على أنَّ مَن يَخلُدُ في النارِ فبِكُفرِه لا بذَنْبِه؛ إذ لو خُلِّد بذَنبِه لقالوا -واللهُ أعلَمُ: «فنكونَ مِن الصالِحينَ»، وهو ردٌّ على المعتزلةِ في بابِ الوَعيدِ[2].

١٥- قالوا: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ ولم يقولوا: (لَيْتَ)؛ لأنَّ المقامَ مَقامُ تذَلُّلٍ وخُضوعٍ، و (لو) للتمنِّي أقَلُّ مِن (ليت)؛ لأنَّ (ليت) صريحةُ الطَّلَبِ، و (لو) فيها نوعٌ مِن اللِّينِ والعَرْضِ، والمقامُ هنا يقتَضيه؛ لأنَّهم في مَقامِ ذُلٍّ -والعياذُ باللهِ- وخُضوعٍ، على أنَّه في سورةِ (الأنعامِ) يقولونَ: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧].

فيُقال: الجَمعُ بيْنَهما أنَّ لهم حالاتٍ؛ فأحيانًا يقولونَ بهذا، وأحيانًا يقولونَ بهذا، والظَّاهِرُ أنَّ (ليت) هي الأُولى، يعني: كأنَّه يكونُ بالأوَّلِ بعَزمٍ على التمَنِّي، ثمَّ إذا لم يحصُلْ لهم رجَعوا إلى الخُضوعِ والخُنوعِ والعَرْضِ[3].

بلاغةُ الآياتِ:

١- قولُه تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ عطْفٌ على ﴿لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾،

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٧٨).

(٢) يُنظر: ((النكت الدالة على البيان)) للقصاب (٣/ ٥٣١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٧٥، ١٧٦).

وصيغةُ الماضي فيه وفيما بعْدَه مِنَ الجُمَلِ المُنتظمةِ معه في سِلكِ العَطفِ: ﴿بُرِّزَتِ﴾ و﴿فَكُبْكِبُواْ﴾؛ للدَّلالةِ على تَحقُّقِ الوُقوعِ وتَقرُّرِه، وإنْ كان لم يَقَعْ، كما أنَّ صيغةَ المُضارعِ في المَعطوفِ عليه؛ للدَّلالة على استِمرارِ انتِفاءِ النَّفعِ ودَوامِه حسَبَما يَقتَضيه مَقامُ التَّهويلِ والتَّفظيعِ(١).

- وقيل: الظَّاهرُ أنَّ الواوَ في قَولِه: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ واوُ الحالِ، والعاملُ فيها: ﴿لَا يَنفَعُ مَالٌ﴾ [الشعراء: ٨٨]، أي: يومَ عدَمِ نَفْعِ مَن عَدَا مَن أتَى اللهَ بقلبٍ سليمٍ، وقد أُزلِفَتِ الجنَّةُ للمُتَّقينَ. والخروجُ إلى تَصويرِ هذه الأحوالِ شيءٌ اقتَضاهُ مَقامُ الدَّعوةِ إلى الإيمانِ بالرَّغبةِ والرَّهبةِ؛ لأنَّه ابتَدأَ الدَّعوةَ بإلقاءِ السُّؤالِ على قَومِه فيما يَعبُدونَ؛ إيقاظًا لبَصائرِهم، ثمَّ أعقَبَ ذلك بإبطالِ إلهيَّةِ أصنامِهم، والاستِدلالِ على عدَمِ استِئْهالِها الإلهيَّةَ بدليلِ التَّأمُّلِ، وهو أنَّها فاقدةٌ السَّمعَ والبَصرَ، وعاجزةٌ عنِ النَّفعِ والضُّرِّ، ثمَّ طالَ دليلَ التَّقليدِ الَّذي نَحا إليه قَومُه لَمَّا عَجَزوا عن تأييدِ دِينِهم بالنَّظرِ؛ فلمَّا نَهَضَتِ الحُجَّةُ على بُطلانِ إلهيَّةِ أصنامِهم، انتَصَبَ لبيانِ الإلهِ الحقِّ رَبِّ العالَمينَ، الَّذي له صِفاتُ التَّصرُّفِ في الأجسامِ والأرواحِ، تَصرُّفَ المُنعِمِ المُتوحِّدِ بشَتَّى التَّصرُّفِ، إلى أنْ يأتيَ تَصرُّفُه بالإحياءِ المؤبَّدِ، وأنَّه الَّذي نَطمَعُ في تَجاوُزِه عنه يَومَ البَعثِ، فلْيَعْلَموا أنَّهم إنِ استَغفَروا اللهَ عمَّا سَلَفَ مِنهم مِن كُفرٍ فإنَّ اللهَ يَغفِرُ لهم، وأنَّهم إنْ لم يُقْلِعوا عنِ الشِّركِ لا يَنفَعُهم شيءٌ يَومَ البعثِ، ثمَّ صَوَّرَ لهم عاقبةَ حالَيِ التَّقوى والغَوايةِ، بذِكرِ دارِ جزاءِ الخَيرِ، ودارِ جزاءِ الشَّرِّ(٢).

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٦٩)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥١).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٠).

٢- قولُه تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ﴾

- لمَّا كان قومُ إبراهيمَ عليه السَّلامُ مُستمرِّينَ على الشِّركِ، ولم يكنْ يَومَئذٍ أحدٌ مؤْمِنًا غَيرُه وغَيرُ زَوجِه وغَيرُ لوطٍ ابنِ أخيهِ- كان المَقامُ بذِكرِ التَّرهيبِ أجْدَرَ؛ فلذلك أطنَبَ في وَصْفِ حالِ الضَّالِّينَ يَومَ البَعثِ، وسُوءِ مَصيرِهم، حيثُ يَندَمونَ على ما فَرَّطوا في الدُّنيا مِنَ الإيمانِ والطَّاعةِ، ويَتَمنَّوْنَ أن يَعودوا إلى الدُّنيا ليَتَداركوا الإيمانَ، ولاتَ ساعةَ مَندَمٍ[١].

٣- قولُه تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ...﴾ فيه ذِكرُ ما يُقالُ للغاوِينَ؛ للإنحاءِ عليهم، وإظهارِ حَقارةِ أصنامِهم. وفي الاقتِصارِ على ذِكرِ هذا دُونَ غَيرِه ممَّا يُخاطَبونَ به يومَئذٍ مُناسَبةٌ لمَقامِ طلَبِ الإقلاعِ عن عِبادةِ تلك الأصنام. وأُسنِد فِعلُ القَولِ إلى غَيرِ مَعلومٍ؛ لأنَّ الغرَضَ تَعلَّقَ بمعرفةِ القَولِ لا بمعرفةِ القائلِ[٢].

- والاستِفهامُ في قَولِه: ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ﴾ على سَبيلِ التَّوبيخِ[٣]. وقيل: الاستِفهامُ في قَولِه: ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ﴾ استِفهامٌ عن تَعيينِ مكانِ الأصنام إنْ لم تكنْ حاضِرةً، أو عن عمَلِها إنْ كانت حاضرةً في ذلك المَوقفِ؛ تَنزيلًا لعدَمِ جَدْواها فيما كانوا يَأمُلونَه منها مَنزلةَ العدَمِ؛ تَهكُّمًا وتَوبيخًا وتَوقيفًا على الخَطأِ[٤].

٤- قولُه تعالى: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ﴾

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٠، ١٥١).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٥١).

(٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٢٢)، ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٣٨٤)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٦٩).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥١).

- قولُه: ﴿هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ﴾ سؤالُ تَقريعٍ وتَبكيتٍ، لا يُتوقَّعُ له جَوابٌ[1]؛ فالاستِفهامُ في قَولِه: ﴿هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ﴾ فيه إنكارُ أنْ تَكونَ الأصنامُ نُصَراءَ[2].

- وفي معنَى قَولِه: ﴿هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ﴾ التَّرقِّي والمُبالَغةُ، أي: كيف يُخلِّصونَكم مِن عذابِ النَّارِ؟! بل كيف يَقدِرونَ على خَلاصِ أنفُسِهم منها؟! فوُضِع ﴿يَنتَصِرُونَ﴾ -وهو مِن انتَصَرَ منه، أي: انتَقَمَ- مَوضِعَ الاستِخلاصِ؛ مُبالغةً وتَهكُّمًا[3].

٥- قولُه تعالى: ﴿فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ﴾

- قولُه: ﴿فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ﴾ الكَبْكَبةُ: تَكريرُ الكَبِّ، جُعِل التَّكريرُ في اللَّفظِ دليلًا على التَّكريرِ في المعنى، كأنَّ مَن أُلقِيَ في النَّارِ يَنكَبُّ مرَّةً بعْدَ أُخرى حتَّى يَستقِرَّ في قَعرِها[4].

- قولُه: ﴿هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ﴾ في تأخيرِ ذِكرِ الغاوينَ عن ذِكرِ آلِهَتِهم: رَمزٌ إلى أنَّهم يُؤَخَّرون عنها في الكَبْكَبةِ؛ ليُشاهِدوا سُوءَ حالِها؛ فيَزْدادوا غمًّا إلى غَمِّهم[5].

- وضمائِرُ ﴿يَنصُرُونَكُمۡ﴾... و: ﴿يَنتَصِرُونَ﴾... و: ﴿فَكُبۡكِبُواْ﴾ عائدةٌ إلى ﴿مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ﴾، بتَنزيلِها مَنزِلةَ العُقلاءِ[6].

٦- قولُه تعالى: ﴿وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ﴾

---

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥١).

(٣) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٣٨٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٢٢)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٢)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٧/ ٩٧).

(٥) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥١، ٢٥٢).

(٦) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٦٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٢).

- قولُه: ﴿أَجْمَعُونَ﴾ تأكيدٌ للضَّميرِ وما عُطِفَ عليه(١). وقيل: تأكيدٌ لـ ﴿وَجُنُودُ﴾ إنْ جُعِل مُبتدأً خبرُه ما بعْدَه، أو للضَّميرِ وما عُطِف عليه، وكذا الضَّميرُ المُنفصِلُ وما يَعودُ إليه(٢).

٧- قولُه تعالى: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ استِئنافٌ وقَعَ جوابًا عن سؤالٍ نشأَ مِن حِكايةِ حالِهم، كأنَّه قيل: ماذا قالوا حينَ فُعِل بهم ما فُعِل؟ فقيل:...(٣). ويَجوزُ أن يَكونَ هذا مِن حِكايةِ كلامِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ؛ أَطنَبَ به المَوعظةَ؛ لتَصويرِ هَوْلِ ذلك اليومِ؛ فتكونَ الجُملةُ حالًا، أو تَكونَ مُستأنَفةً استِئنافًا بيانيًّا. ويجوزُ أن يكونَ حِكايةُ كلامِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ انتهَتْ عِندَ قَولِه تعالى: ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ [الشعراء: ٩٥] أو عِندَ قَولِه تعالى: ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٨٧]، ويكونَ هذا الكلامُ مَوعظةً مِنَ الله للسَّامِعينَ مِنَ المُشركينَ، وتَعليمًا منه للمؤْمنينَ؛ فتكونَ الجملةُ استِئنافًا مُعترِضًا بيْنَ ذِكرِ القِصَّةِ والَّتي بعْدَها، وهو استِئنافٌ بيانيٌّ ناشِئٌ عن قَولِه: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا﴾ [الشعراء: ٩٤]؛ لأنَّ السَّامعَ بحيثُ يَسألُ عن فائدةِ إيقاعِ الأصنامِ في النَّارِ، مع أنَّها لا تَفْقَهُ ولا تُحِسُّ، فبُيِّنَ له ذلك(٤).

٨- قولُه تعالى: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

- قولُه: ﴿تَاللَّهِ﴾ جِيءَ في القَسمِ بالتَّاءِ دُونَ الواوِ والباءِ؛ لأنَّ التَّاءَ تَختَصُّ بالقَسَمِ في شيءٍ مُتعجَّبٍ منه؛ فهم يَعجَبونَ مِن ضلالِهم؛ إذ ناطوا آمالَهم المعونةَ والنَّصرَ بحجارةٍ لا تُغني عنهم شيئًا(٥)!

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥٢).
(٢) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٣)، ((حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي)) (٧/ ١٩).
(٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥٢).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٢، ١٥٣).
(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٥٣).

- وفي قولِهم: ﴿إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ أفادُوا تَمكُّنَ الضَّلالِ منهم باجتِلابِ حرفِ الظَّرفيَّةِ (في) المُفيدِ لمعنَى المُلابَسةِ؛ لأنَّ المَظروفَ شديدُ المُلابَسةِ لظَرفِه، وأكَّدوا ذلك بوَصفِهِمُ الضَّلالَ بـ (المُبينِ)، وفي هذا تَسفيهٌ منهم لأنفُسِهم؛ إذْ تَمشَّى عليها هذا الضَّلالُ الَّذي ما كان له أن يَروجَ على ذي مُسْكةٍ مِن عقلٍ[١].

- وأيضًا وصْفُهم للضَّلالِ بالوُضوحِ في قولِهم: ﴿لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾؛ للإشباعِ في إظهارِ ندَمِهم وتَحسُّرِهم، وبيانِ عِظَمِ خَطَئِهم في رأيِهم، مع وُضوحِ الحقِّ، كما يُنبِئُ عنه تَصديرُ قَسَمِهم بحرفِ التَّاءِ المُشعِرةِ بالتَّعجُّبِ[٢].

٩- قولُه تعالى: ﴿إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

- عُبِّرَ بصِيغةِ المُضارعِ ﴿نُسَوِّيكُم﴾؛ لاستِحضارِ الصُّورةِ الماضيةِ العجيبةِ حينَ يَتوجَّهون إلى الأصنامِ بالدُّعاءِ والنُّعوتِ الإلهيَّةِ[٣].

- والخِطابُ في ﴿نُسَوِّيكُم﴾ للأصنامِ على جِهةِ الإقرارِ، والاعتِرافِ بالحَقِّ، وللمُبالَغةِ في التَّحسُّرِ والنَّدامةِ؛ مِن تَوجيهِ المُتندِّمِ الخِطابَ إلى الشَّيءِ الَّذي لا يَعقِلُ، وكان سببًا في الأمرِ الَّذي جَرَّ إليه النَّدامةَ؛ بتَنزيلِه مَنزلةَ مَن يَعقِلُ ويَسمَعُ. والمقصودُ مِن ذلك: المُبالَغةُ في تَوبيخِ نفْسِه[٤].

١٠- قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ بَيانٌ لسببِ ضَلالِهم بعْدَ اعترافِهم

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٣)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٧٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٤).

بصُدورِه عنهم(١).

- وفيه أَوْفَرُ نَصيبٍ مِنَ التَّعريضِ بالَّذين قالوا: ﴿قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾(٢) [الشعراء: ٧٤].

١١- قولُه تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ هذا الخبرُ مُستعمَلٌ في التَّحسُّرِ والتَّأسُّفِ والتَّوجُّع(٣).

- وقيل: جُمِع الشَّافعُ وأُفرِدَ الصَّديقُ؛ لكَثرةِ الشُّفعاءِ في العادةِ وقلَّةِ الصَّديقِ، أو لأنَّ الصَّديقَ الواحدَ يَسعى أكثَرَ ممَّا يَسعى الشُّفعاءُ. ويَجوزُ أن يُريدَ بالصَّديقِ: الجَمعَ؛ إذْ يُقالُ: هُمْ صديقٌ، أي: أصدقاءُ؛ فأُطلِقَ (الصَّديق) على الجَمعِ كـ(العَدُوِّ)؛ لأنَّه في الأصلِ مَصدرٌ(٤). وقيل: المُرادُ نَفْيُ جِنسِ الشَّفيعِ وجِنسِ الصَّديقِ؛ لوُقوعِ الاسمَينِ في سِياقِ النَّفيِ المؤكَّدِ بـ﴿مِن﴾ الزَّائدةِ، وفي ذلك السِّياقِ يَستَوي المُفرَدُ والجَمعُ في الدَّلالةِ على الجِنسِ؛ وإنَّما خولِفَ بيْن اسمَيْ هذَينِ الجِنسَينِ في حِكايةِ كلامِهم -إذْ جِيءَ بـ﴿شَٰفِعِينَ﴾ جَمْعًا، وبـ﴿صَدِيقٍ﴾ مُفرَدًا-؛ لأنَّهم أرادوا بالشَّافعينَ: الآلِهةَ الباطلةَ، وكانوا يَعْهَدونَهم عَديدينَ؛ فجرَى على كلامِهم ما هو مُرتَسِمٌ في تَصوُّرِهم. وأمَّا الصَّديقُ فإنَّه مَفروضٌ جِنسُه دُونَ عددِ أفرادِه؛ إذْ لم يَعنُوا عددًا مُعَيَّنًا، فبَقِيَ على أصلِ نَفيِ الجِنسِ، وعلى الأصلِ في الألفاظِ؛ إذْ لم

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥٢).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٧٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير الزمخشري-مع الحاشية)) (٣/ ٣٢٢، ٣٢٣)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٣)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٧٠)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥٣)، ((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٤١٤).

يَكُنْ داعٍ لغَيرِ الإفرادِ. والَّذي يَبْدو أنَّه أُوثِرَ جمعُ ﴿شَٰفِعِينَ﴾؛ لأنَّه أنسَبُ بصورةِ ما في أذهانِهم، وأمَّا إفرادُ ﴿صَدِيقٍ﴾؛ فلأنَّه أُريدَ أنْ يُجرَى عليه وصْفُ حَميم، فلو جِيءَ بالمَوصوفِ جَمْعًا لاقتَضى جمْعَ وصْفِه، وجَمْعُ حَميمٍ فيه ثِقَلٌ لا يُناسِبُ منتهَى الفَصاحةِ، ولا يَليقُ بصورةِ الفاصِلةِ، مع ما حَصَلَ في ذلك مِنَ التَّفنُّنِ الَّذي هو مِن مَقاصِدِ البُلَغاءِ[١].

- وقولُهم: ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ تَتميمٌ[٢]، أثارَه ما يَلْقَونه مِن سوءِ المُعامَلةِ مِن كلِّ مَن يَمُرُّون به أو يَتَّصِلون، ومِنَ الحِرمانِ الَّذي يُعامِلُهم كلُّ مَن يَسألُونه الرِّفقَ بهم، حتَّى عَلِموا أنَّ جميعَ الخَلْقِ تَتبرَّأُ منهم[٣].

١٢- قولُه تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فرَّعوا على هذا التَّحسُّرِ والنَّدامةِ تَمنِّيَ أنْ يُعادُوا إلى الدُّنيا؛ ليَتَدارَكوا أمْرَهم في الإيمانِ باللهِ وحْدَه[٤]. وهو تَمَنٍّ للرَّجعةِ، أُقيمَ فيه (لو) مقامَ (لَيْتَ)؛ لتَلاقيهما في معنَى التَّقديرِ. وقيل: يَجوزُ أن تكونَ على أصْلِها، ويُحذَفَ الجوابُ، وهو: لَفَعَلْنا كَيْتَ وكَيْتَ[٥].

- وفي الآياتِ مِن قَولِه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ﴾ إلى قَولِه: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٧٠- ١٠٢] تخلُّصٌ حَسَنٌ[٦]؛ فما

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٥).

(٢) تقدَّم تعريفُه (ص: ٣٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٥).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٥) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٢٣)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٣)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٧١)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥٣).

(٦) حُسنُ التخلُّصِ: هو الانتقالُ ممَّا ابتُدِئ به الكلامُ إلى المقصودِ، أو مِن موضوعٍ إلى موضوعٍ آخَرَ بأُسلوبٍ حسَنٍ مستطابٍ، على وجهٍ سهلٍ دقيقِ المعنى، بحيثُ لا يشعُرُ السامعُ بالانتقالِ مِن المعنى الأوَّلِ إلَّا وقد وقَع عليه الثاني؛ لشدَّةِ الالتئامِ بينَهما. =

أَحسَنَ ما رتَّبَ إبراهيمُ كلامَه مع المُشرِكينَ، حينَ سألَهم أوَّلًا عمَّا يَعبُدونَ سؤالَ مُقرِّرٍ لا مُستفهِمٍ، ثمَّ أَنحَى على آلهتِهم، فأَبطَلَ أمْرَها بأنَّها لا تَضُرُّ ولا تَنفَعُ، ولا تُبصِرُ ولا تَسمَعُ، وعلى تَقليدِهم آباءَهم الأَقدَمينَ، فكَسَره وأَخرَجه من أن يَكونَ شُبهةً، فضْلًا أن يَكونَ حُجَّةً، ثمَّ صَوَّرَ المسألةَ في نفْسِه دُونَهم، حتَّى تَخلَّص منها إلى ذِكرِ اللهِ عزَّ وعلا؛ فعَظَّمَ شأنَه، وعَدَّدَ نِعمتَه، مِن لَدُنْ خَلْقِه وإنشائِه، إلى حينِ وفاتِه، معَ ما يُرجَى في الآخِرةِ مِن رَحمتِه، ثمَّ أتبَعَ ذلك أنْ دعاهُ بدعَواتِ المُخلِصينَ، وابتَهَلَ اليه ابتِهالَ الأَوَّابينَ، ثمَّ وصَلَه بذِكرِ يَومِ القِيامةِ، وثَوابِ اللهِ وعِقابِه، وما يُدفَعُ إليه المُشرِكون يَومَئذٍ مِنَ النَّدمِ والحسَرةِ على ما كانوا فيه مِنَ الضَّلالِ، وتَمنِّي الكَرَّةِ إلى الدُّنيا؛ ليؤْمِنوا ويُطيعوا[١].

١٣- قولُه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

- في ذلك مَسلاةٌ للرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في تكذيبِ قَومِه إيَّاهُ عليه السَّلامُ[٢].

- وهو تكريرٌ ثالثٌ لهاتِه الجُملةِ؛ تَعدادًا على المُشرِكينَ، وتَسجيلًا لتَصميمِهم[٣].

= وحسنُ التخلُّصِ متشابهٌ جدًّا معَ الاستطرادِ، إلَّا أنَّ بينَهما فرقًا دقيقًا؛ بيانُه: أنَّ التخلُّصَ تركُ ما كان الكلامُ فيه بالكليةِ، والإقبالُ على ما تُخُلِّص إليه. والاستطرادُ مرورٌ بذكرِ الأمرِ الذي استُطرِد إليه مرورًا كالبرقِ الخاطِفِ، ثم ترْكُه والعودةُ إلى ما كان فيه، كأنَّ المتكلِّمَ لم يقصِدْه، وإنَّما عرَض عُروضًا. يُنظر: ((الإتقان في علوم القرآن)) للسيوطي (٣/ ٣٧٣)، ((البلاغة العربية)) لعبد الرحمن حَبَنَّكَة الميداني (٢/ ٥٦١).

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٢١)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٧/ ٩٢، ٩٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٧١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٦).

الآيات (١٠٥-١٢٢)

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ
﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا
نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ
﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ
ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾.

غَريبُ الكَلِماتِ:

﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾: أي: أهلُ الضَّعَةِ والخَساسةِ، والرَّذْلُ والرُّذالُ: المرغوبُ عنه لِرَداءتِه، وأصلُه: الدُّونُ من كلِّ شَيءٍ(١).

﴿ٱلْمَرْجُومِينَ﴾: جمعُ مَرْجوم، والرَّجْمُ الرَّميُ بالرِّجام، وهي الحجارةُ، ويُطلَقُ الرَّجمُ على القَتلِ بالحجارةِ، ثمَّ أُطْلِق على كلِّ قتلٍ، وإنْ لم يكُنْ بالحجارةِ، والرَّجمُ: السَّبُّ والشَّتمُ؛ لأنَّه رَميٌ بالقَولِ القَبيحِ، والرَّجمُ: أصلُه الرَّميُ(٢).

﴿فَٱفْتَحْ﴾: أي: احكُمْ واقْضِ، ومنه قيل للقاضي: الفَتَّاحُ. والفَتحُ والفِتاحةُ: الحُكْمُ. وأصلُ (فتح): يدُلُّ على خِلافِ الإغلاقِ(٣).

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠٢)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٧١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٥٠٩)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٣٥١).

(٢) يُنظر: ((تأويل مشكل القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٢٧٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٤٩٣)، ((البسيط)) للواحدي (١٢/ ٥٦٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٣٤٥).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣١٨)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج =

﴿ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾: أي: السَّفينةِ المملوءةِ، وأصلُ (فلك): يدُلُّ على استدارةٍ في شَيءٍ، وأصلُ (شحن): يدُلُّ على المَلءِ[1].

المعنى الإجماليُّ:

يحكي الله تعالى جانبًا مِن قِصَّةِ نوحٍ عليه السَّلامُ مع قَومِه، فيقولُ: كذَّبَتْ قَومُ نُوحٍ رسُلَ اللهِ أجمَعينَ؛ لأنَّ تكذيبَهم لنُوحٍ بمنزلةِ التَّكذيبِ لجَميعِ الرُّسُلِ، حينَ قال لهم أخوهم في النَّسَبِ نوحٌ: ألَا تتَّقونَ اللهَ وتَحذَرون عِقابَه، فتُخلِصوا له العِبادَةَ وتَترُكوا عبادةَ غَيرِه؟! إنِّي لكم رَسولٌ مِن اللهِ، أمينٌ على وَحيِه، فاتَّقوا عِقابَ اللهِ، وأطيعوني فيما آمُرُكم به وأنهاكم عنه، وما أطلُبُ منكم على نُصحي لكم أجرًا، ما ثَوابي إلَّا على اللهِ رَبِّ العالَمينَ، فاتَّقوا عِقابَ اللهِ، وأطيعوني فيما آمُرُكم به وأنهاكم عنه.

فقال كُبراءُ قَومِه: أنؤمِنُ لك -يا نوحُ- والحالُ أنَّ الذين اتَّبَعوك هم ضُعَفاؤنا وفُقَراؤنا؟! فأجابهم نوحٌ قائلًا: وما عِلمي بما كان يَعمَلُ أتْباعي؟ ما حِسابُهم إلَّا على ربِّي؛ فهو أعلَمُ ببواطِنِهم وبأحوالِهم مِنِّي، لو كنتُم مِن أهلِ الفَهمِ والشُّعورِ بحقائِقِ الأمورِ لَما عِبتُموهم، ولستُ بطارِدِ هؤلاء المؤمِنينَ الذين اتَّبَعوني؛ فما أنا إلَّا نذيرٌ أوضِّحُ إنذاري لكم جميعًا. فأجابه المُشرِكون قائلينَ: لئِنْ لم تَكُفَّ -يا نوحُ- عن دَعوتِك لنا، لَنَرجُمَنَّك، فقال نوحٌ: ربِّ إنَّ قَومي كذَّبوني، فاحكُمْ بيْني وبيْنَهم حُكمًا تُنجِّي به أهلَ الحَقِّ، وتَمحَقُ به أهلَ الباطِلِ، ونجِّني وأتْباعي

= (٤/ ٩٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٤٦٩)، ((الهداية)) لمكي بن أبي طالب (٨/ ٥٣٣١)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٧٠).

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣٧٤)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٢٥١) و(٤/ ٤٥٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٤٧)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢١)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٢).

مِن المؤمنينَ.

فاستجاب اللهُ تعالى له، وأخبَر سبحانَه أنَّه أنجاه ومَن كان معه في السَّفينةِ المملوءةِ بهم وبِغَيرِهم، ثمَّ أغرَقَ بعْدَ إنجائِهم مَن بَقِيَ على كُفرِه فلم يركَبِ السَّفينةَ.

ثمَّ قال: إنَّ في ذلك الذي ذكَرْناه لَعِظةً وعِبرةً ودَلالةً على وحدانيَّةِ الله تعالى وقُدرتِه، وما كان أكثَرُ قَومِ نُوحٍ مُؤمنينَ بالله، وإنَّ رَبَّك -يا مُحمَّدُ- لهو العزيزُ القاهِرُ لأعدائِه، الرَّحيمُ بعبادِه، فلا يُعاجِلُهم بعَذابِه.

تَفسيرُ الآياتِ:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٠٥﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا قَصَّ سُبحانَه على محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم خبَرَ موسى وإبراهيمَ عليهما السلامُ تسليةً له فيما يَلْقاه مِن قَومِه؛ قَصَّ عليه أيضًا نبأَ نوحٍ عليه السَّلامُ، فقد كان نبَؤُه أعظَمَ مِن نبأِ غَيرِه؛ لأنَّه كان يدعوهم ألْفَ سَنَةٍ إلَّا خمسينَ عامًا، ومعَ ذلك كذَّبَه قومُه[1].

وأيضًا لَمَّا أتَمَّ سُبحانَه قصَّةَ الأبِ الأعظمِ الأقرَبِ؛ أتْبَعَها -دَلالةً على وصْفَي العِزَّةِ والرَّحمةِ- قصَّةَ الأبِ الثاني، مُقَدِّمًا لها على غيرِها؛ لِمَا له مِن القِدَمِ في الزَّمانِ؛ إعلامًا بأنَّ البلاءَ قديمٌ، ولأنَّها أدَلُّ على صِفتَيِ الرَّحمةِ والنِّقمةِ التي هي أثَرُ العِزَّةِ، بطُولِ الإملاءِ لهم على طولِ مدَّتِهم، ثمَّ تعميمِ النِّقمةِ مع كونِهم جميعَ أهلِ الأرضِ، فقال[2]:

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥٢٠).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٦١).

﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٠٥﴾.

أي: كَذَّبت قَومُ نُوحٍ[١] بجَميعِ رُسُلِ اللهِ[٢].

﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٠٦﴾.

أي: حينَ قال لهم نوحٌ -وهو أخوهم في النَّسَبِ-: ألَا تتَّقون اللهَ وتَحذَرون عِقابَه، فتُوحِّدوا اللهَ، وتَترُكوا عبادةَ الأصنامِ[٣]؟!

﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٠٧﴾.

أي: إنِّي لكم رَسولٌ مِن اللهِ، أمينٌ على وَحيِه الذي بعَثَني به إليكم، فأُبلِّغُكم رسالةَ الله بلا زيادةٍ أو نُقصانٍ[٤].

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٠٨﴾.

أي: فاتَّقوا سَخَطَ اللهِ وعِقابَه، وأطيعوني فيما آمُرُكم به، وأنهاكم عنه[٥].

﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٩﴾.

---

(١) قال ابن جُزَي: (أسنَد الفعلَ إلى القوم، وفيه علامةُ التأنيثِ؛ لأنَّ القومَ في معنَى الجماعةِ والأمَّةِ). ((تفسير ابن جزي)) (٢/ ٩٣).

وقال البقاعي: (﴿قَوۡمُ نُوحٍ﴾ وهم أهلُ الأرضِ كُلُّهم مِن الآدَميِّينَ قبلَ اختِلافِ الأُمَمِ بتفرُّقِ اللُّغاتِ). ((نظم الدرر)) (١٤/ ٦١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠١)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥١)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠١)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠١)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٤).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠٢)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٤).

﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ ﴾.

أي: وما أطلُبُ منكم على نُصحي لكم أيَّ ثوابٍ وجَزاءٍ(١).

﴿ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾.

أي: ما أرجو ثَوابي إلَّا مِنَ اللهِ الخالِقِ الرَّازِقِ، المالِكِ المدَبِّرِ لجميعِ العالَمينَ(٢).

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١١٠ ﴾.

أي: فاتَّقوا سَخَطَ اللهِ وعِقابَه، وأطيعوني فيما آمُرُكم به وأنهاكم عنه؛ فقد بانَ لكم صِدقي(٣).

﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١ ﴾.

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥١)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٦٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠٢)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة الشعراء)) (ص: ١٩٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠٢)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥١).

قال السعدي: (كرَّر ذلك عليه السلام لتكريرِه دعوةَ قومِه، وطولِ مكثِه في ذلك، كما قال تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾ [العنكبوت: ١٤]). ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٤).
وقال ابن عثيمين: (وقولُه: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ كرَّر تأسيسًا؛ لأنَّه بناهُ على قَولِه: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ يعني: فإذا انتفى ذلك فأنتم اتَّقوا اللهَ وأطيعوني، فيكون هذا تأسيسًا، ولا يُستفادُ المعنى المقصودُ منه لو حُذِف. والفرقُ بيْنَ التأكيدِ والتأسيسِ: أنَّ التأكيدَ لو حُذِفَ لاستُفيد المعنى منه ممَّا بقيَ دُونَ التأكيدِ، أي: أنَّ المؤكِّدَ لا يُستفادُ منه سِوى التأكيدِ، فلا يَحمِلُ معنًى جديدًا. أمَّا التأسيسُ فيَحمِلُ معنًى جديدًا، وهو: وعلى أنَّني لا أريدُ الأجرَ، وإنَّما ألتَمِسُ الثوابَ مِن اللهِ، فيَجِبُ عليكم أن تتَّقوا اللهَ وتطيعوني). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٩٣).

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

١- قِراءةُ ﴿وَأَتْبَاعُكَ﴾ والتقديرُ: أنؤمِنُ لك وإنَّما أتْباعُك الأرذَلون، أو أنؤمِنُ لك نحنُ وأتْباعُك الأرذَلون، فنُساويَهم فنكونَ مَرذولينَ مِثلَهم(١)؟!

٢- قراءةُ ﴿وَٱتَّبَعَكَ﴾ أي: وتَبِعَك الأرذَلون(٢).

﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١﴾.

أي: قال كُبَراءُ قَومِ نُوحٍ المتكَبِّرون عن اتِّباعِ الحَقِّ: أنؤمِنُ لك -يا نوحُ- ونتَّبِعُك، والحالُ أنَّه قد اتَّبَعك الضعفاءُ والفقراءُ وأسافِلُ الناسِ دُونَ ذَوي الشَّرفِ، فكيفَ نتساوى معهم في اتِّباعِك(٣)؟!

كما قال تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا

(١) قرأ بها يعقوبُ. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (٢/ ٣٣٥).
ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((معاني القراءات)) للأزهري (٢/ ٢٢٧)، ((المحتسب)) لابن جني (٢/ ١٣١).

(٢) قرأ بها الباقونَ. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (٢/ ٣٣٥).
ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((معاني القراءات)) للأزهري (٢/ ٢٢٧)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٦١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠٢)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥١)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٦٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٩، ١٦٠).
الأرذلون: قيل: المرادُ بهم: أصحابُ الحِرَفِ الدَّنيَّةِ، وقيل: المساكينُ الذين ليس لهم مالٌ ولا عزٌّ. يُنظر: ((تفسير ابن الجوزي)) (٣/ ٣٤٣)، ((تفسير الرسعني)) (٥/ ٤٠٠).
قال ابن عثيمين: (المعنى: أنَّهم قالوا: لو كان أتْباعُك الملأَ والأشرافَ لاتَّبَعْناك، لكِنْ أتباعُك أراذِلُ النَّاسِ، مِن الفُقراء والسُّوقةِ، والذين لا يُقَدِّرون الأمورَ ولا يَعرِفونَها! فهُم أراذِلُهم مِن حيث المالُ -على زعمِهم-. ويمكِنُ أن نقولَ: إنَّهم أراذِلُهم مِن حيث الثقافةُ أيضًا والجاهُ والشرفُ، فهم أرذَلُ الأراذِلِ عندَهم). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٩٥).

نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ [هود: ٢٧].

﴿قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

أي: قال نوحٌ لِقَومِه: وما عِلمي بما كان يعمَلُ أتْباعي؟ فأنا لم أُكلَّفِ العِلمَ بأعمالِهم وأحوالِهم الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّة، وإنَّما أمَرني اللهُ أنْ أدعُوَهم إلى الإيمانِ، وأقبَلَ منهم إقرارَهم وتَصديقَهم وانقيادَهم، وأكتفيَ بذلك دونَ النظَرِ إلى بواطِنِهم وحِرَفِهم وصَنائِعِهم[1].

﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

أي: ما حِسابُ أتْباعي إلَّا على ربِّي؛ فهو الذي يعلَمُ السِّرَّ والعلانيةَ، وليس علَيَّ مَعرفةُ أعمالِهم وبواطِنِهم، وإنَّما علَيَّ التَّبليغُ، ولو كنتُم تَعلَمون أنَّ حِسابَهم على اللهِ وحْدَه، وتَشعُرونَ بالأمرِ على حقيقتِه، لَما عِبتُموهم، ولمْ تَسْألوني عنهم؛ فإنْ كان ما جئتُكم به هو الحَقَّ فاتَّبِعوه[2].

عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما، أنَّ رَسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((أُمِرتُ

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠٢)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥١)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٦١).

قال القرطبي: (وكأنَّهم قالوا: إنَّما اتَّبعك هؤلاء الضعفاءُ طمعًا في العِزَّةِ والمالِ، فقال: إنِّي لم أقِفْ على باطِنِ أمْرِهم، وإنَّما إليَّ ظاهِرُهم. وقيل: المعنَى: إنِّي لم أعلَمْ أنَّ الله يَهْديهم ويُضِلُّكم، ويُرشِدُهم ويُغويكم، ويوفِّقُهم ويَخذُلُكم). ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠٢)، ((البسيط)) للواحدي (١٧/ ٨٦)، ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٣٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٦١، ١٦٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٩٧).

قال البقاعي: (﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ أي: لو كان لكم نوعُ شعورٍ لَعَلِمتُم ذلك فلمْ تقولوا ما قلتُم ممَّا هو دائرٌ على أمورِ الدُّنيا فقط، ولا نظَرَ له إلى يومِ الحسابِ). ((نظم الدرر)) (١٤/ ٦٥).

أن أقاتِلَ النَّاسَ حتى يَشهَدوا أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ مُحمَّدًا رَسولُ اللهِ، ويُقيموا الصَّلاةَ، ويُؤتوا الزَّكاةَ، فإذا فَعَلوا ذلك عَصَموا مِنِّي دماءَهم وأموالَهم إلَّا بحَقِّ الإسلامِ[(١)]، وحِسابُهم على اللهِ))[(٢)].

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا أفهَمَ قولُه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ رَدَّ ما أفهمَه قولُهم مِن طَردِهم؛ صَرَّحَ به في قَولِه[(٣)]:

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤﴾.

أي: ولن أطرُدَ مَن آمَنَ باللهِ واتَّبَعني[(٤)].

كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾ [هود: ٢٩].

﴿إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ١١٥﴾.

أي: ما بعَثَني اللهُ إلَّا نذيرًا أُوضِّحُ إنذارَه لكم جميعًا؛ غنيِّكم وفَقيرِكم، شريفِكم ووضيعِكم[(٥)].

(١) إلَّا بحَقِّ الإسلامِ: كقَتلٍ لِنَحوِ زِنا مُحصَنٍ، وقَطعٍ لِنَحوِ سَرِقةٍ، وتَغريمِ مالٍ لِنَحوِ إتلافِ مالِ الغيرِ المحترَمِ. يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) لعلي القاري (١/ ٨١).

(٢) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

(٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٦٥).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠٣)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢١)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٩٨).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠٣)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢١)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٤).

﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ١١٦ ﴾.

أي: قال المُشرِكون مِن قَومِ نُوحٍ: لئِنْ لم تترُكْ -يا نوحُ- دَعوتَك لنا، لَنرجُمَنَّك[1].

(١) يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢١)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥١)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٢٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٦٣).

ممَّن اختار أنَّ المرادَ بالمرجومينَ: المقتولون: مقاتلُ بن سليمان، والسمرقندي، والبقاعي، والعليمي. يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٧٢)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٦١)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٦٦)، ((تفسير العليمي)) (٥/ ٨١).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السلفِ: ابنُ عباسٍ، والكلبيُّ. يُنظر: ((البسيط)) للواحدي (١٧/ ٨٧)، ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٧٣)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢١).

وممَّن اختار أنَّ المرادَ بالمرجومين: المقتولون بالحجارةِ: السمعانيُّ، والنسفي، والخازن، والسعدي. يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (٤/ ٥٨)، ((تفسير النسفي)) (٢/ ٥٧٣)، ((تفسير الخازن)) (٣/ ٣٢٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥).

قال السعدي: (أي: لَنَقتُلَنَّكَ شرَّ قتلةٍ؛ بالرميِ بالحجارةِ، كما يُقتَلُ الكلبُ). ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥).

وذكَر القائلون بهذا القولِ أيضًا أن القتلَ بالحجارةِ هو أشدُّ قتلٍ؛ لذلك أوعدوه به، أمَّا الشتمُ فقد كان منهم، فلا يحتملُ الوعيدُ به. يُنظر: ((تفسير الماتريدي)) (٨/ ٧١).

ومِن المفسِّرينَ مَن اقتصَر على تفسيرِ ﴿ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾ بقولِه: أي: بالحجارةِ. ومنهم: الزجاجُ، وأبو حيان، والشوكاني. يُنظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (٤/ ٩٥)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٧٧)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٢٦).

وقال ابن عثيمين: (الظاهرُ والأقربُ أنَّهم يقصِدون رجْمَه بالحجارةِ؛ لأنَّ الرجمَ بالقولِ قليلُ الاستعمالِ، ثمَّ إنَّ التهديدَ به مِن هؤلاء الذين يَرَوْنَ أنَّهم يَتكلمون مِن مصدرِ القوَّةِ ليس بلائقٍ في المقامِ، فالصوابُ أنَّهم يُهدِّدونه بالرجمِ بالحجارةِ، والله أعلَمُ). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٠١).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السلفِ: قَتادةُ. يُنظر: ((البسيط)) للواحدي (١٧/ ٨٧)، ((تفسير ابن الجوزي)) (٣/ ٣٤٣)، ((الدر المنثور)) للسيوطي (٦/ ٣١١).

وممَّن اختار أنَّ المرادَ بالمرجومينَ: المشتومونَ: ابنُ جرير، ومكِّي، والواحدي. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠٣)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (٨/ ٥٣٣٠)، ((الوجيز)) =

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ١١٧﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا أَيِسَ منهم بما سمِعَ مِن المبالَغةِ بالتأكيدِ في قولِهم، ورأى بما يُصَدِّقُه مِن فعْلِهم، قال تعالى مُخبرًا عنه جوابًا لسُؤالِ مَن يريدُ تَعَرُّفَ حالِه بعدَ ذلك[1]:

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ١١٧﴾.

أي: قال نوحٌ: رَبِّ إنَّ قَومي كذَّبوني فيما جئتُهم به مِن الحَقِّ، فلا نيَّةَ لهم في اتِّباعِه[2]!

كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ﴾ [القمر: ٩، ١٠].

وقال سُبحانَه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا * فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا * ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا﴾ [نوح: ٥-٩].

﴿فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٨﴾.

﴿فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا﴾.

= للواحدي (ص: ٧٩٣).

وممَّن قال بهذا القول مِن السلفِ: الضَّحَّاكُ، والسُّدِّيُّ، والحسَنُ. يُنظر: ((البسيط)) للواحدي (١٧/ ٨٧)، ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٧٣)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢١)، ((الدر المنثور)) للسيوطي (٦/ ٣١١).

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٦٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠٣)، ((تفسير النسفي)) (٢/ ٥٧٣)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٦٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٦٣).

أي: فاحكُمْ بيْني وبيْنَ قَومي حُكمًا مِن عندِك، تستأصِلُ وتُهلِكُ به المُبطِلَ[١].

﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

أي: ونجِّني وأتْباعي المؤمِنينَ مِن عذابِك الذي تُنزِلُه على المُبطِلينَ[٢].

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝١١٩﴾.

أي: فأنجَيْنا نوحًا ومَن حُمِلَ معه في السَّفينةِ المملوءةِ بالنَّاسِ والحيواناتِ والطُّيورِ وغَيرِها[٣].

كما قال تعالى: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾ [هود: ٤٠].

وقال سُبحانَه: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٥].

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ۝١٢٠﴾.

أي: ثمَّ[٤] ....

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠٣)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٥٨)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٦٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٦٣)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ٩٥).
قال ابن عثيمين: (سُمِّي الحُكمُ فتحًا؛ لأنَّه ينفتِحُ به الأمرُ ويتبيَّنُ، فينفصِلُ هذا عن هذا، وهذا الفتحُ بأن ينجيَه ومَن معه مِن المؤمنينَ، ويُهلِكَهم؛ أمَّا نجاتُه ومَن معه مِن المؤمنينَ فمُصرَّحٌ بها، وأمَّا إهلاكُهم فلا نجاةَ إلَّا مِن هَلَكةٍ، هذا هو الفتحُ الذي سأله نوحٌ أن يُهلِكَ اللهُ تعالى قومَه، وأن ينجيَه هو ومَن معه مِن المؤمنينَ). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٠٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠٤)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٥٨)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٦٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠٤)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٥٨)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢١)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ٩٥).

(٤) قال القرطبي: (﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ﴾ أي: بعْدَ إنجائِنا نوحًا ومَنْ آمَنَ). ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢١).
=

أغرَقْنا جميعَ الكافرين الذين بَقُوا، فلمْ يرَكَبوا السَّفينةَ(١).

كما قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ١٢١﴾.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾.

أي: إنَّ في إنجاءِ نوحٍ وأتباعِه المؤمنينَ، وإهلاكِ المكَذِّبين به، لَعِظةً وعِبرةً ودَلالةً واضِحةً على توحيدِ اللهِ، وصِدقِ رُسُلِه، وبُطلانِ الشِّركِ(٢).

كما قال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ [الفرقان: ٣٧].

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

أي: ولم يكُنْ أكثَرُ قَومِ نوحٍ مُؤمِنينَ(٣).

كما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

= وقال البقاعي: (﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ أي: بعْدَ حَملِه الذي هو سببُ إنجائِه). ((نظم الدرر)) (١٤/ ٦٧).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠٥)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٦١)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢١)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠٥)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٢٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٦٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٧٣)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٦١).

وممَّن قال بأنَّ المرادَ: أكثَرُ قَومِ نوحٍ: مقاتلُ بن سليمان، والسمرقندي. يُنظر: المصدران السابقان.

وقيل: المعنى: ولم يكُنْ أكثَرُ قَومِك يا محمَّدُ. وممَّن قال بهذا: ابنُ جرير، وابن عثيمين. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢١٢). ويُنظر أيضًا: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥٣، ٢٥٦).

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٢﴾.

أي: وإنَّ رَبَّك -يا مُحمَّدُ- لهو العزيزُ القاهِرُ الغالِبُ المنتَقِمُ مِن أعدائِه، الرَّحيمُ بعبادِه، فلا يعاجِلُهم بعَذابِه، ومِن رحمتِه أنَّه يُرسِلُ رُسُلًا، ويُنزِلُ معهم ما يُبيِّنُ به ما يُرضيه وما يُسخِطُه، فلا يُهلِكُ قومًا إلَّا بعْدَ إعذارِهم، ومِن رحمتِه أنَّه يُنجِّي أتْباعَ رُسُلِه(١).

الفَوائِدُ التَّربويَّةُ:

١- قال الله تعالى حكايةً عن نوح عليه السَّلامُ: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فالرُّسُلُ إنَّما يَأمُرونَ الناسَ ويَنهَوْنَهم لِمَا يَرجونَه مِن ثوابِ اللهِ، لا لِمَا يَنالونَه مِن الأجرِ، وفي هذا دليلٌ على وجوبِ إصلاحِ النيَّةِ لِمَن قام مقامَ الرُّسُلِ بالدعوةِ إلى اللهِ سُبحانَه وتعالى(٢).

٢- في قوله تعالى حكايةً عن نوح عليه السَّلامُ: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ دليلٌ على أنَّ عمَلَ الإنسانِ لِينالَ الثوابَ ليس أمرًا ممقوتًا، بل هو طريقُ الرُّسُلِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ وأتباعِهم(٣).

٣- قال الله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ أي: المؤخَّرون في الحالِ والمآلِ، والأحوالِ والأفعالِ، فيكونَ إيمانُنا بك سببًا لاستوائِنا معهم؟! فلو طرَدْتَهم لم يكُنْ لنا عذرٌ في التخلُّفِ عنك، ولا مانعٌ مِن اتِّباعِك! فكان ما مُتِّعوا به مِن العَرَضِ الفاني مانعًا لهم عن السَّعادةِ الباقيةِ، وأمَّا الضُّعَفاءُ فانكِسارُ

(١) يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٧٣)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠٥)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٦٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢١٢، ٢١٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٩٢).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

قُلوبِهم، وخُلُوُّها عن شاغلٍ؛ موجِبٌ لإقبالِها على الخَيرِ، وقَبولِها له؛ لأنَّ اللهَ تعالى عندَ المُنكَسِرةِ قلوبُهم، وهكذا قالت قريشٌ في أصحابِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وما زالت أتْباعُ الرُّسُلِ كذلك حتى صارت مِن سماتِهم وأماراتِهم، كما قال هِرَقْلُ في سؤالِه عن أتْباعِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم[1]، فكان مِثالُ المُستكبِرين مِثالَ شَخصٍ كان آخَرُ دُونَه بدَرجةٍ، فأصبحَ فوقَه بدرجةٍ، فأَنِفَ مِن أن يرتقيَ إلى درجتِه لئلَّا يُساويَه، ورَضِيَ لنفْسِه أن يكونَ دُونَه! فما أسخَفَ عقْلَه، وما أكثَرَ جَهْلَه[2]!

٤- في قَولِه تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ دَليلٌ على أنَّه ينبغي موالاةُ المؤمِنينَ، والقربُ منهم، وأنَّ هذا دأبُ الأنبياءِ، فينبغي للإنسانِ أن يُقَرِّبَ منه كلَّ مؤمنٍ، وأنْ يختارَ لنفْسِه أصلحَ الأصحابِ[3].

٥- قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ فيه التواضعُ للمُؤمِنينَ، وعدمُ إبعادِهم، ولو كانوا مَن كانوا فيما بينَ النَّاسِ، والصبرُ على ما يَجِدُ منهم مِن الجَفاءِ؛ فالرسولُ -عليه الصلاةُ والسلامُ- أشرَفُ الخلْقِ جاهًا عندَ اللهِ، وأعظمُهم منزلةً، عاتَبه اللهُ في رجُلٍ أعمى، فقال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ * أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ * وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ * أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾[4] [عبس: ١ - ٤].

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:

١- قَولُه تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ يدُلُّ على أنَّ قومَ نوحٍ كَذَّبوا جماعةً مِنَ المرسَلينَ؛ مع أنَّهم إنَّما كَذَّبوا رسولًا واحدًا -وهو نوحٌ عليه وعلى نبيِّنا

(١) يُنظر ما أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٦٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ١٩٨).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ١٩٩).

الصَّلاةُ والسَّلامُ-: بدليلِ قولِه تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ إلى قولِه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾.

والجوابُ عن هذا مِن وجهَينِ:

الأول: أنَّ الرُّسُلَ عليهم صَلواتُ اللهِ وسلامُه لَمَّا كانت دعوتُهم واحدةً -وهي: لا إلهَ إلَّا اللهُ- صار مُكَذِّبُ واحدٍ منهم مُكذِّبًا لجَميعِهم، كما يدُلُّ لذلك قولُه تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقولُه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقد بيَّنَ تعالى أنَّ مُكَذِّبَ بعضِهم مُكَذِّبٌ للجميعِ بقولِه: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١]، ويأتي مِثلُ هذا الإشكالِ، والجوابُ في قولِه: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ﴾ [الشعراء: ١٢٣، ١٢٤] إلى آخرِه، وقولِه: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ﴾ [الشعراء: ١٤١، ١٤٢]، وكذلك في قصةِ لوطٍ وشُعيبٍ، على الجميعِ وعلى نبيِّنا الصَّلاةُ والسَّلامُ[(١)].

وأيضًا لأنَّ تكذيبَهم لم يكُنْ لأجلِ ذاتِه، ولكنَّه كان لإحالتِهم أنْ يُرسِلَ اللهُ بشَرًا، وأنْ تكونَ عِبادةُ أصنامِهم ضَلالًا؛ فكان تكذيبُهم إيَّاه مُقتضيًا تكذيبَ كُلِّ رسولٍ؛ لأنَّ كلَّ رسولٍ يقولُ مِثلَ ما قاله نوحٌ عليه السَّلامُ؛ ولذلك تكرَّر في قولِه: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣] وما بعْدَه، وقد حُكِيَ تكذيبُهم أنْ

(١) يُنظر: ((دفع إيهام الاضطراب)) للشنقيطي (ص: ١٧٤).
ويُنظر أيضًا: ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٩)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (١٢/ ٣٣٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٤).

يكونَ الرَّسولُ بشَرًا في قولِه: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ﴾[١] [الأعراف: ٦٣].

الثاني: أنَّه أرادَ الجِنسَ، كقولِك: فلانٌ يركبُ الخيلَ، وإنَّما لم يركَبْ إلَّا فرَسًا واحدًا[٢].

٢- قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾، قولُه: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ ﴾ أي: في النَّسَبِ، وإنَّما ابتعثَ اللهُ الرسُلَ مِن نَسَبِ مَن أُرسِلَ إليهم؛ لئلَّا يشمَئِزُّوا مِن الانقيادِ له، ولأنَّهم يَعرِفونَ حقيقَتَه، فلا يحتاجونَ أنْ يبحَثوا عنه[٣].

٣- قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ حكايةُ الأمرِ بالتقوَى والإطاعةِ، ونفيِ سؤالِ الأجرِ في هذه القصةِ، والقصصِ التي تَلَتْها، وتصديرُها بذلك؛ للتَّنبيهِ على أنَّ مَبْنى البَعثةِ هو الدُّعاءُ إلى توحيدِ الله، ومعرفةِ الحقِّ، والطَّاعةِ فيما يُقرِّبُ المَدْعُوَّ إلى الثَّوابِ، ويُبْعِدُه مِنَ العِقابِ، وأنَّ الأنبياءَ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ مُجمِعونَ على ذلك، وإنِ اختلَفوا في بعضِ فُروعِ الشَّرائعِ المختلِفةِ باختلافِ الأزمنةِ والأعصارِ، وأنَّهم مُتنزِّهونَ عن المطامعِ الدَّنِيَّةِ، والأغراضِ الدُّنيويَّةِ بالكُلِّيَّةِ[٤].

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جزي)) (٢/ ٩٣).

ويُنظر أيضًا: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٢٣)، ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٣٨٧)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٥)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥٦)، ((تفسير الألوسي)) (١٠/ ١٠٧).

٤- في قَولِه تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ بيانُ أنَّ أهلَ الرئاسةِ والشَّرَفِ يكونونَ أبعَدَ عن الانقيادِ إلى عبادةِ اللهِ وطاعتِه؛ لأنَّ حبَّهم للرئاسةِ يمنعُهم ذلك، بخِلافِ المُستضعَفينَ[1].

٥- قال الله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ معلومٌ أنَّ اتِّباعَ الأرذلينَ له لا يقدَحُ في صِدقِه، لكِنْ كَرِهوا مُشاركةَ أولئك، كما طلَب المُشرِكون مِن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إبعادَ الضُّعَفاءِ؛ كسعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ، وابنِ مسعودٍ، وخَبَّابِ بنِ الأرَتِّ، وعمَّارِ بنِ ياسرٍ، وبلالٍ، ونحوِهم، وكان ذلك بمكَّةَ قبْلَ أن يكونَ في الصَّحابةِ أهلُ الصُّفَّةِ[2]، فأنزَل الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾[3] [الأنعام: ٥٢، ٥٣].

٦- قال تعالى: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ﴾، مع أنَّ دعاءَه: ﴿وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١١٨]، فكَلِمةُ: ﴿وَمَن مَّعَهُۥ﴾ أعَمُّ، فما الحِكمةُ في ذلك؟

الجواب: ذلك لأنَّه صَحِبَ معه بعضَ الحيواناتِ والمخلوقاتِ، وأخَذ من كُلٍّ زوجَينِ، فهذه لا تُلصَقُ في الإيمانِ أو عَدَمِه. وقد نقولُ: لعلَّ نوحًا عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ -فيما يظهرُ- حينَ دعا ما كان يدورُ في ذِهنِه أنَّ اللهَ يُنجِّي هذه

(١) يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (١١/ ١٣٠).

(٢) يُنظر ما تقدم في تفسير سورة الأنعام (٥/ ٢٦٩).

(٣) يُنظر: ((الإيمان)) لابن تيمية (ص: ١٥٣).

وسببُ النزولِ المذكورُ أخرجه مسلم (٢٤١٣).

المخلوقاتِ الأُخرَى، لذا قال: ﴿وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[(١)].

٧- قولُه تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ قولُه: ﴿ٱلْفُلْكِ﴾ حيثُ أَتَى في غَيرِ فاصلةٍ استُعمِلَ جَمْعًا، كقولِه تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ [النحل: ١٤]، وحيثُ كان فاصلةً استُعمِلَ مُفردًا؛ لمُراعاةِ الفَواصلِ؛ كهذا الموضِعِ، والذي في سُورةِ (يس)[(٢)]، فلو كان جمعًا لقال: (المشحونةِ)، أو (المشحوناتِ).

٨- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ الآيةُ في قصَّةِ نوحٍ: دلالَتُها على أنَّ اللهَ لا يُقِرُّ الذين يُكذِّبون رُسُلَه، ففي قصَّتِه آيةٌ للمُشركينَ مِن قريشٍ، وهم يعلمون قِصَّةَ نوحٍ والطُّوفانِ[(٣)].

بلاغةُ الآياتِ:

١- قولُه تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ استِئنافٌ لِتَسليةِ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ناشئٌ عن قولِه: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾[(٤)] [الشعراء: ١٠٣].

٢- قولُه تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ خَصَّ بالذِّكرِ في هذه السُّورةِ هذا الموقفَ مِن مَواقفِه؛ لأنَّه أنسَبُ بغرضِ السُّورةِ في تَسليةِ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بذِكْرِ مُماثِلِ حالِه مع قومِه[(٥)].

- يجوزُ أنْ يكونَ لفظُ (ألَا) في قولِه: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ مُرَكَّبًا مِن حرفَينِ: همزةِ

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٠٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٧٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٦٤).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٥٦).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٥٨).

استِفهامٍ دخلَتْ على (لا) النَّافيةِ؛ فهو استِفهامٌ عنِ انتفاءِ تَقْواهم، مُستعمَلٌ في الإنكارِ، وهو يقْتضي امتناعَهم مِنَ الامتثالِ لدَعوتِه. ويجوزُ أنْ يكونَ (أَلَا) حرْفًا واحدًا، هو حَرفُ التَّحضيضِ، وهو يَقتَضي تباطُؤَهم عن تَصديقِه[١].

- قولُه: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ فيه إيجازٌ بالحَذفِ؛ فمُتعلَّقُ التَّقوى مَحذوفٌ، فقيل: أَلَا تتَّقونَ عذابَ اللهِ وعقابَه على شركِكم؟ وقيل: ألَا تتَّقونَ مخالفةَ أمرِ اللهِ، فتتركوا عبادتَكم للأصنامِ[٢]؟

٣- قولُه تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ تَعليلٌ للإنكارِ، أو للتَّحضيضِ في الآيةِ السَّابقةِ، وتأكيدُه بحَرفِ التَّأكيدِ (إنَّ) مع عدَمِ سَبْقِ إنكارِهم أمانتَه؛ لأنَّه توقَّعَ حُدوثَ الإنكارِ؛ فاستَدلَّ عليهم بتَجربةِ أمانتِه قبْلَ تبليغِ الرِّسالةِ؛ فإنَّ الأمانةَ دَليلٌ على صِدقِه فيما بلَّغَهم مِن رِسالةِ اللهِ[٣].

- وفي حِكايةِ استِدلالِ نُوحٍ بأمانتِه بينَ قومِه في هذه القِصَّةِ المَسوقَةِ مَثَلًا للمشركينَ في تَكذيبِهم محمَّدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: تَعريضٌ بهم؛ إذْ كذَّبوه بعْدَ أنْ كانوا يدْعونَه الأمينَ[٤].

٤- قولُه تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ تأكيدٌ لقولِه: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾، وهو اعتراضٌ بينَ الجُملتَينِ المُتعاطفتَينِ[٥].

- قولُه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فيه تَقديمُ الأمرِ بتَقوَى اللهِ على الأمْرِ بطاعتِه؛

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٧٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٨).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٥٨، ١٥٩).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٥٩).

لأنَّ تقْوَى اللهِ سببٌ لطاعةِ نوحٍ عليه السَّلامُ[١]، فتقوَى اللهِ علَّةٌ لطاعتِه، فقَدَّمَ العلَّةَ على المعلولِ[٢].

٥- قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

- في هذه الآياتِ: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ * فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ مُناسَبةٌ حَسَنةٌ، حيثُ ذُكِرتْ هذه الآياتُ في خمْسةِ مواضعَ: في قصَّةِ نوحٍ، وهودٍ، وصالحٍ، ولوطٍ، وشُعيبٍ عليهم السَّلامُ، ثمَّ كُرِّرَ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ في قِصَّةِ نوحٍ، وهودٍ، وصالحٍ؛ فصارتْ ثمانيةَ مَواضعَ، وليس في قِصَّةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ﴾؛ لِذِكْرِها في مواضعَ، وليستْ في قِصَّةِ مُوسى عليه السَّلامُ؛ لأنَّه ربَّاه فِرعونُ؛ حيثُ قال: ﴿أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا﴾ [الشعراء: ١٨]، ولا في قِصَّةِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ؛ لأنَّ أباهُ في المُخاطَبينَ؛ حيثُ يقولُ: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ﴾ [الشعراء: ٧٠]، وهو ربَّاه، واستحْيَا مُوسى وإبراهيمُ عليهما السَّلامُ أنْ يقولَا: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ﴾ وإنْ كانا مُنزَّهَينِ مِن طلَبِ الأُجرةِ[٣].

٦- قولُه تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾

- قولُه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ الفاءُ لِتَرتيبِ ما بعْدَها على ما قبْلَها، مِن تَنزُّهِه -عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ- عنِ الطَّمعِ، كما أنَّ نَظيرتَها السَّابقةَ لتَرتيبِ ما بعْدَها على أمانتِه[٤].

---

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٧٥)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٧/ ١٠٢).
(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥٢١)، ((تفسير ابن عادل)) (١٥/ ٥٦).
(٣) يُنظر: ((أسرار التكرار في القرآن)) للكرماني (ص: ١٩٠).
(٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥٤).

- وكرَّر الأمْرَ بالتَّقوى والطَّاعةِ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾؛ ليُؤكِّدَ عليهم، ويُقرِّرَ ذلك في نُفوسِهم، وإنِ اختلَفَ التَّعليلُ؛ جعَلَ الأوَّلَ مَعلولًا لأمانتِه، والثَّانيَ لانتفاءِ أخْذِ الأجْرِ[1]. وليُنبِّهَ على دَلالةِ كلٍّ واحدٍ مِن أمانتِه، وحَسْمِ طَمَعِه على وُجوبِ طاعتِه فيما يَدْعوهم إليه؛ فكَيْفَ إذا اجتَمَعا[2]؟! أو كرَّر جُملةَ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾؛ لزيادةِ التَّأكيدِ؛ فيكونُ قَدِ افتتَحَ دعوتَه بالنَّهيِ عن تَرْكِ التَّقوى، ثمَّ علَّلَ ذلك، ثمَّ أعادَ ما تقْتضيهِ جُملةُ الاستفتاحِ، ثمَّ علَّلَ ذلك بقولِه: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ﴾، ثمَّ أعادَ جُملةَ الدَّعوةِ في آخِرِ كلامِه؛ إذْ قال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ ذُكِر مُكرَّرًا في ثَلاثةِ مواضعَ: في قصَّةِ نوحٍ، وهودٍ، وصالحٍ؛ تأكيدًا، وخُصَّتِ الثَّلاثةُ بالتَّأكيدِ دونَ قصَّةِ لُوطٍ وشعيبٍ؛ اكتفاءً عنه في قصَّةِ لوطٍ بقولِه: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨]، وفي قصَّةِ شُعيبٍ بقولِه: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٤]؛ لاستِلزامِهما له[3].

- وحُذِفَتِ الياءُ مِن ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ في الموضعَينِ كما حُذِفَتْ في قولِه: ﴿فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ﴾ [الشعراء: ١٤] في أوائلِ السُّورةِ؛ لمُراعاةِ الفاصلةِ[4].

٧- قولُه تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ استِئنافٌ بيانيٌّ لِما يُثيرُه قولُه: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ﴾ [الشعراء: ١٠٥] مِنِ استِشرافِ السَّامعِ لمعرفةِ ما دارَ بيْنَهم وبينَ نُوحٍ مِن حِوارٍ؛ ولذلك حُكِيَتْ مُجادَلتُهم بطريقةِ: قالوا، وقال[5].

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٢٤)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٧٥)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٧/ ١٠٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٤)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥٤).

(٣) يُنظر: ((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٤١٥).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٩).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)).

- والاستفهامُ في ﴿أَنُؤْمِنُ﴾ استفهامٌ إنكاريٌّ[١].

٨- قولُه تعالى: ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ جَوابٌ عمَّا أُشِيرَ إليه مِن قولِهم: إنَّ أتْباعَه لم يُؤمِنوا عن نظَرٍ وبَصيرةٍ[٢]. وفي جواب نُوحٍ عليه السَّلامُ هذا عن كلامِ قومِه حُسنُ بلاغةٍ في لَفظِه ومعناهُ؛ فأمَّا لَفظُه: فاقترانُ أوَّلِه بالواوِ يَجعلُه في حُكمِ المعطوفِ على كَلامِ قَومِه؛ تَنبيهًا على اتِّصالِه بكلامِهم، وذلك كِنايةٌ عن مُبادرتِه بالجوابِ كما في قولِه تعالى حِكايةً عن إبراهيمَ عليه السَّلامُ: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة: ١٢٤] بعْدَ قولِه: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]. وأمَّا معناهُ: فهو استِفهامٌ مُؤْذِنٌ بأنَّ قومَه فصَّلوا إجْمالَ وصْفِهم أتْباعَه بالأرذَلينَ؛ بأنْ بيَّنوا أوصافًا مِن أحوالِ أهلِ الحاجةِ الَّذينَ لا يَعْبأُ النَّاسُ بهم؛ فأتَى بالاستِفهام عن عِلمِه استِفهامًا مُستعمَلًا في قِلَّةِ الاعتناءِ بالمُستفهَمِ عنه، وهو كِنايةٌ عن قِلَّةِ جَدْواه؛ لأنَّ الاستفهامَ عنِ الشَّيءِ يُؤْذِنُ بالجَهلِ به، والجَهلُ تُلازِمُه قِلَّةُ العِنايةِ بالمجهولِ، وضَعْفُ شأْنِه؛ كما يُقالُ لك: يُهدِّدُك فلانٌ؛ فتقولُ: وما فلانٌ؟! أي: لا يُعْبأُ به[٣].

- و﴿كَانُوا﴾ في قولِه: ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مَزيدةٌ بينَ (ما) الموصولةِ وصِلتِها؛ لإفادةِ التَّأكيدِ، والمعنى: أيُّ شَيءٍ عِلْمي بما يعملونَ؟ وليس المُرادُ بما كانوا عمِلوهُ مِن قبْلُ[٤].

٩- قولُه تعالى: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٦٠).
(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥٥).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٦٠).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٦١).

- القَصرُ في قولِه: ﴿إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ﴾ قَصْرُ مَوصوفٍ على الصِّفةِ[(١)]، والموصوفُ هو ﴿حِسَابُهُمۡ﴾، والصِّفةُ هي ﴿عَلَىٰ رَبِّيۖ﴾؛ لأنَّ المجرورَ الخبرَ في قُوَّةِ الوصفِ، ومعناه: حسابُهم مَقصورٌ على الاتِّصافِ بمدلولِ ﴿عَلَىٰ رَبِّيۖ﴾، أي: لا يَتجاوزُ إلى الاتِّصافِ بكوْنِ حِسابِهم علَيَّ أنا. وهو رَدٌّ لِمَا تضمَّنَه كلامُ قَومِه مِن مُطالَبتِه بإبعادِ الذينَ آمَنوا؛ لأنَّهم لا يَستحِقُّونَ أنْ يكونوا مُساوينَ لهم في الإيمانِ الذي طلَبَه نُوحٌ مِن قَومِه[(٢)]!

- وقولُه: ﴿لَوۡ تَشۡعُرُونَ﴾ تَجهيلٌ لهم، ورَغْمٌ لغُرورِهم، وإعجابِهمُ الباطِلِ، وجوابُ (لو) محذوفٌ دلَّ عليه ما قبْلَه[(٣)].

١٠- قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ جوابٌ لِمَا أَوْهَمَ قولُهم مِن استدِعاءِ

---

(١) وهو أيضًا قَصْرُ إفرادٍ إضافيٌّ.

والقَصرُ أو الحَصرُ في اصطِلاحِ البلاغيِّينَ هو: تَخصيصُ شيءٍ بشيءٍ وحصرُه فيه، ويُسمَّى الأمرُ الأوَّلُ: مَقصورًا، والثاني: مقصورًا عليه، مثل: إنَّما زيدٌ قائمٌ، و: ما ضرَبتُ إلَّا زيدًا. وينقسِمُ إلى قَصْرٍ حقيقيٍّ، وقصرٍ إضافيٍّ، وادِّعائيٍّ، وقصرِ قَلْبٍ؛ فالقصرُ الإضافيُّ: أنْ يكونَ المقصورُ عنه شيئًا خاصًّا، يُرادُ بالقصرِ بيانُ عدَمِ صحَّةِ ما تصوَّرَه بشأنِه، أو ادَّعاه المقصودُ بالكلامِ، أو إزالةُ شكِّه وتردُّدِه، إذا كان الكلامُ كلُّه منحصرًا في دائرةٍ خاصَّةٍ؛ فليس قصرًا حقيقيًّا عامًّا، وإنَّما هو قَصرٌ بالإضافةِ إلى موضوعٍ خاصٍّ، يَدورُ حوْلَ احتمالينَ أو أكثرَ مِن احتمالاتٍ محصورةٍ بعددٍ خاصٍّ، ويُستدَلُّ عليها بالقرائنِ، مثلُ قولِه تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ويَنقسِمُ القَصرُ أو الحَصرُ باعتبارٍ آخَرَ إلى ثَلاثةِ أقسامٍ: قصْرُ الموصوفِ على الصِّفةِ قَصْرَ إفرادٍ، وقصرَ قَلْبٍ، وقصرَ تعيينٍ.

يُنظر: ((مفتاح العلوم)) للسَّكَّاكي (ص: ٢٨٨)، ((الإيضاح في علوم البلاغة)) للقزويني (١/ ١١٨) و(٣/ ٦)، ((التعريفات)) للجرجاني (١/ ١٧٥، ١٧٦)، ((الإتقان)) للسيوطي (٣/ ١٦٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٦٢).

(٢) يُنظرُ: ((مفتاح العلوم)) للسكاكي (ص: ٢٨٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٦٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٦٢).

طرْدِهم، وتوقيفِ إيمانِهم عليه؛ حيثُ جَعلوا اتِّباعَهم المانعَ عنه[١].

١١- قولُه تعالى: ﴿إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ استِئنافٌ في معنى التَّعليلِ[٢].

- والقصْرُ إضافيٌّ، وهو قصْرُ موصوفٍ على صِفةٍ[٣].

- وفيه مُناسَبةٌ حَسَنةٌ، حيثُ تقدَّمَ في سُورةِ (هودٍ) حِكايةُ موقفٍ لنُوحٍ عليه السَّلامُ مع قومِه شبيهٍ بما حُكِيَ هُنا في قولِه تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ * أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ * فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ * قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ * وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ...﴾ [هود: ٢٥ - ٢٩]، وبينَ الحكايتَينِ اختِلافٌ ما؛ فلعلَّهما مَوقفانِ، أو هما كلامانِ في موقفٍ واحدٍ؛ حُكِيَ أحدُهما هُنالِكَ، والآخَرُ هنا على عادةِ قَصصِ القرآنِ؛ فما في إحدى الآيتَينِ مِن زِيادةٍ يُحمَلُ على أنَّه مُكمِّلٌ لِمَا في الأخرى[٤].

١٢- قولُه تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ﴾ تَمهيدٌ للدُّعاءِ عليهم، وهو خبرٌ

---

(١) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٤)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٧٧)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٤)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٦٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٦٣).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

مُستعمَلٌ في إنشاءِ التَّحسُّرِ، واليأسِ مِن إقلاعِهم عن التَّكذيبِ[١].

- وحذْفُ الياءِ مِن قولِه: ﴿كَذَّبُونِ﴾ للفاصِلةِ؛ كما تقدَّم في قولِه: ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾[٢] [الشعراء: ١٤].

١٣- قولُه تعالى: ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

- قولُه: ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ الفتْحُ: الحُكْمُ، وتأكيدُه بـ﴿فَتْحًا﴾؛ لإرادةِ حُكْمٍ شديدٍ، وهو الاستئصالُ؛ ولذلك أَعْقَبَه بالاحتراسِ بقولِه: ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٣] [الشعراء: ١١٨].

- قولُه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ۞ فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ حِكايةٌ إجماليَّةٌ لدُعائِه المُفصَّلِ في سُورةِ نوحٍ عليه السَّلامُ[٤]. ودَعا لنفْسِه ولِمَن آمَنَ به بالنَّجاةِ، وفي ذلك إشعارٌ بحُلولِ العذابِ بقَومِه[٥].

١٤- قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ﴾ لَمَّا كان إغراقُهم كلِّهم مِنَ الغرائبِ، عظَّمَه بأداةِ البُعدِ ومَظهرِ العَظمةِ؛ فقال: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾[٦].



(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٦٣).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥٥).

(٥) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٧٧).

(٦) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٦٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٦٣).

الآيات (١٢٣-١٤٠)

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾
أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم
بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم
بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟
سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ
بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾.

غَريبُ الكَلِماتِ:

﴿رِيعٍ﴾: أي: مكانٍ مُرتَفعٍ مِن الأرضِ، وأصلُ (ريع): يدُلُّ على ارتِفاعٍ وعُلوٍّ[١].

﴿ءَايَةً﴾: أي: بناءً عاليًا، وأعلامًا طِوالًا، وأصلُ الآيةِ: العَلامةُ[٢].

﴿تَعْبَثُونَ﴾: أي: تَلعَبون، وأصلُ (عبث): يدُلُّ على الخَلطِ[٣].

﴿مَصَانِعَ﴾: أي: مَنازِلَ، وحُصونًا، وقُصورًا مُشَيَّدةً، وقيل: صهاريجُ [أحواض]

---

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣١٨)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠٨)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٣١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٤٦٧)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٣٧٢).

(٢) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ١٦٨)، ((التفسير البسيط)) للواحدي (١٧/ ٩٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٠٢)، ((تفسير الزمخشري)) (١/ ١٧٩٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٦٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٢٠٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٤٣)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢٣).

عَميقةٌ تُتَّخَذُ للماءِ، وأصلُ (صنع): يدُلُّ على عَمَلِ الشَّيءِ[(١)].

﴿تَخۡلُدُونَ﴾: أي: تُقيمون فلا تموتونَ، وأصلُ (خلد): يدُلُّ على الثَّباتِ والمُلازَمةِ[(٢)].

﴿بَطَشۡتُم﴾: أي: عاقبتُم وضَربتُم، وأصلُ (بطش): يدُلُّ على أخذِ الشَّيءِ بقَهرٍ وغَلَبةٍ[(٣)].

﴿جَبَّارِينَ﴾: أي: قتَّالينَ بغيرِ حَقٍّ، وأصلُ (جبر): يدُلُّ على العُلُوِّ والقَهرِ[(٤)].

﴿أَوَعَظۡتَ﴾: الوَعظُ: زجْرٌ مُقترِنٌ بتخويفٍ، وتذكيرٌ بالخَيرِ وما يَرِقُّ له القَلبُ[(٥)].

﴿خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: أي: عادتُهم وشأنُهم ودينُهم، وأصلُ (خلق) هنا: تقديرُ الشَّيءِ[(٦)].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٠)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤٢٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٣١٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٩٣)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢٣)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٨٨٣).

(٢) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٢٠٧)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٩١)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٣)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٢٦٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٢٩)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٧٠)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٣)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٧٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٥٠١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٨٤).

(٥) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤١١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ١٢٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٧٦)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٨٠).

(٦) يُنظر: ((معاني القرآن)) للفراء (٢/ ٢٨١)، ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣١٩)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٦)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢١١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٢١٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٤).

المعنى الإجماليُّ:

يحكي الله تعالى جانبًا مِن قصةِ هودٍ عليه السلامُ معَ قومِه، فيقولُ: كذَّبَتْ قبيلةُ عادٍ رُسلَ اللهِ بتكذيبِهم رَسولَهم هودًا -فتَكذيبُهم له تكذيبٌ لِغَيرِه- حينَ قال لهم هودٌ، وهو أخوهم في النَّسَبِ: ألَا تتَّقون اللهَ، إنِّي لكم رسولٌ مِن اللهِ، أمينٌ على وَحيِه، فاتَّقوا سَخَطَ اللهِ وعِقابَه، وأطيعوني، وما أطلُبُ منكم على نُصحي لكم ثوابًا ولا جزاءً؛ فما ثوابي إلَّا مِن اللهِ رَبِّ العالَمينَ.

أتَبْنون بكُلِّ مَكانٍ مُرتَفِعٍ مِن الأرضِ بناءً عاليًا؛ عَبَثًا وفَخرًا، وتَصنَعون بناياتٍ مُحكَمةً كأنَّكم تَخلُدونَ في الدُّنيا، وإذا أخَذتُم النَّاسَ آذَيْتُموهم ظُلمًا وعُدوانًا! فاتَّقوا سَخَطَ اللهِ وعِقابَه وأطيعوني، واتَّقوا اللهَ الذي أعطاكم ما تَعلَمونَ مِن النِّعَمِ؛ أعطاكم أنعامًا وبنينَ، وبَساتينَ وعيونَ ماءٍ، إنِّي أخافُ عليكم مِن الله عذابَ يومٍ عَظيمِ الأهوالِ.

فقال له قَومُه: سواءٌ عندَنا وَعْظُك لنا وعَدَمُه، فلن نؤمِنَ بك، ما هذا الذي نحن عليه إلَّا عادةُ آبائِنا الأوَّلينَ، ونحن تابِعونَ لهم، وما نحن بمعَذَّبينَ في الدُّنيا ولا في الآخرةِ.

ثمَّ يُبيِّنُ الله تعالى إصرارَهم على التكذيبِ، وسوءَ عاقبتِهم، فيقولُ: فكذَّب هؤلاء المُشرِكون رَسولَهم، فأهلَكْناهم أجمَعينَ. إنَّ في إهلاكِنا قَومَ هُودٍ لَعِظةً وعِبرةً، وما كان أكثَرُ قَومِ هودٍ مُؤمِنينَ، وإنَّ ربَّك -يا مُحمَّدُ- لهو العزيزُ المنتَقِمُ مِن أعدائِه، الرَّحيمُ بعبادِه، فلا يعاجِلُهم بعذابِه.

تَفسيرُ الآياتِ:

﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٢٣﴾.

أي: كذَّبَتْ قبيلةُ عادٍ بجَميعِ رُسُلِ اللهِ[(١)].

كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ [هود: ٥٩].

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤)﴾.

أي: كذَّبوا هودًا -وهو أخوهم في النَّسَبِ- حينَ قال لهم: ألَا تتَّقون اللهَ، وتحذَرون عِقابَه، فتُوحِّدوه، وتَتركوا عبادةَ الأصنامِ[(٢)]؟

كما قال تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥].

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥)﴾.

أي: إنِّي لكم رَسولٌ مِن اللهِ، أمينٌ على وَحيِه الذي بعثَني به إليكم، فأبَلِّغُكم رسالتَه بلا زيادةٍ ولا نَقصٍ[(٣)].

كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٧-٦٨].

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦)﴾.

---

(١) يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٧).

قال السعدي: (أي: كذَّبت القبيلةُ المسمَّاةُ عادًا، رسولَهم هودًا، وتكذيبُهم له تكذيبٌ لِغَيرِه؛ لاتِّفاقِ الدَّعوةِ). ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥).

أي: فاتَّقوا سَخَطَ اللهِ وعِقابَه، وأطيعوني فيما آمُرُكم به، وأنهاكم عنه[١].

﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٧﴾.

﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ﴾.

أي: وما أطلُبُ منكم على نُصحي لكم أيَّ ثوابٍ وجَزاءٍ[٢].

﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

أي: ما أرجو ثَوابي إلَّا مِن اللهِ الخالِقِ الرَّازِقِ، المالِكِ المدَبِّرِ لجميعِ العالَمينَ دونَ غَيرِه[٣].

كما قال تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [هود: ٥١].

﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ١٢٨﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا فَرَغَ مِن الدُّعاءِ إلى الأصلِ -وهو الإيمانُ بالرَّسولِ والمُرسِلِ-؛ أتبَعَه إنكارَ بعضِ ما هم عليه ممَّا أوجبَه الكفرُ، وأوجبَ الاشتغالُ به الثباتَ على

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠٦)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥).

قال ابن عثيمين: (يعني: فلأنِّي رسولٌ أمينٌ افعَلوا ما آمرُكم به مِن التقوَى، وأحُثُّكم عليه). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢١٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠٦)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥١).

الغَيِّ، فقال[١]:

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ١٢٨﴾.

أي: قال هودٌ لِقَومِه: أتَبْنونَ بكُلِّ مَكانٍ مُرتَفِع بناءً عاليًا مُرتَفِعًا[٢]؛ دَلالةً على قوَّتِكم وشِدَّتِكم، وتتَّخِذونَ ذلك فَخرًا وإظهارًا للقُدرةِ والعَظَمةِ، مِن غيرِ حاجةٍ ونفعٍ حقيقيٍّ يعودُ عليكم[٣]؟!

عن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((مرَّ عَلَيَّ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ونحن نعالجُ خُصًّا[٤] لنا وَهَى[٥]، فقال: ما هذا؟ فقُلْنا: خُصٌّ لنا وهَى، فنحن نُصلِحُه، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ما أرَى الأمرَ إلَّا أعجَلَ مِن ذلك))[٦].

---

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٦٩).

(٢) قال ابن دُرَيْد: (الرِّيعُ: العُلُوُّ من الأرضِ حتى يمتَنِعَ أن يُسْلَكَ). ((جمهرة اللغة)) (٢/ ٧٧٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٠٦ - ٦١٠)، ((معاني القرآن)) للزجاج (٤/ ٩٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٢)، ((تفسير الألوسي)) (١٠/ ١٠٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢١٩، ٢٢٠).

وذهب ابنُ عاشور إلى أنَّهم بَنَوْا تلك الأبنيةَ علاماتٍ للمسافرينَ، وهو أمرٌ نافعٌ، لكنْ لَمَّا كان قصدُهم ببنائِها الرِّياءَ صار وُجودُها شبيهًا بالعبثِ؛ لعدَمِ قصدِهم رضا الله. يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٦٥، ١٦٦).

(٤) الخصُّ: بيتٌ يُعملُ مِن الخَشبِ والقَصبِ. يُنظر: ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (٢/ ٣٧).

(٥) أي: خرب أو كاد. يُنظر: ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (٥/ ٢٣٤).

(٦) أخرجه أبو داود (٥٢٣٦) واللفظ له، والترمذي (٢٣٣٥)، وابن ماجه (٤١٦٠)، وأحمد (٦٥٠٢).
قال الترمذي: حسنٌ صحيحٌ. وأخرجه ابن حبَّانَ في ((صحيحه)) (٢٩٩٦)، وصحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تحقيق ((مسند أحمد)) (٤/ ١٠)، وصحَّح الحديثَ الألبانيُّ في ((صحيح سنن أبي داود)) (٥٢٣٦).

وعن قيسِ بن أبي حازمٍ، قال: (دخَلْنا على خَبَّاب نَعودُه، وقد اكتوى سَبْعَ كَيَّاتٍ، فقال: إنَّ أصحابَنا الذينَ سَلَفوا مَضَوا ولم تَنقُصْهم الدُّنْيا، وإنَّا أَصَبْنا ما لا نجِدُ له مَوضِعًا إلَّا التُّرابَ، ولولا أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم نهَانا أن ندعوَ بالموتِ لدَعوتُ به. ثمَّ أتَيْناه مرَّةً أخرى وهو يَبني حائطًا له، فقال: إنَّ المُسلِمَ لَيُؤجَرُ في كُلِّ شَيءٍ يُنفِقُه، إلَّا في شَيءٍ يَجعلُه في هذا التُّرابِ[(١)])[(٢)].

﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾.

أي: وتَصنَعونَ بِناياتٍ مُحكَمةً[(٣)]، ....

(١) أي: الذي يُوضَعُ في البنيانِ، وهو محمولٌ على ما زاد على الحاجةِ. يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (١٠/ ١٢٩).

(٢) رواه البخاري (٥٦٧٢).

قال ابن حجر: (هذا كلُّه محمولٌ على ما لا تمَسُّ الحاجةُ إليه ممَّا لا بدَّ منه للتوطُّنِ، وما يقي البردَ والحَرَّ). ((فتح الباري)) (١١/ ٩٣).

(٣) قيل: المصانعُ: هي الصهاريجُ والخزَّاناتُ والأحواضُ التي تجمعُ الماءَ. وممَّن قال بذلك في الجملةِ: الزجَّاجُ، والسمعانيُّ، والزمخشري، وجلال الدين المحلي، وابن عاشور. يُنظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (٤/ ٩٦)، ((تفسير السمعاني)) (٤/ ٥٩)، ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٢٦)، ((تفسير الجلالين)) (ص: ٤٨٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٦٦).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السلفِ: قَتادةُ. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١١).

وقيل: هي الحصونُ. وممَّن قال بذلك: العليمي. يُنظر: ((تفسير العليمي)) (٥/ ٨٣).

قال ابنُ قُتَيْبةَ: («المَصَانعُ» البناءُ... وكأنَّ المعنى: أنَّهم كانوا يَستوثِقون في البناءِ والحُصونِ، ويذهبونَ إلى أنَّها تحَصِّنُهم مِن أقدارِ الله عزَّ وجلَّ). ((غريب القرآن)) (ص: ٣١٩).

وقيل: هي القصورُ. وممَّن قال بذلك: مقاتلُ بنُ سليمان، وابن أبي زمنين، والقاسمي. يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٧٤)، ((تفسير ابن أبي زمنين)) (٣/ ٢٨٢)، ((تفسير القاسمي)) (٧/ ٤٦٧).

قال ابن عطية: («المصانع» جمعُ مصنع، وهو ما صُنع وأُتقِنَ في بنائِه مِن قصرٍ مَشيدٍ ونحوِه). ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٣٨). ويُنظر: ((تفسير ابن جزي)) (ص: ١٣٠٤). =

كأنَّكم تَخلُدونَ في الدُّنيا(١)!

= وممَّن قال بنحوِ هذا القولِ مِن السلفِ: ابنُ عباس، ومجاهدٌ، والحسنُ، والكلبي. يُنظر: ((تفسير يحيى بن سلام)) (٢/ ٥١٤)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١١)، ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٧٤).

وممَّن جمَع بيْنَ هذَينِ القولَينِ في الجملةِ: الواحديُّ، فقال: (قوله: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ [الشعراء: ١٢٩] المصانعُ: التي يتخِذُها الناسُ مِن الأبنيةِ والآبارِ). ((الوسيط)) (٣/ ٣٥٩).

قال ابنُ جرير: (الصوابُ من القولِ في ذلك أنْ يُقالَ: إنَّ المصانعَ جمعُ مَصنعةٍ، والعربُ تُسمِّي كلَّ بناءٍ مَصنعةً، وجائزٌ أن يكونَ ذلك البناءُ كان قصورًا وحُصونًا مُشَيَّدةً، وجائزٌ أن يكونَ كان مآخِذَ للماءِ، ولا خبَرَ يقطَعُ العُذرَ بأيِّ ذلك كان، ولا هو مما يُدرَكُ مِن جهةِ العقلِ. فالصوابُ أنْ يُقالَ فيه ما قال اللهُ: إنَّهم كانوا يتَّخِذونَ مصانعَ). ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١١).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١١، ٦١٢)، ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٧٤)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٢، ١٥٣)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٧٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٦٦).

واختلف المفسِّرون في قَولِه تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ﴾؛ فقيل: هي على بابِها للترجِّي. وممَّن قال بذلك: ابنُ عاشور، وابنُ عثيمينَ. يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٦٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٢٣).

وقيل: هي للتَّشبيهِ، بمعنى: كأنَّ. وممَّن قال بذلك: ابنُ جرير، والواحديُّ -ونسبَه إلى أكثرِ المفسِّرينَ-، والبغويُّ. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٢)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٥٩)، ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٧٤).

قال الواحديُّ: (﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ أي: كأنَّكم تَخلُدونَ، قاله أكثَرُ المفسِّرينَ، والمعنى: أنَّهم كانوا يَستوثِقونَ المصانعَ كأنَّهم يَخلُدونَ فيها ولا يموتونَ، و«لعلَّ» يأتي في الكلامِ بمعنى «كأنَّ»). ((الوسيط)) (٣/ ٣٥٩).

وقيل: هي للتَّعليلِ بمعنى (كَيْ)، وممَّن ذهب إلى ذلك: الفرَّاءُ، وابنُ قُتَيْبةَ، وابنُ كثير. يُنظر: ((معاني القرآن)) للفراء (٢/ ٢٨١)، ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣١٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٣).

قال الرازي: (إنَّما صار مذمومًا؛ لدَلالتِه على الأملِ الطويلِ، والغَفلةِ عن أنَّ الدنيا دارُ ممَرٍّ، لا دارُ مقَرٍّ). ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥٢٣). =

﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ١٣٠﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا بَيَّنَ أنَّ عمَلَهم عمَلُ مَن لا يترقَّبُ الموتَ؛ أتبَعَه ما يدُلُّ على أنَّهم لا يَظنُّونَ الجزاءَ، فقال[1]:

﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ١٣٠﴾.

أي: وإذا أخَذْتُم النَّاسَ وقَهَرْتُموهم، فإنَّكم تُفرِطون في أذيَّتِهم عُدوانًا وظُلمًا، كأنْ يَقتُلوهم، أو يَضرِبوهم بقَسوةٍ بغيرِ حَقٍّ[2].

كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: ١٥].

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٣١﴾.

أي: فاتَّقوا سَخَطَ اللهِ وعِقابَه، وأطيعوني فيما آمُرُكم به وأنهاكم عنه؛ فقد بانَ لكم صِدقي[3].

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ١٣٢﴾.

= قال ابنُ قُتَيْبةَ: (وكأنَّ المعنى: أنَّهم كانوا يَستوثِقونَ في البناءِ والحصونِ، ويذهبون إلى أنَّها تُحَصِّنُهم مِن أقدارِ الله عزَّ وجلَّ). ((غريب القرآن)) (ص: ٣١٩). ويُنظر: ((معاني القرآن)) للفراء (٢/ ٢٨١).

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٧٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٣)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٦٨، ١٦٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٣)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥).

أي: واتَّقوا اللهَ الذي أعطاكم ما تعلَمونَ مِن النِّعَمِ والخَيراتِ المُتتابِعةِ[١].

﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ١٣٣﴾.

أي: أعطاكم اللهُ ما تَعلمونَ مِن المواشي[٢]، والأبناءِ الذُّكورِ[٣].

﴿وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ١٣٤﴾.

أي: وأعطاكم اللهُ ما تعلمون مِنَ البساتينِ، وعُيونِ الماءِ[٤].

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٣٥﴾.

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٣)، ((تفسير الماتريدي)) (٨/ ٧٥)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥).

قال البقاعي: (﴿بِمَا تَعۡلَمُونَ﴾ أي: ليس فيه نوعُ خَفاءٍ حتى تُعذَروا في الغَفلةِ عن تقييدِه بالشُّكرِ). ((نظم الدرر)) (١٤/ ٧١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٣).

قال السعدي: (﴿أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٍ﴾ مِن إبلٍ وبقَرٍ وغَنَمٍ). ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٣)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٢٨).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٣)، ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٧٥)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢٥).

والعيونُ قيل: هي الأنهارُ. وممَّن قال بذلك: مقاتلُ بن سليمان، وابن جرير، والسمرقندي، والسمعاني، والبغوي. يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٦٥)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٣)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٦٢)، ((تفسير السمعاني)) (٤/ ٦٠)، ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٧٥).

وقال ابن عثيمين: (فالعيونُ هي التي تنبُعُ مِن الأرضِ، والأنهارُ كما هو معروفٌ لا تنبُعُ مِن الأرضِ، وإنَّما تأتي مِن الأمطارِ والسيولِ وغيرِها). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٢٨).

وقال الشوكاني: (أنهار، وأبيار). ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٢٨).

أي: إنِّي أخافُ أن يُصيبَكم مِنَ الله عذابُ يومٍ عظيمِ الأهوالِ، إنْ أصرَرْتُم على الكُفرِ والتَّكذيبِ(١).

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦)﴾.

أي: قال قَومُ هودٍ لِنبيِّهم: يستوي عندَنا وَعْظُك لنا وتَركُك له، فلن نؤمِنَ بك، ولن نترُكَ دينَنا(٢).

كما قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٥٣].

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (١٣٧)﴾.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٣)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٠).
قال ابن عاشور: (والعذابُ يجوزُ أن يريدَ به عذابًا في الدُّنيا توعَّدهم اللهُ به على لسانِه، ويجوزُ أن يريدَ به عذابَ يومِ القيامةِ). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٠)، ويُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٣٠، ٢٣١).
ممَّن اختار أنَّ المرادَ: العذابُ في الدُّنيا: مقاتلُ بنُ سليمانَ، وابنُ عطيَّةَ. يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٧٤)، ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٣٩).
وممَّن اختار أنَّ المرادَ: العذابُ في الدُّنيا والآخرةِ: السمرقنديُّ، والبيضاوي، وأبو السعود، والعليمي، والشوكاني، والقاسمي. يُنظر: ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٦٢)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٦)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥٧)، ((تفسير العليمي)) (٥/ ٨٥)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٢٨)، ((تفسير القاسمي)) (٧/ ٤٦٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٤)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥).
قال ابن عاشور: (الوعظُ: التخويفُ والتَّحذيرُ مِن شَيءٍ فيه ضُرٌّ... ومعنى: ﴿أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾ أم لم تكُنْ في عدادِ الموصوفينَ بالواعظينَ). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧١).

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

١- قِراءةُ ﴿خَلْقُ﴾ قيل: بمعنى: كَذِب، أي: ما هذا الذي أتَيْتَنا به مِن الدِّينِ ووعَدْتَنا مِن البَعثِ والعذابِ إلَّا كَذِبُ الأوَّلينَ، ومِن أحاديثِهم المُختَلَقةِ. وقيل: المرادُ إنكارُهم البَعثَ، أي: خُلِقْنا كما خُلِق الأوَّلون مِن قَبْلِنا، فنحنُ مِثلُهم نحيا ونموتُ ولا نُبعَثُ[1]!

٢- قِراءةُ ﴿خُلُقُ﴾ بمعنى: عادةِ آبائِنا الأوَّلينَ[2].

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾﴾.

أي: ما هذا الذي نحن عليه إلَّا عادةُ آبائِنا الأوَّلين، ونحنُ تابعونَ لهم، سالِكونَ وراءَهم[3].

---

(١) قرأ بها ابنُ كثيرٍ، وأبو عَمرٍو، والكسائيُّ، ويعقوبُ، وأبو جعفرٍ. يُنظر: ((تحبير التيسير)) لابن الجزري (ص: ٤٨٨).
ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٧٤)، ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: ٢٦٨)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٥١٨)، ((الكشف)) لمكِّي (٢/ ١٥١).

(٢) قرأ بها الباقون. يُنظر: ((تحبير التيسير)) لابن الجزري (ص: ٤٨٨).
ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((معاني القراءات)) للأزهري (٢/ ٢٢٨)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٥١٨)، ((الكشف)) لمكِّي (٢/ ١٥١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٦)، ((معاني القرآن)) للزجاج (٤/ ٩٧)، ((البسيط)) للواحدي (١٧/ ١٠١)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٤).
ممَّن اختار في الجملةِ أنَّ المرادَ: عادةُ الأوَّلينَ وطبيعتُهم ودأْبُهم: ابنُ جرير، والزجَّاجُ، والسمرقندي، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية، والخازن، وجلال الدين المحلي. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٦)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (٤/ ٩٧)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٦٢)، ((تفسير السمعاني)) (٤/ ٦٠)، ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٧٥)، ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٣٩)، ((تفسير الخازن)) (٣/ ٣٣٠)، ((تفسير الجلالين)) (ص: ٤٨٨). =

﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾.

أي: ولن يُعَذِّبَنا اللهُ في الدُّنيا، ولن يبعَثَنا بعدَ مَوتِنا لِيُعذِّبَنا في الآخرةِ[١].

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾.

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ﴾.

أي: فكذَّب المُشرِكون مِن قَومِ عادٍ رَسولَهم هودًا، فأهلَكْناهم في الدُّنيا[٢].

= قال الواحديُّ: (وله [أي: القولِ بأنَّ المرادَ: العادةُ] تأويلان؛ أحدُهما: أنَّهم قالوا: ما هذا الذي نحن فيه إلَّا عادةُ الأوَّلينَ مِن قَبْلِنا، يعيشون ما عاشوا، ثمَّ يموتونَ، ولا بَعثَ ولا حِسابَ. والثاني: ما هذا الذي أنكَرْتَ علينا مِن الشأنِ والبَطشِ إلَّا عادةُ مَن قبْلَنا؛ فنحن على ما كانوا عليه نَقتدي بهم). ((البسيط)) (١٧/ ١٠١).

وقال ابنُ كثيرٍ: (﴿ خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴾... يَعْنونَ: دينَهم وما هم عليه مِنَ الأمرِ هو دينُ الأوائلِ مِنَ الآباءِ والأجدادِ، ونحنُ تابعونَ لهم، سالِكونَ وراءَهم، نعيشُ كما عاشوا، ونموتُ كما ماتوا، ولا بعثَ ولا معادَ؛ ولهذا قالوا: ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾). ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٤).

وقال السعدي: (أي: هذه الأحوالُ والنِّعَمُ ونحوُ ذلك عادةُ الأوَّلينَ؛ تارةً يَستغنون، وتارةً يَفتَقِرون، وهذه أحوالُ الدَّهرِ، لا أنَّ هذه مِحَنٌ ومِنَحٌ مِن الله تعالى، وابتلاءٌ لعبادِه). ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥). ويُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٧٢).

وقال ابن عاشور: (الإشارةُ تنصرِفُ إلى ما هم عليه الَّذي نَهاهم عنه رسولُهم. ويجوزُ أنْ يَكونوا أرادوا ما يَدْعو إليه رسولُهم: أي: ما هو إلَّا مِن خُلُقِ أناسٍ قبْلَه، أي: مِن عقائدِهم وما راضوا عليه أنفسَهم، وأنَّه عَبَر عليها وانْتَحَلها، أي: ما هو بإذْنٍ مِن الله). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٢). ويُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٣٩).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٧)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٦)، ((تفسير النسفي)) (٢/ ٥٧٥).

قال السعدي: (﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ وهذا إنكارٌ منهم للبعثِ، أو تنزُّلٌ مع نبيِّهم وتهكُّمٌ به، إنَّنا على فرضِ أنَّنا نُبعَثُ، فإنَّنا كما أُدِرَّتْ علينا النِّعمُ في الدُّنيا، كذلك لا تَزالُ مستمرَّةً علينا إذا بُعِثْنا). ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٧)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥).

كما قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت: ١٦].

وقال سُبحانَه: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦ - ٨].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾.

أي: إنَّ في إهلاكِ قَومِ هُودٍ لَعِظةً وعِبرةً ودَلالةً واضِحةً على صِدقِ رسولِه(١).

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

أي: ولم يكُنْ أكثَرُ قومِ هُودٍ مُؤمِنينَ حقًّا، معَ وجودِ الآياتِ المُقتَضيةِ لإيمانِهم(٢).

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾.

أي: وإنَّ رَبَّك -يا مُحمَّدُ- لهو العزيزُ القاهرُ الغالِبُ، المنتَقِمُ مِن أعدائِه، الرَّحيمُ بعبادِه، فلا يعاجِلُهم بعَذابِه، ومِن رحمتِه أنَّه يُرسِلُ رُسُلًا، ويُنزِلُ معهم ما يُبيِّنُ به ما يُرضيه وما يُسخِطُه، فلا يُهلِكُ قومًا إلَّا بعد إعذارِهم، ومِن رحمتِه أنَّه يُنجِّي أتْباعَ رُسُلِه(٣).

الفَوائِدُ التَّربويَّةُ:

١- في قَولِه تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ أنَّه ينبغي للإنسانِ أنْ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٦٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٦٣)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٠٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٧٥)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٧)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٧٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥).

يكونَ غرَضُه مِن عمَلِه -ولا سيَّما العمَلِ الجبَّارِ العظيمِ- أنْ يكونَ غرضُه غرَضًا صحيحًا، لا عبثًا ومُباهاةً؛ لِقَولِه: ﴿تَعْبَثُونَ﴾، وهذا هو مَحَطُّ الانتقادِ، ليس بأنْ يَبنوا ﴿بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً﴾، ولكنْ كَوْنُ ذلك عبثًا هو مَحَلُّ الانتقادِ، ومَحَطُّ اللَّومِ(١).

٢- في قَولِه تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ حاصلُ الأمرِ في هذه الأمورِ الثلاثةِ: أنَّ اتِّخاذَ الأبنيةِ العاليةِ يدُلُّ على حُبِّ العُلوِّ، واتخاذَ المصانعِ يدُلُّ على حُبِّ البقاءِ، والجبَّاريَّةَ تدُلُّ على حُبِّ التفرُّدِ بالعُلوِّ، فيَرجِعُ الحاصلُ إلى أنَّهم أحَبُّوا العلوَّ، وبقاءَ العلوِّ، والتفرُّدَ بالعلوِّ، وهذه صفاتُ الإلهيَّةِ، وهي ممتنعةُ الحصولِ للعبدِ؛ فدلَّ ذلك على أنَّ حُبَّ الدنيا قد استولى عليهم بحيثُ استغرَقوا فيه، وخرَجوا عن حَدِّ العبوديَّةِ، وحاموا حولَ ادِّعاءِ الرُّبوبيَّةِ، وكلُّ ذلك يُنَبِّهُ على أنَّ حُبَّ الدُّنيا رأسُ كلِّ خطيئةٍ، وعنوانُ كلِّ كُفرٍ ومَعصيةٍ(٢).

٣- إنَّ اتخاذَ المباني الفَخمةِ للفَخرِ والخُيَلاءِ والزِّينةِ، وقَهرَ العبادِ بالجَبَروتِ: مِن الأمورِ المذمومةِ الموروثةِ عن الأُمَمِ الطَّاغيةِ، كما قال اللهُ في قِصَّةِ عادٍ، وإنكارِ هودٍ عليهم؛ قال: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾(٣).

٤- في قَولِه تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ أنَّ الدَّاعيةَ ينبغي له أنْ يُذَكِّرَ المدعوَّ بنِعَمِ اللهِ عليه، والحكمةُ من تذكيرِه بالنِّعَمِ: أنَّ النِّعَمَ تستوجِبُ الشكرَ، وطاعةَ الرحمنِ، وتَضمَنُ ذلك عقلًا؛ لأنَّ مَن

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٢٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥٢٣).

(٣) يُنظر: ((تيسير اللطيف المنان)) للسعدي (١/ ١٩٣).

أَحسَنَ إليك، فإنَّه مِن المستحسَنِ عقلًا أنْ تُطيعَه بما يأمُرُك به[١].

٥- ينبغي للدَّاعِيةِ -مع قَرْنِ دعوته بذِكرِ النِّعَم- أنْ يَقْرِنَها بالتَّخويفِ، ويُؤخَذُ مِن قولِه: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾، وينبغي إذا كان المقامُ أنسَبَ أنْ يكونَ غيرَ مُصرِّح بذلك؛ لقولِه: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾ كالمتوقِّعِ له غيرِ الجازمِ به، فلم يَقُلْ: إنَّكم ستُصابونَ بيومٍ عظيمٍ؛ لأنَّ المقامَ يقتضي ذلك، ولكلِّ مقامٍ مقالٌ[٢]، وأيضًا أبرَزَ تحذيرَهم من عذابِ اللهِ في صُورةِ الخوفِ لا على سَبيلِ الجزمِ؛ إذْ كان راجيًا لإيمانِهم[٣].

٦- في قَولِه تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهۡلَكۡنَٰهُمۡ﴾ أنَّ التكذيبَ سببٌ للإهلاكِ، فينبغي للمؤمنِ الذي يَعتبرُ بقَصصِ الأنبياءِ السابقينَ أنْ يَحذرَ مِن هذا التكذيبِ؛ لأنَّه إنْ فعَلَ أُهلِكَ[٤].

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:

١- في قَولِه تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ﴾ جوازُ وصفِ الإنسانِ بالثَّناءِ على نَفْسِه للمَصلحةِ، وهذا أيضًا وَرَدَ عن النَّبيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ؛ أنَّه قال: ((أنا سيِّدُ ولدِ آدَمَ يومَ القيامةِ))[٥]، وورَدَ أيضًا عنِ الصحابةِ مِثلُ هذا المَدحِ في قولِ ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه: (لو أعلَمُ أحدًا أعلَمَ مِنِّي بكتابِ اللهِ -تَبلُغُه الإبلُ- لرَكِبتُ إليه)[٦]، لكنْ بشرطِ أنْ يكونَ غرضُ الإنسانِ من ذلك المصلحةَ[٧].

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٢٩).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ٢٣٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨٠).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٣٨).

(٥) أخرجه مسلم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) أخرجه البخاري (٥٠٠٢)، ومسلم (٢٤٦٣).

(٧) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٢١).

٢- في قَولِه تعالى: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ﴾ دليلٌ على إخلاصِ الرُّسُلِ للهِ[1].

٣- في قَولِه تعالى: ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ الاحتِسابُ؛ احتسابُ الإنسانِ عَمَلَه على اللهِ، فليس هذا للإدلالِ على اللهِ بهذا العَمَلِ، والمِنَّةِ عليه به، ولكنَّ الاحتسابَ به عليه لرَجاءِ ثوابِه[2].

٤- في قَولِه تعالى: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ * وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ دليلٌ على أنَّ كلَّ مَن عَمِيَ عن الحُجَّةِ، وترَكَ تَبَصُّرَ البيانِ، وعَوَّلَ على عَقْلِ غيرِه: أهلَكَه؛ إذْ لا يُعلَمُ أحَدٌ مِمَّن هَلَكَ مِن القرونِ الخاليةِ إلَّا صادًّا عن بيانِ الرُّسُلِ، مُعَوِّلًا على الآباءِ الماضِينَ، واختيارِ عقولِهم على عقولِ أنفُسِهم، ألَا ترى أنَّ عادًا أهملوا مَوعِظةَ هودٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وتَركوا الإصغاءَ إليه مُطْمَئِنِّينَ إلى ما كان آباؤُهم يقولونَ؟! ويأمُلون أنَّهم إذا ماتوا لم يُبعَثوا، ولم يُحاسَبوا[3]!

٥- قال الله تعالى: ﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ﴾، في قوله: ﴿تَعۡبَثُونَ﴾ أنَّ هؤلاء الذين يحاولون أنْ يَصِلوا إلى الكواكبِ مثلُ قومِ عادٍ تمامًا، فالطريقةُ هي الطريقةُ -وإنْ كان الأسلوبُ مختلفًا-، يعني: يفعلون هذه الأشياءَ عبثًا؛ إذْ لا يستفيدونَ منها فيما خُلِقَ لهم: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ [البقرة: ٢٩]، فالذي في الأرضِ هو الذي خُلِق لنا، فانتفِعوا به مباشرةً، أمَّا الذي في السماءِ فمُسَخَّرٌ لمصالِحِنا؛ ولكنَّنا لا ننتفعُ به مباشرةً! فالذي يُنتفعُ به مباشرةً هو ما في الأرضِ، ولهذا يقولُ بعضُ الناسِ: «لماذا تحاولونَ أنْ تَصِلوا للسَّماءِ، وأنتم عاجزونَ عن حَلِّ مشاكِلِكم في الأرضِ؟!»، وهذا صحيحٌ، لكنَّهم يعملونَ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٢٢).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ٢٢٢).

(٣) يُنظر: ((النكت الدالة على البيان)) للقصاب (٣/ ٥٣٣).

هذا لمجرَّدِ العَبَثِ والفخرِ؛ وأنَّهم أقوياءُ، مع أنَّ قومَ هودٍ -وهؤلاءِ القومُ أيضًا المعاصرون- يَخسَرون لأجْلِ هذه الأمورِ خسائرَ باهظةً! فصارت عبثًا؛ لأنَّ كلَّ شيءٍ يُتعِبُ الإنسانُ فيه جسْمَه ومالَه وفِكْرَه بدونِ فائدةٍ فهو عبثٌ، ولا فائدةَ منه(١).

٦- البِناياتُ للقُصورِ والحُصونِ والدُّورِ وغَيرِها مِن الأبنيةِ: إمَّا أن تُتَّخذَ مساكِنَ للحاجةِ إليها، والحاجاتُ تتنوَّعُ وتختَلِفُ، فهذا النوعُ مِن الأمورِ المباحةِ، وقد يُتوسَّلُ به بالنيَّةِ الصالحةِ إلى الخيرِ، وإمَّا أن تكونَ البناياتُ حُصونًا واقيةً لشُرورِ الأعداءِ، وثُغورًا تُحفَظُ بها البلادُ ونحوُها مما ينفَعُ المسلمينَ، ويقيهم الشَّرَّ؛ فهذا النوعُ يدخُلُ في الجهادِ في سَبيلِ الله، وهو داخِلٌ في الأمرِ باتِّخاذِ الحَذَرِ مِن الأعداءِ، وإمَّا أن تكونَ للفَخرِ والخُيَلاءِ والبَطشِ بعبادِ الله، وتبذيرِ الأموالِ التي يتعيَّنُ صَرفُها في طُرُقٍ نافعةٍ؛ فهذا النوعُ هو المذمومُ الذي أنكرَه اللهُ على عادٍ وغيرِهم؛ قال الله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾(٢).

٧- هذه النِّعَمُ التي يُمِدُّ اللهُ بها العبدَ تستوجِبُ تقوى اللهِ؛ لقولِه: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾، فقولُه: ﴿الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ كالتَّعليلِ للأمرِ بالتقوى، أتى به إقامةً للحُجَّةِ عليهم؛ لأنَّ مَن أمَدَّك بهذه النِّعمِ كان أولَى بأنْ تتَّقيَه(٣).

٨- قَولُه تعالى: ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ يدُلُّ على أنَّ هذا الرَّبعَ الخاليَ الآنَ من الماءِ أنَّه كان فيه بساتينُ، وكان فيه أنهارٌ، ولعَلَّ هذا يُوحي به أيضًا قَولُ الرَّسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: ((لا تقومُ السَّاعةُ حتى تعودَ أرضُ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٢٠).
(٢) يُنظر: ((تيسير اللطيف المنان)) للسعدي (١/ ١٩٤).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٢٧، ٢٢٩).

العَرَبِ مُروجًا وأنهارًا))[(١)]، فإنَّ قولَه: ((حتى تعودَ)) العَودُ بعْدَ البَدءِ، فهذه الجنَّاتُ ليست مجرَّدَ بساتينَ فقط؛ لأنَّه لا يُسمَّى البُستانُ جنَّةً إلَّا إذا كان كثيرَ الأشجارِ والزُّروعِ، حيث يَجُنُّ مَن فيه ويَستُرُه[(٢)].

٩- الإنسانُ قد لا يَكترِثُ بالواعِظِ؛ لكَوْنِه مِن غيرِ أهلِه، وقد لا يَكترِثُ به عِنادًا، وهؤلاء لَمَّا قالوا: ﴿أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾ دلَّ ذلك على أنَّهم مُعانِدونَ[(٣)].

بلاغةُ الآياتِ:

١- قولُه تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ جُملةٌ مُستأنَفةٌ استئنافَ تَعدادٍ لأخبارِ التَّسليةِ للرَّسولِ، وتكريرِ الموعظةِ للمُكذِّبينَ بعْدَ جُملةِ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[(٤)] [الشعراء: ١٠٥].

٢- قولُه تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فيه حَذْفُ ياءِ ﴿وَأَطِيعُونِ﴾؛ لمراعاةِ الفاصلةِ[(٥)].

٣- قولُه تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ﴾

- الاستِفهامُ في قولِه: ﴿أَتَبْنُونَ﴾ استفهامُ إنكارٍ وتَوبيخٍ[(٦)]، ولَمَّا صار أثَرُ البِناءِ شاغلًا عن المقصدِ النافعِ للحياةِ في الآخرةِ، نُزِّلَ فِعلُهم المُفْضي إلى العَبَثِ منزلةَ الفِعلِ الذي أُريدَ منه العبثُ عندَ الشُّروعِ فيه؛ فأنكَرَ عليهم البِناءَ بإدخالِ همزةِ الإنكارِ على فعْلِ (تَبْنُونَ)، وقُيِّدَ بجملةِ ﴿تَعْبَثُونَ﴾ التي هي

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٧٠١) (١٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٢٨).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ٢٣٢).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٦٤).
(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٦٥).
(٦) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٦٥، ١٦٦).

في موضِعِ الحالِ مِن فاعِلِ (تَبْنُونَ)، مع أنَّهم لَمَّا بَنَوْا ذلك ما أرادوا بفِعلِهم عبثًا؛ فمَناطُ الإنكارِ مِنَ الاستفهامِ الإنكاريِّ هو البِناءُ المُقَيَّدُ بالعبَثِ؛ لأنَّ الحُكمَ إذا دخَلَ على مُقيَّدٍ بقَيْدٍ انصرَفَ إلى ذلك القَيْدِ، وكذلك المعطوفُ على الفعلِ المستفهَمِ عنه -وهو جملةُ ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾- هو داخِلٌ في حَيِّزِ الإنكارِ، ومُقَيَّدٌ بجملةِ الحالِ المُقَيَّدِ بها المعطوفُ عليه[1].

٤- قولُه تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾

- قولُه: ﴿مَصَانِعَ﴾ مصدرٌ ميميٌّ وُصِفَ به؛ للمبالَغةِ[2].

- قولُه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ على القولِ بأنَّ (لعلَّ) على بابِها مِنَ الرَّجاءِ، فكأنَّه تعليلٌ للبناءِ والاتِّخاذِ. وقيل: معناهُ الاستفهامُ على سبيلِ التوبيخِ والهُزْءِ بهم، أي: هل أنتم تَخْلُدون[3]؟!

٥- قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ وقَعَ فِعلُ ﴿بَطَشْتُمْ﴾ الثاني جوابًا لـ (إذا)، وهو مُرادِفٌ لفِعلِ شرْطِها؛ لحُصولِ الاختلافِ بيْنَ فعلِ الشرطِ وفعلِ الجوابِ بالعُمومِ والخُصوصِ، وإنَّما يُقصَدُ مِثلُ هذا النَّظْمِ لإفادةِ الاهتمامِ بالفِعلِ؛ إذْ يحصُلُ مِن تكريرِه تأكيدُ مدلولِه[4]. وقيل: أتَى بالجَزاءِ نفْسَ الشرْطِ؛ للمبالَغةِ[5].

٦- قولُه تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٦٦، ١٦٧).
(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٦٧).
(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٧٨).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٦٩).
(٥) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٣٩٦).

- لَمَّا أفاد الاستِفهامُ في قولِه: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً﴾ [الشعراء: ١٢٨] معنى الإنكارِ على ما قارَنَ بناءَهُمُ الآياتِ واتِّخاذَهُمُ المصانعَ وعلى شِدَّتِهم على الناسِ عِندَ الغضبِ؛ فرَّعَ عليه أمْرَهم باتِّقاءِ اللهِ، وحصَلَ معَ ذلك التفريعِ تكريرُ جملةِ الأمرِ بالتَّقْوى والطاعَةِ[١].

- وحَذْفُ ياءِ المتكلِّمِ مِن ﴿أَطِيعُونِ﴾؛ لِرعايةِ الفاصلةِ[٢].

٧- قولُه تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾

- أُعيدَ فِعلُ ﴿وَاتَّقُوا﴾ وهو مُستغنًى عنه لوِ اقتُصِرَ على المَوصولِ وصفًا لاسمِ الجلالةِ؛ لأنَّ ظاهِرَ النَّظْمِ أنْ يُقالَ: (فاتَّقوا اللهَ الذي أمَدَّكم بما تعلمونَ)؛ فعُدِلَ عن مُقتضى الظاهِرِ، وبُنِيَ الكلامُ على عطْفِ الأمرِ بالتَّقوى على الأمرِ الذي قبْلَه؛ تأكيدًا له، واهتمامًا بالأمرِ بالتقْوى، مع أنَّ ما عرَضَ مِنَ الفصلِ بيْنَ الصِّفةِ والموصوفِ بجملةِ ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ قضَى بأنْ يُعادَ اتِّصالُ النَّظمِ بإعادةِ فِعلِ (اتَّقوا)[٣].

- وقيل: إنَّما أُتِيَ بفعلِ (اتَّقُوا) مَعطوفًا، ولم يُؤْتَ به مَفصولًا -أي: غيرَ مَعطوفٍ-؛ لِمَا في الجُملةِ الثانيةِ مِنَ الزِّيادةِ على ما في الجُملةِ الأولى مِنَ التذكيرِ بإنعامِ اللهِ عليهم؛ فعُلِّقَ بفِعلِ التقْوى في الجُملةِ الأُولى اسمُ الذاتِ المقدَّسةِ؛ للإشارةِ إلى استحقاقِه التقْوى لِذاتِه، ثمَّ عُلِّقَ بفعلِ التقوى في الجملةِ الثانيةِ اسمُ الموصولِ بصِلَتِه الدالَّةِ على إنعامِه؛ للإشارةِ إلى استحقاقِه التقوى؛ لاستحقاقِه الشكرَ على ما أنعَمَ به[٤].

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٦٩).
(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

- ولَمَّا نبَّهَهم ووَبَّخَهم على أفعالِهِمُ القبيحةِ، أمَرَهم ثانيًا بتقوى اللهِ وطاعةِ نبيِّهِ، ثمَّ أمَرَهم ثالثًا بالتقوى؛ تنبيهًا لهم على إحسانِه تعالى إليهم، وسُبوغِ نعمتِه عليهم، وأبرَزَ صِلةِ (الذي) مُتعلِّقةً بعِلْمِهم؛ تنبيهًا لهم وتحريضًا على الطاعةِ والتقْوى؛ إذْ شُكْرُ المحسِنِ واجبٌ، وطاعتُه مُتعيِّنةٌ، ومُشيرًا إليهم بأنَّ مَن أمَدَّ بالإحسانِ هو قادرٌ على سَلْبِه، وعلى تعذيبِ مَن لم يَتَّقِه؛ إذْ هذا الإمدادُ ليس مِن جِهتِكم، وإنَّما هو مِن تفَضُّلِه تعالى عليكم؛ بحيثُ أتبعَكم إحسانَه شيئًا بعْدَ شيءٍ[1].

٨- قولُه تعالى: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾

- أجْمَلَها أوَّلًا، ثمَّ فصَّلها بقولِه: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ...﴾ بإعادةِ الفعلِ؛ لزيادةِ التَّقريرِ؛ فإنَّ التَّفصيلَ بعْدَ الإجمالِ والتَّفسيرَ إثْرَ الإبهامِ أدْخَلُ في ذلك[2]. وهذا التفصيلُ بعْدَ الإجمالِ واردٌ على المبالَغةِ في التنبيهِ على نِعَمِ اللهِ تعالى[3].

- وقد جاء في ذِكْرِ النِّعمةِ بالإجمالِ الذي يُهيِّئُ السامِعينَ لتلقِّي ما يَرِدُ بعْدَه؛ فقال: ﴿الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾، ثمَّ فصَّلَ بقولِه: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾، وأُعيدَ فِعلُ ﴿أَمَدَّكُم﴾ في جُملةِ التفصيلِ؛ لزيادةِ الاهتمامِ بذلك الإمدادِ؛ فهو للتوكيدِ اللَّفظيِّ، وهذه الجملةُ بمنزلةِ بَدَلِ البعضِ مِن جُملةِ ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾؛ فإنَّ فعلَ ﴿أَمَدَّكُم﴾ الثاني وإنْ كان مُساويًا لـ﴿أَمَدَّكُم﴾ الأوَّلِ؛ فإنَّما صار بدلًا منه باعتبارِ ما تعلَّقَ به مِن قولِه: ﴿بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ...﴾

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٧٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥٧).

(٣) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٣٩٩).

إلخ الذي هو بعضٌ ممَّا تعلمونَ، وكِلا الاعتبارَيْنِ -التوكيدُ والبدلُ- يَقتضي الفَصْلَ؛ فلأجْلِه لم تُعطَفِ الجملةُ(١).

- وبَدَأَ تَعدادَ النِّعَم بذِكْرِ الأَنعام؛ لأنَّها أجَلُّ نعمةٍ على أهلِ ذلك البلدِ؛ لأنَّ منها أقواتَهم ولِباسَهم، وعليها أسفارَهم، وكانوا أهلَ نُجْعةٍ(٢)؛ فهي سببُ بقائِهم، وعطَفَ عليها البنينَ؛ لأنَّهم نعمةٌ عظيمةٌ؛ بأنَّها أُنْسُهم وعَوْنُهم على أسبابِ الحياةِ، وبقاءِ ذِكْرِهم بعْدَهم، وكثرةِ أُمَّتِهم(٣). وقيل: قَرَنَ البَنينَ بالأنعامِ؛ لأنَّهُمُ الذينَ يُعينونَهم على حِفْظِها، والقِيامِ عليها(٤).

٩- قولُه تعالى: ﴿وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾

- بالَغَ في تَنبيهِهم على نِعَمِ اللهِ؛ حَيثُ أَجْمَلَها، ثمَّ فصَّلَها مُستشهِدًا بعِلْمِهم؛ وذلك أنَّه أيقظَهم عن سِنَةِ غفلتِهم عنها حينَ قال: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾، ثمَّ عدَّدَها عليهم، وعرَّفَهُمُ المُنعِمَ بتَعديدِ ما يَعلَمونَ مِن نِعمتِه، وأنَّه كما قدَّرَ أنْ يتفضَّلَ عليكم بهذه النِّعمةِ، فهو قادرٌ على الثَّوابِ والعِقابِ؛ فاتَّقُوهُ(٥).

- قولُه: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ كرَّرَه مُرتَّبًا على إمدادِ اللهِ تعالى إيَّاهم بما يَعرِفونَه مِن أنواعِ النِّعَمِ؛ تَعليلًا وتنبيهًا على الوعْدِ عليه بدَوامِ الإمدادِ، والوَعيدِ على تركِه بالانقطاعِ، ثمَّ فصَّلَ بعضَ تِلك النِّعَمِ، كما فصَّلَ بعضَ مَساويهِمُ المدلولِ عليها إجمالًا بالإنكارِ في ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾؛ مُبالَغةً في

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٠).

(٢) النُّجْعةُ بالضَّمِّ: طلبُ الكلإِ في مَوْضِعِه، ومساقطِ الغَيثِ. يُنظر: ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (٥/ ٢٢)، ((تاج العروس)) للزَّبيدي (٢٢/ ٢٣٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٠)، ويُنظر أيضًا: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٧٩).

(٤) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٢٦)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٧٩).

(٥) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٢٦).

الإيقاظِ، والحثِّ على التقوى؛ فقال: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ﴾، ثمَّ أَوْعَدَهم فقال: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ في الدُّنيا والآخِرةِ؛ فإنَّه كما قَدَرَ على الإنعامِ قَدَرَ على الانتقامِ[1].

- وعطَفَ الجنَّاتِ والعُيونَ على الأنعامِ والبَنينَ؛ لأنَّها بها رفاهيةُ حالِهم، واتِّساعُ رِزْقِهم، وعَيْشُ أنعامِهم[2]، والإمدادُ بها مِن إتمامِ النِّعمةِ[3].

١٠- قولُه تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ تعليلٌ لإنكارِ عدَمِ تَقْواهم[4].

١١- قولُه تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾

- قولُه: ﴿أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾ آثَرَ ذلِك التعبيرَ ولم يقُلْ: (أَوَعَظْتَ أمْ لم تَعِظْ)، مع أنَّه أَخْصَرُ والمعنى واحدٌ في الظاهِرِ؛ لأنَّ المعنى ليس بواحدٍ، وبيْنَهما فَرْقٌ؛ لأنَّ المرادَ: سَواءٌ علينا أَفَعَلْتَ هذا الفِعلَ الذي هو الوعْظُ، أم لم تكُنْ أصلًا مِن أهلِه ومُباشِريهِ؛ فهو أبلَغُ في قِلَّةِ اعتِدادِهم بوعظِه مِن قولِكَ: أمْ لم تَعِظْ[5]؛ فأَتَوْا في طرَفِ الإثباتِ بالفعلِ الصَّريحِ الذي دَلَّ على حُصولِه منه مرَّةً، وفي النَّفيِ باسمِ الفاعلِ على الاستغراقِ؛ نَفَوْا أنْ يَكونَ مِن زُمْرةِ مَن حصَلَ منهم هذا الفِعلُ، واستَهْزَؤوا فيه، أي:

(١) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٧٩).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٠).

(٥) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٢٧)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٦)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨٠)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧١).

سَواءٌ علينا أَجَدَّدْتَ الوعْظَ، أمِ اسْتمرَرْتَ على ما كُنتَ عليه مِنَ الإمساكِ عنه، والخُمولِ فيه(١).

- وتقديرُ الكلام: (أَوَعَظْتَ أمْ لم تَعِظْ، أو أَكُنْتَ واعظًا تَستحِقُّ أنْ يَنصرِفَ النَّاسُ إليك، ويأخُذوا مِنكَ، أم لم تكُنْ واعِظًا)، فحذَفَ مِن كلٍّ واحدةٍ ما يُقابِلُها؛ اختِصارًا للوُضوحِ، وهذه غايةُ ما يكونُ مِن بلاغةِ القرآنِ، وبالنِّسبةِ لهم غايةُ ما يكونُ مِنَ الاستكبارِ، وعدَمِ الاكتراثِ بوعظِهم(٢).

- وقيل: عَادَلَ ﴿أَوَعَظْتَ﴾ بقولِه: ﴿أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾، وإنْ كان قد يُعادِلُه: أمْ لم تَعِظْ، كما قال: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾ [إبراهيم: ٢١]؛ لأجْلِ الفاصلةِ، كما عادَلَتْ في قولِه: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٣]، ولم يأتِ التَّركيبُ: أمْ صَمَتُّمْ، وكثيرًا ما يَحْسُنُ مع الفواصلِ ما لا يَحْسُنُ دونَه(٣).

- وجعَلوا قولَه وعْظًا؛ إذْ لم يَعتقِدوا صِحَّةَ ما جاء به، وأنَّه كاذبٌ فيما ادَّعاهُ، وقولُهم ذلك على سبيلِ الاستِخفافِ، وعدَمِ المبالاةِ بما خوَّفَهم به(٤).

١٢- قولُه تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ تعليلٌ لمضمونِ جُملةِ ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾(٥).

(١) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٣٩٧).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٣٢).
(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨٠).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧١).

١٣- قولُه تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾

- الفاءُ في ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فَصيحةٌ، أي: فتبيَّنَ أنَّهم بقولِهم: سَواءٌ علينا ذلكَ أَوَعَظْتَ... إلخ، قد كذَّبوه؛ فأهلَكْناهُم[1].



(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٣).

الآيات (١٤١-١٥٩)

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا
هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟
أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ
﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا
شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾
فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾.

غَريبُ الكَلِماتِ:

﴿طَلْعُهَا﴾: أي: ما يَطلُعُ منها، وهو الثَّمَرُ، سُمِّي طَلْعًا؛ لطُلوعِه كُلَّ سَنةٍ، وأصلُ (طلع): يدُلُّ على ظُهورٍ وبُروزٍ(١).

﴿هَضِيمٌ﴾: أي: يانعٌ لَيِّنٌ نَضيجٌ، والهَضيمُ: هو المتكَسِّرُ مِن لِينِه ورطوبتِه، مِن قَولِهم: هضم فلانٌ فُلانًا حَقَّه: إذا انتقَصَه، فكذلك الهَضمُ في الطَّلعِ، إنَّما هو التنَقُّصُ منه مِن رطوبتِه ولِينِه؛ إمَّا بمَسِّ الأيدي، وإمَّا بركوبِ بَعضِه بعضًا، وأصلُ (هضم): يدُلُّ على كَسْرٍ، وضَغْطٍ، وتداخُلٍ(٢).

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٤١٩)، ((التفسير البسيط)) للواحدي (١٧/ ١٠٢)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٧٠).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٢٨٣)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٩، ٦٢٠)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٣١٩)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٤٢).

﴿وَتَنْحِتُونَ﴾: أي: تَنجُرونَ وتَصنَعونَ، والنَّحتُ: بَرِيُ الحجَرِ والخَشَبِ وتَسويتُهما على تقديرٍ مَخصوصٍ[1].

﴿فَرِهِينَ﴾: أي: حاذِقينَ بنَحتِها، وأصلُ (فره): يدُلُّ على أشَرٍ وحِذْقٍ[2].

﴿الْمُسَحَّرِينَ﴾: أي: الذين بُولِغَ في سِحرِهم مرَّةً بعْدَ مرَّةٍ حتى غَلَب على عُقولِهم. وقيل: أي: مِن ذَوي السَّحْرِ، أي: الرِّئةِ، فهو كنايةٌ عن كونِه مِنَ الأناسيِّ. وأصلُ (سحر) هنا: يدُلُّ على خَدْعٍ وشِبْهِه، وعلى عُضوٍ مِنَ الأعضاءِ[3].

﴿شِرْبٌ﴾: أي: حَظٌّ ونَصيبٌ مِن الماءِ، والشُّربُ: تناوُلُ كلِّ مائعٍ، ماءً كان أو غيرَه[4].

﴿فَعَقَرُوهَا﴾: أي: فنَحَروها وقَتَلوها، وأصلُ العَقْرِ: ضَرْبُ قوائمِ البعيرِ بالسيفِ، وهو قائِمٌ، ثمَّ جُعِل النَّحرُ عقرًا؛ لأنَّ العَقْرَ سببٌ لنحرِه، وناحِرُ البعيرِ يعقِرُه ثمَّ ينحرُه، واستُعمِل العقرُ أيضًا في القتلِ والهلاكِ، وأصلُ (عقر): يدُلُّ على جَرحٍ[5].

---

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٤٠٤)، ((تفسير القرطبي)) (١٠/ ٥٣) و(١٣/ ١٢٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٧/ ٢٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (٨-ب/ ٢٢٠).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣١٩، ٣٢٠)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٢١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٣٤)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٧٠)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢٩)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٦٩٩).

(٣) يُنظَر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ١٣٨)، ((البسيط)) للواحدي (١٧/ ١٠٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٠٠)، ((تفسير الألوسي)) (١٠/ ١١٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٧).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣٢٠)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢٩٣)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٢٦٧)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٤٨).

(٥) يُنظر: ((تهذيب اللغة)) للأزهري (١/ ١٤٥)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٩٠)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ١١٣)، ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثر =

المعنى الإجماليُّ:

يحكي اللهُ تعالى جانبًا مِن قصةِ صالحٍ عليه السلامُ معَ قومِه، فيقولُ: كذَّبتْ قَبيلةُ ثمودَ بجَميعِ رُسُلِ الله، إذْ قال لهم أخوهم في النَّسَبِ صالحٌ: ألَا تتَّقون اللهَ، وتخافونَ عِقابَه، إنِّي لكم رَسولٌ مِن اللهِ، أمينٌ على وَحيِه، أبَلِّغُكم إيَّاه بلا زيادةٍ ولا نُقصانٍ، فاتَّقوا عِقابَ اللهِ وسَخَطَه، وأطيعوني، وما أطلُبُ منكم على نُصحي لكم جَزاءً ولا ثوابًا؛ ما ثَوابي إلَّا على اللهِ رَبِّ العالَمينَ.

أتَظُنُّون أن تُترَكوا متنعِّمينَ في هذه الخَيراتِ آمِنينَ؛ في بَساتينَ وعُيونِ ماءٍ، وزُروعٍ ونَخلٍ ثَمَرُها لَيِّنٌ ناضِجٌ، وتَنحِتون من الجِبالِ بُيوتًا لكم حاذِقينَ بنَحتِها؟! فاتَّقوا عِقابَ اللهِ وسخَطَه وأطيعوني، ولا تُطيعوا أمرَ المُسرِفين المُتجاوِزين الحَدَّ في الكُفرِ والعِصيانِ، الذين يُفسِدون في الأرضِ ولا يُصلِحون أنفُسَهم ولا غَيرَهم.

قال قومُ صالحٍ ردًّا عليه: إنَّما أنت مِن المسحورينَ، تَهذي بكَلامٍ لا معنى له، ما أنت إلَّا بشَرٌ مِثلُنا، فأْتِ بحجَّةٍ تدُلُّ على صِحَّةِ قَولِك إن كنتَ مِن الصَّادقين حَقًّا.

فقال صالِحٌ لهم: هذه ناقةٌ جعَلَها الله لكم آيةً تدُلُّ على صِدقي، لها حَظٌّ من الماءِ في يوم لا تُشارِكونها فيه، ولكم حظٌّ مِن الماء في يوم لا تشارِكُكم هي فيه، ولا تمَسُّوا هذه الناقةَ بأذًى فيُصيبَكم عذابُ يومٍ عظيمِ الشَّدائدِ.

فما كان مِن قَومِ صالحٍ إلَّا أن ذَبَحوا النَّاقةَ فأصبَحوا نادِمينَ على فِعلِهم، فأهلَكَهم اللهُ بالعذابِ الذي حذَّرَهم إيَّاه نبيُّهم.

= (٣/ ٢٧١)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٦٦٢).

إنَّ في إهلاكِ قَومِ صالحٍ لَعِظةً وعِبرةً ودَلالةً على صِدقِ صالحٍ، وما كان أكثَرُ قَومِ صالحٍ مُؤمِنينَ باللهِ ورَسولِه، وإنَّ ربَّك -يا مُحمَّدُ- لهو العزيزُ القاهِرُ لأعدائِه، الرَّحيمُ بعبادِه، فلا يُعاجِلُهم بعذابِه.

تَفسيرُ الآياتِ:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١)﴾.

أي: كذَّبتْ قبيلةُ ثَمودَ بجَميعِ رُسُلِ اللهِ[(١)].

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢)﴾.

أي: حينَ قال لهم صالِحٌ -وهو أخوهم في النَّسَبِ، فهم يَعرِفون صِدقَه وأمانتَه وشَفَقتَه عليهم-: ألَا تتَّقون اللهَ، وتَحذَرونَ عِقابَه[(٢)]؟

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣)﴾.

أي: إنِّي لكم رَسولٌ مِن اللهِ، أمينٌ على وَحيِه الذي بعَثَني به إليكم، فأُبلِّغُكم ما أُرسِلتُ به بلا زيادةٍ ولا نَقصٍ[(٣)].

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٤٤)﴾.

أي: فاتَّقوا سَخَطَ اللهِ وعِقابَه، وأطيعوني فيما آمُرُكم به وأنهاكم عنه[(٤)].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٨)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٨)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٩)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٧٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥١)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٧٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٦).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٨)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٩)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٧٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥).

﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٤٥ ﴾.

﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾.

أي: وما أطلُبُ منكم على نُصحي لكم أيَّ ثوابٍ وجَزاءٍ[(١)].

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

أي: ما أرجو ثوابي إلَّا مِن اللهِ الخالِقِ الرازِقِ، المالِكِ المدبِّرِ لجميعِ العالَمينَ دونَ خَلقِه[(٢)].

﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ١٤٦ ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا ثبتَتِ الأمانةُ، وانتفَى مُوجِبُ الخيانةِ؛ شرَعَ يُنكِرُ عليهم أكْلَ خَيرِه، وعبادةَ غيرِه، فقال مخوِّفًا لهم مِن سَطَواتِه، ومرغِّبًا في المزيدِ مِن خَيراتِه، مُنكِرًا عليهم إخلادَهم إلى شَهوةِ البَطنِ، واستنادَهم إلى الرَّفاهيةِ، والرِّضا بالفاني[(٣)]:

﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ١٤٦ ﴾.

أي: أتظُنُّون أنَّ اللهَ يترُكُكم تتنعَّمون في هذه الخَيراتِ آمنينَ لا تخافونَ[(٤)]؟!

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٥)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٧٣، ٧٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٨)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٩)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٧٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٥).

(٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٧٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٨)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٤١).

قيل: المرادُ بقوله: ﴿ءَامِنِينَ﴾: أي: مِن الموتِ. وممَّن قال بذلك: مقاتِلُ بن سليمان، والسمرقنديُّ. يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٧٥)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٦٣). =

﴿فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ١٤٧﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا كان للتَّفسيرِ بعْدَ الإجمالِ شأنٌ؛ بَيَّنَ ما أجمَلَ بقولِه، مُذَكِّرًا لهم بنعمةِ اللهِ ليَشكُروها[1]:

﴿فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ١٤٧﴾.

أي: في بَساتينَ وعُيونِ ماءٍ[2].

﴿وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ ١٤٨﴾.

أي: وفي زُروعٍ ونَخلٍ طلْعُها[3] ....

= وقيل: ﴿ءَامِنِينَ﴾: أي: مِن العذابِ. وممَّن قال بذلك: السمعانيُّ، والبغوي، والخازن. يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (٤/ ٦١)، ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٧٥)، ((تفسير الخازن)) (٣/ ٣٣٠).

وقيل: ﴿ءَامِنِينَ﴾: أي: مِن الموتِ والعذابِ. وممَّن قال بذلك: ابنُ الجوزي، والقرطبي، والنسفي، والعليمي، والشوكاني. يُنظر: ((تفسير ابن الجوزي)) (٣/ ٣٤٥)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢٧)، ((تفسير النسفي)) (٢/ ٥٧٥)، ((تفسير العليمي)) (٥/ ٨٧)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٢٩).

وقال ابنُ جريرٍ ومكِّيٌّ: ﴿ءَامِنِينَ﴾: لا تخافونَ شيئًا. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٨)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (٨/ ٥٣٣٧).

وقال السعدي: (أتحسبونَ أنَّكم تُترَكون في هذه الخيراتِ والنِّعمِ سُدًى، تتنعَّمون وتتمتَّعون كما تتمتَّعُ الأنعامُ، وتُترَكون سدًى لا تُؤمَرونَ ولا تُنهَوْن، وتَستعِينونَ بهذه النِّعمِ على معاصي اللهِ؟!). ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٦). ويُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٣٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٤٢).

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٧٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٨)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٦٣)، ((الهداية)) لمكي (٨/ ٥٣٣٧).

(٣) قيل: المرادُ: الثمَرُ الذي تُطلِعُه. وممَّن قال بذلك: ابنُ الجوزي، والبِقاعي. يُنظر: ((تفسير =

لَيِّنٌ رَطْبٌ[١].

= ابن الجوزي)) (٣/ ٣٤٥)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٧٤، ٧٥).

وقيل: هو وعاءٌ يَطلُعُ مِن النخلِ فيه ثمرُ النخلةِ. وممَّن قال بذلك: القرطبي، وابن عاشور. يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٥).

وقال ابن عطية: (و«الطلع»: الكُفُرَّى، وهو عنقودُ التمرِ قبلَ أن يخرجَ مِن الكُمِّ في أوَّلِ نباتِه، فكأنَّ الإشارةَ إلى أنَّ طلعَها يثمرُ ويرطبُ). ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٣٩).

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣١٩)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦١٨، ٦٢٠)، ((معاني القرآن)) للزجاج (٤/ ٩٦)، ((التفسير المظهري)) (٧/ ٧٩، ٨٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٦).

قال ابن الجوزي: (في الهضيم سَبعةُ أقوال؛ أحدُها: أنَّه الذي قد أينَعَ وبلغ، رواه العَوْفي عن ابن عبَّاس. والثاني: أنَّه الذي يتهشَّم تهشُّمًا [أي: يتفَتَّتْ]، قاله مجاهد. والثالث: أنَّه الذي ليس له نوًى، قاله الحسن. والرابع: أنه المذنِّبُ مِن الرُّطَب [أي: الذي أرطبَ مِن قِبَلِ ذَنَبه]، قاله سعيدُ ابنُ جُبَيْر. والخامس: اللَّيِّن، قاله قَتادةُ، والفَرَّاءُ. والسادس: أنَّه الحَمْلُ الكثيرُ الذي يركَبُ بَعضُه بعضًا، قاله الضَّحَّاكُ.

والسابع: أنَّه الطَّلْعُ قبل أن ينشقَّ عنه القِشرُ وينفَتِح، يريدُ أنَّه منضِمٌّ مكتَنِزٌ، ومنه قيل: رجُلٌ أهضَمُ الكَشْحَينِ: إذا كان منضمَّهما، قاله ابنُ قُتَيْبَةَ). ((تفسير ابن الجوزي)) (٣/ ٣٤٥). ويُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣١٩)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (٤/ ٩٦).

وممَّن اختار أنَّ الهضيمَ بمعنى اللَّيِّنِ الرَّطبِ النَّضيج: الواحديُّ، وابنُ عطية، وابنُ جُزَي، والعليمي، والشوكاني. يُنظر: ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٧٩٤)، ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٣٩)، ((تفسير ابن جزي)) (٢/ ٩٤)، ((تفسير العليمي)) (٥/ ٨٨)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٢٩).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السلفِ: عِكْرِمةُ، وقَتادةُ. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٢٠)، ((تفسير ابن الجوزي)) (٣/ ٣٤٥).

وقال ابنُ جرير: (الهَضِيمُ: هو المتكَسِّرُ مِن لِينِه ورطوبتِه، وذلك مِن قَولِهم: هضَم فلانٌ فُلانًا حَقَّه: إذا انتقَصَه وتحيَّفَه، فكذلك الهَضمُ في الطَّلعِ، إنَّما هو التنَقُّصُ منه مِن رطوبتِه ولِينِه؛ إمَّا بمَسِّ الأيدي، وإمَّا بركوبِ بَعضِه بعضًا، وأصلُه مفعولٌ صُرِفَ إلى فعيلٍ). ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٢٠).

وقال البقاعي: (﴿هَضِيمٌ﴾ أي: جوادٌ كريمٌ، مِن قَولِهم: يدٌ هَضومٌ، إذا كانت تجودُ بما لديها، وتفسيرُه بذلك يجمَعُ أقوالَ العلماءِ، وإليه يرجِعُ ما قال أبو عبدِ الله القزازُ: معناه أنه قد هَضَم =

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ (١٤٩)﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا ذَكَر اللَّطيفَ مِن أحوالِهم؛ أتبَعَه الكثيفَ مِن أفعالِهم(١).

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

١- قِراءةُ ﴿فَرِهِينَ﴾ أي: حاذِقينَ بنَحتِها(٢).

٢- قِراءةُ ﴿فَرِهِينَ﴾ أي: أَشِرين بَطِرينَ. وقيل: القِراءتانِ بمعنًى واحدٍ(٣).

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ (١٤٩)﴾.

أي: وتَنحِتون مِنَ الجِبالِ بُيوتًا لكم حاذِقينَ بنَحتِها(٤).

= -أي: ضغَطَ- بعضُه بعضًا لتراكُمِه؛ فإنَّه لا يكونُ كذلك إلا وهو كثيرٌ متُقارِبُ النَّضدِ، لا فُرَجَ بيْنَه، ولطيفٌ ليِّنٌ هشٌّ طَيِّبُ الرائحةِ). ((نظم الدرر)) (١٤/ ٧٤، ٧٥).

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٧٥).

(٢) قرأ بها عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ عامرٍ. يُنظر: ((المبسوط)) لابن مهران (ص: ٣٢٨)، ((النشر)) لابن الجزري (٢/ ٣٣٦).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((معاني القراءات)) للأزهري (٢/ ٢٢٨)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٥١٩).

(٣) قرأ بها الباقون. يُنظر: ((المبسوط)) لابن مهران (ص: ٣٢٨)، ((النشر)) لابن الجزري (٢/ ٣٣٦).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((مجاز القرآن)) لأبي عبيدة (٢/ ٨٨)، ((معاني القراءات)) للأزهري (٢/ ٢٢٨)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٥١٩)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢٩).

(٤) يُنظر: ((معاني القرآن)) للفراء (٢/ ٢٨٢)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٢١، ٦٢٤)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٦٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٦).

قال ابن كثير: (قَولُه: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾ قال ابنُ عباسٍ، وغيرُ واحدٍ: يعني: حاذقينَ. وفي روايةٍ عنه: شَرِهينَ أَشِرينَ. وهو اختيارُ مجاهدٍ وجماعةٍ. ولا منافاةَ بيْنَهما؛ فإنَّهم كانوا يتَّخِذون تلك البيوتَ المنحوتةَ في الجبالِ أشَرًا وبطَرًا وعَبَثًا، مِن غيرِ حاجةٍ إلى =

كما قال تعالى حاكيًا قَولَ صالحٍ عليه السلامُ لِقَومِه: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ [الأعراف: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٢].

وقال سبحانه: ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ [الفجر: ٩].

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠)﴾.

أي: فاتَّقوا سَخَطَ اللهِ وعِقابَه، وأطيعوني فيما آمُرُكم به وأنهاكم عنه؛ فقد بانَ لكم صِدقي[1].

﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١)﴾.

أي: ولا تَنقادوا لأمرِ المُسرِفين، الذين تمادَوا وتجاوَزوا الحَدَّ في الكُفرِ باللهِ ومَعصيتِه[2].

= سكناها، وكانوا حاذِقينَ مُتقِنينَ لِنَحتِها ونَقشِها، كما هو المشاهَدُ مِن حالِهم لِمَن رأى منازِلَهم). ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٦).

وقال البقاعي: (﴿مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾ أي: مُظهِرين النشاطَ والقوَّةَ؛ تعظُّمًا بذلك وبطَرًا، لا لحاجتِكم إلى شيءٍ من ذلك). ((نظم الدرر)) (١٤/ ٧٥).

وقال ابنُ عثيمينَ: (وكلمةُ: (فَرِهينَ) يعني: بَطِرين، فهي صفةٌ مشبَّهة، و﴿فَارِهِينَ﴾ بالمدِّ اسمُ فاعلٍ، والمراد به الحِذْقُ. واختلافُ القراءتين يكونُ فيه فائدةٌ، وهي اجتماعُ المعنيَين من هذه الكلمةِ؛ فيكونونَ متَّصِفينَ بالأمْرين: بالبطَرِ بناءً على قراءة القَصْر، وبالحِذْق بناءً على قراءة المدِّ، وهذا من فوائدِ تنوُّعِ القراءةِ؛ لأنَّ تنوعَ القراءةِ له فوائدُ كثيرةٌ، منها أنْ تكونَ الكَلِمةُ جامعةً لِمَعنيين). ((تفسير ابن عثيمين - سورة الشعراء)) (ص: ٢٤٣).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٢٤)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٦)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٧٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٢٤)، ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٤٠)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٦). =

﴿ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ١٥٢﴾.

أي: الذين يُفسِدون في الأرضِ بالكُفرِ والظُّلم والمعاصي والدَّعوةِ إلى ذلك، ولا يُصلِحونَ أنفُسَهم بالعَمَلِ الصَّالحِ، ولا يأمُرونَ غَيرَهم بالصَّلاحِ[1].

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٥٣﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا دعا إلى اللهِ تعالى بما لا خلَلَ فيه، فعَلِموا أنَّهم عاجِزونَ عن الطَّعنِ في شَيءٍ منه؛ عَدَلوا إلى التَّخييلِ على عُقولِ الضُّعَفاءِ[2].

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٥٣﴾.

أي: قال قومُ صالحٍ: إنَّما أنت مِن المسحورينَ الذين بُولِغَ في سِحرِهم مرَّةً بعْدَ مرَّة، فلا عقْلَ لك، وإنَّما تَهذِي بما لا مَعنى له[3].

= قيل: عنى بالمسرفينَ: كُبَراءَهم وأئمَّتَهم في الكُفرِ والضَّلالِ. وممَّن قال بذلك: ابنُ عطية، وابنُ كثير، وابنُ عاشور. يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٤٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٦).

وقيل: المرادُ بالمُسرفين: التِّسعةُ الرَّهطِ الذين وصَفَهم اللهُ تعالى بقَولِه: ﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ [النمل: ٤٨]. وممَّن قال بهذا: مقاتلُ بنُ سليمان، وابنُ جرير، وذكره السعديُّ احتمالًا. يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٧٥)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٢٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٦).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٢٤)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٦٣)، ((تفسير النسفي)) (٢/ ٥٧٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٧٦).

(٣) يُنظر: ((معاني القرآن)) للنحاس (٥/ ٩٧)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٦٠)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٦، ١٥٧)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٧٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥).

﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٥٤﴾.

﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾.

أي: ما أنت إلَّا آدميٌّ مِثلُنا، فكيف خَصَّك اللهُ بالرِّسالةِ مِن بيْنِنا حتى نتَّبِعَك(١)؟!

كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ * فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ * أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ﴾ [القمر: ٢٣ - ٢٥].

﴿فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

أي: فأْتِ بحُجَّةٍ تدُلُّ بوُضوحٍ على صحَّةِ ما تقولُ إن كنتَ مِن الصَّادقينَ في أنَّك رَسولٌ مِن اللهِ إلينا حَقًّا(٢).

﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ١٥٥﴾.

أي: قال صالحٌ لِقَومِه: هذه ناقةٌ جعَلَها اللهُ لكم آيةً تدُلُّ على صِدقي، لها حَظٌّ ونَصيبٌ مِن الماءِ في يومٍ لا تُشارِكونَها فيه، ولكم حظٌّ ونَصيبٌ مِن الماء في يومٍ لا تُشارِكُكم فيه(٣).

كما قال تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٧٣].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٢٧)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٦٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٧)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٧٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٢٧)، ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٧٦)، ((البسيط)) للواحدي (١٧/ ١١٠)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٣٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٢٧)، ((البسيط)) للواحدي (١٧/ ١١٠)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣١)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٧٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٧).

وقال سُبحانَه: ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ٦٤].

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾﴾.

أي: ولا تمَسُّوا النَّاقةَ بأيِّ أذًى كائنًا ما كان؛ فإنَّكم إن فعلتُم يُصيبُكم مِنَ اللهِ عذابُ يومٍ عظيمِ الأهوالِ[1].

كما قال تعالى حاكيًا قولَ صالحٍ لِقومِه: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣].

﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾﴾.

أي: فقتَلَ قَومُ صالحٍ النَّاقةَ، فأصبَحوا نادِمينَ على ذلك حينَ أيقَنوا بالعَذابِ[2].

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾﴾.

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾.

أي: فأهلَكَهم اللهُ بالعذابِ الذي توعَّدَهم به نبيُّهم[3].

كما قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا

---

(١) يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٧٦)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٢٨)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٠).

ممَّن نصَّ على أنَّ المرادَ: عذابُ الدُّنيا: مقاتلُ بنُ سليمانَ، وابنُ عطيَّةَ. يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٧٦)، ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٤٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٢٨، ٦٢٩)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٦٤)، ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٧٦)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٢٩)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٦٤)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٧)، ((تفسير الألوسي)) (١٠/ ١١٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٦).

بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧، ٧٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [هود: ٦٧].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً﴾.

مُناسَبتُها لِما قَبلَها:

لَمَّا كان في النَّاقةِ وفي حُلولِ مخايلِ العذابِ أعظَمُ دليلٍ على صِدْقِ الرَّسولِ الدَّاعي إلى اللهِ؛ قال[(١)]:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً﴾.

أي: إنَّ في إهلاكِ قَومِ صالحٍ لَعِظةً، وعِبرةً، ودَلالةً على صِدقِ رَسولِه[(٢)].

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

أي: ولم يكُنْ أكثَرُ قَومِ صالحٍ مُؤمنينَ[(٣)].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٥٩﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا كان رُبَّما تُوُهِّمَ أنَّه سُبحانَه غيرُ متَّصِفٍ بالعِزَّة؛ لعدَمِ قَسْرِهم على الإيمانِ،

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٧٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٢٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٦٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٧٦)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٦٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٦).

أو بالرَّحمةِ؛ لإهلاكِهم- قال[١]:

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ ﴾.

أي: وإنَّ رَبَّك -يا مُحمَّدُ- لهو العزيزُ القاهرُ الغالِبُ، المنتَقِمُ مِن أعدائِه، الرَّحيمُ بعبادِه، فلا يعاجِلُهم بعَذابِه، ومِن رحمتِه أنَّه يُرسِلُ رُسُلًا، ويُنزِلُ معهم ما يُبيِّنُ به ما يُرضيه وما يُسخِطُه، فلا يُهلِكُ قومًا إلَّا بعْدَ إعذارِهم، ومِن رحمتِه أنَّه يُنجِّي أتْباعَ رُسُلِه[٢].

الفَوائِدُ التَّربويَّةُ:

١- قال اللهُ تعالى: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ... ﴾ في هذه الآيةِ دَلالةٌ على عِظَمِ نِعمةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وأنَّها تستوجِبُ الشُّكرَ العظيمَ للهِ سُبحانَه وتعالى، وأنَّه هو مُعطي الأمانِ وآخِذُه؛ لِقَولِه: ﴿ ءَامِنِينَ ﴾[٣]، ففي تذكيرِهم بنعمةِ اللهِ عليهم بما مكَّن لهم مِن خَيراتٍ حَثٌّ على العملِ لاستبقاءِ تلك النِّعَمِ؛ بأنْ يَشكروا اللهَ عليها[٤].

٢- في قَولِه تعالى: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴾ تَسليةٌ لكلِّ داعيةٍ إذا دعا إلى حَقٍّ، فقُوبِل بإعراضٍ ورفْضٍ لِما معه مِن الحقِّ، وأنَّ الواجبَ عليه أن يَصبِرَ، وأن يقولَ: جرَى للأنبياءِ مِثلُ هذا وأشدُّ، وهم أشرفُ عندَ اللهِ مِنِّي[٥].

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:

١- قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ثَمودُ قد كذَّبوا المرسَلينَ؛ لأنَّهم كذَّبوا

---

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٧٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٧٦، ٢٧٧)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٢٩)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٦٤)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٧٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٥٦).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٥).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٥٧).

صالحًا، وكذَّبوا هودًا؛ لأنَّ صالحًا وعَظَهم بِعَادٍ في قوله: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ﴾ [الأعراف: ٧٤]، وبتكذيبهم كذَّبوا بنوحٍ أيضًا؛ لأنَّ هودًا ذَكَّرَ قومَه بمصيرِ قومِ نوحٍ في آيةِ ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾[1] [الأعراف: ٦٩].

٢- في قَولِه تعالى: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ﴾ دَليلٌ على عدمِ البقاءِ في حالِ الرَّفاهيةِ عقابًا لِمَن التَزَموا شِرْكَهم، أي: إنَّه لا يمكِنُ أنْ يُترَكوا بدونِ رُسُلٍ وشُكْرٍ للنِّعمةِ[2].

٣- قَولُه تعالى: ﴿ءَامِنِينَ﴾ فيه عِظَمُ نِعمةِ الأمنِ؛ فإنَّ نعمةَ الأمنِ قد تقابِلُ نعمةَ الشِّبَعِ والرِّيِّ[3].

٤- قولُه تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ ...﴾ فيه بيانُ قوَّةِ قوم صالحٍ؛ إذ بَلَغوا مِن القوَّةِ أنْ كانوا يَنحِتونَ بيوتَهم في الجِبالِ، وأيُّ قوة بعدُ[4]؟!

٥- قَولُ الله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾ فيه دَليلٌ على دِقَّةِ قَومِ صالحٍ في العَمَلِ، والحِذقِ في الهندسةِ؛ لأنَّ (فارهين) بمعنى حاذِقينَ[5].

٦- في قَولِه تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ﴾ سؤالٌ: لِمَ أخَذَهم العذابُ وقد نَدِموا؟

جوابُه مِن وجهَين:

الأولُ: أنَّه لم يكن نَدَمُهم نَدَمَ التائبينَ، لكنْ نَدَمُ الخائفينَ مِن العذابِ العاجلِ.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٥٦).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)).

الثاني: أنَّ الندمَ، وإنْ كان نَدَمَ التَّائبينَ، ولكنْ كان ذلك في غيرِ وقتِ التوبةِ، بل عندَ معاينةِ العذابِ؛ قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ ...﴾ الآية[١] [النساء: ١٨].

بلاغةُ الآياتِ:

١- قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ استئنافُ تَعدادٍ وتكريرٍ[٢].

٢- قولُه تعالى: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَـٰهُنَآ ءَامِنِينَ﴾

- يجوزُ أنْ يكونَ هذا القولُ إنكارًا ونفْيًا لأَنْ يُترَكُوا مُخَلَّدِينَ في نَعيمِهم لا يُزالونَ عنه، وأنْ يكونَ تَذكيرًا بالنِّعمةِ في تَخليةِ اللهِ إيَّاهم وما يتنعَّمونَ فيه مِنَ الجنَّاتِ وغيرِ ذلك، مع الأمنِ والدَّعَةِ[٣]. وقيل: تَخويفٌ لهم؛ بمعنى: أَتَطمعونَ أنْ تُقَرُّوا في النِّعَمِ على معاصيكُم؟ وقيل: ﴿أَتُتْرَكُونَ﴾ استفهامٌ في معنى التوبيخِ[٤].

- ونُزِّلَ حالُهم مَنزلةَ مَن يظُنُّ الخُلودَ، ودوامَ النعمةِ؛ فخاطبَهم بالاستفهامِ الإنكاريِّ التوبيخيِّ ﴿أَتُتْرَكُونَ ...﴾، وهو في المعنى إنكارٌ على ظَنِّهم ذلك، وسلَّطَ الإنكارَ على فِعلِ التَّرْكِ؛ لأنَّ ترْكَهم على تلك النِّعَمِ لا يكونُ؛ فكان إنكارُ حُصولِه مُستلزِمًا إنكارَ اعتقادِه، وهذا الكلامُ تعليلٌ للإنكارِ الذي في قولِه: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾؛ لأنَّ الإنكارَ عليهم دوامَ حالِهم يَقْتضي أنَّهم مُفارِقونَ

---

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥٢٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٢٧)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٦)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨١)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥٨).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٣٩)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨١).

هذه الحياةَ، وصائرونَ إلى اللهِ[(١)].

- وقولُه: ﴿هَٰهُنَآ﴾ إشارةٌ إلى بِلادِهم، أي: في جَميعِ ما تُشاهِدونَه، وهذا إيجازٌ بَديعٌ[(٢)].

- وقولُه: ﴿ءَامِنِينَ﴾ حالٌ مُبيِّنةٌ لبَعضِ ما أجْمَله قولُه: ﴿فِي مَا هَٰهُنَآ﴾؛ وذلك تَنبيهٌ على نِعمةٍ عَظيمةٍ لا يَدُلُّ عليها اسمُ الإشارةِ؛ لأنَّها لا يُشارُ إليها، وهي نعمةُ الأمنِ التي هي مِن أعظمِ النِّعَمِ، ولا يُتذَوَّقُ طعمُ النِّعَمِ الأُخرى إلَّا بها[(٣)].

٣- قولُه تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾

- قولُه: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ﴾ إجمالٌ، ثمَّ تفصيلٌ في قولِه: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾[(٤)]؛ فالتفصيلُ واردٌ على المبالَغةِ في التنبيهِ على نِعَمِ اللهِ تعالى[(٥)].

٤- قولُه تعالى: ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾

- جاء قولُه: ﴿وَنَخْلٍ﴾ بعْدَ قولِه: ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾، وإنْ كانتِ الجنَّةُ تتناوَلُ النخلَ أوَّلَ شيءٍ، ويُطلِقونَ الجنَّةَ ولا يُريدونَ بها إلَّا النخلَ؛ فأفرَدَ ﴿وَنَخْلٍ﴾ بالذِّكْرِ بعْدَ اندراجِه في لفظِ ﴿جَنَّٰتٍ﴾؛ تَنبيهًا على انفرادِه عن شَجرِ الجنَّةِ بفضلِه، أو أرادَ بـ﴿جَنَّٰتٍ﴾ غيرَ النخلِ مِنَ الشَّجرِ؛ لأنَّ اللَّفظَ صالحٌ لهذه

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٤، ١٧٥).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٧٥).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٤) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٢٧)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٦)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨١)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٥).

(٥) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٣٩٩).

الإرادةِ، ثمَّ عطَفَ عليه ﴿وَنَخۡلٖ﴾[(١)]. وقيل: خُصَّ النَّخلُ بالذِّكرِ مع أنَّه ممَّا تشملُه الجنَّاتُ؛ لقَصدِ بيانِ جَودتِه بأنَّ طَلْعَه هَضيمٌ[(٢)].

٥- قولُه تعالى: ﴿وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ﴾

- قولُه: ﴿وَتَنۡحِتُونَ﴾ عَطْفٌ على ﴿ءَامِنِينَ﴾ -أي: وناحِتِينَ- عَبَّرَ عنه بصِيغةِ المضارِعِ؛ لاستِحضارِ الحالةِ في نَحتِهم بُيوتًا مِنَ الجبالِ[(٣)].

٦- قولُه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾

- أفاد قولُه: ﴿وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ أنَّ فسادَهم فَسادٌ مُصْمَتٌ ليس معه شيءٌ مِنَ الصَّلاحِ، كما تكونُ حالُ بعضِ المفسدينَ مخلوطةً ببعضِ الصَّلاحِ[(٤)]؛ فالتركيبُ مِن بابِ الطَّرْدِ والعَكسِ، وفائدتُه: التوكيدُ والمبالَغةُ[(٥)]؛ فإنَّه لَمَّا كانتْ دَلالةُ قولِه: ﴿يُفۡسِدُونَ﴾ دَلالةَ المطلَقِ، أتَى بقولِه: ﴿وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾؛ فنفى عنهُمُ الصَّلاحَ، وهو نفْيٌ لمطلَقِ الصَّلاحِ؛ فيَلْزَمُ منه نفيُ الصلاحِ كائنًا ما كان؛ فلا يحصُلُ منهم صلاحٌ الْبَتَّةَ[(٦)].

- وأيضًا قولُه: ﴿ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وصْفٌ موضِّحٌ لإسرافِهم؛ ولذلك عُطِفَ ﴿وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ على ﴿يُفۡسِدُونَ﴾؛ لبيانِ خُلوصِ إفسادِهم عن مُخالَطةِ

---

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٢٧، ٣٢٨)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٦)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨١)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٥).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٧٦).

(٤) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٢٨)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٧/ ١١٥).

(٥) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٤٠٢).

(٦) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨٢).

الإصلاحِ[(١)].

- وكذلك وَصَفَهم بأنَّهم يُفسِدونَ في الأرضِ؛ فالإسرافُ مَنوطٌ بالفسادِ، وعطْفُ ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ على جُملةِ ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ تأكيدٌ لوقوعِ الشيءِ بنفْيِ ضدِّه؛ فكأنَّه قيل: الذينَ إنَّما هم مُفسِدونَ في الأرضِ، فعُدِلَ عن صِيغةِ القصْرِ؛ لِئَلَّا يحتملَ أنَّه قصْرُ مُبالَغةٍ؛ لأنَّ نفيَ الإصلاحِ عنهم يؤكِّدُ إثباتَ الإفسادِ لهم؛ فيتقرَّرُ ذلك في الذِّهْنِ، ويتأكَّدُ معنى إفسادِهم بنفْيِ ضدِّه[(٢)].

٧- قولُه: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ قولُه: ﴿مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ أبلَغُ في الاتِّصافِ بالتَّسحيرِ مِن أنْ يُقالَ: (إنَّما أنتَ مُسَحَّرٌ)[(٣)].

٨- قولُه تعالى: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾

- لَمَّا تَضمَّنَ قولُهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ تكذيبَهم إيَّاهُ، أيَّدوا تكذيبَه بأنَّه بشَرٌ مِثْلُهم، وذلك -في زعْمِهم- يُنافي أنْ يكونَ رسولًا مِنَ اللهِ؛ لأنَّ الرسولَ -في زعْمِهم- لا يكونُ إلَّا مَخلوقًا خارقًا للعادةِ؛ كأنْ يكونَ ملَكًا أو جِنِّيًّا؛ فجُملةُ ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ في حُكْمِ التأكيدِ بجُملةِ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ باعتبارِ مَضمونِ الجُملتَينِ[(٤)].

- قولُه تعالَى في قصَّةِ صالحٍ عليه السلامُ: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ فيه مُناسَبةٌ حَسنةٌ، حيثُ قالَه فيها بلا «واوٍ»، وقالَه في قصَّةِ شُعيبٍ عليه السلامُ بـ«واوٍ»؛ لأنَّه هُنا بَدَلٌ ممَّا قبْلَه، وهناك مَعطوفٌ على ما قبْلَه، وخُصَّتِ

(١) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٧)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٦).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٧٧).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

الأُولى بالبَدلِ؛ لأنَّ صالحًا قَلَّلَ في الخِطابِ؛ فقَلَّلوا في الجوابِ، وأكْثَرَ شُعيبٌ في الخِطابِ؛ فأكْثَروا في الجوابِ(١).

- قولُه: ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ فرَّعوا على تكذيبِه المطالَبةَ بأنْ يأتيَ بآيةٍ على صِدقِه، أي: أنْ يأتيَ بخارقِ عادةٍ يدُلُّ على أنَّ اللهَ صدَّقَه في دعوَى الرِّسالةِ عنه، وفَرَضوا صِدقَه بحرفِ (إن) الشرطيَّةِ الغالبِ استعمالُها في الشَّكِّ(٢).

٩- قولُه تعالى: ﴿قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ في الكلامِ إيجازٌ بالحَذفِ، تقديرُه: قال: آتِي بها، قالوا: ما هي؟ قال: هذه ناقةٌ...(٣).

١٠- قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

- قولُه: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ إنَّما عَظُمَ اليومُ لحُلولِ العذابِ فيه، ووَصْفُ اليوم به أبلَغُ مِن وَصْفِ العذابِ؛ لأنَّ الوقتَ إذا عَظُمَ بسببِه كان موقِعُه مِنَ العِظَمِ أشدَّ؛ فهو مِن بابِ الكِنايةِ(٤).

١١- قولُه تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَـٰدِمِينَ﴾

- قولُه: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أُسنِدَ العَقْرُ إلى كُلِّهم؛ لأنَّ عاقِرَها إنَّما عقَرَها بِرِضاهُم ورأيِهم؛ ولذلك عمَّهُمُ العذابُ(٥).

(١) يُنظر: ((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٤١٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٢٩)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٧)، ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٤٠٤)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨٣)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥٩).

(٥) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٧)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨٣)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٥٩).

- والفاءُ في ﴿فَأَصْبَحُواْ﴾ فَصيحةٌ، أي: فعقَروها؛ فَرَأَوُا العذابَ فنَدِموا، فأَخَذَهُمُ العذابُ(١).

١٢- قولُه تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

- عطَفَ قولَه: ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ بفاءِ التَّعقيبِ على ﴿نَٰدِمِينَ﴾؛ لأنَّ العذابَ قد حَلَّ بهم سَريعًا(٢).



(١) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٤٠٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٨).

الآيات (١٦٠-١٧٥)

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ
﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ
﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ
عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ
﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾
ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾.

غَريبُ الكَلِماتِ:

﴿أَتَأْتُونَ﴾: أي: أتَنكِحونَ، والإتيانُ يُقالُ للمَجيءِ بالذَّاتِ وبالأمرِ وبالتَّدبيرِ(١).

﴿وَتَذَرُونَ﴾: أي: تَترُكون وتَدَعون، وفلانٌ يَذَرُ الشَّيءَ، أي: يَقذِفُه؛ لِقِلَّةِ اعتِدادِه به(٢).

﴿عَادُونَ﴾: أي: مُتجاوِزون لحُدودِ اللهِ، ومُعتَدون، وأصلُ (عدو): يدُلُّ على تجاوُزٍ في الشَّيءِ(٣).

﴿ٱلْقَالِينَ﴾: أي: المُبغِضينَ المُنكِرين، وأصلُ القلي: شِدَّةُ البُغضِ(٤).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٢٩)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٠)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٠)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٦٢)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٤٦٣، ٩٨٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٠، ٦٣٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٢٤٩)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٧١)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣٢).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣٢٠)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣١)، =

﴿ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾: أي: الباقينَ في العَذابِ، والغابرُ مِن الأضْدادِ؛ يُقالُ: غابرٌ للباقي، و: غابرٌ للماضي، وأصلُ (غبر): يدُلُّ على البَقاءِ[١].

﴿فَسَآءَ﴾: أي: قَبُحَ، والسُّوءُ: اسمٌ جامعٌ للآفاتِ، وأصلُ (سوء): يدُلُّ على قُبحٍ[٢].

المعنى الإجماليُّ:

يَحكي اللهُ تعالى جانبًا مِن قصَّةِ لوطٍ عليه السلامُ مع قَومِه، فيقولُ: كذَّبتْ قَومُ لُوطٍ بجَميعِ رسُلِ اللهِ بتكذيبِهم نبيَّهم لوطًا، حينَ قال لهم أخوهم لوطٌ: ألَا تتَّقون اللهَ، إنِّي لكم رسولٌ مِن الله، أمينٌ على وَحيه، فاتَّقوا سَخَطَ اللهِ وعِقابَه، وأطيعوني، وما أطلُبُ منكم على نُصحي لكم جزاءً ولا ثوابًا؛ ما ثوابي إلَّا على اللهِ رَبِّ العالَمينَ.

ثمَّ يذكرُ اللهُ تعالى أنَّ نبيَّه لوطًا عليه السلامُ نهَى قومَه عن أبرزِ الرذائلِ المتفشِّيةِ فيهم، وأنَّه قال لهم: أتُواقِعونَ الذُّكورَ مِن النَّاسِ ولم يَسبِقْكم إلى فعلِ ذلك أحدٌ مِن الخَلقِ، وتَتركونَ ما خلَقَه لكم ربُّكم مِن نِسائِكم؟! بل أنتم قَومٌ مُجاوِزونَ الحَدَّ في معصيةِ اللهِ. فقال قَومُ لوطٍ له متوعِّدينَ: لَئِنْ لم تَنْتَهِ -يا لوطُ- عن

= ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٨٣)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٧١)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٧٣٩).

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٧٠)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٣٥٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٤٠٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٠١)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ١١٣)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٢٠٥)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٦٧٣).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٢٣)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ١١٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٤١)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٨٤).

إنكارِك علينا إتيانَ الذُّكور، لَتَكونَنَّ مِن المطرودينَ مِن قَريتِنا. قال لوطٌ لهم: إنِّي لِما تَعمَلونَه مِن الفاحِشةِ مِن المُبغِضين التَّارِكين، ثمَّ دعا ربَّه عزَّ وجلَّ قائلًا: رَبِّ نجِّني وأهلي مِن العذابِ الذي تُنزِلُه على قَومي، فأجاب الله تعالى دعاءَه، قال سبحانَه: فنجَّيْناه وأهلَه كُلَّهم، إلَّا زوجَتَه العَجوزَ أهلَكْناها مع قَومِها الباقينَ في العذابِ، ثمَّ أهلَكْنا قومَ لُوطٍ، وأنزَلْنا عليهم حجارةً مِن السَّماءِ، فبِئسَ مطَرُ القَومِ الذين أنذَرَهم نبيُّهم.

إنَّ في إهلاكِ قَومِ لُوطٍ لَدَلالةً واضِحةً على صِدقِ رَسولِه، وعِبرةً لِمن يعتبرُ، وما كان أكثَرُ قَومِ لوطٍ مُؤمِنينَ، وإنَّ رَبَّك -يا مُحمَّدُ- لهو العزيزُ المنتَقِمُ مِن أعدائِه، الرَّحيمُ بعبادِه، فلا يُعاجِلُهم بعذابِه.

تَفسيرُ الآياتِ:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠)﴾.

أي: كذَّبت جماعةُ قَومِ لُوطٍ[١] بجَميعِ رُسُلِ اللهِ[٢].

كما قال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ * وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ [الحج: ٤٢، ٤٣].

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١)﴾.

أي: حينَ قال لهم أخوهم لوطٌ[٣]: ....

---

(١) القومُ في معنى الجماعةِ أو الأُمَّةِ أو القبيلةِ؛ لذا قال: ﴿كَذَّبَتْ﴾ بالتأنيث. يُنظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (٤/ ٩٥)، ((تفسير ابن جزي)) (٢/ ٩٢)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٢٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٢٩)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٢٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٧).

(٣) قال البقاعي: (﴿قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ أي: في السُّكنى في البلدِ، لا في النسَبِ؛ لأنَّه ابنُ أخي إبراهيمَ عليه السلامُ، وهما مِن بلادِ الشرقِ مِن بلادِ بابلَ، وكأنَّه عبَّرَ بالأُخوَّةِ؛ لاختيارِه لمجاورتِهم، =

ألَا تتَّقون اللهَ، وتَحذَرونَ عِقابَه[١]؟

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾﴾.

أي: إنِّي لكم رَسولٌ مِن اللهِ، أمينٌ على وَحْيِه الذي بعَثَني به إليكم، فأبلِّغُكم ما أُرسِلتُ به إليكم بلا زيادةٍ ولا نَقصٍ[٢].

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾﴾.

أي: فاتَّقوا سَخَطَ اللهِ وعِقابَه، وأطيعوني فيما آمُرُكم به، وأنهاكم عنه[٣].

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾.

أي: وما أطلُبُ منكم على نُصحي لكم أيَّ ثوابٍ وجَزاءٍ[٤].

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

أي: ما أرجو ثَوابي إلَّا مِن اللهِ الخالِقِ الرَّازِقِ، المالكِ المدَبِّرِ لجميعِ العالَمينَ

= ومناسبتِهم بمُصاهرتِهم، وإقامتِه بيْنَهم في مدينتِهم مدَّةً مديدةً، وسنينَ عديدةً، وإتيانِه بالأولادِ مِن نسائِهم، مع موافقتِه لهم في أنَّه قُرَويٌّ). ((نظم الدرر)) (١٤/ ٨٠). ويُنظر أيضًا: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٨).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٢٩)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٩)، ((حاشية الخفاجي)) (٧/ ٢٣)، ((تفسير الألوسي)) (١٠/ ١١٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٢٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥١)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٨٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٢٩)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٩)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٨٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٢٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥).

دونَ خَلقِه[(١)].

﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٥﴾.

أي: أتَنكِحونَ الذُّكورَ مِن النَّاسِ؟! لم يَسبِقْكم إلى ابتِداعِ هذه الفاحشةِ أحدٌ[(٢)]!

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٢٩)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥١)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٨١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٢٩)، ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٢٩، ٣٣٠)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٦).

قال البيضاوي: (﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أتأتون -مِن بينِ مَن عَداكم مِن العالَمينَ- الذُّكْرانَ، لا يُشارِكُكم فيه غيرُكم، أو: أتأتونَ الذُّكرانَ مِن أولادِ آدمَ مع كثرتِهم، وغلبةِ الإناثِ فيهم كأنهنَّ قد أعوَزْنَكم، فالمرادُ بـ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ على الأوَّلِ كلُّ مَن يُنكَحُ، وعلى الثاني الناسُ). ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٧).

قال الشوكاني: (﴿ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وهم بنو آدمَ، أو كلُّ حيوانٍ). ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٣١).

ممَّن اختار أنَّ المرادَ بـ(العالَمينَ): الناسُ مِن بني آدمَ: ابنُ جرير، والواحدي، والبغوي، وابن الجوزي، والنسفي، والخازن، وجلال الدين المحلي، والعليمي، والألوسي، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٢٩)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٦١)، ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٧٧)، ((تفسير ابن الجوزي)) (٣/ ٣٤٦)، ((تفسير النسفي)) (٢/ ٥٧٧)، ((تفسير الخازن)) (٣/ ٣٣١)، ((تفسير الجلالين)) (ص: ٤٩٠)، ((تفسير العليمي)) (٥/ ٩٢)، ((تفسير الألوسي)) (١٠/ ١١٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٥٩).

وقال الزمخشري: (أراد بـ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: الناسَ، أي: أتأتونَ مِن بينِ أولادِ آدمَ عليه السلامُ -على فَرطِ كثرتِهم، وتفاوتِ أجناسِهم، وغلَبةِ إناثِهم على ذكورِهم في الكثرةِ- ذُكْرانَهم، كأنَّ الإناثَ قد أعوَزْنَكم!). ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٢٩).

وقال ابن عاشور: (فالمعنى: مفصولينَ مِن العالَمينَ، لا يماثِلُكم في ذلك صِنفٌ مِن العالَمينَ. وهذا المعنى جوَّزه في «الكشَّاف» ثانيًا، وهو أوفَقُ بمعنى: العالَمينَ، الذي المختارُ فيه أنَّه جمعُ (عالَم)، بمعنى النوعِ مِن المخلوقاتِ... والمعنى: أتأتون الذُّكرانَ مخالِفينَ جميعَ العالَمينَ مِن الأنواعِ التي فيها ذكورٌ وإناثٌ؛ فإنَّها لا يوجَدُ فيها ما يأتي الذكورَ). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٩).

=

كما قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨٠، ٨١].

﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾.

﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾.

أي: وتَترُكونَ ما خلَقَه لكم ربُّكم مِن نسائِكم[1]، وقد أَحَلَّ لكم الاستِمتاعَ بهنَّ[2]!

= وقال البقاعي: (ولعلَّهم كانوا يفعلون بالذُّكور مِن غيرِ الآدميِّينَ؛ توغُّلًا في الشَّرِّ، وتجاهرًا بالتهتُّك؛ لقوله: ﴿مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: كُلِّهم، أو يكونُ المعنى: من بيْنِ الخلائِق، أي: أنَّكم اختصَصْتُم بإتيانِ الذُّكرانِ، لم يفعَلْ هذا الفِعلَ غيرُكم مِن الناكحينَ مِن الخَلقِ). ((نظم الدرر)) (١٤/ ٨١).

وقال ابنُ كثير: (نهاهم عن معصيةِ الله، وارتكابِ ما كانوا قد ابتدعوه في العالَم، ممَّا لم يسبِقْهم الخلائقُ إلى فِعلِه، مِن إتيانِ الذُّكرانِ دونَ الإناثِ). ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٧).

(١) قال أبو حيان: (﴿مِّنْ﴾ إمَّا للتَّبيينِ لقولِه: ﴿مَا خَلَقَ﴾، وإمَّا للتبعيض: أي: العضوِ المخلوقِ للوطءِ، وهو الفرْجُ، وهو على حذفِ مضافٍ، أي: وتذرونَ إتيانَ. فإن كان ﴿مَا خَلَقَ﴾ لا يُرادُ به العضوُ، فلا بدَّ مِن تقديرِ مضافٍ آخَرَ، أي: وتَذَرونَ إتيانَ فروجِ ما خلَق). ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨٣).

ممَّن قال: إنَّ المرادَ بقولِه: ﴿مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾: فروجُ النساءِ: مقاتل بن سليمان، وابن جرير، وابن أبي زمنين، والواحدي، والقرطبي، والخازن. يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٧٧)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٢٩)، ((تفسير ابن أبي زمنين)) (٣/ ٢٨٥)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٦١)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣٢)، ((تفسير الخازن)) (٣/ ٣٣١).

وممَّن قال في الجملة: إنَّ (مِنْ) هنا: بيانيَّةٌ، والمعنى تأتون الذكورَ، وتَدَعون النِّساءَ: أبو حيان، وأبو السعود، والبقاعي، والشوكاني، وابن عثيمين. يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨٣)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٠)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٨١)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٣٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٦٠).

وقال السمرقندي: (﴿مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ يعني: مِن نسائِكم). ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٦٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٢٩)، ((تفسير ابن أبي زمنين)) (٣/ ٢٨٥)، ((الوسيط)) =

﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ﴾.

أي: بل أنتم قَومٌ مُجاوِزونَ الحَدَّ في معصيةِ اللهِ، وتَتجاوَزونَ ما أحَلَّه لكم ربُّكم إلى ما حَرَّمه عليكم(١).

﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ١٦٧﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا اتضحَ الحقُّ، وعُرِفَ المرادُ -وكان غريبًا عندَهم- وتَشَوَّفَ السَّامِعُ إلى جوابِهم؛ استُؤنِفَ الإخبارُ عنه، فقيل إعلامًا بانقطاعِهم، وأنَّهم عارفون أنَّه لا وجْهَ لهم في ذلك أصلًا؛ لعدولِهم إلى الفُحشِ(٢):

﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ١٦٧﴾.

أي: قال قَومُ لوطٍ: لئِنْ لم تترُكْ -يا لوطُ- نَهْيَك وإنكارَك علينا إتيانَ الذُّكورِ،

= للواحدي (٣/ ٣٦١)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣٢)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٣٢).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٠)، ((البسيط)) للواحدي (١٧/ ١١٢)، ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٣٠)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣٢)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٣٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨٠).

قال البقاعي: (﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ﴾ أي: تركتُم الأزواجَ بتعدِّي الفعلِ بهنَّ، وتجاوُزه إلى الفعلِ بالذُّكرانِ، وليس ذلك ببِدْعٍ من أمركم؛ فإنَّ العدوانَ -الذي هو مجاوَزةُ الحَدِّ في الشرِّ- وَصْفٌ لكم، أنتم عريقونَ فيه؛ فلذلك لا تَقِفونَ عندَ حَدٍّ حَدَّه اللهُ تعالى). ((نظم الدرر)) (١٤/ ٨٢).

وقال ابنُ عثيمين: (قولُه: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ﴾ «بل» للإضراب، والإضرابُ هنا كأنَّه قال: لا تأتون الذُّكرانَ فِطرةً ولا عملًا عاديًّا محبوبًا إلى الفِطَر، ولكِنَّ الذي حمَلكم على هذا هو العدوانُ المجَرَّدُ -والعياذُ بالله- متجاوزينَ الحلالَ إلى الحرام، فبَيَّن لهم لوطٌ عليه الصلاةُ والسلامُ أنَّ ما فعَلوه أمرٌ مُستنكَرٌ عقلًا، ومستنكَرٌ شرعًا وعُرفًا؛ لأنَّ العدوانَ لا شَكَّ أنَّ كُلَّ أحدٍ يُنكِرُه، وهؤلاء مُعتَدُونَ). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٦١).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٨٢).

لَتكونَنَّ مِن المطرودينَ مِن قَريتِنا[١].

كما قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦].

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ١٦٨﴾.

أي: قال لوطٌ لِقَومِه: إنِّي لِما تَعمَلونَه مِن الفاحِشةِ مِن المُبغِضينَ له أشَدَّ البُغضِ، التَّاركينَ فِعْلَه، المنكِرينَ له[٢].

﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ١٦٩﴾.

أي: قال لوطٌ داعيًا رَبَّه: ربِّ نجِّني وأهلي مِن عذابِ قَومي حينَ تُنزِلُه عليهم[٣].

﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ١٧٠﴾.

أي: فنجَّينا مِنَ العذابِ لوطًا وأهلَه كُلَّهم[٤].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣١)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٨)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٨٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٦٢، ٢٦٣).

قال ابنُ عاشور: (هدَّدوه بالإخراجِ مِن مدينتِهم؛ لأنَّه كان مِن غيرِ أهلِ المدينةِ، بل كان مُهاجِرًا بيْنَهم، وله صِهرٌ فيهم). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣١)، ((معاني القرآن)) للزجاج (٤/ ٩٩)، ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٤١)، ((جامع الرسائل)) لابن تيمية (٢/ ٣٨٧)، ((تفسير الخازن)) (٣/ ٣٣١)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٨)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٨٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٧٧)، ((تفسير يحيى بن سلام)) (٢/ ٥٢٠)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣١)، ((تفسير السمعاني)) (٤/ ٦٣)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣٣)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٣٢)، ((تفسير الألوسي)) (١٠/ ١١٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨١).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣١)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣٣)، ((تفسير ابن كثير)) =

كما قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥، ٣٦].

وقال سُبحانَه: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ * نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ﴾ [القمر: ٣٤، ٣٥].

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا كانت زوجتُه مُندَرِجةً في الأهلِ، وكان ظاهِرُ دعائِه دخولَها في التَّنجيةِ، وكانت كافِرةً؛ استُثْنِيَتْ في قَولِه[1]:

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾﴾.

أي: إلَّا زَوجتَه العَجوزَ فلم نُنْجِها، وهَلَكَت مع قَومِها الباقينَ في العَذابِ[2].

= (٦/ ١٥٨)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٨٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨١).

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨٥).

(٢) يُنظر: ((البسيط)) للواحدي (١٧/ ١١٣)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨١).

وممَّن قال بأنَّ المرادَ بالغابرينَ: الباقون في العذاب: مقاتلُ بن سليمان، والواحدي، والسعدي، وابن عاشور. يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٧٧)، ((البسيط)) للواحدي (١٧/ ١١٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨١).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السلفِ: ابنُ عباس، وقتادةُ، وعبدُ الرحمن بنُ زيد. يُنظر: ((تفسير ابن أبي حاتم)) (٩/ ٢٨٠٩)، ((الدر المنثور)) للسيوطي (٦/ ٣١٧).

قال ابنُ عطية: (وقَولُه ﴿فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ معناه: في الباقينَ؛ فإمَّا أنْ يريدَ في الباقينَ مِن لِدَاتِها وأهلِ سِنِّها، وهذا تأويلُ أبي عبيدةَ، وإمَّا أنْ يريدَ في الباقينَ في العذابِ النازلِ بهم، وهذا تأويلُ قتادةَ). ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٤١). ويُنظر: ((مجاز القرآن)) لأبي عبيدة (٢/ ٨٩).

وقال ابنُ عثيمين: (الغابِرُ: يُطلَقُ على مَعانٍ؛ منها: الباقي، ومنها: الماضي أيضًا، فيكونُ مِن =

كما قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ [الأعراف: ٨٣].

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا ذَكَر نجاتَه المفهِمةَ لهلاكِهم؛ صَرَّح به على وجهٍ هَوَّلَه بأداةِ التَّراخي؛ لِما عُلِمَ غيرَ مَرَّةٍ أنَّه كان عَقِبَ خُروجِه، لم تَتخلَّلْ بيْنَهما مُهلةٌ، فقال[(١)]:

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾﴾.

أي: ثمَّ أهلَكْنا قومَ لوطٍ[(٢)].

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾.

أي: وأنزَلْنا عليهم حِجارةً مِن السَّماءِ[(٣)].

= الأضْدادِ، وهي الكلماتُ التي تَصلُحُ للشَّيءِ ولِضِدِّه). ((تفسير ابن عثيمين - سورة الشعراء)) (ص: ٢٦٥).

قال الشوكاني: (الغابِر يكونُ بمعنَى الماضي، ويكونُ بمعنَى الباقي، فالمعنَى: إلَّا عجوزًا في الباقينَ في العذابِ، أوِ الماضِينَ الَّذينَ قد هَلَكوا). ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ٤٧٠).

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٨٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٢)، ((البسيط)) للواحدي (١٧/ ١١٣)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨١).

قال ابن عاشور: (التَّدميرُ: الإصابةُ بالدَّمارِ، وهو الهلاكُ؛ وذلك أنَّهم استُؤْصِلوا بالخَسفِ وإمطارِ الحجارةِ عليهم). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨١).

وبنحوِ ذلك قال الواحديُّ، والقرطبيُّ. يُنظر: ((البسيط)) للواحدي (١٧/ ١١٣)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣٣).

وقال السمعاني: (التدميرُ: هو الإهلاكُ بوَصْفِ التَّنكيلِ). ((تفسير السمعاني)) (٤/ ٤١٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٢)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣٣)، ((تفسير =

كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ [هود: ٨٢، ٨٣].

﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾.

أي: فبئسَ المطَرُ الذي أمطَرْناه على قَومِ لوطٍ الذين أنذَرَهم نبيُّهم عذابَ اللهِ فكَذَّبوه[1].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا كان في جَريِ المكذِّبينَ والمصَدِّقينَ على نظامٍ واحدٍ مِن الهَلاكِ والنَّجاةِ أعظَمُ عبرةٍ وأكبرُ موعظةٍ؛ أشار إلى ذلك بقَولِه[2]:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً﴾.

أي: إنَّ في إهلاكِ قَومِ لوطٍ لَدَلالةً واضِحةً على صِدقِ رَسولِه، وعِبرةً وعِظةً لِمُرتكِبِ الفواحِشِ[3].

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٧٥ - ٧٧].

وقال سُبحانَه: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [الذاريات: ٣٧].

= السعدي)) (ص: ٥٩٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨١).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٢)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٦١)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨١).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٨٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٧٧، ٢٧٨)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٢)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٦٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٦٤).

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

مُناسَبتُها لِما قَبلَها:

لَمَّا كان مَن أتى بعْدَ هذه الأمم -كقُريشٍ ومَن تَقَدَّمَهم- قد عَلِموا أخبارَهم، وضَمُّوا إلى بعضِ الأخبارِ نظرَ الدِّيارِ، والتوسُّمَ في الآثارِ؛ قال مُعَجِّبًا مِن حالِهم في ضلالِهم[1]:

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

أي: ولم يكُنْ أكثَرُ قَومِ لوطٍ مُؤمِنينَ[2].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ١٧٥﴾.

أي: وإنَّ رَبَّك -يا مُحمَّدُ- لهو العزيزُ القاهِرُ الغالِبُ المنتَقِمُ مِن أعدائِه، الرَّحيمُ بعبادِه، فلا يعاجِلُهم بعَذابِه، ومِن رحمتِه أنَّه يُرسِلُ رُسُلًا، ويُنزِلُ معهم ما يُبيِّنُ به ما يُرضيه وما يُسخِطُه، فلا يُهلِكُ قومًا إلَّا بعد إعذارِهم، ومِن رحمتِه أنَّه يُنجِّي أتْباعَ رُسُلِه[3].

الفَوائِدُ التَّربويَّةُ:

١- ينبغي لمُعَلِّمِ النَّاسِ إذا ذَكَر لهم الأبوابَ الممنوعةَ أنْ يَفتحَ لهم الأبوابَ الجائزةَ؛ حتى يَخرجَ الناسُ مِن هذا إلى هذا؛ فبعضُ الناسِ يَذكُرُ الأشياءَ

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٨٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٧٨)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٦).

قال القرطبي: (لم يكن فيها مؤمنٌ إلَّا بيتُ لوطٍ وابنَتاه). ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٧٨)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٢)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٦٥)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٨٥).

الممنوعةَ يقولُ: «هذا حرامٌ، هذا حرامٌ»، ولا يُبيِّنُ لهم الأبوابَ الجائزةَ، وانظرْ إلى لوطٍ عليه الصلاةُ والسلامُ قال لقومِه: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾؛ نهاهم عن الممنوعِ، وأرشَدَهم إلى الجائزِ[١].

٢- في قَولِه تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ أنَّه يجبُ على الإنسانِ أنْ يُبغِضَ ما أبغضَه اللهُ؛ لأنَّ هذه طريقةُ الرُّسُلِ[٢].

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:

١- قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ إلى قَولِه سُبحانَه: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ هذا حالُ أهلِ الفجورِ؛ أنَّه إذا كان بيْنَهم مَن ينهاهم طلَبوا نفْيَه وإخراجَه[٣]! فالآيةُ فيها إشارةٌ إلى أنَّ عادتَهم المستمِرَّةَ نفْيُ مَن اعترَض عليهم[٤].

٢- في قَولِه تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ دَلالةٌ على أنَّ التَّائبَ مِن عملِ قومِ لوطٍ مِن الجانبينِ، إنْ تابَ تابَ اللهُ عليه؛ فإنَّهم كانوا يفعلونَ الفاحشةَ بعضُهم ببعضٍ، ومعَ هذا فقد دعاهم جميعَهم إلى تقوى اللهِ والتَّوبةِ منها، فلو كانت توبةُ المفعولِ به أو غيرِه لا تُقْبَلُ، لم يأمُرْهم بما لا يُقبَلُ[٥]! والخِطابُ وإن كان للفاعِلِ فإنَّه إنَّما خُصَّ به؛ لأنَّه صاحِبُ الشَّهوةِ والطَّلَبِ في العادةِ، بخلافِ المفعولِ به؛ فإنَّه لم تُخلَقْ فيه شَهوةٌ لذلك في الأصلِ، وإن كانت قد تَعرِضُ له لمَرضٍ طارئٍ، أو أجرٍ يأخُذُه مِن الفاعِلِ، أو

(١) يُنظر: ((شرح رياض الصالحين)) لابن عثيمين (٦/ ٤٩٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٦٧).

(٣) يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (١٥/ ٣٣٤).

(٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٨٢).

(٥) يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (١٥/ ٤٠٨).

لغَرضٍ آخَرَ. واللهُ سُبحانَه وتعالى أعلَمُ[(١)].

٣- في قَولِه تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ تنبيهٌ على أنَّ هذا الفعلَ الفظيعَ مخالِفٌ للفِطرةِ، ولا يقعُ مِن الحيوانِ العَجَم! -وذلك على قولٍ في التفسيرِ- فهو عملٌ ابتدعوه ما فَعَله غيرُهم، ونحوُه قولُه تعالى في الآيةِ الأخرى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[(٢)] [العنكبوت: ٢٨].

٤- في قَولِه تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ أنَّ مِن بني آدمَ مَن تُقلَبُ طبيعتُه وتُصرَفُ حتى يَستحسِنَ الخبيثَ؛ لأنَّ هؤلاء هذا حالُهم[(٣)].

٥- قال الله تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ فيه دليلٌ على تحريمِ أدبارِ الزوجاتِ والمملوكاتِ، ومَن أجاز ذلك قد أخطأَ خطأً عظيمًا[(٤)].

٦- قولُه تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ فيه زيادةُ الإنكارِ فيما إذا كان للإنسانِ مندوحةٌ عن الحرامِ[(٥)].

٧- في قَولِه تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ إيماءٌ إلى الاستدلالِ بالصَّلاحيةِ الفِطريةِ لعَمَلٍ على بُطلانِ عَمَلٍ يُضادُّه؛ لأنَّه مُنافٍ للفِطرةِ، فهو مِن تغييرِ الشَّيطانِ وإفسادِه لسُنَّةِ الخلْقِ والتَّكوينِ، قال تعالى حكايةً

(١) يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (١٥/ ٤٠٨).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٩).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٦٦).
(٤) يُنظر: ((تفسير النسفي)) (٢/ ٥٧٨).
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٦٧).

عنه: ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِ﴾(١) [النساء: ١١٩].

٨- قولُه تعالى: ﴿مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم﴾ فيه جوازُ الاستِمتاعِ بالزَّوجةِ استمتاعًا مُطلَقًا ما عدا: الدبرَ، والفرجَ في الحيضِ(٢).

٩- قولُه تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ﴾ فيه أنه يبتدئُ باللِّينِ في تغييرِ المنكَرِ، فإنْ لم يَنفَعِ انتقلَ منه إلى ما هو أشدُّ؛ ولذلك انتقلَ لوطٌ مِن قولِه: ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ﴾ إلى قولِه: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ﴾ في مقامِ الذمِّ؛ تغليظًا للإنكارِ بعدَ لينِه(٣).

١٠- أنَّ مَن تجاوزَ الحلالَ إلى الحرامِ فهو عادٍ ظالمٌ لنَفْسِه ولغيرِه؛ لِقَولِه: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ﴾(٤).

١١- في قَولِه تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾ دَليلٌ على أنَّ المعانِدينَ للرُّسُلِ إنَّما يَلجؤونَ إلى قوَّتِهم وسُلطتِهم، لا إلى العَقلِ والإقناعِ، وقال ذلك قومُ نوحٍ: ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦]، وكذلك أيضًا قاله فرعونُ لِموسى عليه السلامُ: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]، وقاله آزَرُ لابنِه إبراهيمَ: ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَ﴾ [مريم: ٤٦]، كلُّ هذا ممَّا يدُلُّ على أنَّ هؤلاء الذين يُهَدِّدُون بالسُّلطةِ لا بالإقناعِ والعقلِ؛ هؤلاء لا حُجَّةَ لهم(٥).

١٢- في قَولِه تعالى: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ أنَّه لا غِنى لأحدٍ عن دُعاءِ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٦٠، ٢٦٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٩).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٦٧).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)).

اللهِ، وأمَّا قولُ بعضِ العارفِينَ الجاهلِين: «عِلْمُه بحالي، يُغني عن سؤالي»[١]! فهذا قولٌ باطلٌ؛ فاللهُ يَعلَمُ بحالِ كلِّ أحدٍ، ومع ذلك ما زالتِ الرُّسلُ وأتْباعُهم يَدْعونَ اللهَ تبارك وتعالى[٢].

١٣- في قَولِه تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أنَّ القُرْبَ مِن الأنبياءِ والأولياءِ لا يُغْني الإنسانَ شيئًا؛ لأنَّ هذه زوجةُ نبيٍّ، ومع ذلك هَلَكت مع مَن هَلكَ، فكَوْنُ الإنسانِ قريبًا مِن إنسانٍ وَلِيٍّ للهِ، لا يفيدُه شيئًا؛ فأبو لهبٍ عمُّ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ومع ذلك ما نَزَلَ مِن القرآنِ في أحدٍ مُعَيَّنٍ مِن الكُفَّارِ سِوى أبي لهبٍ عمِّ النَّبيِّ عليه الصلاةُ والسلامُ! وما نَزَل القرآنُ في تسميةِ شخصٍ بعَيْنِه مِن المسلمينَ إلَّا في زَيدِ بنِ حارثةَ -مَوْلًى مِن المَوالي- مِن أبعَدِ ما يكونُ عن الرَّسولِ عليه الصلاةُ والسلامُ، وبهذا يَتبيَّنُ أنَّ قُربَ النَّسَبِ وقُربَ المُصاهَرةِ وغيره لا يُغْني عن الإنسانِ شيئًا[٣].

بلاغةُ الآياتِ:

١- قولُه تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾

- قولُه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ﴾ جُعِلَ لُوطٌ عليه السَّلامُ أخًا لقومِه، ولم يكُنْ مِن نسَبِهم، وإنَّما كان نزيلًا فيهم، وهو ابنُ أخي إبراهيمَ عليه السَّلامُ، ولكنَّه لَمَّا استوطَنَ بلادَهم، وعاشَرَ فيهم، وحالَفَهم، وظاهَرَهم؛ جُعِلَ أخًا لهم، وقال تعالى في الآيةِ الأُخرى: ﴿وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ﴾ [ق: ١٣]، وهذا من

(١) قال ابن تيميَّةَ: (وما يُروى أنَّ الخليلَ لَمَّا أُلقِيَ في المنْجَنيق قال له جبريلُ: سَلْ، قال: «حسْبي من سؤالي، عِلْمُه بحالي» ليس له إسنادٌ معروفٌ، وهو باطلٌ، بل الذي ثَبَت في الصحيحِ عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّه قال: «حسْبيَ اللهُ ونِعمَ الوكيلُ»). ((مجموع الفتاوى)) (١/ ١٨٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٦٧).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ٢٦٨، ٢٦٩).

إطلاقِ الأُخُوَّةِ على مُلازَمةِ الشَّيءِ ومُمارَستِه[(١)].

٢- قولُه تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾

- قولُه: ﴿أَتَأْتُونَ﴾ استفهامُ إنكارٍ وتقريعٍ وتوبيخٍ[(٢)].

- والإتيانُ هنا: كِنايةٌ عن وَطْءِ الرجالِ[(٣)].

٣- قولُه تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾

- قولُه: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ﴾ هو على حذْفِ مُضافٍ، أي: وتَذَرون إتيانَ، فإنْ كان ما خلَقَ لا يُرادُ به العُضوُ؛ فلا بُدَّ مِن تَقديرِ مضافٍ آخَرَ، أي: وتَذرونَ إتيانَ فُروجِ ما خلَقَ[(٤)]؛ ففي قولِه: ﴿مَا خَلَقَ لَكُمْ﴾ إبهامٌ قد أراد به أَقْبالَهنَّ، وفي ذلك مُراعاةٌ للحِشمةِ والتصَوُّنِ[(٥)].

- وكلمةُ (مِن) في قولِه: ﴿مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ للبَيانِ -إنْ أُريدَ بها جنسُ الإناثِ. وللتبعيضِ -إنْ أُريدَ بها العضوُ المباحُ منهُنَّ-؛ تَعريضًا بأنَّهم كانوا يفعلونَ ذلك بنسائِهم أيضًا[(٦)]. وقيل: يتعيَّنُ حَمْلُ (مِن) على البعضيَّةِ؛ فيكونُ المنكَرُ عليهم أمرَيْنِ، كلُّ واحدٍ منهما مُستقِلٌّ بالإنكارِ؛ أحدُهما: إتيانُ الذُّكْرانِ، والثاني: مُجانَبةُ إتيانِ النساءِ في المأتَى؛ رغبةً في إتيانِهنَّ في غيرِه[(٧)].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٨).

(٤) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨٤).

(٥) يُنظر: ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٧/ ١٢١، ١٢٢).

(٦) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٣٠)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٨)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨٤)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٠).

(٧) يُنظر: ((تفسير الزمخشري – حاشية ابن المنير)) (٣/ ٣٣٠).

- و﴿بَلۡ﴾ لإضرابِ الانتِقالِ مِن مَقامِ الموعظةِ والاستدلالِ إلى مَقامِ الذَّمِّ؛ تغليظًا للإنكارِ بعْدَ لينِه[١].

- وجاء تَصديرُ الجُملةِ بضَميرِ الخِطابِ ﴿أَنتُمۡ﴾؛ تَعظيمًا لقُبحِ فِعلِهم، وتنبيهًا على أنَّهم هم مختصُّونَ بذلك، كما تقولُ: أنتَ فعلتَ كذا، أي: لا غيرُكَ[٢].

- والإتيانُ بالجُملةِ الاسميَّةِ ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ﴾ دونَ أنْ يقولَ: (بلْ كنتُمْ عادينَ): مبالَغةٌ في تَحقيقِ نسبةِ العُدوانِ إليهم. وفي جعْلِ الخبرِ ﴿قَوۡمٌ عَادُونَ﴾ دُونَ اقتصارٍ على ﴿عَادُونَ﴾: تَنبيهٌ على أنَّ العُدوانَ سَجِيَّةٌ فيهم، حتَّى كأنَّه مِن مُقَوِّماتِ قوميَّتِهم[٣].

٤- قولُه تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾ فيه مُناسَبةٌ حَسَنةٌ، فقولُهم هذا كقَولِ قَومِ نُوحٍ لنُوحٍ عليه السَّلامُ:﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦]، إلَّا أنَّ هؤلاءِ قالوا: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾، فهدَّدوهُ بالإخراجِ مِن مَدينتِهم؛ لأنَّه كان مِن غيرِ أهلِ المدينةِ، بلْ كان مُهاجِرًا بيْنَهم، وله صِهْرٌ فيهم[٤].

- ولَمَّا كان لِمَا له مِن العَظَمةِ بالنبُوَّةِ والأفعالِ الشَّريفةِ التي توجِبُ إجلالَه وإنكارَ كلِّ مَن يَسمَعُهم أنْ يَخرجَ مِثلُه، زادوا في التأكيدِ فقالوا: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾[٥].

---

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٧٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨٠).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق))(١٩/ ١٨٠).

(٥) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٨٢).

- وصِيغةُ ﴿مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ أبلَغُ مِن (لَنُخْرِجَنَّكَ)؛ فهي تُفيدُ أنَّه معدودٌ في زُمْرتِهم، ومشهورٌ بأنَّه مِن جُملتِهم[١]، كأنَّهم يُهدِّدونَه بما هو أعظَمُ ترويعًا له، يعني: إنَّنا أخرَجْنا غيرَك، وستكونُ أنت مِن جملةِ المُخرَجينَ؛ لأنَّ لنا قدرةً وسلطةً على إخراجِك[٢].

٥- قولُه تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾

- قولُه: ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ أبلَغُ -أيْ: أقْوَى- مِن أنْ يقولَ: (إنِّي لِعَمَلِكُمْ قالٍ)؛ لدَلالتِه على أنَّه مَعدودٌ في زُمرتِهم، ومشهورٌ بأنَّه مِن جُملتِهم. ويجوزُ أنْ يُريدَ: مِنَ الكاملينَ في قِلاكُمْ. والتَّعريفُ في اللَّامِ على الأوَّلِ: للعَهدِ، وعلى الثاني: للجِنسِ[٣].

- والعُدولُ إلى الصِّفةِ في قَولِه: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾، وقوله: ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ عُدولٌ عن الجُملةِ الفعليَّةِ إلى الصِّفةِ، وكثيرًا ما ورد في القرآنِ -خُصوصًا في هذه السُّورةِ- العُدولُ عن التعبيرِ بالفِعلِ إلى التَّعبيرِ بالصِّفةِ المشتقَّةِ، ثمَّ جَعْلُ الموصوفِ بها واحدًا من جمعٍ؛ كقولِ فِرعونَ: ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]، وأمثالُه كثيرةٌ، والسِّرُّ في ذلك أنَّ التعبيرَ بالفعلِ إنَّما يُفْهِمُ وُقوعَه خاصَّةً، وأمَّا التعبيرُ بالصِّفةِ ثمَّ جَعْلُ الموصوفِ بها واحدًا مِن جمْعٍ؛ فإنَّه يُفهِمُ أمرًا زائدًا على وُقوعِه، وهو أنَّ الصِّفةَ المذكورةَ كالسِّمَةِ للمَوصوفِ ثابتةَ العُلوقِ به، كأنَّها لقَبٌ، وكأنَّه مِن طائفةٍ صارَتْ من

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٦٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٣١)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٨)، ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٤٠٧)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨٤)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦١)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨٠).

هذا النوعِ المخصوصِ المشهورِ ببعضِ السِّماتِ الرديئةِ، استمِعْ إلى قولِه تعالى: ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ [التوبة: ٨٧] كيف ألحقَهم لقبًا رديئًا، وصيَّرهم مِن نوع رَذْلٍ مشهورٍ بِسِمةِ التخلُّفِ، حتَّى صارت له لقبًا لاصقًا به، وهذا عامٌّ في كلِّ ما يَرِدُ عليك وورَدَ فيما مضَى مِن أمثالِ ذلك؛ فتدبَّرْه، واقْدُرْه قَدْرَه[١].

٦- قولُه تعالى: ﴿رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾، أي: مِن عَذابِ ما يَعملونَه؛ ففي الكَلامِ إيجازٌ بالحَذْفِ، وفيه تَعريضٌ بعَذابٍ سيَحِلُّ بهم[٢].

٧- قولُه تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾

- الفاءُ في قولِه: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾ للتَّعقيبِ، أي: كانتْ نَجاتُه عَقِبَ دُعائِه[٣].

٨- قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾ (ثمَّ) للتَّراخي الرُّتْبيِّ؛ لأنَّ إهلاكَ المكذِّبينَ أجدَرُ بأنْ يُذْكَرَ في مَقامِ الموعظةِ مِن ذِكْرِ إنجاءِ لوطٍ والمؤمنينَ[٤].

٩- قولُه تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾

- سُمِّيَ ما أصابَهم مِنَ الحجارةِ مطرًا؛ لأنَّهُ نزَلَ عليهم مِنَ الجوِّ[٥].

- وفي قولِه: ﴿ٱلْمُنذَرِينَ﴾ تَسجيلٌ عليهم بأنَّهم أُنذِروا فلَمْ يَنتذِروا[٦].

---

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري- حاشية ابن المنير)) (٣/ ٣٣٠)، ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٤٠٧)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٧/ ١٢١، ١٢٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨١).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٦) يُنظر: ((المصدر السابق)).

الآيات (١٧٦-١٩١)

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ
﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾
۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟
ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾
قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾
فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ
﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾.

غَريبُ الكَلِماتِ:

﴿لْـَٔيْكَةِ﴾: أي: الشَّجَرِ المُلتَفِّ المُجتَمِعِ، وأصلُ (أيك): يدُلُّ على اجتماعِ شَجَرٍ[(١)].

﴿ٱلْمُخْسِرِينَ﴾: أي: النَّاقِصينَ الكَيلَ، وأصلُ (خسر): يدُلُّ على نَقصٍ[(٢)].

﴿بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾: أي: المِيزانِ العَدلِ السَّوِيِّ، وأصلُ (قسط) هنا: يدُلُّ على العَدلِ[(٣)].

---

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣٧٧)، ((تفسير ابن جرير)) (١٤/ ٩٩)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٧٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ١٦٥)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٢٢٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ١٨٢)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٧١)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٤/ ٥٩١)، ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٢٥٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٨٥، ٨٦)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٧٤١).

﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ﴾: أي: لا تَنقُصوا، والبَخسُ: نَقصُ الشَّيءِ على سَبيلِ الظُّلمِ، وأصلُ (بخس): يدُلُّ على نَقصٍ[١].

﴿تَعۡثَوۡاْ﴾: أي: تُفسِدُوا، مِن العُثُوِّ: وهو أشَدُّ الفَسادِ[٢].

﴿وَٱلۡجِبِلَّةَ﴾: أي: الخَلْقَ، يُقالُ: جُبِلَ فُلانٌ على كذا، أي: خُلِقَ[٣].

﴿كِسَفٗا﴾: أي: قِطَعًا، الواحِدةُ كِسْفةٌ، وأصلُ (كسف): يدُلُّ على قَطعِ شَيءٍ مِن شَيءٍ[٤].

﴿يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِ﴾: الظُّلَّةُ: سحابةٌ تُظِلُّ، وأكثرُ ما يُقالُ فيما يُستوخَمُ ويُكرهُ، أرسَلَ اللهُ سُبحانَه سحابةً فهَرَبوا إليها لِيَستظِلُّوا بها، فلمَّا صاروا تحتَها صِيحَ بهم فهَلَكوا، وأصلُ (ظلل): يدُلُّ على سَترِ شَيءٍ لِشَيءٍ[٥].

مُشكِلُ الإعرابِ:

قَولُه تعالى: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٢/ ٥٤١)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٤٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٢٠٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١١٠)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٩٧٥).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٥٠)، ((تفسير ابن جرير)) (٢/ ١٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٢٣٠)، ((المفردات)) للراغب (١/ ٥٤٦).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣٢٠)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٥)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٥٠٢)، ((البسيط)) للواحدي (١٧/ ١١٩)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٨٦).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٢٦١)، ((تفسير ابن جرير)) (١٥/ ٨١)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٣٩٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ١٧٧).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٧)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٣٢٥)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٤٦١)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٤٤٩).

﴿إِنْ﴾ مخفَّفةٌ من الثَّقيلةِ، واللامُ في ﴿لَمِنَ﴾ هي الفارِقةُ -أي: تفرقُ بينَ (إن) النافيةِ و(إن) المخفَّفةِ مِن الثقيلة-، أي: وإنَّ الشَّأنَ نظُنُّك مِن الكاذبينَ في الدعوى. خلافًا للكوفيِّينَ؛ فـ ﴿إِنْ﴾ عندَهم نافيةٌ بمعنى (ما)، واللامُ في ﴿لَمِنَ﴾ بمعنى (إلَّا) أي: ما نظُنُّك إلَّا مِنَ الكاذبينَ. وعلى كِلا الوَجهينِ فـ (مِنَ الكاذبينَ) متعلِّقٌ بمحذوفٍ مَفعولٌ به ثانٍ لـ (نظُنَّ)(١).

المعنى الإجماليُّ:

يَذكُرُ الله تعالى جانبًا مِن قصةِ شُعَيبٍ عليه السلامُ، وهي آخرُ القصصِ المذكورةِ في هذه السورةِ، فيقولُ: كذَّب أصحابُ الشَّجَرِ الملتَفِّ المُرسَلينَ، حينَ قال لهم رَسولُهم شُعَيبٌ: ألَا تتَّقونَ الله، وتَحذَرونَ سَخَطَه؟! إنِّي لكم رسولٌ مِن الله، أمينٌ على وحيِه، فأبلِّغُكم به بلا زيادةٍ ولا نقصٍ، فاتَّقوا عِقابَ الله وأطيعوني، وما أطلُبُ منكم على نُصحي لكم ثوابًا ولا جَزاءً، ما ثوابي إلَّا على اللهِ رَبِّ العالَمينَ.

ثمَّ يَذكرُ الله تعالى أنَّ نبيَّه شعيبًا عليه السلامُ نهَى قومَه عن أبرزِ الرذائلِ المتفشِّيةِ فيهم، وأنَّه قال لهم: أتِمُّوا -أيُّها النَّاسُ- الحَقَّ كاملًا عندَ الكَيلِ، ولا تكونوا ممَّن يَنقُصُ النَّاسَ حُقوقَهم، وَزِنوا للنَّاسِ بالميزانِ العادِلِ المُستقيمِ الذي لا انحرافَ فيه، ولا تَنقُصوا النَّاسَ شَيئًا مِن حُقوقِهم، ولا تُفسِدوا في الأرضِ، واتَّقوا اللهَ الذي خلَقَكم أنتم والخَلقَ الأوَّلينَ مِن قَبْلِكم.

قال قومُ شُعَيبٍ له: إنَّما أنت مِن المسحورينَ، فتَهذي بما لا معنى له، وما أنت إلَّا بشَرٌ مِثلُنا، وإنَّا لَنظُنُّك مِن الكاذبينَ في زَعمِك أنَّك مُرسَلٌ مِن عندِ اللهِ،

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨٧)، ((تفسير الألوسي)) (١٠/ ١١٧)، ((الجدول)) لمحمود صافي (١٩/ ١٢٠).

فأنزِلْ علينا قِطَعًا مِن السَّماءِ تُهلِكُنا إن كنتَ صادِقًا فيما تقولُ!

قال شُعَيبٌ لهم: ربِّي أعلَمُ بما تَعمَلونَه مِن الشِّركِ والمعاصي، وهو مُجازيكم عليها، ومُعَذِّبُكم بها إنْ شاء.

فكذَّب قَومُ شُعَيبٍ نبيَّهم، فأخَذَهم اللهُ بعذابِ أظَلَّهم فهَلَكوا مِن تحتِه، إنَّ ذلك العذابَ كان عذابَ يومٍ شَديدِ الأهوالِ.

إنَّ في إهلاكِ قَومِ شُعَيبٍ لَدَلالةً واضِحةً على صِدقِ شُعَيبٍ، وعِبرةً وعِظةً لِمن يعتبِرُ، وما كان أكثَرُ قَومِ شُعَيبٍ مُؤمنينَ، وإنَّ ربَّك -يا مُحمَّدُ- لهو العزيزُ القاهِرُ لأعدائِه، الرَّحيمُ بعبادِه، فلا يُعاجِلُهم بعذابِه.

تَفسيرُ الآياتِ:

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٧٦﴾.

أي: كذَّب أصحابُ الشَّجَرِ المُلتَفِّ[١] بجَميعِ رُسُلِ اللهِ[٢].

---

(١) قال القرطبي: (الأيْكُ: الشجَرُ الملتَفُّ الكثيرُ، الواحدةُ: أيْكةٌ. ومَن قرأ: «أصحابُ الأيْكةِ» فهي الغَيْضةُ. ومَن قرأ: «لَيْكة» فهو اسمُ القريةِ. ويُقالُ: هما مِثلُ بَكَّةَ ومكَّةَ، قاله الجوهريُّ). ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣٤).

وقال أيضًا: (لا نعلَمُ بيْنَ أهلِ اللغةِ اختلافًا أنَّ الأَيْكةَ الشَّجَرُ الملتَفُّ). ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٢)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٨)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٨٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٦).

قال ابن تيميَّةَ: (ذكَرَ اللهُ سُبحانه وتعالى قِصَّةَ شُعَيبِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في غير موضع من كتابه، وإرسالَه إلى أهلِ مَدْيَنَ، وقال في موضع آخَرَ: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٦]، فأكثَرُ الناسِ يقولون: إنَّهم أهلُ مَدْيَنَ، ومِن الناسِ مَن يَجعلُها قصَّتينِ). ((جامع الرسائل)) (١/ ٦١).

وممَّن قال بأنَّ أصحابَ الأيْكةِ هم أهلُ مَدْيَنَ: ابنُ كثيرٍ، والسعديُّ. وعزاه الشنقيطيُّ إلى =

= أكثرِ أهلِ العلمِ. يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٨، ١٥٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٦)، ((العذب النمير)) للشنقيطي (٣/ ٥٧٢).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السلفِ: ابنُ عباسٍ. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٣).

قال ابن كثير: (أصحابُ الأيكةِ هم أهلُ مَدْيَنَ على الصَّحيحِ، وكان نبيُّ الله شعيبٌ مِن أنفُسِهم، وإنَّما لم يقُلْ هنا: «أخوهم شعيبٌ»؛ لأنَّهم نُسِبوا إلى عبادةِ الأيْكةِ، وهي شجرةٌ. وقيل: شجَرٌ ملتَفٌّ كالغَيضةِ كانوا يَعبُدونها... والصَّحيحُ أنَّهم أمَّةٌ واحدةٌ، وُصِفوا في كلِّ مقامٍ بشَيءٍ؛ ولهذا وعَظَ هؤلاء وأمَرَهم بوفاءِ المكيالِ والميزانِ، كما في قصَّةِ مَدْيَنَ سواءً بسواءٍ؛ فدلَّ ذلك على أنَّهم أمَّةٌ واحدةٌ). ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٨، ١٥٩).

وقال أيضًا: (لَمَّا قال: ﴿كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾، لم يقُلْ: «إذْ قال لهم أخوهم شُعَيبٌ»، وإنَّما قال: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ﴾، فقطَع نِسبةَ الأُخوَّةِ بيْنَهم؛ للمعنى الذي نُسِبوا إليه، وإن كان أخاهم نسَبًا. ومِن الناسِ مَن لم يتفطَّنْ لهذه النكتةِ، فظنَّ أنَّ أصحابَ الأيْكةِ غيرُ أهلِ مَدْيَنَ، فزعَم أنَّ شُعَيبًا عليه السَّلامُ بعَثه اللهُ إلى أُمَّتينِ). ((تفسير ابن كثير)). (٦/ ١٥٨، ١٥٩).

وممَّن قال بأنَّ أصحابَ الأيْكةِ هم غيرُ أهلِ مَدْيَنَ، وقد أُرسِل شعيبٌ إلى هؤلاء وهؤلاء: مقاتلُ ابنُ سليمانَ، واستظهره ابنُ عاشور، ورجَّحه ابنُ عثيمين. يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٧٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة الشعراء)) (ص: ٢٧٤).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السلفِ: قتادةُ، والربيعُ. يُنظر: ((تفسير ابن أبي حاتم)) (٩/ ٢٨١١).

قال ابن عاشور: (الأظهرُ أنَّ أهلَ الأيْكةِ قبيلةٌ غيرُ مَدْيَنَ... والذي يشهدُ لذلك ويرجِّحُه أنَّ القرآنَ لَمَّا ذكَر هذه القصةَ لأهلِ مَدْيَنَ وصَف شعيبًا بأنَّه أخوهم، ولَمَّا ذكَرها لأصحابِ الأيْكةِ لم يَصِفْ شعيبًا بأنَّه أخوهم؛ إذ لم يكنْ شعيبٌ نسيبًا ولا صهرًا لأصحابِ الأيْكةِ، وهذا إيماءٌ دقيقٌ إلى هذه النكتةِ). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨٣، ١٨٤).

وقال ابن عثيمين: (وممَّا يدُلُّ على أنَّهم ليسوا أصحابَ مَدْيَنَ أنَّ العذابَ الذي أُخِذوا به غيرُ العذابِ الذي أُخِذ به أصحابُ مَدْيَنَ؛ فأصحابُ مَدْيَنَ أُخِذوا بالصَّيحةِ، وهؤلاء أُخِذوا بعذابِ الظُّلَّةِ... وهل معنى هذا أنَّ شعيبًا أُرسِلَ مرَّتينِ؟

الجوابُ: لا، بل أُرسِلَ مرَّةً واحدةً، لكنْ إلى قومَينِ؛ إلى هؤلاء وهؤلاء، ويجوزُ أن يكونَ هذا مِن بابِ التَّبَعِ، يعني: هذه القريةُ صغيرةٌ مثلًا، وكانت تابعةً لبلدتِه، ويدُلُّك على هذا أنَّ عمَلَهم واحدٌ؛ عَمَل هؤلاء، وعَمَل أهلِ مَدْيَنَ). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٧٤).

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾.

أي: حينَ قال لهم شُعَيبٌ: ألَا تتَّقونَ اللهَ، وتَحذَرونَ عِقابَه[1]؟

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾.

أي: إنِّي لكم رَسولٌ مِن اللهِ، أمينٌ على وَحيِه الذي بعَثَني به إليكم، فأبلِّغُكم ما أُرسِلتُ به إليكم بلا زيادةٍ ولا نَقصٍ[2].

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾﴾.

أي: فاتَّقوا سَخَطَ اللهِ وعِقابَه، وأطيعوني فيما آمُرُكم به، وأنهاكم عنه[3].

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا قَدَّمَ ما هو المقصودُ بالذاتِ، عَطَفَ على خبرِ «إنَّ» قولَه: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾؛ نفيًا لِمَا يُنَفِّرُ عنه[4].

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾.

أي: وما أطلُبُ منكم على نُصحي لكم أيَّ ثوابٍ وجَزاءٍ[5].

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٣)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥١)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٨٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٣)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٩)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٨٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥).

(٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٨٦).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥١)، ((نظم الدرر)) =

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

أي: ما أرجو ثوابي إلَّا مِن اللهِ الخالِقِ الرَّازِقِ، المالِكِ المدَبِّرِ لجميعِ العالَمينَ دونَ خَلقِه[(١)].

﴿أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ١٨١﴾.

﴿أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ﴾.

أي: قال شُعَيبٌ لِقَومِه: أَتِمُّوا للنَّاسِ حقَّهم كامِلًا عندَ الكَيلِ[(٢)].

﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا أمَرَهم بالإيفاءِ؛ نهاهم عن النقصِ على وجْهٍ أعمَّ، فقال[(٣)]:

﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾.

أي: ولا تكونوا ممَّن يَنقُصُ النَّاسَ حُقوقَهم[(٤)].

= للبقاعي (١٤/ ٨٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٥).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٤)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١١٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥١)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٨٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٩)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٨٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨٤).

(٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٨٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٧).

قال البقاعي: (﴿مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾ أي: الذين يُخسِرون... بنَقصِ الكَيلِ، أو غيرِه من أنواعِ النَّقصِ مِن كُلِّ ما يوجِبُ الغَبْنَ، فتكونوا مشهورينَ بذلك بينَ مَن يَفعَلُه). ((نظم الدرر)) (١٤/ ٨٧).
ويُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٧٧).

﴿وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ١٨٢﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا أمرَ بالإيفاءِ؛ بَيَّنَ أنَّه كيف يُفعَلُ[(١)].

وأيضًا لَمَّا أمرَ بوفاءِ الكَيلِ؛ أتبَعَه بمِثلِ ذلك في الوَزنِ، ولم يجمَعْهما؛ لِما للتَّفريقِ مِن التَّعريفِ بمزيدِ الاهتمامِ، فقال[(٢)]:

﴿وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ١٨٢﴾.

أي: وَزِنوا للنَّاسِ -إذا وزَنْتُم لهم- بالميزانِ العادِلِ، الذي لا مَيْلَ ولا انحرافَ فيه[(٣)].

كما قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩].

﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ١٨٣﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا أمرَ بالوفاءِ في الوزنِ؛ أتبَعَه نهيًا عن تركِه عامًّا -كما فَعَل في الكيلِ-

---

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥٢٨).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٨٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٧).

قال ابنُ عاشور: (القِسْطاسُ: بضَمِّ القاف وبكسرها من أسماءِ العَدلِ، ومن أسماء الميزانِ، ... وإن كان الوصفُ بـ ﴿ٱلۡمُسۡتَقِيمِ﴾ يرجِّحُ أنَّ المقصودَ به الميزانُ). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨٥).

وقال ابن عثيمين: (الفَرقُ بيْنَ الوَزنِ وبينَ الكَيلِ: أنَّ ما قُدِّر بالحجم فهو كَيْلٌ؛ لأنَّ المِكْيالَ تضَعُ فيه الشيءَ فيكونُ حجمُه هكذا، وأمَّا ما يقَدَّرُ بالثِّقلِ فيُسمَّى وزنًا). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٧٧).

لِيكونَ آكَدَ، فقال(١):

﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾.

أي: ولا تَنقُصوا النَّاسَ شَيئًا مِن حُقوقِهم(٢).

﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾.

أي: ولا تَسْعَوْا في الأرضِ بمعصيةِ اللهِ، وتُكثِروا فيها الفَسادَ(٣).

كما قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۗ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥، ٨٦].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾﴾.

---

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٨٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٩)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٣٣).

قال ابن عاشور: (بخسُ أشياءِ النَّاسِ: غَبنُ منافِعِها، وذَمُّها بغيرِ ما فيها؛ لِيَضْطَرُّوهم إلى بَيْعِها بغَبنٍ... والبَخسُ: النَّقصُ والذمُّ... ومِن بَخسِ الأشياءِ أن يقولوا للذي يَعرِضُ سِلعةً سليمةً للبيعِ: إنَّ سِلعَتَك رديئةٌ؛ لِيَصرِفَ عنها الرَّاغبينَ فيَشتريَها برُخصٍ). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨٥). ويُنظر: ((أحكام القرآن)) لابن العربي (٢/ ٣١٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٤)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٦٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٦٠)، ((تفسير الشوكاني)) (٢/ ٥٨٨).

قال الشوكاني: (والعثيُّ في الأرضِ: يشمَلُ كُلَّ ما يقعُ فيها مِن الإضرارِ بالنَّاسِ، فيدخُلُ فيه ما في السِّياقِ مِن نقصِ المكيالِ والميزانِ). ((تفسير الشوكاني)) (٢/ ٥٨٨).

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا تقَدَّم أمْرُه عليه السَّلامُ إيَّاهم بتقوى الله؛ أمَرَهم ثانيًا بتقوى مَن أوجَدَهم، وأوجَدَ مَن قبْلَهم؛ تنبيهًا على أنَّ مَن أوجدَهم قادِرٌ على أنْ يُعَذِّبَهم ويُهلِكَهم[١].

وأيضًا لَمَّا وَعَظَهم فأبلَغَ في وعظِهم بما خَتَمه بالنَّهيِ عن الفسادِ؛ خَوَّفَهم مِن سَطَواتِ اللهِ تعالى بما أحَلَّ بمَن هو أعظَمُ منهم، فقال[٢]:

﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ١٨٤﴾.

أي: واتَّقوا اللهَ الذي خلَقَكم، وخَلَق الخَلْقَ الأوَّلينَ مِن قَبْلِكم[٣].

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ١٨٥﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا كان الحاصِلُ ممَّا مضى الإعلامَ بالرسالةِ، والتحذيرَ مِن المخالفة؛ لأنَّها تؤدِّي إلى الضَّلالةِ، إلى أن خَتَمَ ذلك بالإشارةِ بالتعبيرِ بالجِبِلَّةِ إلى أنَّ عذابَه

---

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨٦).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٨٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٦٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨٥).

قال السعدي: (﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: الخليقةَ الأوَّلينَ، فكما انفرد بخَلقِكم، وخَلْقِ مَن قبْلَكم مِن غيرِ مُشارِكٍ له في ذلك، فأفرِدوه بالعبادةِ والتوحيدِ، وكما أنعَمَ عليكم بالإيجادِ والإمدادِ بالنِّعَم، فقابِلوه بشُكرِه). ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٧).

وقال ابنُ عثيمين: (ذكَّرهم الرسولُ عليه الصلاةُ والسلامُ بالذي خَلَقَهم، وخَلَقَ الخَلْقَ الأوَّلَ أيضًا؛ إشارةً إلى أنَّكم ستَزولون كما زال مَن قبْلَكم، فأنتم مخلوقونَ مِنَ العدَمِ، وتعودونَ إلى العدَمِ). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٧٨). ويُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٨٨).

تعالى عظيمٌ، لا يستعصي عليه صغيرٌ ولا كبيرٌ- أجابوه بالقَدحِ في الرِّسالةِ أولًا، وباستِصغارِ الوعيدِ ثانيًا[١].

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٨٥﴾.

أي: قال قَومُ شُعَيبٍ له: إنَّما أنت مِنَ المسحورينَ الذين بُولِغَ في سِحرِهم مرَّةً بعْدَ مرَّةٍ، فلا عَقلَ لك، وإنَّما تَهذي بما لا مَعنى له[٢].

كما قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ﴾ [هود: ٩١].

﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ١٨٦﴾.

﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾.

أي: وما أنت إلَّا آدميٌّ مِثلُنا، فكيف خَصَّك اللهُ بالرِّسالةِ مِن بيْنِنا حتى نتَّبِعَك[٣]؟!

﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾.

أي: ونحن نظُنُّك[٤] مِنَ الكاذِبينَ[٥] ....

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٨٨).
(٢) يُنظر: ((البسيط)) للواحدي (١٧/ ١٠٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٦٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨٦).
(٣) يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٧٩)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٦)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٦٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٧).
(٤) قال ابن عاشور: (أُطلِقَ الظَّنُّ على اليقين... وهو إطلاقٌ شائعٌ، كقَولِه: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ [البقرة: ٤٦]، وقرينتُه هنا دخولُ اللامِ على المفعولِ الثاني لـ (ظَنَّ)؛ لأنَّ أصلَها لامُ قَسَم). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨٦).
(٥) و ﴿إِنْ﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ﴾ -على مذهبِ الكوفيِّينَ- بمعنى (ما) النافيةِ. أي: وما نظنُّك إلَّا مِن الكاذبينَ. وممَّن قال بهذا المعنى: ابنُ جريرٍ، والقرطبيُّ، والبقاعيُّ. يُنظر: =

في زَعمِك أنَّك رَسولٌ مِن عندِ اللهِ(١).

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝١٨٧﴾.

أي: فأنزِلْ علينا قِطَعًا مِن السَّماءِ تُهلِكُنا، إنْ كُنتَ صادِقًا في أنَّك رَسولٌ من عندِ اللهِ(٢).

﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨٨﴾.

= ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٦)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣٦)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٨٩).

قال البقاعي: (والذي يقتضيه السياقُ ترجُّحُ مذهبِ الكوفيِّينَ هنا في أنَّ ﴿إِنْ﴾ نافيةٌ؛ فإنَّهم أرادوا بإثباتِ الواوِ في ﴿وَمَآ﴾ المبالغةَ في نفْيِ إرسالِه بتَعدادِ ما يُنافيه، فيكونُ مرادُهم أنَّه ليس لنا ظنٌّ يتوجَّهُ إلى غيرِ الكذبِ، وهو أبلغُ مِن إثباتِ الظنِّ به، ويؤيِّدُه تسبيبُهم عنه سؤالَه استهزاءً به، وتعجيزًا له إنزالَ العذابِ). ((نظم الدرر)) (١٤/ ٨٩، ٩٠).

وقيل: المرادُ بها (إنْ) المخفَّفةُ مِن الثقيلةِ. وممَّن اختار ذلك: الشوكانيُّ، وابنُ عاشور، وابنُ عثيمين. يُنظر: ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٣٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٧٩، ٢٨٠).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٦)، ((البسيط)) للواحدي (١٧/ ١٢٠)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٦٠)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٨٩).

قال السعدي: (هذا جراءةٌ منهم وظُلمٌ، وقَولٌ زُورٌ، قد انطَوَوْا على خلافِه؛ فإنَّه ما مِن رسولٍ مِن الرُّسُلِ واجَهَ قومَه ودعاهم، وجادَلهم وجادَلوه، إلَّا وقد أظهَرَ اللهُ على يديه مِن الآياتِ ما به يتيقَّنونَ صِدقَه وأمانتَه، خصوصًا شُعَيبًا عليه السلامُ، الذي يُسمَّى خطيبَ الأنبياء؛ لحُسنِ مراجعتِه قَومَه، ومجادلتِهم بالتي هي أحسَنُ؛ فإنَّ قومَه قد تيقَّنوا صِدقَه، وأنَّ ما جاء به حقٌّ، ولكِنَّ إخبارَهم عن ظَنِّ كَذِبه كَذِبٌ منهم). ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٨٠).

قال الرازي: (وهُم إنَّما طَلَبوا ذلك؛ لاستِبعادِهم وُقوعَه، فظَنُّوا أنَّه إذا لم يَقَعْ ظَهَر كذِبُه). ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥٢٨).

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا طَلَبوا منه ما طلبوا؛ أحالَ عِلْمَ ذلك إلى اللهِ تعالى، وأنَّه هو العالِمُ بأعمالِكم، وبما تَستوجِبون عليها مِن العِقابِ، فهو يعاقِبُكم بما شاء[١].

وأيضًا لَمَّا كان عذابُ العاصي يتوقَّفُ على العِلمِ المُحيطِ بأعمالِه، والقُدرةِ على نَكالِه؛ استأنَفَ تعالى الحِكايةَ عنه في تَنبيهِه لهم على ذلك بقَولِه[٢]:

﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨٨﴾.

أي: قال شُعَيبٌ لِقَومِه: ربِّي أعلَمُ بما تَعمَلونَه مِنَ الشِّركِ والمعاصي، ونَقصِ الكَيلِ والميزانِ، وهو مُجازيكم بأعمالِكم، ومُعذِّبُكم بها إنْ شاء، وما علَيَّ إلَّا تبليغُكم[٣].

كما قال اللهُ تعالى لنبيِّه مُحمَّدٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحج: ٦٨].

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٨٩﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا كان مَحَطُّ كلامِهم كلِّه على تكذيبِهم له مِن غيرِ قدْحٍ في قُدرةِ الخالقِ؛ سَبَّبَ العذابَ عن تكذيبِهم، فقال[٤]:

---

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨٧).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٩٠، ٩١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٧)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٦٢)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣٧)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٩٠، ٩١)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٣٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٧).

(٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٩١).

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ﴾.

أي: فكذَّب قومُ شُعَيبٍ نبيَّهم، فأهلَكَهم اللهُ بعذابٍ أظلَّهم، فهلَكوا مِن تحتِه[(١)].

﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا كان الحالُ مُوجِبًا للسؤالِ عن يومِ الظُّلَّةِ، قال تعالى مُهَوِّلًا لأمرِه، ومعظِّمًا لقَدْرِه[(٢)]:

﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

أي: إنَّ عذابَ يومِ الظُّلَّةِ الذي أصاب قَومَ شُعَيبٍ كان عذابَ يومٍ عَظيمِ الأهوالِ[(٣)].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾.

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٣٧)، ((بدائع الفوائد)) لابن القيم (١/ ١٢٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨٧).

قال ابن القيم: (أخبَرَ تعالى عن العذابِ الذي أصاب به قَومَ شُعيبٍ بثلاثة أمورٍ، كُلُّها مؤنَّثةُ اللفظِ؛ أحدُها: الرَّجفةُ في قَولِه في «الأعراف»: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾[الأعراف: ٧٨]. الثاني: الظُّلَّةُ بقوله: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ﴾[الشعراء: ١٨٩]. الثالثُ: الصَّيحةُ: ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ [هود: ٦٧]. وجمع لهم بيْنَ الثلاثةِ؛ فإنَّ الرجْفةَ بدأَتْ بهم، فأصحَروا [خرَجوا] إلى الفضاءِ خوفًا من سقوطِ الأبنيةِ عليهم، فصهَرتْهم الشمسُ بحَرِّها، ورُفِعَت لهم الظُّلَّةُ، فأُهرِعوا إليها يَستظِلُّون بها من الشَّمسِ، فنزَل عليهم منها العذابُ وفيه الصَّيحةُ). ((بدائع الفوائد)) (١/ ١٢٦).

وقال ابنُ عاشور: (كان العذابُ مِن جنسِ ما سألوه، ومِن إسقاطِ شَيءٍ مِن السَّماءِ). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨٧).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٩٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٤٠)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٣)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٣٣، ١٣٤)، ((تفسير القاسمي)) (٧/ ٤٧٤).

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا كان لتوالي الإخبارِ بإهلاكِ هذه القُرونِ، وإبادةِ مَن ذُكِرَ مِن تلك الأممِ، مِن الرُّعبِ ما لا يبلغُ وصْفُه، ولا يمكِنُ لغيرِه سُبحانَه شرحُه؛ قال تعالى مشيرًا إليه تحذيرًا مِن مِثلِه[1]:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾.

أي: إنَّ في إهلاكِ قَومِ شُعَيبٍ لَدَلالةً واضِحةً على صِدقِ رَسولِه، وعِبرةً وعِظةً لِمن ينقُصُ في الكَيلِ والوَزنِ[2].

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

أي: ولم يكُنْ أكثَرُ قَومِ شُعَيبٍ مُؤمِنينَ[3].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٩١)﴾.

أي: وإنَّ ربَّك -يا مُحمَّدُ- لهو العزيزُ القاهِرُ الغالِبُ، المُنتقِمُ مِن أعدائِه، الرَّحيمُ بعبادِه، فلا يُعاجِلُهم بعذابِه، ومِن رحمتِه أنَّه يُرسِلُ رُسُلًا، ويُنزِّلُ معهم ما يُبيِّنُ به ما يُرضيه وما يُسخِطُه، فلا يُهلِكُ قَومًا إلَّا بعْدَ إعذارِهم، ومِن رحمتِه أنَّه يُنجِّي أتْباعَ رُسُلِه[4].

---

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٩٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٤٠)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٦٦)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٩٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨٧، ١٨٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٦٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥٦).

(٤) يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٧٩)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٤٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٦٢)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٩٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٧).

الفَوائِدُ التَّربويَّةُ:

١- ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ خاطَب كلُّ رسولٍ به قومَه؛ إزاحةً للتهمةِ، وتمحيضًا للنصيحةِ؛ فإنَّها لا تنجعُ ما دامَت مشوبةً بالمطامعِ[١].

٢- قال الله تعالى حكايةً عن شعيبٍ عليه السلامُ: ﴿أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ * وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ * وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ سلَكَ شُعَيبٌ عليه السَّلامُ في نهيِهم عن الفَسادِ مَسلَكَ التدرُّج، وهذا مِن أساليبِ الحِكمةِ في تهيئةِ النُّفوسِ بقَبولِ الإرشادِ والكَمالِ، فابتَدأ بنَهيِهم عن نوعٍ مِن الفسادِ فاشٍ فيهم، وهو التَّطفيفُ، ثمَّ ارتقَى فنهاهم عن جنسِ ذلك النَّوعِ، وهو: أكلُ أموالِ النَّاسِ، ثمَّ ارتقَى فنهاهم عن الجِنسِ الأعلى للفَسادِ الشَّاملِ لجميعِ أنواعِ المفاسدِ، وهو: الإفسادُ في الأرضِ كُلِّه[٢].

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:

١- في قَولِه تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ إنَّما لم يَقُلْ هنا: أخوهم شُعَيبٌ؛ لأنَّهم نُسِبوا إلى عبادةِ الأَيْكةِ[٣]، وذلك على اعتبارِ أنَّ مَدْيَنَ هم أصحابُ الأيْكةِ.

وقيل: لم يقُلْ: (أخوهم)؛ لأنَّه لم يكُنْ مِن أصحابِ الأيْكةِ في النَّسَبِ، فلمَّا ذكَر مَدْيَنَ قال ﴿أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا﴾؛ لأنَّه كان منهم[٤]، وذلك على اعتبارِ أنَّ مَدْيَنَ غيرُ أصحابِ الأيكةِ. وقيل غيرُ ذلك[٥].

---

(١) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٣/ ١٣٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٢/ ١٣٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٨، ١٥٩).

(٤) يُنظر: ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٧٧).

(٥) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٨٥).

٢- قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إنَّما كان جوابُ هؤلاء الرُّسُلِ واحِدًا على صيغةٍ واحدةٍ؛ لأنَّهم مُتَّفِقون على الأمرِ بالتَّقوى، والطَّاعةِ، والإخلاصِ في العبادةِ، والامتِناعِ مِن أخذِ الأجرِ على تبليغِ الرِّسالةِ[١].

٣- الكَيلُ على ثلاثةِ أضرُبٍ: وافٍ، وطفيفٍ، وزائدٍ، فأمَرَ بالواجِبِ الذي هو الإيفاءُ بقَولِه تعالى: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾، ونهى عن المُحَرَّمِ الذي هو التَّطفيفُ بقولِه تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾، ولم يَذكُرِ الزَّائدَ؛ لأنَّه إنْ فعَلَه فقد أحسَنَ، وإنْ لم يَفعَلْه فلا إثمَ عليه[٢].

٤- قَولُه تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ هذا عامٌّ في كلِّ حقٍّ يَثبُتُ لأحدٍ ألَّا يُهضَمَ، وفي كلِّ مِلْكٍ ألَّا يُغصَبَ عليه مالِكُه، ولا يُتحَيَّفَ منه، ولا يُتصَرَّفَ فيه إلَّا بإذنِه تصرُّفًا شرعيًّا[٣].

٥- في قَولِه تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ دليلٌ على أنَّ الوفاءَ في العُقودِ هو ممَّا جاء في الشَّرائعِ السَّماويَّةِ السَّابقةِ واللَّاحِقةِ[٤].

٦- قال الله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ذكَرَ اللهُ تعالى صِفةَ إهلاكِهم في ثلاثةِ مَواطِنَ، كُلُّ موطنٍ بصِفةٍ تُناسِبُ ذلك السِّياقَ؛ ففي (الأعرافِ) ذكَرَ أنَّهم أخذَتْهم الرَّجفةُ، فأصبحوا في دارِهم جاثمينَ؛ وذلك لأنَّهم قالوا: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾

---

(١) يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير الشربيني)) (٣/ ٣١).

(٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٣٢).

(٤) يُنظر: ((شرح رياض الصالحين)) لابن عثيمين (٥/ ٤٠٢).

[الأعراف: ٨٨]، فأرجَفوا بنبيِّ اللهِ ومَن اتَّبَعه، فأخذَتْهم الرَّجفةُ. وفي سورةِ (هودٍ) قال: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ [هود: ٩٤]؛ وذلك لأنَّهم استهزَؤوا بنبيِّ اللهِ في قَولِهم: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]، قالوا ذلك على سبيلِ التهكُّم والازْدِراء، فناسَب أن تأتيَهم صَيحةٌ تُسكِتُهم، فقال: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾. وهاهنا قالوا: ﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، على وجهِ التعَنُّتِ والعنادِ، فناسَب أن يَحِقَّ عليهم ما استبعَدوا وُقوعَه: ﴿فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾[1].

٧- قَولُه تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ كَرَّرَ سُبحانَه الخِتامَ بهذا الكَلامِ في هذه السُّورةِ ثمانيَ مرَّاتٍ؛ فلعلَّ مِن أسرارِه الإشارةَ إلى سبْقِ الرَّحمةِ للغَضَبِ[2].

بلاغةُ الآياتِ:

١- قولُه تعالى: ﴿أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ﴾ استِئنافٌ مِن كَلامِه، انتقَلَ به مِن غَرَضِ الدَّعوةِ الأصليَّةِ بقولِه: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٧٧] إلى آخِرِه، إلى الدعوةِ التفصيليَّةِ بوَضْعِ قوانينِ المعامَلةِ بيْنَهم؛ فقدْ كانوا مع شِرْكِهم باللهِ يُطفِّفونَ المِكيالَ والميزانَ، ويَبخَسونَ أشياءَ الناسِ إذا ابتاعوها مِنهم، ويُفسِدونَ في الأرضِ[3].

- وصَوْغُ ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ﴾ أبلَغُ مِن (لا تكونوا مُخْسِرينَ)؛ لأنَّه يدُلُّ على الأمرِ بالتبرُّؤِ مِن أهلِ هذا الصَّنيعِ[4].

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٦١).
(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٩٣).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨٤).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

٢- قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾

- قولُه: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ هذا تَعميمٌ بعْدَ تَخصيصِ بعضِ الموادِّ بالذِّكْرِ؛ لغايةِ انهماكِهم فيها[1].

- وفي الكلامِ تَرَقٍّ؛ ذكَرَ أوَّلًا الأمْرَ بإيفاءِ الكيلِ، وأكَّدَهُ بقولِهِ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾ على الطَّردِ والعكسِ، ثمَّ ترقَّى إلى الأمْرِ بالعدلِ في الموازينِ؛ فإنَّها أكثرُ استعمالًا مِنَ المكاييلِ، ثمَّ جاء بهذا العامِّ، ثمَّ بأعمَّ منه: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾؛ فإنَّ بخْسَ الأشياءِ أعَمُّ مِن أنْ يكونَ في المِكيالِ أو الميزانِ، والعُثُوَّ أعمُّ مِن تنقيصِ الحُقوقِ وغيرِه مِن أنواعِ الفسادِ[2].

٣- قولُه تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فيه تنبيهٌ على أنَّ مَن أوْجَدهم قادرٌ على أنْ يُعذِّبَهم ويُهلِكَهم، وعطَفَ عليهم ﴿وَٱلْجِبِلَّةَ﴾؛ إيذانًا بذلك[3].

- وأكَّدَ قولَه في صَدرِ خِطابِه ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بقولِه هُنا: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، وزاد فيه دليلَ استحقاقِه التقْوى بأنَّ اللهَ خلَقَهم، وخلَقَ الأُمَمَ مِن قبْلِهم، وباعتِبارِ هذه الزِّيادةِ أدخَلَ حرفَ العَطفِ على فِعلِ (اتَّقُوا)، ولو كان مُجرَّدَ تأكيدٍ لم يَصِحَّ عطْفُه. وفي قولِه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ إيماءٌ إلى نَبْذِ اتِّقاءِ غيرِه مِن شُركائِهم[4].

٤- قولُه تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ نَفَوْا رِسالتَه عَنِ اللهِ كِنايةً

---

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٢).

(٢) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٤١٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨٥).

وتَصريحًا؛ فزَعَموهُ مَسحورًا، أي: مُختلَّ الإدراكِ والتصوُّراتِ مِن جَرَّاءِ سِحرٍ سُلِّطَ عليه، وذلك كنايةٌ عن بُطلانِ أنْ يكونَ ما جاء به رسالةً عن اللهِ. وفي صيغةِ ﴿مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾ مُبالَغةٌ؛ فهي تُفيدُ أنَّه معدودٌ في زُمرتِهم، ومَشهورٌ بأنَّه مِن جُملتِهم[١].

٥- قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾

- قولُه: ﴿وَمَآ أَنتَ﴾ فيه مُناسَبةٌ حَسنةٌ، حيثُ جاء هُنا بالواوِ، وفي قِصَّةِ ثمودَ: ﴿مَا أَنْتَ﴾ بغيرِ واوٍ؛ فإنْ قيل: هلِ اختلَف المعنى بإدخالِ الواوِ هاهُنا، وتَرْكِها في قصَّةِ ثمودَ؟

فالجوابُ: إذا أُدخِلَتِ الواوُ فقدْ قُصِدَ معنَيانِ كِلاهما مُنافٍ للرِّسالةِ عِندَهم: التَّسحيرُ والبشريَّةُ، وأنَّ الرسولَ لا يَجوزُ أنْ يَكونَ مُسَحَّرًا، ولا يَجوزُ أنْ يَكونَ بَشرًا؛ فهي للدَّلالةِ على أنَّ كُلًّا مِنَ التَّسحيرِ والبشريَّةِ مُنافٍ للرِّسالةِ؛ مبالغةً في التَّكذيبِ. وإذا تُرِكَتِ الواوُ فلَمْ يُقصَدْ إلَّا معنًى واحدٌ، وهو كونُه مُسَحَّرًا، ثمَّ قُرِّرَ بكَونِه بشرًا مِثلَهم[٢]. وقيل: الإتيانُ بواوِ العَطفِ في قولِه: ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ يجعَلُ كونَه بشرًا إبطالًا ثانيًا لِرسالتِه، وتَرْكُ العطفِ في قصَّةِ ثمودَ يجعَلُ كونَه بشرًا حُجَّةً على أنَّ ما يَصدُرُ منه ليس وَحْيًا، بلْ هو مِن تأثيرِ كونِه مسحورًا؛ فمآلُ معنى الآيتَينِ مُتَّحِدٌ، ولكنْ طريقُ إفادتِه مختلِفٌ، وذلك على حسَبِ أُسلوبِ الحِكايتَيْنِ[٣].

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٣٣)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٩)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨٧)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨٦).

- فإنْ قيل: هذا بَيانُ خاصيَّةِ التَّركيبِ؛ فما بيانُ الأبلغيَّةِ، واختِصاصِ الواوِ بموضعٍ دونَ مَوضعٍ؟

فالجوابُ: أنَّ التركيبَ بدونِ الواوِ في قِصَّةِ ثمودَ يُفيدُ التوكيدَ والتقريرَ، والقطعَ بأنَّه بَشرٌ مِثلُهم، أي: لا يَنبغي أنْ نؤمِنَ برسالاتِكَ إلَّا بشيءٍ تمتازُ به عنَّا؛ ولهذا قالوا: ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، والقومُ أَنْصَفوا في الطلَبِ؛ ولهذا قال: ﴿هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ﴾. وأمَّا قومُ شُعيبٍ عليه السَّلامُ فإنَّهم أثبَتوا له شيئَيْنِ: كَوْنَه مُسَحَّرًا، وكونَه بشرًا مِثلَهم، كلٌّ واحدٍ منهما مُستقِلٌّ في المنْعِ مِن كونِه رسولًا؛ يعني: نحنُ وأنتَ في عدمِ صلاحيةِ الرِّسالةِ لكَونِنا بشَرًا سواءٌ، ولك المزيةُ علينا في كونِكَ مُسَحَّرًا دونَنا، ثمَّ أكَّدوا ذلك بقولِهم: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾، والظَّنُّ بمعنى اليقينِ؛ ولذلك أدخَلَ «إنْ» واللَّامَ، ولَمَّا كان هذا الرَّدُّ أبلَغَ مِنَ الأوَّلِ ما طلَبوا البرهانَ كما طلَبوا؛ حيثُ قالوا: ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، بل قطَعوا بما يدُلُّ على اليأسِ مِن إيمانِهم بقولِهم: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ استهزاءً كما قطَع قريشٌ بقولِهم: ﴿إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[1] [الأنفال: ٣٢].

٦- قولُه تعالى: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾

- قولُه: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لَعلَّه جوابٌ لِمَا أشْعَر به الأمْرُ بالتَّقوى مِنَ التَّهديدِ[2]. والأمْرُ في قولِه: ﴿فَأَسْقِطْ﴾ أمْرُ تعجيزٍ[3].

٧- قولُه تعالى: ﴿قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ جاء جوابُ شُعيبٍ بإسنادِ العِلمِ

(١) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٤١٢، ٤١٣).
(٢) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٩)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٢، ٢٦٣).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨٧).

إلى اللهِ؛ فهو العالِمُ بما يَستحِقُّونه مِنَ العَذابِ ومِقدارِه، وكلمةُ ﴿أَعْلَمُ﴾ هُنا مُبالَغةٌ في العالِم، وليس هو بتَفضيلٍ(١).

٨- قولُه تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

- بيَّنَ اللهُ تعالى استِمرارَهم على ما كانوا عليه بقولِه: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ﴾، أي: استمَرُّوا على ذلك، وكَذَّبوه تكذيبًا بعْدَ تَكذيبٍ، هذا معنى الفاءِ والتكريرِ في ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾، واتَّصلَ بذلك ﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾(٢).

- وقولُه: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ الفاءُ فصيحةٌ، أي: فتبيَّنَ مِن قولِهم: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ أنَّهم كذَّبوهُ، أي: تبيَّنَ التكذيبُ والثباتُ عليه بما دلَّ عليه ما قصَدوه مِن تعجيزِه؛ إذْ قالوا: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾(٣) [الشعراء: ١٨٧].

- وفي إعادةِ فِعلِ التكذيبِ إيقاظٌ للمشركينَ بأنَّ حالَهم كحالِ أصحابِ شُعيبٍ؛ فيوشِكُ أنْ يكونَ عِقابُهم كذلك(٤).

- قولُه: ﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ في إضافةِ العذابِ إلى يومِ الظُّلَّةِ دونَ نفْسِها: إيذانٌ بأنَّ لهم يومَئذٍ عذابًا آخَرَ غيرَ عذابِ الظُّلَّةِ(٥).

- وقِصَّةُ شُعيبٍ آخِرُ القصصِ السَّبْعِ التي أُوحيَتْ إلى رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، المذكورةِ على سَبيلِ الاختِصارِ؛ تَسليَةً له صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ،

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨٧).

(٢) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٤١٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨٧).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٥) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٣).

وتَهديدًا للمُكذِّبينَ به[١]، ولصرفِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عن الحِرصِ على إسلامِ قومِه، وقَطْعِ رجائِه عنه، ودفْعِ تحسُّرِه على فواتِه؛ تحقيقًا لمضمونِ ما مرَّ في مَطلَعِ السورةِ الكريمةِ مِن قولِه تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُواْ ...﴾ [الشعراء: ٥ -٦] الآيةَ؛ فإنَّ كلَّ واحدةٍ مِن هذه القصصِ ذِكرٌ مُستقِلٌّ، مُتجدِّدُ النُّزولِ، قد أتاهم مِن جهتِه تعالى بموجَبِ رحمتِه الواسعةِ، وما كان أكثرُهم مؤمنينَ بَعْدَما سمِعوها على التَّفصيلِ قصَّةً بعدَ قصَّةٍ، لا بأنْ يتدبَّروا فيها، ويَعتبروا بما في كلِّ واحدةٍ منها مِنَ الدَّواعي إلى الإيمانِ، والزَّواجرِ عن الكُفرِ والطُّغيانِ، ولا بأنْ يَتأمَّلوا في شأنِ الآياتِ الكريمةِ النَّاطقةِ بتلك القصصِ على ما هي عليه، مع عِلمِهم بأنَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لم يسمَعْ شيئًا منها مِن أحدٍ أصلًا، واستمَرُّوا على ما كانوا عليهِ مِنَ الكُفرِ والضَّلالِ كأنْ لم يَسمَعوا شيئًا يزجُرُهم عن ذلكَ[٢]!

٩- قولُه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ كرَّرَ هذا القولَ في هذه السُّورةِ في أوَّلِ كلِّ قِصَّةٍ وآخِرِها؛ لأنَّ كلَّ قصَّةٍ منها كتنزيلٍ برأسِه، وفيها مِنَ الاعتبارِ مِثلُ ما في غيرِها؛ فكانتْ كلُّ واحدةٍ منها تُدْلِي بحَقٍّ في أنْ تُفتتَحَ بما افتُتِحَتْ به صاحبتُها، وأنْ تُختتَمَ بما اختُتِمَتْ به، ولأنَّ في التكريرِ تقريرًا للمعاني في الأنفُسِ، وتَثبيتًا لها في الصُّدورِ؛ فإنَّه لا طَريقَ إلى تَحفُّظِ العلومِ إلَّا تَرديدُ ما يُرادُ تحفُّظُه منها، وكلَّما زاد تَرديدُه كان أمكَنَ له في القلبِ، وأرسَخَ في الفَهْمِ، وأثبَتَ للذِّكْرِ، وأَبْعَدَ مِنَ النِّسيانِ. ولأنَّ هذه القصصَ طُرِقَتْ بها آذانٌ وُقْرٌ عن الإنصاتِ للحَقِّ، وقُلوبٌ غُلْفٌ عن تدبُّرِه؛

(١) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٣).

فَكُوثِرَتْ بالوعظِ والتذكيرِ، ورُوجِعَتْ بالترديدِ والتكريرِ؛ لعلَّ ذلك يفتَحُ أُذُنًا، أو يَفْتُقُ ذِهنًا، أو يَصْقُلُ عَقلًا طال عهْدُه بالصَّقْلِ، أو يَجْلو فَهْمًا قد غطَّى عليه تراكُمُ الصَّدَأِ[1].

- وكرَّرَ ما كرَّرَ في أوائلِ هذه القصصِ؛ تَنبيهًا على أنَّ طريقةَ الأنبياءِ واحدةٌ لا اختلافَ فيها، وهي الدعاءُ إلى توحيدِ اللهِ وعبادتِه، ورفْضِ ما سِواهُ، وأنَّهم ورسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مُشترِكونَ في ذلك، وأنَّ ما جاء به صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ هو ما جاءتْ به الرسُلُ قبْلَه، وتلك عادةُ الأنبياءِ[2].

- وأيضًا جاءَتِ الألفاظُ في دُعاءِ كلِّ واحدٍ مِن هؤلاءِ الأنبياءِ واحدةً بعَيْنِها؛ إذْ كان الإيمانُ المدعوُّ إليه معنًى واحدًا بعَيْنِه[3].



(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٣٤)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨٨)، ((تفسير الشربيني)) (٣/ ٣٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٩١)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٧/ ١٣٠-١٣٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨٧، ١٨٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٤٢)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨٨).

الآيات (١٩٢-٢٠٩)

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ
١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ١٩٥ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ١٩٦ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ١٩٧ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ١٩٨ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ١٩٩
كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ٢٠٠ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ٢٠١
فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٢٠٢ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ٢٠٣ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ
٢٠٤ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ٢٠٦ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يُمَتَّعُونَ ٢٠٧ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ٢٠٨ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٢٠٩﴾.

غَريبُ الكَلِماتِ:

﴿زُبُرِ﴾: أي: كتُبٍ، جمعُ زَبورٍ، وهو: كلُّ كتابٍ ذي حِكمةٍ، مأخوذٌ مِن الزَّبْرِ، وهو الكِتابةُ والقِراءةُ[1].

﴿ٱلْأَعْجَمِينَ﴾: الأعجَمُ: مَن في لِسانِه عُجمةٌ، عربيًّا كان أو غيرَ عربيٍّ، وأصلُ (عجم): يدُلُّ على سُكوتٍ وصَمتٍ[2].

﴿سَلَكْنَٰهُ﴾: أي: أدخَلْناه، وأصلُ (سلك): يدُلُّ على نفوذِ شَيءٍ في شَيءٍ[3].

﴿بَغْتَةً﴾: أي: فجأةً، والبَغتُ: مُفاجأةُ الشَّيءِ مِن حيثُ لا يُحتسَبُ[4].

---

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٢٤٣)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (١/ ٤٩٥)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٥٦)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٣٣).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣٢١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٢٣٩)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٤٩)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٧١).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣٢١)، ((تفسير الطبري)) (١٧/ ٦٤٨)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٩٧)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٢١).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٥٣)، ((تفسير الطبري)) (٩/ ٢١٤)، ((مقاييس =

﴿مُنظَرُونَ﴾: أي: مُؤخَّرٌ عنا العذابُ، وممدودٌ في آجالِنا، والنَّظَرُ: الانتظارُ. يُقالُ: نظرْتُه وانتظَرْتُه وأنْظَرْتُه، أي: أخَّرْتُه، وأصلُ (نظر): تأمُّلُ الشَّيءِ ومُعايَنَتُه[١].

﴿مَّتَّعۡنَٰهُمۡ﴾: أي: عمَّرْناهم، وأصلُ الإمتاعِ: الإطالةُ، يُقالُ للشيءِ الطويلِ: ماتعٌ، وأصلُ (متع): يدُلُّ على منفعةٍ، وامتدادِ مُدَّةٍ في خيرٍ[٢].

﴿مَآ أَغۡنَىٰ﴾: أي: ما نَفَعهم وما دفَعَ عنهم، يُقالُ: أغْناني كذا، وأغْنَى عنه كذا: إذا كفاه، وأصلُ (غني) هنا: يدُلُّ على الكِفايةِ[٣].

﴿ذِكۡرَىٰ﴾: أي: تَذكيرٌ، والذِّكرى: كثرةُ الذِّكرِ، وهو أبلَغُ مِن الذِّكْرِ[٤].

المعنى الإجماليُّ:

يبيِّنُ الله تعالى مصدرَ القرآنِ، والنازلَ به، والنازلَ عليه، وحكمةَ الإنزالِ، واللغةَ التي نزَل بها، فيقولُ: وإنَّ القرآنَ وحْيٌ مُنزَّلٌ من اللهِ ربِّ العالَمينَ، نزَل به على قَلبِك -يا مُحمَّدُ- جِبريلُ الأمينُ على الوَحيِ؛ لِتُنذِرَ به النَّاسَ، بلُغةٍ عربيَّةٍ واضحةِ البيانِ.

= اللغة)) لابن فارس (١/ ٢٧٢)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٣٣٧)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٣٥)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٦)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٢٥٢).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٥٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٤٤٤)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨١٣).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٢٠١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٢٩٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٥٧)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٦٩)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٣٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير الطبري)) (١٧/ ٦٥١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٣٩٧)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦١٦)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٦٧٠).

(٤) يُنظر: ((المفردات)) للراغب (ص: ٣٢٩)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٣٥٩)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٣٤٩)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٤٥٧).

ثُمَّ يبيِّنُ سبحانَه ما يدُلُّ على صِدقِ هذا القرآنِ ومَن جاء به، فيقولُ: وإنَّ هذا القُرآنَ لَمذكورٌ خَبَرُه في كتُبِ الأنبياءِ السَّابقينَ. أوَلَمْ يكُنْ لهؤلاء المُشرِكين المكَذِّبينَ عَلامةً على صِحَّةِ ما جِئْتَهم به -يا مُحمَّدُ- عِلمُ عُلَماءِ بني إسرائيلَ صِدْقَ ذلك، ووجودُه في كُتُبِهم؟!

ثمَّ يَذكُرُ اللهُ تعالى جحودَ الكافرينَ وعنادَهم، فيقولُ: ولو نزَّلْنا هذا القُرآنَ على رجُلٍ أعجميٍّ لا يَنطِقُ بالعربيَّةِ، فقرأه على مُشركي قَومِك بغيرِ لغةِ العربِ؛ لَما آمَنوا به، ولَقالوا: ما نَفْقَهُ قولَه! كذلك أدخَلْنا القُرآنَ في قُلوبِ المُشركين، فكَذَّبوا به، ولا يؤمِنون به حتى يرَوُا العذابَ الأليمَ مِن الله، وهو آتِيهم فجأةً، فيقولونَ حينَ يَرَون العذابَ: هل نحن مؤخَّرون ومُمهَلونَ يا ربَّنا؟!

أيَستعجِلُ هؤلاء المجرِمون بعذابِنا؟ أخبِرْني إنْ أمهَلْناهم يتمَتَّعون في الدُّنيا سِنينَ كثيرةً، ثمَّ جاءهم بعْدَ تمتُّعِهم تلك السِّنينَ عذابُ اللهِ الذي كانوا يُوعَدون به، فماذا ينفَعُهم تمتُّعُهم في الدُّنيا، وإمهالُنا لهم؟!

ثمَّ يُبيِّنُ سبحانَه سُنَّتَه التي لا تتخلَّفُ، فيقولُ: وما أهلَكْنا قريةً مِن القُرى الظَّالِمةِ إلَّا بعْدَ إرسالِ رسُلِ الله المُنذِرينَ لهم، بعَثْنا هؤلاء الرسُّلَ تذكِرةً لأهلِ القرى، وما كُنَّا ظالِمين لهم بعْدَما أقَمْنا الحُجَّةَ عليهم.

تَفسيرُ الآياتِ:

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا ختمَ سُبحانَه ما اقتصَّه مِن خبرِ الأنبياءِ؛ ذَكَرَ بعدَ ذلك ما يدُلُّ على نبوَّتِه صلَّى الله عليه وسلَّم(١).

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥٣٠).

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٩٢﴾.

أي: وإنَّ القرآنَ وحْيٌ مِن اللهِ الذي ربَّى جميعَ العالَمينَ بنِعَمِه، وهداهم لمصالِحِهم برَحمتِه[1].

كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٨٠].

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ١٩٣﴾.

أي: نزَل بالقُرآنِ جِبريلُ المؤتمَنُ على وَحيِ اللهِ إلى أنبيائِه؛ فهو لا يَزيدُ فيه ولا يَنقُصُ منه شيئًا[2].

كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ * مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١].

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ١٩٤﴾.

أي: نزَل جبريلُ بالقُرآنِ على قَلبِك -يا محمَّدُ- لِتَعِيَهُ وتحفَظَه، فتكونَ ممَّن يُنذِرُ النَّاسَ به[3].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٤١)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٦٢)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٩٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٤١)، ((تفسير الخازن)) (٣/ ٣٣٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٨).

قال ابن عطية: (﴿ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ جبريلُ عليه السلامُ، بإجماعٍ). ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٤٢).
وحكَى الإجماعَ أيضًا: ابنُ كثير. يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٦٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٤٢، ٦٤٣)، ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٤٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٦٢)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٩٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٨٥).

كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧].

وقال سُبحانَه: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧].

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ١٩٥﴾.

أي: بلُغةٍ عَربيَّةٍ واضحةِ المعاني(١).

كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

وقال تبارك وتعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الشورى: ٧].

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ١٩٦﴾.

أي: وإنَّ هذا القُرآنَ مَذكورٌ خبَرُه في كتُبِ الأنبياءِ السَّابقةِ المبشِّرةِ به، ممَّا يدُلُّ على صِحَّتِه(٢).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٤٣)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣٨)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٩٧، ٩٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٤٤)، ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٤٣)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣٨)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (١٢/ ٣٨٤)، ((تفسير ابن جزي)) (٢/ ٩٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٦٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٨).

والضمير في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يرجعُ إلى القرآنِ، أي: ذِكر القرآنِ، وخبره، وإنزاله، وهو قولُ أكثرِ المفسِّرينَ. =

﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ١٩٧﴾.

أي: أوَلَمْ يكُنْ للمُشركين المكَذِّبين دَلالةً على صِحَّةِ ما جاء به الرَّسولُ مِن الوَحيِ؛ أنَّ العُلَماءَ مِن بني إسرائيلَ يَعلَمونَ صِدقَ ذلك، ويَجِدونَ ذِكرَه في كُتُبِهم التي يَدرُسونَها[1]؟!

كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤].

= يُنظر: ((تفسير الثعلبي)) (٧/ ١٨٠)، ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٧٨)، ((تفسير ابن الجوزي)) (٣/ ٣٤٨).

وقيل: الضميرُ يرجعُ إلى رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ، أي: أمْرِه، ونعتِه، وصفةِ أُمَّتِه. وممَّن اختار ذلك في الجملةِ: مقاتلُ بنُ سليمانَ، والسمرقنديُّ، وابن أبي زمنين. يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٨٠)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٦٧)، ((تفسير ابن أبي زمنين)) (٣/ ٢٨٧).

وقال الزجاج: (وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ تأويلُه -واللهُ أعلَمُ- أنَّ ذِكرَ محمَّدٍ عليه السَّلامُ وذِكرَ القرآنِ في ﴿زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾). ((معاني القرآن وإعرابه)) (٤/ ١٠٠).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٤٤)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٧٩٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٦٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٨٨، ٢٨٩).

قال ابن تيميَّةَ: (علماءُ بني إسرائيلَ يَعلمونَ ذِكرَ إرسالِ محمَّدٍ ونزولَ الوحْيِ عليه... ويعلمونَ المعانيَ التي فيه أنَّها موافِقةٌ لأقوالِ الرُّسلِ قبْلَه في الخبرِ والأمرِ؛ فإنَّه أخبَرَ عن توحيدِ الله وصفاته، وعرشِه وملائكتِه، وخَلْقِه السَّمواتِ والأرضَ، وغيرِ ذلك بمِثلِ ما أخبَرتْ به الرُّسلُ قبْلَه، وأمَرَ بتوحيدِ الله وعبادتِه وحْدَه لا شريكَ له، وبالعَدلِ والصِّدقِ والصَّلاةِ والزكاةِ، ونهى عن الشِّركِ والظُّلْمِ والفواحِشِ، كما أمرت ونهَت الرسُلُ قبْلَه). ((الجواب الصحيح)) (٥/ ٣٤٠، ٣٤١).

وقال ابن عاشور: (وفعلُ: ﴿يَعْلَمَهُۥ﴾ شامِلٌ للعِلمِ بصِفةِ القرآنِ، أي: تحقُّق صِدْقِ الصِّفاتِ الموصوفِ بها مَن جاء به، وشامِلٌ للعِلمِ بما يتضَمَّنُه ما في كتُبِهم). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٢).

وقال جلَّ وعزَّ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠].

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ١٩٨﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا فَرغَ مِن الاستِدلالِ بتعجيزِهم؛ فضَحَ نيَّاتِهم بأنَّهم لا يُؤمِنون به في كلِّ حالٍ[1].

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ١٩٨﴾.

أي: ولو نزَّلْنا القُرآنَ على رجُلٍ مِن الأعاجِمِ لا يُحسِنُ التحَدُّثَ بالعربيَّةِ[2].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٣).

(٢) يُنظر: ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٧٩٧)، ((تفسير السمعاني)) (٤/ ٦٧)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٦٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٣).

وممَّن قال بأنَّ المرادَ بالأعجَمينَ: الأعاجِمُ مِن بني آدمَ، وهم مَن لا يعرِفُونَ العربيَّةَ: الواحديُّ، والقرطبيُّ، وابن كثير، والسعدي، وابن عاشور، ونسَبه السمعانيُّ إلى أكثرِ المفسِّرينَ. يُنظر: المصادر السابقة.

وممَّن قال بنحوِ هذا القولِ مِن السلفِ: قَتادةُ، والأوزاعي، والسُّدِّيُّ. يُنظر: ((تفسير ابن أبي حاتم)) (٩/ ٢٨٢٠)، ((الدر المنثور)) للسيوطي (٦/ ٣٢٣).

وقيل: المراد: البهائِمُ التي لا تنطِقُ. وممَّن ذهَب إلى ذلك: ابنُ جريرٍ، ومكِّيٌّ. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٤٥، ٦٤٧)، ((الهداية)) لمكي (٨/ ٥٣٥٣).

وممَّن قال بنحوِ هذا القولِ مِن السلفِ: عبد الله بن مطيع، ومجاهد. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٤٦)، ((تفسير ابن أبي حاتم)) (٩/ ٢٨٢١).

وقال البقاعيُّ: (﴿ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ الذين لا يعرِفون شيئًا مِن لسانِ العرَبِ مِن البهائمِ أو الآدميِّينَ، جمعُ أعجَمَ، وهو مَن لا يفصِحُ وفي لسانِه عُجمةٌ، والأعجميُّ مِثلُه بزيادةِ تأكيدِ ياءِ النِّسبةِ). ((نظم الدرر)) (١٤/ ١٠٠، ١٠١). =

كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ [فصلت: ٤٤].

﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ١٩٩﴾.

أي: فقرَأَ القُرآنَ على كُفَّارِ العَرَبِ بغيرِ لُغةِ العرب، لَما آمَنوا بأنَّه مِن عندِ اللهِ، ولَقالوا: لا نَفْقَهُ قولَك[1]!

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ٢٠٠﴾.

أي: كذلك[2] ....

= وقال ابنُ جُزَي: (﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ...﴾ جمعُ أعجمَ، وهو الذي لا يتكلَّمُ، سواءٌ كان إنسانًا أو بهيمةً أو جمادًا... ومعنى الآية: أنَّ القرآنَ لو نزَل على مَن لا يتكلَّمُ، ثمَّ قرأه عليهم لا يُؤمنوا؛ لإفراطِ عنادِهم، ففي ذلك تسليةٌ للنبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم على كفرِهم به مع وضوحِ برهانِه). ((تفسير ابن جزي)) (ص: ١٣٠٦). ويُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٤٣).

(١) يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٨٠)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٦٣)، ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٧٩)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٨).

وممَّن ذهب إلى هذا المعنى: مقاتلُ بن سليمان، والواحدي، والبغوي، والقرطبي، والسعدي. يُنظر: المصادر السابقة.

وقيل: المعنى: فقرَأَ القُرآنَ على كُفَّارِ العَرَبِ باللُّغةِ العربيَّةِ معَ كَونِه لا يُحسِنُ العربيَّةَ، لَما آمَنوا بأنَّه من عندِ اللهِ؛ لشِدَّةِ تعَنُّتِهم وكُفرِهم. وممَّن قال بهذا المعنى المذكورِ: الزمخشريُّ، والرازيُّ، والبِقاعي، وأبو السعود، وابنُ عاشور. يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٣٧)، ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥٣٣)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١٠١)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٣).

قال ابن عثيمين: (المعنى أنَّه لو نزَّل اللهُ هذا القرآنَ على بعضِ الأعجَمينَ إنْ كان بلُغتِهم فإنَّهم لن يُؤمِنوا به؛ لأنَّهم لم يفهَموه، وهو بلُغةِ العَجَم، وإن كان باللغةِ العربيَّةِ ما آمنوا أيضًا؛ أنَفةً من أن يتَّبِعوا رجُلًا أعجميًّا). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٩٠).

(٢) قال ابنُ جُزي: (﴿كَذَٰلِكَ﴾: مِثْلَ هذا السَّلْكِ سَلَكْناه). ((تفسير ابن جزي)) (٢/ ٩٦). =

أدخَلْنا القُرآنَ في قُلوبِ المُشرِكين فكَذَّبوا به[1]!

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾﴾.

أي: لا يُؤمِنونَ بالقُرآنِ حتى يَرَوا عذابَ اللهِ فيُؤمِنوا به حينَ لا ينفَعُهم الإيمانُ[2].

= وقال السمينُ الحلبي: (قوله: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ﴾: أي: مِثلَ ذلك، أو الأمرُ كذلك). ((الدر المصون)) (٨/ ٥٥٦).

(١) يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٣٩)، ((شفاء العليل)) لابن القيم (ص: ٦٢)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٨/ ٥٥٦، ٥٥٧)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٥)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٣٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٤)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ٩٨).

وممَّن قال بأنَّ الضمير عائدٌ إلى القرآنِ، أي: كذلك أدخَلْنا القرآنَ في قلوبِ المجرمينَ حتى فهِموا معانيَه، وقامَتْ عليهم الحُجَّةُ بمعرفتِهم صِدقَه، ومع ذلك كفروا به: القرطبيُّ، وابن القيم، والسمين الحلبي، وأبو السعود، والشوكاني، وابن عاشور، والشنقيطي. يُنظر: المصادر السابقة.

وممَّن قال بأنَّ المرادَ: التكذيبُ: ابنُ جرير، والواحديُّ، وابنُ كثير، والسعدي. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٤٨)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٧٩٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٦٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٨).

قال ابنُ القيم: (الظاهرُ أنَّ الضميرَ في قولِه: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ هو الضميرُ في قوله: ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾، فلا يصِحُّ أن يكونَ المعنى: لا يؤمنون بالشِّركِ والتكذيبِ والاستهزاءِ، فلا تصِحُّ تلك الأقوالُ إلَّا باختلافِ مفسِّرِ الضميرَينِ، والظاهِرُ اتِّحادُه؛ فالذينَ لا يؤمنونَ به هو الذي سلكَه في قلوبِهم، وهو القرآنُ. فإنْ قيل: فما معنى سَلْكِه إيَّاه في قلوبِهم وهم يُنكِرونَه؟ قيل: سَلكه في قلوبِهم بهذه الحالِ، أي: سلَكْناه غيرَ مؤمنينَ به، فدخَل في قلوبِهم مُكَذَّبًا به، كما دخَل في قلوبِ المؤمنينَ مُصَدَّقًا به، وهذا مرادُ مَن قال: إنَّ الذي سلَكه في قلوبِهم هو التكذيبُ والضلالُ، ولكِنْ فَسَّر الآيةَ بالمعنى؛ فإنَّه إذا دخَل في قلوبِهم مكَذِّبينَ به، فقد دخَل التكذيبُ والضلالُ في قلوبِهم. فإنْ قيل: فما معنى إدخالِه في قلوبِهم وهم لا يؤمنونَ به؟ قيل: لِتَقومَ عليهم بذلك حُجَّةُ اللهِ، فدخَل في قلوبِهم وعَلِموا أنَّه حَقٌّ، وكَذَّبوا به، فلمْ يدخُلْ في قلوبِهم دُخولَ مُصَدَّقٍ به مؤمَنٍ به مَرضيٍّ به، وتكذيبُهم به بعدَ دخولِه في قلوبِهم أعظَمُ كُفرًا من تكذيبِهم به قبْلَ أن يدخُلَ في قلوبِهم؛ فإنَّ المكَذِّبَ بالحقِّ بعدَ معرفتِه له شَرٌّ من المكَذِّبِ به ولم يعرِفْه. فتأمَّلْه؛ فإنَّه مِن فقهِ التفسيرِ. واللهُ الموفِّقُ للصوابِ). ((شفاء العليل)) (ص: ٦٢).

(٢) يُنظر: ((معاني القرآن)) للزجاج (٤/ ١٠٢)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٦٨)، ((تفسير ابن =

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ * وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا * وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا﴾ [الكهف: ٥٧، ٥٨].

﴿فَيَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٠٢﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا كان إتيانُ الشَّرِّ فُجاءةً أشَدَّ، وكان أخْذُه لهم عَقِبَ رؤيتِهم له مِن غيرِ مُهلةٍ يحصلُ فيها نوعُ استعدادٍ أصلًا- دلَّ على ذلك مصوِّرًا لحالِه بقولِه، دالًّا بالفاءِ على الأشَدِّيةِ والتَّعقيبِ[1]:

﴿فَيَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٠٢﴾.

أي: فيأتيَ المكَذِّبينَ بالقُرآنِ عَذابُ اللهِ فَجأةً بلا مُقَدِّماتٍ، وهم لا يَشعُرونَ بمَجيئِه[2].

= كثير)) (٦/ ١٦٤)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١٠٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٩١).

قال الشنقيطي: (هؤلاء الكُفَّارُ الذين ذكَرَ اللهُ جلَّ وعلا في هذه الآيةِ الكريمة أنَّهم لا يؤمنون حتى يَرَوُا العذابَ الأليمَ، هُمُ الذين حَقَّتْ عليهم كَلِمةُ العذابِ، وسبَقَ في عِلمِ اللهِ أنَّهم أشْقياءُ). ((أضواء البيان)) (٦/ ٩٨).

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١٠٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٥٠)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٤٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٦٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٥). =

﴿ فَيَقُولُواْ هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ ٢٠٣ ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا بَيَّنَ أنَّهم لا يُؤمِنون به حتى يَروُا العذابَ الأليمَ، وأنَّه يأتيهم العذابُ بغتةً؛ أتبعَه بما يكونُ منهم عندَ ذلك على وجهِ الحَسرةِ، فقال[1]:

﴿ فَيَقُولُواْ هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ ٢٠٣ ﴾.

أي: فيقولَ المُجرِمونَ حينَ يأتيهم العَذابُ فَجأةً: هل نحن مؤخَّرون ومُمهَلُون لِنَتوبَ إلى اللهِ، فنُؤمِنَ ونعمَلَ صالِحًا[2]؟!

كما قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ٢٠٤ ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا حقَّقَ سُبحانَه أنَّ حالَهم عندَ الأخذِ الجؤارُ بالذُّلِّ والصَّغارِ به؛ تسبَّبَ عنه ما يستَحِقُّون باستعجالِه مِن الإنكارِ[3].

وأيضًا لَمَّا أوعدَهم النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم بالعذابِ، قالوا: إلى متى

= قال ابن عاشور: (قولُه: ﴿ فَيَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ ﴾ صالحٌ للعذابين: عذابُ الآخرةِ يأتي عَقِبَ الموت، والموتُ يحصُلُ بغتةً، وعذابُ الدنيا بالسَّيفِ يحصُلُ بغتةً حينَ الضَّربِ بالسَّيفِ). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٥).

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥٣٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٥٠)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٤٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٦٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٨)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ٩٩).

(٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١٠٢).

تُوعِدُنا بالعَذابِ؟ ومتى هذا العذابُ؟ قال اللهُ تعالى[(١)]:

﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾.

أي: أيَستعجِلُ هؤلاء المُجرِمونَ بعَذابِنا الذي لا يَنْبغي أن يُستهانَ به[(٢)]؟!

كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٣].

وقال سُبحانَه: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ [ص: ١٦].

وقال عزَّ وجَلَّ: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ [النمل: ٧١، ٧٢].

﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا كان استعجالُهم بالعذابِ مُقتَضيًا أنَّهم في مُهلةٍ منه ومُتعةٍ بالسَّلامةِ، وأنَّ ذلك يَغُرُّهم بأنَّهم في مَنجاةٍ مِن الوعيدِ الذي جاءَهم على لسانِ الرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم؛ جابههم بجُملة[(٣)]:

﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾.

أي: هَبْ أنَّ الأمرَ كما يعتقِدونَ مِن طُولِ عَيشِهم، فأخبِرْني إنْ أمهَلْناهم وأبقَيناهم يتمتَّعونَ في الدُّنيا سِنينَ كَثيرةً[(٤)].

---

(١) يُنظر: ((تفسير الشربيني)) (٣/ ٣٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٥٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٦٤)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١٠٣، ١٠٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٦).

(٤) يُنظر: ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٧٩٧)، ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٧٩)، ((تفسير ابن كثير)) =

﴿ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ٢٠٦﴾.

أي: ثمَّ جاءهم بعْدَ تلك السِّنينَ الكثيرةِ عذابُ الله الذي كانوا يوعَدُون به على كُفرِهم وتكذيبِهم[1].

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ٢٠٧﴾.

أي: فماذا ينفَعُهم حينَها تمتُّعُهم في الدُّنيا، وتأخيرُنا عذابَهم سِنينَ كَثيرةً[2]؟!

= (٦/ ١٦٤)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١٠٤)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٣٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٩٣).

قال أبو السعودِ: (الخطابُ لكُلِّ مَن يصلُحُ له كائنًا مَن كان). ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٦).

ويُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٩٣).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٥٠)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٤١)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١٠٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٥٠)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٤١)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٦٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة الشعراء)) (ص: ٢٩٣).

ممَّن اختار أنَّ (ما) استفهاميَّةٌ: ابنُ جرير، والقرطبي، وابن كثير، والسعدي، وابن عثيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٥١)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٤١)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٦٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٩٣).

قال ابن عثيمين: (الأبلَغُ أن تكونَ استفهاميَّةً بمعنى النفْيِ؛ لأنَّ الاستفهامَ الذي بمعنى النفيِ يَتضمَّنُ النفْيَ وزيادةً؛ إذ إنَّه مُشرَبٌ معنَى التحدِّي). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٩٤، ٢٩٥).

وقال السعدي: (﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾ من اللذَّاتِ والشَّهواتِ، أيْ: أيُّ شيءٍ يُغني عنهم ويُفيدُهم، وقد مضَت وبطَلَت واضْمَحلَّتْ، وأعقبَت تَبِعاتِها، وضُوعِفَ لهم العذابُ عندَ طولِ المدَّةِ؟! القصدُ أنَّ الحذَرَ مِن وُقوعِ العذابِ واستحقاقِهم له، وأمَّا تعجيلُه وتأخيرُه فلا أهميَّةَ تحتَه، ولا جَدْوَى عندَه). ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٨).

وقيل: (ما) نافيةٌ، وهو ظاهرُ اختيارِ الواحديِّ، والبغوي، والبيضاوي، والخازن، والعليمي. =

عن أنسِ بنِ مالكٍ رَضيَ الله عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((يُؤتَى بأنعَمِ أهلِ الدُّنيا مِن أهلِ النَّارِ يومَ القيامةِ، فيُصبَغُ في النَّارِ صَبغةً، ثمَّ يُقالُ: يا ابنَ آدَمَ، هل رأيتَ خيرًا قَطُّ؟ هل مَرَّ بك نعيمٌ قطُّ؟ فيقولُ: لا واللهِ يا رَبِّ! ويُؤتَى بأشَدِّ النَّاسِ بُؤسًا في الدُّنيا مِن أهلِ الجنَّة، فيُصبَغُ صَبغةً في الجنَّةِ، فيُقالُ له: يا ابنَ آدَمَ، هل رأيتَ بؤسًا قَطُّ؟ هل مَرَّ بك شِدَّةٌ قَطُّ؟ فيقولُ: لا واللهِ يا ربِّ، ما مرَّ بي بؤسٌ قطُّ، ولا رأيتُ شِدَّةً قطُّ))[1].

﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ٢٠٨﴾.

أي: وما أهلَكْنا قريةً مِن القُرى الماضيةِ إلَّا بعْدَ قيامِ الحُجَّةِ على أهلِها بإرسالِ رسُلٍ يُنذِرونَهم سَخَطَ اللهِ وعَذابَه إنِ استمَرُّوا على كُفرِهم[2].

كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: ١٥].

وقال سُبحانَه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩].

﴿ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٢٠٩﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لمَّا بيَّن أنَّ أولئك المُشركينَ المُستهزئينَ لا يُؤمنونَ بالكتابِ ولا بالرَّسولِ حتَّى يرَوُا العذابَ الأليمَ حينَ لا تَنفعُهم الآياتُ؛ أتى بهذه الآيةِ بَيانًا لِاستحقاقِهم

= يُنظر: ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٦٣)، ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٧٩)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٥٠)، ((تفسير الخازن)) (٣/ ٣٣٢)، ((تفسير العليمي)) (٥/ ١٠٣).

(١) رواه مسلم (٢٨٠٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٨١)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٥١)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٤١)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٦٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٨).

العذابَ والاستئصالَ، وأنْ يُجْعَلوا نَكالًا وعِبرةً لغيرِهم، كما جرَت سُنَّةُ اللهِ تعالى في الأممِ السَّالفةِ، والقرونِ الخاليةِ(١).

﴿ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٢٠٩﴾.

أي: بعَثْنا الرُّسُلَ المُنذِرينَ تذكرةً لأهلِ القُرى، وتنبيهًا لهم قبْلَ إهلاكِهم، وما كنَّا ظالِمين لهم بعدَ قيامِ الحُجَّةِ عليهم، وإنذارِهم، والإعذارِ إليهم(٢).

كما قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقال سُبحانَه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

الفَوائِدُ التَّربويَّةُ:

١- يكفي في الزُّهدِ في الدُّنيا قَولُه تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ * مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾(٣).

٢- ما مضى مِن العُمُرِ وإنْ طالَتْ أوقاتُه فقد ذهبتْ لَذَّاتُه، وبقيتْ تَبِعاتُه،

---

(١) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٤٢٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٥١، ٦٥٢)، ((تفسير السمعاني)) (٤/ ٦٨)، ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٧٩)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٤١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٨).

قال ابن عثيمين: (قال المفسِّرُ [جلال الدين المحلي]: «﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ في إهلاكِهم بعْدَ إنذارِهم»، وهذا صحيحٌ، ويحتمل: ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ أي: مُهلِكينَ بدُونِ إنذار، والمعنى صحيحٌ على هذا الوجهِ، وعلى الوجهِ الذي ذكره المفسِّرُ؛ فالله تعالى إذا أهلكهم بعدَ إنذارِهم وقد عَصَوا، فهو لم يَظلِمْهم، وكذلك لا يمكنُ أن يُهلِكَ مَن لا يُنذَرَ؛ لأنَّ ذلك ظُلمٌ). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٩٧).

(٣) يُنظر: ((الفوائد)) لابن القيم (ص: ٩٦).

وكأنَّه لم يكُنْ إذا جاء الموتُ وميقاتُه؛ قال الله عزَّ وجَلَّ: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ * مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾. تلا بعضُ السَّلَفِ هذه الآيةَ وبكى، وقال: (إذا جاء الموتُ لم يُغْنِ عن المرءِ ما كان فيه مِن اللذَّةِ والنَّعيمِ)[(١)]!

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:

١- قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قَولُه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ﴾ «تنزيلُ»: مصدرٌ بمعنى اسمِ المفعولِ، أي: لَمُنَزَّلٌ؛ لأنَّ القرآنَ نفْسَه ليس تنزيلًا، بلِ التنزيلُ فِعلُ اللهِ، والقرآنُ عبارةٌ عن شيءٍ مُنَزَّلٍ، كما قال اللهُ تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾[(٢)] [الفرقان: ١].

٢- في قَولِه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ تأمَّلْ كيف اجتمعَتْ هذه الفضائلُ الفاخرةُ في هذا الكتابِ الكريمِ؛ فإنَّه أفضَلُ الكتُبِ، نَزَلَ به أفضلُ الملائكةِ، على أفضَلِ الخلْقِ، على أفضَلِ بَضْعةٍ فيه -وهي قلبُه-، على أفضلِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للناسِ، بأفضلِ الألسنةِ وأفصحِها وأوسَعِها، وهو اللسانُ العربيُّ المُبينُ[(٣)].

٣- قال الله تعالى: ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قَولُه: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هذه الرُّبوبيَّةُ العامَّةُ إشارةٌ إلى أنَّه مِن مُقتضى ربوبيَّتِه أنْ يكونَ مُنَزِّلًا لعبادِه هذا الكتابَ المفيدَ لهم[(٤)].

---

(١) يُنظر: ((لطائف المعارف)) لابن رجب (ص: ٣٠٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٨٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٨).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٨٥). ويُنظر أيضًا: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٣).

٤- في قَولِه تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ سؤالٌ: إنْ قيل: قال: ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾، وهو إنما نَزَلَ عليه؟!

الجوابُ: أنَّه خصَّه بالذِّكرِ؛ لِيُؤَكِّدَ أنَّ ذلك المُنَزَّلَ محفوظٌ، والمُرسَلَ متمكِّنٌ مِن قلْبِه لا يجوزُ عليه التغيرُ، ولأنَّ القلبَ هو المخاطَبُ في الحقيقةِ؛ لأنَّه موضعُ التمييزِ والاختيارِ، وأمَّا سائرُ الأعضاءِ فمُسَخَّرةٌ له، ويدُلُّ على ذلك الكِتابُ والسُّنةُ؛ فمِن الكتابِ قَولُه تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾، واستحقاقُ الجزاءِ ليس إلَّا على ما في القَلبِ؛ قال الله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

ومِن السُّنةِ قَولُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((ألَا وإنَّ في الجسَدِ مُضْغةً إذا صلَحَت صلَحَ الجَسدُ كُلُّه، وإذا فسَدَت فسَدَ الجسَدُ كُلُّه، ألَا وهي القَلبُ))[١]، ولأنَّ القَلبَ مَحَلُّ العَقلِ والفَهمِ، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾[٢] [الحج: ٤٦].

٥- قولُه تعالى: ﴿ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ هو جبريلُ عليه الصلاةُ والسلامُ، وقد وُصِفَ بالرُّوحِ؛ لأنَّه يَنْزِلُ بما فيه الحياةُ؛ وهو الوحيُ الذي به حياةُ القلوبِ[٣].

٦- قال الله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ في قَولِه: ﴿ٱلْأَمِينُ﴾ إشارةٌ إلى كَونِه معصومًا مِن كلِّ دَنَسٍ، فلا يُمكِنُ منه خيانةٌ[٤]. ووُصِفَ جبريلُ بالأمانةِ؛

(١) يُنظر: ((تفسير الشربيني)) (٣/ ٣٣).

والحديث أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٢) يُنظر: ((تفسير الفاتحة والبقرة)) لابن عثيمين (١/ ٣١٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٨٥).

(٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٩٦).

لأنَّ المقامَ يقتضيه، وأمانةُ جبريلَ عليه الصلاةُ والسلامُ مِن عِدَّةِ أوجهٍ بالنسبةِ للقرآنِ:

أولًا: أمينٌ؛ بحيثُ لا يَنْزِلُ به إلَّا على مَن أُمِرَ به، وعلى هذا فيكونُ قولُ الرافضةِ -قَبَّحَهم اللهُ-: «إنْ جبريلَ أُمِر أن يَنزِلَ بالقرآنِ على عليٍّ؛ ولكنَّه خانَ فنَزَلَ به على محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ» منافيًا لوصفِ جبريلَ عليه السلامُ بالأمانةِ!

ثانيًا: مقتضَى الأمانةِ أنْ يَنزِلَ به كما سَمِعه مِن اللهِ؛ لا يَزيدُ فيه ولا يَنقُصُ، ولا يُقدِّمُ ولا يُؤَخِّرُ.

ثالثًا: أنْ يَنزِلَ به في الوقتِ الذي أُمِر بإنزالِه فيه؛ فلا يتأخَّرُ إذا أُوحيَ إليه به إلَّا بإذنِ اللهِ.

فهذه الأوصافُ الثلاثةُ مِن مقتضَى أمانةِ جبريلَ عليه الصلاةُ والسَّلامُ[١].

٧- قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ تقريرٌ لحقِّيَّةِ تلك القصصِ، وتنبيهٌ على إعجازِ القرآنِ، ونُبوَّةِ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؛ فإنَّ الإخبارَ عنها ممَّنْ لم يتعلَّمْها لا يكونُ إلَّا وَحْيًا مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ[٢].

٨- قَولُه تعالى: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ يَدخُلُ تحتَ الإنذارِ فيه: الدُّعاءُ إلى كلِّ واجبٍ مِن علمٍ وعَمَلٍ، والمنعُ مِن كلِّ قبيحٍ؛ لأنَّ في الوجهينِ جميعًا يَدخُلُ الخوفُ مِن العقابِ[٣].

٩- في قَولِه تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ تقريعٌ عظيمٌ لِمَن يَعرِفُ لسانَ العربِ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٨٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٤٩)، ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٤١٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥٣٢).

ولا يؤمِنُ بالتَّنزيلِ[١].

١٠- في قَولِه تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ دَلالةٌ على وجوبِ فَهْمِ القرآنِ على ما يَقتَضيه ظاهِرُه باللِّسانِ العربيِّ، إلَّا أنْ يمنعَ منه دَليلٌ شرعيٌّ[٢].

١١- قال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ فلُغةُ العَرَبِ أفصَحُ اللُّغاتِ وأوسَعُها لاحتمالِ المعاني الدَّقيقةِ الشَّريفةِ مع الاختِصارِ؛ فإنَّ ما في أساليبِ نَظمِ كَلامِ العَرَبِ مِن علاماتِ الإعرابِ، والتَّقديمِ والتأخيرِ، والكنايةِ وغيرِ ذلك، وما في سَعةِ اللُّغةِ مِن الترادُفِ، وأسماءِ المعاني المقَيَّدةِ، وما فيها من المحَسِّنات- ما يَلِجُ بالمعاني إلى العُقولِ سَهلةً مُتمَكِّنةً، فقدَّر اللهُ تعالى هذه اللُّغةَ أن تكونَ هي لُغةَ كتابِه الذي خاطبَ به النَّاسَ كافَّةً[٣]. ومِن الدعواتِ المستنكَرةِ في عَصرِنا الحاضِرِ دعواتُ مَن يريدون أنْ يُذيبوا اللغةَ العربيَّةَ، مطالبينَ بجَعْلِ اللُّغةِ العاميَّةِ مكانَ اللُّغةِ العربيةِ في المُكاتباتِ والمراسلاتِ وغيرِهما! وأقبَحُ مِن ذلك مَن يحاولون أنْ يَتكلَّموا باللُّغةِ الأعجميَّةِ في أكثرِ محادثاتِهم، ويَفتخرونَ بلغةِ الإنجليزِ وغيرِهم، وتجدُهم يَتَشَدَّقون بالكلامِ بها[٤]!

١٢- في قَولِه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ دليلٌ واضحٌ على عنايةِ اللهِ تعالى بهذا القُرآنِ وتشريفِه وتعظيمِه؛ حيثُ ذُكِرَ في كلِّ كتابٍ سَبَق[٥].

١٣- في قَولِه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ دليلٌ على أنَّه لو جاء هذا الكتابُ

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٩٨).

(٢) يُنظر: ((مجموع فتاوى ورسائل العثيمين)) (٣/ ٢٩٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٠).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٨٦).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ٢٨٧).

لوَجَبَ على جميعِ مَن يَدِينون بالكتبِ السابقةِ أنْ يؤمِنوا به(١).

١٤- في قَولِه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ * أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ دَلالةٌ على أنَّه ما كان مِن العِلْمِ المَوروثِ عن نبيِّنا محمدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، فلنا أنْ نستشهِدَ عليه بما عندَ أهلِ الكتابِ(٢).

١٥- في قَولِه تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ أنَّ الشَّرائعَ لا تلزَمُ إلَّا بعدَ العِلمِ، وأنَّه ما دام الإنسانُ غيرَ عالِمٍ بالشَّرعِ فإنَّه لا يُكَلَّفُ به(٣).

١٦- في قَولِه تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ * ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ دَلالةٌ على أنَّ اللهَ تعالى لا يُعَذِّبُ أحدًا ولا يُهلِكُه إلَّا بذَنْبِه، وبعْدَ إرسالِ الرَّسولِ إليه(٤).

١٧- في قَولِه تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ إشارةٌ إلى أنَّ الله سبحانه وتعالى قادِرٌ على أنْ يُعَذِّبَ المطيعَ وإن أطاعَ، فهذا ليس مُستحيلًا، ولكِنَّه تبارك وتعالى مُنَزَّهٌ عنه؛ لكَمالِ عَدْلِه، وهذا فيه الرَّدُّ على الجهميَّةِ الذين يقولون: إنَّ اللهَ سبحانَه وتعالى يَستحيلُ في حقِّه الظُّلمُ، يستحيلُ لِذاتِه، ومُحالٌ لذاتِه(٥)!

بلاغةُ الآياتِ:

١- قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ عَوْدٌ إلى ما افتُتِحَتْ به السورةُ مِنَ التَّنويهِ بالقرآنِ، وكَوْنِه الآيةَ العُظمى بما اقتضاهُ قولُه: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٨٧).

(٢) يُنظر: ((بيان تلبيس الجهمية)) لابن تيمية (٦/ ٤٢٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٩٧).

(٤) يُنظر: ((بيان تلبيس الجهمية)) لابن تيمية (٨/ ٤٢٢).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٢٩٨).

ٱلْمُبِينِ﴾ [الشعراء: ٢]؛ لتُختَتَمَ السورةُ بإطنابِ التَّنويهِ بالقُرآنِ، كما ابتُدِئَتْ بإجمالِ التَّنويهِ به، والتنبيهِ على أنَّه أعظَمُ آيةٍ اختارها اللهُ أنْ تكونَ معجزةَ أفضلِ المرسَلينَ؛ فضميرُ ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ عائدٌ إلى معلومٍ مِنَ المقامِ -وهو القرآنُ- بعْدَ ذِكْرِ آياتِ الرسلِ الأوَّلينَ، أي: إنَّه ليس بكهانةٍ ولا سِحرٍ، بلْ هو من عِندِ اللهِ، وكأنَّه عاد أيضًا إلى ما افتتَحَ به السورةَ مِن إعراضِ المشركينَ عمَّا يأتيهم مِنَ الذِّكْرِ؛ ليتناسبَ المفتتَحُ والمختتَمُ؛ فبواوِ العطفِ اتَّصلتِ الجملةُ بالجُمَلِ التي قبْلَها، وبضميرِ القرآنِ اتَّصلَ غرضُها بغرضِ صدرِ السورةِ؛ فجُملةُ ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ معطوفةٌ على الجُملِ التي قبْلَها المحكيَّةِ فيها أخبارُ الرسلِ المماثلةِ أحوالُ أقوامِهم لحالِ قومِ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وما أيَّدَهُمُ اللهُ به مِنَ الآياتِ؛ ليُعْلَمَ أنَّ القرآنَ هو آيةُ اللهِ لهذه الأمَّةِ؛ فعطْفُها على الجُملِ التي مِثْلُها عطْفُ القصَّةِ على القصَّةِ لتلك المناسَبةِ، ولكنَّ هذه الجملةَ مُتَّصلةٌ في المعنى بجُملةِ ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [الشعراء: ٢]؛ بحيثُ لولا ما فَصَلَ بيْنَها وبينَ الأخرى مِن طولِ الكلامِ لكانتْ معطوفةً عليها[(١)].

- قولُه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ﴾ فيه التأكيدُ بـ(إنَّ) ولامِ الابتداءِ؛ لرَدِّ إنكارِ المنكِرينَ، و(التنزيلُ) مصدرٌ بمعنى المفعولِ؛ للمُبالَغةِ في الوصفِ، حتَّى كأنَّ المنزَّلَ نفْسُ التنزيلِ[(٢)].

٢- قولُه تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ بيانٌ لتنزيلِ ربِّ العالَمينَ، أي: كان تنزيلُه على هذه الكيفيَّةِ[(٣)].

٣- قولُه تعالى: ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ فيه توجيهُ الخِطابِ إلى النبيِّ

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨٨).

صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؛ لأنَّ في التنويهِ بالقرآنِ تسليةً له على ما يُلاقيهِ مِن إعراضِ الكافرينَ عن قَبولِه وطاعتِهم فيه[١].

- وعبَّر بحرفِ الاستعلاءِ (على) في قولِه: ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾؛ للدَّلالةِ على التَّمكُّنِ مِمَّا سُمِّيَ بقَلْبِ النَّبيِّ[٢].

- قولُه: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ مُتعلِّقٌ بـ ﴿نَزَلَ بِهِ﴾، أي: أنزلَه لتُنذِرَهم بما في تضاعيفِه مِنَ العُقوباتِ الهائلةِ، وجاء النَّظْمُ الكريمُ بهذا، ولم يُعبِّرْ مثلًا بقولِه: (لتكونَ مُنذِرًا)؛ للدَّلالةِ على انتظامِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في سلكِ أولئك المنذِرينَ المشهورينَ في حقِّيَّةِ الرِّسالةِ، وتقرُّرِ وقوعِ العذابِ المُنذَرِ[٣].

- وأيضًا قولُه: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ عِلَّةٌ في التنزيلِ أو النُّزولِ، اقتُصِرَ عليها؛ لأنَّ ذلك أزْجَرُ للسامعِ، وإنْ كان القرآنُ نزلَ للإنذارِ والتبشيرِ[٤]، ولأنَّها أخصُّ بغرضِ السورةِ؛ فإنَّها افتُتِحَتْ بذِكْرِ إعراضِهم وبإنذارِهم[٥].

٤- قولُه تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾

- قولُه: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ﴾ أي: نزَّلَه باللِّسانِ العربيِّ؛ فالأصلُ التعريفُ فيه، وأنَّه للعهْدِ، وأُوثِرَ التنكيرُ في التنزيلِ؛ ليُؤْذِنَ بالتعظيمِ والتفخيمِ[٦].

- وقولُه: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ هو أيضًا مُتعلِّقٌ بـ ﴿نَزَلَ بِهِ﴾، وتأخيرُه؛ للاعتناءِ

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٨٨).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٨٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٠).

(٤) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨٨، ١٨٩).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٠).

(٦) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٤١٨).

بأمْرِ الإنذارِ، وللإيماءِ إلى أنَّ مدارَ كونِه مِن جُملةِ المنذِرينَ المذكورينَ عليهِمُ السلامُ مُجرَّدُ إنزالِه عليه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، لا إنزالُه باللِّسانِ العربيِّ(١).

٥- قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ تنويهٌ آخَرُ بالقرآنِ بأنَّه تُصدِّقُه كُتبُ الأنبياءِ الأوَّلينَ بموافقتِها لِمَا فيه، وخاصَّةً في إخبارِه عن الأُمَمِ وأنبيائِها(٢).

٦- قولُه تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ تنويهٌ ثالثٌ بالقرآنِ، وحُجَّةٌ على التنويهِ الثاني به الذي هو شهادةُ كُتبِ الأنبياءِ له بالصِّدقِ، بأنَّ علماءَ بَني إسرائيلَ يَعلَمونَ ما في القرآنِ ممَّا يَختصُّ بعِلمِهم؛ فباعتبارِ كَوْنِ هذه الجملةِ تنويهًا آخَرَ بالقرآنِ عُطِفَتْ على الجملةِ التي قبْلَها، ولولا ذلك لكان مقتضى كونِها حُجَّةً على صِدقِ القرآنِ ألَّا تُعطَفَ(٣).

- وأيضًا قولُه: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ تقريرٌ لكونِه دليلًا على صِحَّةِ القرآنِ أو نُبوَّةِ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ(٤)، وهو بيانٌ لعِنادِهم، وتقريرٌ بأنَّ كلًّا مِنَ القصصِ مُستقِلَّةٌ(٥).

- وهمزةُ الاستفهامِ في قولِه: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً﴾ للإنكارِ والنفيِ، والواوُ للعطفِ على مُقَدَّرٍ يَقتضيهِ المقامُ؛ كأنَّهُ قيل: أَغَفَلُوا عن ذلك، ولم يكُنْ لهم آيةٌ دالَّةٌ على أنَّه تنزيلٌ من ربِّ العالَمينَ، وأنَّه في زُبُرِ الأوَّلينَ؟! على أنَّ ﴿لَّهُمْ﴾ مُتعلِّقٌ بالكونِ، قُدِّم على اسمِه وخبرِه؛ للاهتمامِ به، أو بمحذوفٍ

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٠، ١٩١).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٩٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٥٠).

(٥) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٤١٧).

هو حالٌ مِن ﴿ءَايَةً﴾، قُدِّمَتْ عليها؛ لكونِها نكِرةً، و ﴿ءَايَةً﴾ خبرٌ للكونِ قُدِّمَ على اسمِه الذي هو قولُه تعالى: ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ للاعتناءِ والتشويقِ إلى المؤخَّرِ(١).

٧- قولُه تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ في لفظِ (البعضِ) إشارةٌ إلى كونِ ذلك واحدًا مِن عُرْضِ تلك الطَّائفةِ كائنًا مَن كان(٢).

٨- قولُه تعالى: ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾

- أظهَرَ اللهُ بُهتانَهم في هذه الآيةِ بأنَّهم إنَّما قالوا ذلك حيثُ جاءهم بالقرآنِ رسولٌ عربيٌّ، وأنَّه لو جاءهم بهذا القرآنِ رسولٌ أعجميٌّ لا يَعرِفُ العربيَّةَ بأنْ أوحى اللهُ بهذه الألفاظِ إلى رسولٍ لا يفهمُها، ولا يُحسِنُ تأليفَها، فقرأَهُ عليهم، وفي قراءتِه وهو لا يُحسِنُ اللُّغةَ أيضًا خارِقُ عادةٍ؛ لو كان ذلك لَمَا آمَنوا بأنَّه رسولٌ، مع أنَّ ذلك خارِقٌ للعادةِ -وذلك على أحدِ القولينِ في تفسيرِ الآيةِ-؛ فزيادةُ قولِه: ﴿عَلَيْهِم﴾ زيادةُ بيانٍ في خَرْقِ العادةِ، يعني: أنَّ المشركينَ لا يُريدونَ ممَّا يُلْقُونَه مِنَ المطاعِنِ البحثَ عن الحقِّ، ولكنَّهم أصَرُّوا على التكذيبِ، وطَفِقوا يتحمَّلونَ أعذارًا لتكذيبِهم؛ جُحودًا للحقِّ، وتستُّرًا مِنَ اللائِمينَ(٣).

- وجُملةُ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ معطوفةٌ على جُملةِ ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤] إلى قولِه: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]؛ لأنَّ قولَه: ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٤] أفاد أنَّه أُوتيَه

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٤).
(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٦/ ٢٦٥).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٣).

مِن عِندِ اللهِ، وأنَّه ليس مِن قوْلِ النبيِّ، لا كما يقولُ المشركونَ: ﴿تَقَوَّلَهُۥ﴾[1] [الطور: ٣٣].

٩- قولُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ جملةٌ مستأنَفةٌ بيانيَّةٌ، أي: إنْ سألتَ عن استمرارِ تكذيبِهم بالقرآنِ في حينِ أنَّه نزَلَ بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ، فلا تعجَبْ؛ فكذلك السُّلوكِ سَلَكْناهُ في قُلوبِ المشركينَ؛ فهو تشبيهٌ للسُّلوكِ المأخوذِ مِن (سَلَكْناهُ) بنفْسِه لغرابتِه، أي: هو سلوكٌ لا يُشبِهُه سُلوكٌ، وهو أنَّه دخَلَ قُلوبَهم بإبانتِه، وعرَفوا دلائلَ صِدقِه مِن أخبارِ علماءِ بَني إسرائيلَ، ومع ذلك لم يؤمِنوا به[2]، وذلك على أحدِ القولينِ في تفسيرِ الآية.

- وفيه مُناسَبةٌ حسنةٌ، حيثُ تقدَّمَ نظيرُ أوَّلِ هذه الآيةِ في سورةِ (الحِجْرِ)، إلَّا أنَّ آيةَ (الحِجْرِ) قيل فيها: ﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ﴾ [الحجر: ١٢]، وفي هذه الآيةِ قيل: ﴿سَلَكۡنَٰهُ﴾؛ فوجْهُ اختيارِ المضارعِ في آيةِ (الحِجْرِ): أنَّهُ دالٌّ على التجدُّدِ؛ لئلَّا يُتوَهَّمَ أنَّ المقصودَ إبلاغٌ مضَى؛ وهو الذي أُبْلغَ لِشيَعِ الأوَّلينَ لِتَقَدُّمِ ذِكْرِهم؛ فيُتَوَهَّمَ أنَّهمُ المرادُ بالمجرمينَ مع أنَّ المرادَ كفَّارُ قريشٍ، وأمَّا هذه الآيةُ فلَمْ يَتَقَدَّمْ فيها ذِكْرٌ لغيرِ كفَّارِ قريشٍ؛ فناسَبَها حكايةُ وقوعِ هذا الإبلاغِ مُنذُ زمنٍ مضى؛ وهم مُستمِرُّونَ على عدمِ الإيمانِ[3].

- وعبَّرَ عَنِ المشركينَ بـ﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾؛ لأنَّ كُفرَهم بعْدَ نُزولِ القرآنِ إجرامٌ[4].

١٠- قولُه تعالى: ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾

- جملةُ ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ مستأنَفةٌ، مَسوقةٌ لبيانِ أنَّهم لا يتأثَّرونَ بأمثالِ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٣).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٩٤).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٩٥).

تلك الأمورِ الداعيةِ إلى الإيمانِ به، بلْ يَستمِرُّونَ على ما هُمْ عليه. وقيل: موقعُ هذه الجملةِ مِن قولِه: ﴿سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ موقعُ الموضِّحِ والمُلخِّصِ؛ لأنَّه مَسوقٌ لثباتِه مُكذَّبًا مجحودًا في قُلوبِهم؛ فأُتْبِعَ بما يُقرِّرُ هذا المعنى مِن أنَّهم لا يَزالونَ على التكذيبِ به وجُحودِه حتَّى يُعايِنوا الوعيدَ. ويجوزُ أنْ يكونَ حالًا، أي: سَلَكْناهُ فيها غيرَ مُؤْمَنٍ به[(١)].

- والغايةُ في ﴿حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ تهديدٌ بعذابٍ سيحُلُّ بهم، وحثٌّ على المبادَرةِ بالإيمانِ قبْلَ أنْ يحُلَّ بهِمُ العذابُ[(٢)].

١١- قولُه تعالى: ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

- معنى التعقيبِ بالفاءِ في قولِه: ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً ... فَيَقُولُوا۟﴾ ليس ترادُفَ رؤيةِ العذابِ ومفاجأتِه، وسؤالِ النظرةِ فيه في الوجودِ، وإنَّما المعنى ترتُّبُها في الشِّدَّةِ؛ كأنَّه قيل: لا يؤمنونَ بالقرآنِ حتَّى تكونَ رؤيتُهم للعذابِ، فما هو أشدُّ منها؛ وهو لُحوقُه بهم مفاجأةً، فما هو أشدُّ منه؛ وهو سؤالُهُمُ النظرةَ[(٣)].

وقيل: الأوْجَهُ أنْ تكونَ جُملةُ ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ بدَلَ اشتمالٍ مِن جملةِ ﴿يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾، وأُدْخِلَتِ الفاءُ فيها لبيانِ صورةِ الاشتمالِ، أي: إنَّ رؤيةَ العذابِ مُشتمِلةٌ على حُصولِه بَغتةً، أي: يَرَوْنَه دَفْعةً دونَ سَبْقِ أشراطٍ له[(٤)].

١٢- قولُه تعالى: ﴿فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ يقولونَ هذا تحسُّرًا على ما

---

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٣٧)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٩٢)، ((شفاء العليل)) لابن القيم (ص: ٦٢)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٣٧، ٣٣٨)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٩٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٥)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٧/ ١٣٩).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٥).

فات مِنَ الإيمانِ، وتمنِّيًا للإمهالِ لِتَلافي ما فرَّطوهُ؛ فالاستفهامُ في قولِه: ﴿هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ﴾ للتحسُّرِ والتأسُّفِ، أُتْبِعَ قولُه: ﴿فَيَأۡتِيَهُم بَغۡتَةً﴾ بما يكونُ منهم عِندَ ذلك على وجهِ الحسرةِ ﴿فَيَقُولُواْ هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ﴾، كما يستغيثُ إليه المرءُ عِندَ تعذُّرِ الخلاصِ؛ لأنَّهم يعلمونَ في الآخرةِ أنْ لا ملجَأَ، لكنَّهم يقولونَ ذلك استرواحًا، أو يقولونَ: ﴿هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ﴾ على جِهةِ التمنِّي منهم والرغبةِ؛ فـ (هَلْ) مُستعمَلةٌ في استفهامٍ مُرادٍ به التمنِّي، وجِيءَ بعْدَها بالجملةِ الاسميَّةِ الدالَّةِ على الثباتِ، أي: تَمَنَّوْا إنظارًا طويلًا يتمكَّنونَ فيه مِنَ الإيمانِ والعملِ الصالحِ، أو يطلبونَ الرَّجْعةَ حينَ يَبْغَتُهم عذابُ الساعةِ، فلا يُجابون إليها[(١)].

- والفاءُ في قولِه: ﴿فَيَقُولُواْ﴾ لإفادةِ التعقيبِ في الوجودِ، وهو صادقٌ بأسرعِ تعذيبٍ؛ فتكونُ خَطِرةً في نُفوسِهم قبْلَ أنْ يَهْلِكوا في الدُّنيا، أو يقولونَ ذلك ويُردِّدونَه يومَ القيامةِ حينَ يَرَوْنَ العذابَ، وحينَ يُلْقَوْنَ فيه[(٢)].

١٣- قولُه تعالى: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ﴾ هذا تبْكيتٌ لهم بإنكارٍ وتهكُّمٍ، ومعنى التَّبكيتِ: أنَّه لمَّا قيلَ: ﴿فَيَأۡتِيَهُم بَغۡتَةً وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ * فَيَقُولُواْ هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ﴾ عقَّبَ ذلك بقولِه: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ﴾؛ إسكاتًا لهم مع إنكارٍ وتهكُّمٍ، أي: كيف يَستعجِلونَ ما حالُه ما ذُكِرَ، وهي أنَّه ما يأْتيهم بَغتةً، ويسْألون عندَ ذلك الإمهالَ فلا يُمْهَلون؟! والعاقلُ لا يَستعجِلُ ما فيه دَمارُه. وهذا معنى التَّبكيتِ؛ لأنَّه كلامٌ جارٍ على العُرفِ والعادةِ، والعاقلُ لا يَدفَعُ الكلامَ المُنصِفَ. ويَحتملُ أنْ يكونَ هذا حِكايةَ توبيخٍ يُوبَّخون به عندَ استنظارِهم يومَئذٍ، و﴿يَسۡتَعۡجِلُونَ﴾ على هذا الوجْهِ مُضارِعٌ وقَعَ موقعَ الماضي على حِكايةِ الحالِ الماضيةِ في

(١) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٥٠)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٩٣)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٥).

الدُّنيا، وكان مِن حَقِّ الظَّاهِرِ: أفبِعذابِنا اسْتعجَلْتُم؟!

وفيه وجْهٌ آخرُ مُتَّصلٌ بما بعْدَه -أي: بقولِه: ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾-؛ وذلك أنَّ استعجالَهم بالعذابِ إنَّما كان لاعتِقادِهم أنَّه غيرُ كائنٍ ولا لَاحِقٍ بهم، وأنَّهم مُمَتَّعون بأعمارٍ طوالٍ في سلامةٍ وأمْنٍ؛ فقال تعالى: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ أشَرًا وبطَرًا واستهزاءً، واتِّكالًا على الأملِ الطَّويلِ، ثمَّ قال: هَبْ أنَّ الأمرَ كما يَعتقِدون مِن تَمتيعِهم وتَعميرِهم، فإذا لَحِقَهم الوعيدُ بعْدَ ذلك ما يَنفعُهم حينَئذٍ ما مضى مِن طُولِ أعمارِهم، وطِيبِ مَعايشِهم. أي: أنْ يَتِمَّ الكلامُ عندَ قولِه: ﴿نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾، ثمَّ يُبْتدأُ مِن قولِه: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا﴾ على تأويلِ: أتَسْتهزِئون فتَستعجِلون بعذابِنا؟! فالفاءُ في ﴿أَفَبِعَذَابِنَا﴾ عطْفٌ على هذا المُقدَّرِ، وفي ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ للتَّسبيبِ، أي: استِهزاؤُهم ذلك سببٌ لَأنْ يُتعجَّبَ منهم، ويُقالَ لكلِّ سامعٍ: أرأيْتَ إنْ مَتَّعناهم سِنينَ؛ فإذَنِ الهمزةُ في ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ جِيء بها لمزيدِ الإنكارِ والتَّعجُّبِ، وعلى الأوَّلِ الفاءُ في ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ عاطِفةٌ؛ عطَفَت (رأيتَ) على مُقدَّرٍ، أي: أُخبِرَ فيَتعجَّبُ؟ والهمزةُ غيرُ مُقْحمةٍ؛ فتكونُ الجُملةُ مُستقلَّةً[١].

- والفاءُ في قولِه: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ للعطفِ على مُقدَّرٍ يقْتضيهِ المقامُ، أي: أيكونُ حالُهم كما ذُكِرَ مِن الاستنظارِ عندَ نُزولِ العذابِ الأليم، فيَسْتعجلونَ بعذابِنا، وبيْنَهما مِن التَّنافي ما لا يَخْفى على أحدٍ، وأيَغْفُلون عن ذلك مع تحقُّقِه وتقرُّره فيَستعجلونَ... إلخ؟! وإنَّما قُدمَّ الجارُّ والمجرورُ (بعذابِنا)؛ للإيذانِ بأنَّ مصَبَّ الإنكارِ والتَّوبيخِ كونُ المُستعجَلِ به عذابَه تعالى، مع ما فيهِ مِن رِعايةِ الفواصلِ، وللاهتمامِ به في مَقامِ الإنذارِ، أي: ليس شأْنُ مِثلِه

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٣٨)، ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٤٢٥، ٤٢٦)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٩٣).

أنْ يُستعجَلَ؛ لفَظاعتِه(١).

- ونَشأَ عن قولِه: ﴿ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ تَقديرُ جوابٍ عن تكرُّرِ سُؤالِهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٤٨]، حيثُ جعَلوا تأخُّرَ حُصولِ العَذابِ دَليلًا على انتفاءِ وُقوعِه؛ فأعقبَ ذلك بقولِه: ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾؛ فالفاءُ في قولِه: ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ تفيدُ تَعقيبَ الاستفهامِ عَقِبَ تكرُّرِ قولِهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ [يونس: ٤٨] ونَحوِه، والاستفهامُ مُستعمَلٌ في التعجُّبِ مِن غُرورِهم، أي: أيستعجلونَ بعَذابِنا؟ فما تأخيرُه إلَّا تمتيعٌ لهم(٢).

١٤- قولُه تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴾

- قولُه: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ﴾ لَمَّا كانَتِ الرُّؤيةُ مِن أقوى أسبابِ الإخبارِ بالشَّيءِ وأَشهرِها، شاعَ استعمالُ (أَرَأَيْتَ) في معنى (أَخْبِرْني)، والخِطابُ لكلِّ مَن يَصلُحُ له كائنًا مَن كانَ، والفاءُ لترتيبِ الاستخبارِ على قولِهم: ﴿هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴾، وما بيْنَهما اعتراضٌ؛ للتوبيخِ والتبكيتِ، وهي متقدِّمةٌ في المعنى على الهمزةِ، وتأخيرُها عنها صورةً؛ لاقتضاءِ الهمزةِ الصَّدارةَ؛ أي فأخْبِرْني...(٣).

- والاستفهامُ في ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ ﴾ للتَّقريرِ(٤).

- وجُملةُ ﴿إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴾ مُعترِضةٌ، وجوابُ الشَّرطِ محذوفٌ دلَّ

---

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٦).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٦).

عليه ما سَدَّ مَسَدَّ مفعولَيْ (رَأَيْتَ)[١].

١٥- قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ معطوفٌ على جُملةِ الشرطِ المُعترِضةِ، و(ثُمَّ) فيه للترتيبِ والمُهْلةِ، أي: جاءهم بعْدَ سِنينَ، وفيه رمْزٌ إلى أنَّ العذابَ جَائِيهم، وحَالٌّ بهم لا مَحالةَ، و ﴿مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ موصولٌ وصِلتُه، والعائدُ محذوفٌ تقديرُه: يوعَدونَه[٢].

١٦- قولُه تعالى: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾

- على القولِ بأنَّ (ما) استفهاميَّةٌ؛ فالاستفهامُ في قولِه: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ مُستعمَلٌ في الإنكارِ والنفيِ، أي: لم يُغْنِ عنهم شيئًا. وقيل: إنَّ (ما) نافيةٌ، والأوَّلُ هو الأَوْلَى؛ لكونِه أوفَقَ لصورةِ الاستخبارِ، وأدلَّ على انتفاءِ الإغناءِ على أبلَغِ وجْهٍ وآكَدِه؛ كأنَّ كلَّ مَن مِن شأنِه الخِطابُ قد كُلِّفَ أنْ يُخبِرَ بأنَّ تمتيعَهم ماذا أفادَهم؟ وأيُّ شيءٍ أغنى عنهم؟ فلَمْ يَقدِرْ أحدٌ على أنْ يُخبِرَ بشيءٍ مِن ذلك أصلًا[٣].

- و﴿مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾ موصولٌ وصِلتُه، والعائدُ محذوفٌ تقديرُه: يُمَتَّعُونَه[٤].

١٧- قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ الاستثناءُ هنا استثناءٌ مِن أحوالٍ مَحذوفةٍ، والتَّقديرُ: وما أهلَكْنا مِن قريةٍ في حالٍ مِن الأحوالِ إلَّا في حالٍ لها مُنذِرونَ[٥].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٦).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٩٦، ١٩٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٦).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٧).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٩٧، ١٩٨).

- وفي قولِه: ﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ عُبِّرَ عن الرُّسلِ بصِفةِ الإنذارِ؛ لأنَّه المُناسِبُ للتَّهديدِ بالإهلاكِ[1]. وجُمِعَ ﴿مُنذِرُونَ﴾؛ لأنَّ ﴿مِن قَرْيَةٍ﴾ عامٌّ في القُرى الظَّالمةِ، كأنَّه قيلَ: وما أهلَكْنا القُرى الظَّالمةَ[2].

١٨- قولُه تعالى: ﴿ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾

- قولُه: ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ فنُهلِكُ غيرَ الظَّالمينَ قبْلَ الإنذارِ، والتَّعبيرُ عن ذلك بنفْيِ الظَّالميَّةِ؛ لبَيانِ كَمالِ نَزاهتِه تعالى عن ذلك بتَصويرِه بصُورةِ ما يَستحيلُ صُدورُه عنه تعالى مِن الظُّلم[3].

- ومُفادُ جُملةِ ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ الإعذارُ لكفَّارِ قُريشٍ، والإنذارُ بأنَّهم سيحُلُّ بهم هَلاكٌ. وحُذِفَ مفعولُ ﴿ظَالِمِينَ﴾؛ لقَصْدِ تَعميمِه، كقولِه تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[4] [الكهف: ٤٩].



(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٨).
(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٩٤).
(٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٧).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٨).

الآيات (٢١٠-٢٢٠)

﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ٢١١ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ
لَمَعۡزُولُونَ ٢١٢ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ
ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ
مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢١٦ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي
ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٢٠﴾.

غَريبُ الكَلِمات:

﴿لَمَعۡزُولُونَ﴾: أي: ممنوعونَ، يُقالُ: عزَلَ الشَّيءَ: إذا نحَّاه في جانبٍ، وأصلُ (عزل): يدُلُّ على تنحِيةٍ وإمالةٍ[١].

﴿عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾: أي: أهلَك وقومَك الأقربينَ نَسَبًا، وأصلُ العِشرةِ والعَشيرةِ: مِن المخالَطةِ والمداخَلةِ[٢].

﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾: أي: وألِنْ جانِبَك وكلامَك، وتواضَعْ لهم، وارفُقْ بهم[٣].

﴿بَرِيٓءٞ﴾: فعيلٌ بمعنى فاعلٍ مِن (برِئ)، بمعنى التفصِّي والتنزُّهِ ونفيِ المخالطةِ، فالبريءُ: الخليُّ عن التلبُّسِ بشيءٍ وعن مخالطتِه، وأصلُ (برأ) هنا: يدُلُّ على التباعُدِ مِن الشيءِ ومزايلتِه[٤].

---

(١) يُنظر: ((تفسير الطبري)) (١٧/ ٦٥٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٣٠٧)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٦٥).

(٢) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٣٢٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٦٣)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٧٢٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير الطبري)) (١٧/ ٦٦٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٠٧)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ١٩١)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٦٥).

(٤) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٢٣٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٢١)، =

المعنى الإجماليُّ:

يُؤكِّدُ اللهُ تعالى على أنَّ هذا القرآنَ مِن عندِه، ويردُّ على شبهاتِ المشركينَ، فيقولُ: وما تنزَّلت الشَّياطينُ بهذا القُرآنِ على مُحمَّدٍ، ولا يَنْبغي لهم ذلك ولا يَسْتطيعونَه؛ لأنَّهم مَحجوبونَ عن سَماعِ القُرآنِ في السَّماءِ.

ثمَّ ينهَى سبحانَه عن الشركِ، فيقولُ: فلا تَدْعُ مع اللهِ مَعبودًا آخَرَ فتُعذَّبَ مع المعذَّبينَ.

ويأمرُ نبيَّه صلَّى الله عليه وسلَّم بأنْ يجهرَ بدعوتِه، وبأن يتوكَّلَ عليه وحْدَه، فيقولُ: وأنذِرْ قَومَك الأقربينَ عذابَ الله إنْ لم يؤمِنوا، وألِنْ جانِبَك لِمَن اتَّبَعك مِن المؤمِنينَ، وارفُقْ بهم، فإنْ عصاك قومُك الأقربَون فقُلْ لهم: إنِّي بريءٌ ممَّا تعمَلون من شِركٍ وعِصيانٍ، واعتَمِدْ على اللهِ العزيزِ القاهرِ الذي لا يُغلَبُ، الرَّحيم الذي لا يَعجَلُ بالعُقوبةِ، الذي يراك حينَ تقومُ إلى صلاتك، ويراك وأنت تتقَلَّبُ في الصَّلاةِ معَ المصَلِّينَ بينَ القيامِ والرُّكوعِ والسُّجودِ، إنَّ اللهَ هو السَّميعُ العليمُ.

تَفسيرُ الآياتِ:

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾.

مُناسَبَةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا احتجَّ تعالى على صدْقِ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم بكونِ القرآنِ تنزيلَ ربِّ العالَمينَ، وإنَّما يُعرَفُ ذلك لوقوعِه من الفصاحةِ في النهايةِ القصوى، ولأنَّه مُشتَمِلٌ على قَصَصِ المتقدِّمينَ مِن غيرِ تفاوتٍ، مع أنَّه عليه السَّلامُ لم يَشتغِلْ بالتعَلُّمِ والاستفادةِ، فكان الكفَّارُ يقولون: لِمَ لا يجوزُ أنْ يكونَ هذا مِن إلقاءِ

= ((الكليات)) للكفوي (ص: ٢٣١)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٣٢٢) و(١١/ ١٧٦).

الجِنِّ والشياطينِ كسائِرِ ما يَنزِلُ على الكَهَنةِ؟! فأجاب اللهُ تعالى عنه بأنَّ ذلك لا يَتسَهَّلُ للشياطينِ؛ لأنَّهم مَرجومون بالشُّهُبِ، معزولون عنِ استِماعِ كلامِ أهلِ السَّماءِ[١].

﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢١٠﴾.

أي: وما نزَلَت الشَّياطينُ بالقُرآنِ على محمَّدٍ، بل نزَل به عليه جبريلُ الأمينُ[٢].

كما قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ﴾ [التكوير: ٢٥].

﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ٢١١﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا كان لا يلزَمُ مِن عَدَمِ التلَبُّسِ بالفِعلِ عَدَمُ الصَّلاحيةِ له؛ قال: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ﴾ أي: ما يصِحُّ وما يُتصَوَّرُ منهم النُّزولُ بشَيءٍ منه، ولَمَّا كان عدَمُ الانتفاءِ لا يلزَمُ منه عدَمُ القُدرةِ؛ قال: ﴿وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ أي: النُّزولَ به وإنِ اشتَدَّت مُعالجتُهم، على تقديرِ أن يكونَ لهم قابليَّةٌ لذلك[٣].

﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ٢١١﴾.

أي: ولا يَنبغي ولا يَصِحُّ للشَّياطينِ أن ينزِلوا بالقُرآنِ؛ لأنَّهم لا يُريدونَه؛ لِمُخالفتِه أحوالَهم ومقاصِدَهم، وحتى لو أرادوا إنزالَه فإنَّهم لا يستطيعونَ[٤].

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥٣٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٥٢)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٤٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٦٥).

(٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١٠٥).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٥٢)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٦٤)، ((الجواب الصحيح)) لابن تيمية (٥/ ٣٤٨، ٣٤٩)، ((التبيان في أقسام القرآن)) لابن القيم (ص: ١٢٦، ١٢٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٦٥). =

كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ * وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ * إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحجر: ١٦ - ١٨].

وقال سُبحانَه: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ * لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ٦-١٠].

﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾.

أي: لأنَّهم محجوبون مِن سَماعِ القُرآنِ في السَّماءِ[1].

كما قال الله سبحانه وتعالى حاكيًا قَولَ الجِنِّ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٨، ٩].

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا بيَّنَ الله تعالى أنَّ نزولَ القرآنِ مِن عندِه، وحقَّق صدقَه بأنَّه مذكورٌ في كتبِ الأنبياءِ السالفينَ، وشهِد به علماءُ بني إسرائيلَ، وأنحَى على المشركينَ بإبطالِ ما ألصقوه بالقرآنِ مِن بهتانِهم؛ لا جَرَمَ اقتضَى ذلك ثبوتَ ما جاء به القرآنُ،

= قال ابنُ تيمية: (بيَّن قولُه: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ﴾ أنَّهم لا يريدونَ تنزيلَه، وبقولِه: ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أنَّهم عاجِزونَ عن تنزيلِه). ((الجواب الصحيح)) (٥/ ٣٤٨).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٥٢)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٦٤)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٦٥)، ((الجواب الصحيح)) لابن تيمية (٥/ ٣٥٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٦٥).

قال الواحدي: (حِيلَ بيْنَهم وبينَ السَّمعِ بالملائكةِ والشُّهُبِ، وهو قَولُه: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾). ((الوسيط)) (٣/ ٣٦٤).

وأصلُ ذلك هو إبطالُ دينِ الشركِ الذي تقلَّدَتْه قريشٌ وغيرُها، وناضَلتْ عليه بالأكاذيبِ؛ فناسَبَ أن يتفرَّعَ عليه النهيُ عن الإشراكِ بالله، والتحذيرُ منه[١].

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾.

أي: فلا تدْعُ مع اللهِ مَعبودًا آخَرَ تَعبُدُه وتسألُه، فتكونَ مُعَذَّبًا مِن المعَذَّبينَ[٢].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٥٤)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (١٠/ ٢٣٧، ٢٣٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٦٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٨).

قيل: الخطابُ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم. وممَّن ذهَب إلى ذلك: ابنُ جرير، والبقاعي، وابن عثيمين. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٥٤)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١٠٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٣٠٢).

قال ابن عثيمين: (قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الخِطابُ للرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ولا يلزَمُ مِن النَّهيِ عنه إمكانُ وقوعِه، كما أنَّ الله تعالى يأمُرُ المؤمنينَ بالثَّباتِ على الإيمانِ، وينهاهم عن الشِّركِ، وهو لم يقَعْ منهم). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٣٠٢).

وقال الخازن: (الخطابُ للنبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، والمرادُ به غيرُه؛ لأنَّه معصومٌ مِن ذلك). ((تفسير الخازن)) (٣/ ٣٣٢).

وقال الشوكاني: (خِطابُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم بهذا معَ كونِه منزَّهًا عنه، معصومًا منه؛ لحثِّ العبادِ على التوحيدِ، ونهيِهم عن شوائبِ الشركِ، وكأنَّه قال: أنتَ أكرَمُ الخَلقِ علَيَّ، وأعزُّهم عندي، ولو اتخَذْتَ معي إلهًا لعذبْتُك، فكيف بغيرِك مِن العبادِ؟!). ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٣٨).

وقال الشنقيطي: (النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ يُخاطَبُ بمِثلِ هذا الخِطابِ، والمرادُ التشريعُ لأمَّتِه). ((أضواء البيان)) (٦/ ١٠٠). ويُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ٥).

وقيل: الخِطابُ لغيرِ مُعَيَّن، يشملُ كلَّ مَن يسمعُ هذا الكلامَ. وممَّن ذهب إلى هذا المعنى: أبو حيَّان، وابنُ عاشور. يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٩٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٠).

وقال مكِّي: (﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ أي: قلْ يا محمدُ لِمَن كفَر: لا تَدْعُ مع اللهِ إلهًا آخَرَ). =

كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩].

وقال سُبحانَه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ * بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥، ٦٦].

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ (٢١٤)﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا سلَّى اللهُ تعالى رسولَه أوَّلًا، ثمَّ أقام الحُجَّةَ على نبوَّتِه ثانيًا، ثمَّ أورد سؤالَ المنكِرينَ وأجاب عنه ثالثًا؛ أمَره بعْدَ ذلك بما يتعلَّقُ ببابِ التبليغِ والرِّسالةِ[1].

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ (٢١٤)﴾.

أي: وحذِّرْ قومَك الأقرَبينَ إليك نَسَبًا من عذابِ اللهِ إنْ لم يؤمِنوا، وقدِّمْ إنذارَهم على إنذارِ غيرِهم، ولا تُحابِهم لِقُربِهم[2].

= ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) (٨/ ٥٣٥٨).

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥٣٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٥٤)، ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٣٩)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٤٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٦٦)، ((تفسير الألوسي)) (١٠/ ١٣٢).

قال ابن كثير: (هذه النِّذارةُ الخاصَّةُ لا تنافي العامَّةَ، بل هي فردٌ من أجزائها، كما قال: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [يس: ٦]، وقال: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧]... وقال: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]... وفي صحيح مُسلم: «والذي نفسي بيَدِه، لا يسمَعُ بي أحدٌ من هذه الأمَّةِ؛ يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثمَّ لا يؤمنُ بي، إلَّا دخل النَّارَ»). ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٦٦). ويُنظر: ((الجواب الصحيح)) لابن تيمية (٣/ ١٥٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٨)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ١٠٠).

وقال ابن عثيمين: (هذا في أوَّلِ الدَّعوة، أُمِرَ أن يُنذِرَ عَشيرتَه الأقربينَ؛ لأنَّهم أحقُّ النَّاسِ ببِرِّه، ولأنَّهم بمقتضى القَرابةِ -لا بمقتضى الواقعِ- أقرَبُ الناسِ إلى الإيمانِ به، ولأنَّهم أيضًا =

عن ابنِ عباسٍ رَضيَ الله عنهما، قال: ((لَمَّا نزلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ صعِدَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم على الصَّفا فجعَل ينادي: يا بني فِهْرٍ، يا بني عَدِيٍّ -لبُطونِ قُريشٍ- حتى اجتَمَعوا، فجعَل الرجُلُ إذا لم يستطِعْ أن يخرُجَ أرسَلَ رَسولًا؛ لِيَنظُرَ ما هو، فجاء أبو لهبٍ وقُريشٌ، فقال: أرَأَيْتَكم لو أخبَرْتُكم أنَّ خيلًا بالوادي تريدُ أن تُغيرَ عليكم، أكنتُم مُصَدِّقِيَّ؟ قالوا: نعَمْ، ما جرَّبْنا عليك إلَّا صِدقًا، قال: فإنِّي نذيرٌ لكم بيْنَ يَدَيْ عذابٍ شديدٍ، فقال أبو لهبٍ: تبًّا لك سائِرَ اليومِ، ألِهذا جمَعْتَنا؟! فنَزَلتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ١، ٢]))[١].

وعن أبي هُريرةَ رَضيَ الله عنه، قال: ((لَمَّا أُنزلَت هذه الآيةُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعا رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قُرَيشًا، فاجتَمَعوا فعَمَّ وخَصَّ، فقال: يا بَني كَعبِ بنِ لُؤَيٍّ، أنقِذوا أنفُسَكم مِنَ النَّارِ، يا بَني مُرَّةَ بنِ كَعبٍ، أنقِذوا أنفُسَكم مِن النَّارِ، يا بني عَبدِ شَمسٍ، أنقِذوا أنفُسَكم مِن النَّارِ، يا بني عبدِ مَنافٍ، أنقِذوا أنفُسَكم مِنَ النَّارِ، يا بني هاشِمٍ، أنقِذوا أنفُسَكم مِنَ النَّارِ، يا بني عبدِ المطَّلِبِ، أنقِذوا أنفُسَكم مِن النَّارِ، يا فاطمةُ، أنقِذي نفْسَكِ من النَّارِ؛ فإنِّي لا أملِكُ لكم مِنَ الله شيئًا، غيرَ أنَّ لكم رَحِمًا سأَبُلُّها بِبَلالِها[٢]))[٣].

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥)﴾.

= بمقتضى القرابةِ هم أشَدُّ النَّاسِ غَيرةً عليه، ولأنَّهم أيضًا بصِلةِ القرابةِ هم أعظَمُ النَّاسِ حَقًّا عليه). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٣٠٤).

(١) رواه البخاري (٤٧٧٠) واللفظ له، ومسلم (٢٠٨).

(٢) سأَبُلُّها بِبَلالِها بفتحِ الباءِ الثانيةِ وكسرِها، والبلالُ: الماءُ، أي: أصِلُها بصِلتِها، شُبِّهت قطيعةُ الرحمِ بالحرارةِ، ووصلُها بإطفاءِ الحرارةِ ببرودةٍ. يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (٣/ ٨٠)، ((فتح الباري)) لابن حجر (١٠/ ٤٢٢).

(٣) رواه البخاري (٤٧٧١)، ومسلم (٢٠٤) واللفظُ له.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا كانتِ النِّذارةُ إنَّما هي للمُتَولِّينَ؛ أمَر بضِدِّها لأضْدادِهم[(١)]، فبَعْدَ أنْ أمَره بإنذارِ المشركينَ مِن قومِه؛ أمَره بالرِّفقِ بالمؤمنينَ[(٢)]، فقال:

﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾.

أي: وأَلِنْ جانِبَك لأتْباعِك المؤمِنينَ، وتواضَعْ لهم، وارفُقْ بهم، وتودَّدْ إليهم[(٣)].

كما قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

﴿ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا كان الإنذارُ يترتَّبُ عليه إمَّا الطاعةُ وإمَّا العصيانُ، جاء التَّقسيمُ عليهما، فكأنَّ المعنى: أنَّ مَنِ اتَّبَعَك مؤمِنًا فتواضَعْ له؛ فلذلك جاء قسيمُه: «فإنْ عصَوْك فتبَرَّأْ منهم ومِن أعمالِهم»[(٤)].

﴿ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾.

أي: فإنْ خالَفَ أمرَك قَومُك الأقرَبون ولم يتَّبِعوك، فقُلْ لهم: إنِّي بَريءٌ مِمَّا تَعمَلونَ مِن شِرْكِكم وعِصيانِكم[(٥)].

---

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١٠٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير المراغي)) (١٩/ ١١١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٦٥)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٣٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٩)، ((منع جواز المجاز)) للشنقيطي (ص: ٣٠، ٣١).

(٤) يُنظر: ((البحر المحيط)) لأبي حيان (٨/ ١٩٧).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٦٥)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٤٤)، ((تفسير ابن كثير)) =

كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١].

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾.

= (٦/ ١٦٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٣).

ممَّن اختار أنَّ المرادَ بقولِه: ﴿عَصَوْكَ﴾: مَن أُمِر بإنذارِهم مِن عشيرتِه: ابنُ جرير، والواحديُّ، وابن الجوزي، وابن عطية، والنسفي، وأبو حيان، وجلال الدين المحلي، والشربيني، والألوسي. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٦٥)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٦٥)، ((تفسير ابن الجوزي)) (٣/ ٣٥٠)، ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٤٥)، ((تفسير النسفي)) (٢/ ٥٨٦)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٩٧)، ((تفسير الجلالين)) (ص: ٤٩٢)، ((تفسير الشربيني)) (٣/ ٣٨)، ((تفسير الألوسي)) (١٠/ ١٣٣).

قال أبو حيان: (وقيل: الضميرُ يعودُ على مَن اتَّبَعه مِن المؤمنينَ، أي: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ -يا محمَّدُ- في الأحكامِ وفروعِ الإسلامِ، بعْدَ تصديقِك والإيمانِ بك ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ لا منكم، أي: أظهِرْ عدَمَ رضاك بعَمَلِهم، وإنكارَك عليهم). ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٩٧).

وهذا القولُ هو ظاهرُ اختيارِ ابنِ تيميَّةَ، واختاره السعديُّ. يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (١٦/ ٥٤٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٩).

قال السعدي: (﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ في أمرٍ مِن الأمورِ، فلا تتبرَّأْ منهم، ولا تترُكْ معاملتَهم بخَفضِ الجَناحِ، ولِينِ الجانبِ، بل تبرَّأْ مِن عملِهم، فعِظْهم عليه وانصحْهم، وابذُلْ قدرتَك في ردِّهم عنه، وتوبتِهم منه، وهذا لدفعِ احترازِ وهْمِ مَن يتوهَّمُ أنَّ قولَه: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ للمؤمنينَ، يقتضي الرِّضاءَ بجميعِ ما يصدُرُ منهم، ما داموا مؤمنينَ، فدفَع هذا بهذا، والله أعلم). ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٩).

وقال الشوكاني: (﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ أي: خالَفوا أمْرَكَ ولم يَتَّبِعوكَ... وهذا يدُلُّ على أنَّ المرادَ بالمؤمنينَ المشارفونَ للإيمانِ، المصدِّقونَ باللِّسانِ؛ لأنَّ المؤمنينَ الخلَّصَ لا يَعْصونَه ولا يُخالِفونَه). ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٣٨).

وذكر ابنُ عثيمين أنَّ المرادَ: عشيرتُه أو غيرُهم. يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٣٠٦).

واختار العمومَ أيضًا ابنُ كثير، فقال: (ومَن عصاه مِن خَلقِ الله كائنًا مَن كان فليتبرَّأْ منه). ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٦٦).

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا كان التبَرُّؤُ يُؤذِنُ بحُدوثِ مجافاةٍ وعَداوةٍ بيْنَه وبيْنَهم؛ ثَبَّتَ اللهُ جأشَ رسولِه بألَّا يَعبأَ بهم، وأنْ يتوكَّلَ على ربِّه فهو كافيه[1]، فقال تعالى:

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧)﴾.

أي: واعتَمِدْ في جميعِ أمورِك على اللهِ العزيزِ في نِقمتِه مِن أعدائِه، فلا يُقهَرُ ولا يُغالَبُ؛ الرَّحيمِ الذي يقبَلُ التَّوبةَ مِن عبادِه، ولا يَعجَلُ بالعُقوبةِ ولا يَخذُلُ أولياءَه، وفوِّضْ أمورَك إليه؛ لِيَحفَظَك ويَنصُرَك[2].

﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨)﴾.

أي: توكَّلْ على اللهِ الذي يراك حينَ تقومُ إلى صَلاتِك[3].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٦٥)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٦٥)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٤٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٧١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٦٥، ٦٧٠)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٦٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٧١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٩)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ١٠٣).
قال القرطبي: (أي: حينَ تقومُ إلى الصَّلاةِ، في قولِ أكثَرِ المفَسِّرينَ). ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٤٤).

وقال ابن عاشور: (القيامُ: الصلاةُ في جَوفِ الليلِ، غلَب هذا الاسمُ عليه في اصطلاحِ القرآنِ). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٤).

وقال ابن كثير: (قال ابنُ عبَّاسٍ: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ يعني: إلى الصَّلاةِ. وقال عِكْرِمةُ: يرى قيامَه وركوعَه وسجودَه. وقال الحسَنُ: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾: إذا صلَّيتَ وحْدَك. وقال الضحَّاكُ: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي: من فراشِك أو مجلِسِك. وقال قَتادةُ: ﴿الَّذِي يَرَاكَ﴾: قائمًا وجالِسًا وعلى حالاتِك). ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٧١).

وقال الشنقيطي: (أي: الذي يراك حينَ تقومُ إلى صلاتِك، وحينَ تقومُ مِن فِراشِك ومَجلِسِك). ((أضواء البيان)) (٦/ ١٠٣).

كما قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨].

﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩﴾.

أي: ويَراك وأنت معَ المصَلِّينَ تتقَلَّبُ في الصَّلاةِ قائِمًا وراكِعًا وساجِدًا(١).

كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٢٠﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا كانت هذه الأحوالُ مُشتَمِلةً على الأقوالِ، وكان قد قَدَّمَ الرُّؤيةَ المتضَمِّنةَ للعِلمِ؛ عَلَّلَ ذلك بالتَّصريحِ به مقرونًا بالسَّمعِ، فقال(٢):

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٢٠﴾.

أي: إنَّ اللهَ هو السَّميعُ لجَميعِ الأصواتِ، العليمُ بجميعِ الأعمالِ والأحوالِ والنيَّاتِ، ومِن ذلك سَماعُه لتلاوةِ محمَّدٍ، وذِكرِه في صلاتِه، العليمُ بما يعمَلُ فيها وبما في قَلبِه مِن الإيمانِ(٣).

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٦٩، ٦٧٠)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٦٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٧١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٩)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ١٠٣).
قال الواحدي: (﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ أي: ويرى رُكوعَك وسُجودَك وقيامَك مع المصَلِّينَ في الجماعة. والمعنى: يراك إذا صَلَّيتَ وحْدَك، ويراك إذا صلَّيتَ في الجماعةِ راكعًا وساجِدًا وقائِمًا، هذا قَولُ أكثَرِ المفسِّرينَ). ((الوسيط)) (٣/ ٣٦٥).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١١٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٧٠)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٦٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٧١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٩). =

الفَوائِدُ التَّربويَّةُ:

١- في قَولِه تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ دليلٌ على أنَّه يجبُ على الإنسانِ أنْ يُرشِدَ ويَعِظَ الأقربَ منه فالأقربَ، وهو مَسؤولٌ سؤالًا مُباشِرًا بالنِّسبةِ إلى أهلِه[١].

٢- قال الله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هذه وظيفةُ المسلم مع إخوانِه؛ أنْ يكونَ هَيِّنًا لَيِّنًا بالقَولِ وبالفِعلِ؛ لأنَّ هذا ممَّا يُوجِبُ المودَّةَ والأُلفةَ بينَ النَّاسِ، وهذه الأُلفةُ والمودَّةُ أمرٌ مطلوبٌ للشَّرعِ؛ ولهذا نهَى النبيُّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ عن كُلِّ ما يُوجِبُ العداوةَ والبَغضاءَ، مِثلُ البَيعِ على بَيعِ المُسلِمِ، والسَّوْمِ على سَومِ المُسلِمِ[٢]، وغيرِ ذلك ممَّا هو معروفٌ لكثيرٍ من النَّاسِ[٣].

٣- في قَولِه تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أنَّ هذه أخلاقُه صلَّى الله عليه وسلَّمَ، أكمَلُ الأخلاقِ التي يحصُلُ بها مِن المصالحِ العظيمةِ، ودفْعِ المَضَارِّ ما هو مُشاهَدٌ، فهل يليقُ بمؤمنٍ باللهِ ورسولِه، ويدَّعي اتِّباعَه

= قال البقاعي: (شمولُ العلمِ يستلزمُ تمامَ القدرةِ، فصار كأنَّه قال: إنَّه السميعُ العليمُ البصيرُ القديرُ؛ تثبيتًا للمتوكِّلِ عليه). ((نظم الدرر)) (١٤/ ١١٠، ١١١).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٣٠٥).

(٢) يُنظر ما أخرجه البخاري (٢١٣٩)، ومسلم (١٤١٢) من حديث عبد الله بن عُمرَ رضي الله عنهما. وما أخرجه البخاري (٢٧٢٧)، ومسلم (١٤٠٨/ ٣٨) و(١٤١٣) من حديث أبي هريرةَ رضي الله عنه.
والسَّومُ صورتُه: أن يأخُذَ شيئًا ليشتريَه، فيقولَ له: رُدَّه لأبيعَك خيرًا منه بثمنِه أو مِثلَه بأرخَصَ، أو يقولَ للمالكِ: استرِدَّه لأشتريَه منك بأكثَرَ، ومحلُّه بعدَ استقرارِ الثمنِ، وركونِ أحدِهما إلى الآخَرِ. يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (٤/ ٣٥٣).

(٣) يُنظر: ((شرح رياض الصالحين)) لابن عثيمين (٢/ ٥٤٤).

والاقتِداءَ به أنْ يكونَ كَلًّا على المُسلمينَ، شَرِسَ الأخلاقِ، شديدَ الشَّكيمةِ عليهم، غليظَ القلبِ، فَظَّ القَولِ فظيعَه؟!

وإنْ رأى منهم معصيةً أو سوءَ أدبٍ هَجَرَهم ومقَتَهم وأبغَضَهم، لا لِينَ عندَه، ولا أدبَ لديه ولا توفيقَ! قد حَصَّلَ مِن هذه المعاملةِ مِن المفاسدِ وتعطيلِ المصالحِ ما حَصَّلَ، ومع ذلك تجدُه محتَقِرًا لِمَن اتَّصفَ بصفاتِ الرَّسولِ الكريمِ، وقد رماه بالنِّفاقِ والمُداهَنةِ، وقد كمَّل نفْسَه ورَفَعَها، وأُعجِبَ بعمَلِه، فهل هذا إلَّا مِن جهْلِه وتزيينِ الشَّيطانِ وخَدْعِه له[1]؟!

٤- في قَولِه تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ إرشادٌ إلى ألَّا تتعالى على المؤمنينَ، ولا ترتَفِعَ في الجوِّ، بل اخفِضِ الجَناحَ، حتى وإنْ كنتَ تستطيعُ أنْ تطيرَ في الجوِّ، فاخفِضْ جَناحَك لِمَن اتَّبَعك من المؤمنينَ، وأمَّا مَن خالَفَك وعصاك فأقِمْ عليه العُقوبةَ اللائقةَ به؛ لأنَّ اللهَ تعالى لم يَقُلْ: «اخفِضْ جناحَك لكلِّ أَحَدٍ»، بل قال: ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[2].

٥- أعظَمُ مُساعدٍ للعبدِ على القيامِ بما أُمِرَ به: الاعتِمادُ على ربِّه، والاستِعانةُ بمولاهُ على توفيقِه للقيامِ بالمأمورِ؛ فلذلك أمَرَ اللهُ تعالى بالتوكُّلِ عليه، فقال: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾[3].

٦- قال الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ * ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ * إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾، فاستِحضارُ العبدِ رُؤيةَ اللهِ له في جَميعِ أحوالِه، وسَمْعَه لكُلِّ ما ينطِقُ به، وعِلمَه بما ينطوي عليه قَلبُه مِن الهَمِّ والعَزمِ والنيَّاتِ:

(١) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٩).
(٢) يُنظر: ((شرح رياض الصالحين)) لابن عثيمين (٣/ ٦٢٨).
(٣) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٩).

ممَّا يُعينُه على مَنزِلةِ الإحسانِ(١).

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:

١- في قَولِه تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ دَليلٌ على أنَّ القرآنَ تَفِرُّ منه الشَّياطينُ، وأنَّه لا يمكِنُ أنْ تَقرَبَه، وقد أخبَرَ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم في بعضِ الآياتِ أنَّها تَطْرُدُ الشَّياطينَ، كما في (البَقَرةِ) وفي (آيةِ الكرسيِّ) وما أشبَهَ ذلك(٢).

٢- في قَولِه تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ إشارةٌ إلى أنَّ الإنسانَ كلَّما انقادَ للشَّيطانِ ابتعدَ عن فَهمِ القُرآنِ ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾؛ لأنَّهم شياطينُ، فمَن كان شَيطانًا -والشَّيطانُ مِن بني آدمَ هو الذي يتلقَّى ما تأمُرُه الشَّياطينُ به- فإنَّه يُعزَلُ أيضًا عن فَهمِ القُرآنِ(٣).

٣- قولُه تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ في هذا إبطالٌ للكهانةِ مِن أصْلِها(٤).

٤- في قَولِه تعالى: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ لم يَقُلْ: «مُعذَّبًا، أو ستُعَذَّب»؛ إشارةً إلى أنَّ المُشرِكين الكُفَّارَ كثيرون، والذي يدعو مع اللهِ إلهًا آخَرَ يكونُ منهم(٥).

٥- السِّرُّ في الأمرِ بإنذارِ الأقربينَ أوَّلًا في قَولِه تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ أنَّ الحُجَّةَ إذا قامتْ عليهم تَعَدَّتْ إلى غيرِهم، وإلَّا فكانوا عِلَّةً للأبعَدينَ في الامتِناعِ، وأيضًا ألَّا يأخُذَه ما يأخذُ القَريبَ للقَريبِ مِن العَطفِ

(١) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٩).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٣٠١).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٠).
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٣٠٣).

والرأفةِ، فيُحابيَهم في الدَّعوةِ والتَّخويفِ؛ فلذلك نُصَّ له على إنذارِهم[1]، وإنْ كان مأمورًا بإنذارِ النَّاسِ كافَّةً، كما قال: ﴿أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ [يونس: ٢]؛ لأنَّ في إنذارِهم -وهم عشيرتُه- عدَمَ مُحاباةٍ ولُطفٍ بهم، وأنَّهم والنَّاسَ في ذلك شرَعٌ واحدٌ[2] في التَّخويفِ والإنذارِ، فإذا كانتِ القرابةُ قد خُوِّفوا وأُنْذِروا مع ما يَلْحقُ الإنسانَ في حقِّهم مِن الرَّأفةِ؛ كان غيرُهم في ذلك أوكَدَ وأدْخَلَ. أو لأنَّ البُداءةَ تكونُ بمَن يَلِيه ثمَّ مَن بعْدَه، كما قال: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾[3] [التوبة: ١٢٣].

٦- في قَولِه تعالى: ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ دَليلٌ على أنَّ تحقيقَ الإيمانِ إنَّما يكونُ في اتِّباعِ الرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم؛ لأنه لَمَّا قال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ﴾، فهو إذا أنذَرَ إمَّا أنْ يُتَّبعَ وإمَّا ألَّا يُتَّبعَ[4].

٧- قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ هذا يدُلُّ على أنَّ كَونَه سُبحانَه سَميعًا أمرٌ مُغايرٌ لِعلْمِه بالمَسموعاتِ، وإلَّا لكان لفْظُ العليمِ مفيدًا فائدتَه[5]!

بلاغةُ الآياتِ:

١- قولُه تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ ردٌّ لِما زعَمَه الكفَرةُ في حقِّ القرآنِ الكريمِ مِن أنَّه مِن قَبيلِ ما يُلقيهِ الشَّيطانُ على الكَهنةِ، بعْدَ تحقيقِ الحقِّ ببَيانِ أنَّه نزَلَ به الرُّوحُ الأمينُ؛ فقولُه: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ عطْفٌ على جُملةِ ﴿وَإِنَّهُۥ

---

(١) يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (٨/ ٥٠٣).

(٢) أي: مُتساوونَ. يُنظر: ((تاج العروس)) للزبيدي (٢١/ ٢٦٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٥١)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٩٦، ١٩٧)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٣٠٦).

(٥) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥٣٧).

﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢]، وما بيْنَهما اعتراضٌ، استدعاهُ تَناسبُ المعاني، وأخْذُ بعضِها بحُجَزِ بَعضٍ؛ تفنُّنًا في الغرَضِ، وهذا رَدٌّ على قولِهم في النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: هو كاهنٌ، وزعْمِهم أنَّ الَّذي يأْتيه شيطانٌ[١].

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾

- مفعولُ ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ محذوفٌ، أي: ما يَستطيعونَهُ[٢]؛ ولعلَّ ذلك لِرعايةِ الفاصِلةِ.

٣- قولُه تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ استِئنافٌ؛ فكان كالفَذْلَكةِ[٣] لِمَا قبْلَه، وهو بعُمومِه يَتنزَّلُ مَنزلةَ التَّذييلِ[٤].

- وأُعِيدَت الضَّمائرُ بصِيغةِ العُقلاءِ ﴿لَهُمْ.. يَسْتَطِيعُونَ.. إِنَّهُمْ.. لَمَعْزُولُونَ﴾ بعْدَ أنْ أُضمِرَ لهم بضَميرِ غيرِ العقلاءِ في قولِه: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ﴾؛ اعتبارًا بمُلابسةِ ذلك للكُهَّانِ[٥].

- وما أحسَنَ ما ترتَّبَ نَفْيُ هذه الجُملِ ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ * وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٨، ١٩٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٩).

(٣) الفَذْلكة: مِن فَذْلَكَ حِسابَه فَذْلَكَةً، أي: أَنْهاهُ وفَرَغَ مِنْه، وذكَر مُجمَلَ ما فُصِّل أولًا وخُلاصتَه. و(الفَذْلَكةُ) كلمةٌ منحوتةٌ كـ (البَسملة) و (الحوقلة)، مِن قولِهم: (فذَلِكَ كذَا وكذَا عددًا). ويُرادُ بالفَذْلَكة: النتيجةُ لِمَا سبَق مِن الكلام، والتفريعُ عليه، ومنها فَذْلَكَةُ الحساب، أي: مُجمَلُ تفاصيله، وإنهاؤُه، والفراغُ منه، كقولِه تعالَى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ بعْدَ قولِه: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩٦]. يُنظر: ((تاج العروس)) للزبيدي (٢٧/ ٢٩٣)، ((كناشة النوادر)) لعبد السلام هارون (ص: ١٧)، ((مفاتيح التفسير)) لأحمد سعد الخطيب (ص: ٦٣٨، ٦٣٩).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩٩، ٢٠٠).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ١٩٩).

وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾؛ حيثُ نَفى أوَّلًا تَنزيلَ الشَّياطينِ به، والنَّفيُ في الغالبِ يكونُ في المُمكنِ، وإنْ كان هنا لا يُمكِنُ مِن الشَّياطينِ التَّنزُّلُ بالقرآنِ، ثمَّ نفَى انبغاءَ ذلك والصَّلاحيَّةَ، أي: ولو فُرِضَ الإمكانُ لم يَكونوا أهْلًا له، ثمَّ نفَى قُدرتَهم على ذلك، وأنَّه مُستحيلٌ في حقِّهم التَّنزُّلُ به؛ فارْتَقى مِن نفْيِ الإمكانِ إلى نفْيِ الصَّلاحيَّةِ، إلى نفْيِ القُدرةِ والاستطاعةِ، وذلك مُبالَغةٌ مُترتِّبةٌ في نَفْيِ تَنزيلِهم به، ثمَّ علَّلَ انتفاءَ ذلك عن استماعِ كلامِ أهلِ السَّماءِ: بأنَّهم مَرْجومون بالشُّهبِ(١).

٤- قولُه تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ فيه تَوجيهُ الخِطابِ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، مع ظُهورِ استحالةِ صُدورِ المُنْهَى عنه عنه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؛ تَهييجًا وحثًّا على ازديادِ الإخلاصِ، ولُطفًا لسائرِ المُكلَّفينَ؛ ببَيانِ أنَّ الإشراكَ مِن القُبْحِ والسُّوءِ بحيث يُنْهَى عنه مَن لا يُمكِنُ صُدورُه عنه، فكيف بمَن عداهُ(٢)؟! ولأنَّه المُبلِّغُ عن اللهِ تعالى، فلِلاهتمامِ بهذا النَّهيِ وقَعَ تَوجيهُه إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، مع تحقُّقِ أنَّه مُنْتَهٍ عن ذلك؛ فتعيَّنَ أنْ يكونَ النَّهيُ للَّذين هم مُتلبِّسونَ بالإشراكِ، والمقصودُ مِن مِثلِ ذلك الخِطابِ غيرُه ممَّن يَبلُغُه الخِطابُ؛ فالمعنى: فلا تَدْعوا مع اللهِ إلهًا آخَرَ، فتَكونوا من المُعذَّبينَ. وفي هذا تعريضٌ بالمُشركينَ أنَّهم سيُعذَّبون؛ للعِلْمِ بأنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وأصحابَه غيرُ مُشركينَ. وقيل: هو خِطابٌ لغيرِ مُعيَّنٍ؛ فيَعُمُّ كلَّ مَن يَسمعُ هذا الكلامَ(٣).

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٩٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٣٩)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٥١)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٠).

٥- قولُه تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ عطْفٌ على قولِه: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]؛ فهو تَخصيصٌ بعد تَعميمٍ؛ للاهتمامِ بهذا الخاصِّ. ووجْهُ الاهتمامِ أنَّهم أَوْلَى النَّاسِ بقَبولِ نُصحِه، وتعزيزِ جانبِه، ولئلَّا يَسبقَ إلى أذهانِهم أنَّ ما يُلْقِيه الرَّسولُ مِن الغِلظةِ في الإنذارِ وأهوالِ الوعيدِ لا يقَعُ عليهم؛ لأنَّهم قرابةُ هذا المُنذِرِ وخاصَّتُه. وأنَّ فيه تَعريضًا بقلَّةِ رَعْيِ كثيرٍ منهم حقَّ القرابةِ؛ إذ آذاهُ كثيرٌ منهم وعصَوهُ، مثلُ أبي لَهبٍ؛ فلا يَحْسَبوا أنَّهم ناجونَ في الحالتينِ، وأنْ يَعلَموا أنَّهم لا يُكتَفى مِن مُؤمنِهم بإيمانِه حتَّى يضُمَّ إليه العملَ الصَّالحَ، فهذا ممَّا يَدخلُ في النِّذارةِ. والعشيرةُ: هم الأدْنونَ مِن القبيلةِ، فوصْفُ الأقربينَ تأكيدٌ لمعنى العشيرةِ، واجتلابٌ لقُلوبِهم إلى إجابةِ ما دَعاهم إليه، وتعريضٌ بأهلِ الإدانةِ منهم[1].

٦- قولُه تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مُعترِضٌ بيْنَ الجُملتينِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ و: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾؛ ابتدارًا لكرامةِ المؤمنينَ قبْلَ الأمْرِ بالتَّبرُّؤِ من الَّذين لا يُؤمِنون -على أحدِ القولينِ في المرادِ بقولِه: ﴿عَصَوْكَ﴾-، وبعْدَ الأمْرِ بالإنذارِ الَّذي لا يَخْلو من وقْعٍ أليمٍ في النُّفوسِ[2].

- قولُه: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ كِنايةٌ عن التَّواضُعِ[3].

- قولُه: ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ المُتَّبِعون للرَّسولِ هم المُؤمِنونَ، والمُؤمِنون هم المُتبِعون للرَّسولِ؛ فوجْهُ تَسميتِهم قبْلَ الدُّخولِ في الإيمانِ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٠- ٢٠٢).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ٢٠٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٤٠)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٩٧).

(مؤمنين): مُشارفَتُهم ذلك، أو أنْ يُريدَ بالمُؤمنينَ المُصدِّقينَ بألْسِنَتِهم، وهم صِنفانِ: صِنفٌ صَدَّق واتَّبَع رسولَ اللهِ فيما جاء به، وصِنْفٌ ما وُجِدَ منه إلَّا التَّصديقُ فحسْبُ، ثمَّ إمَّا أنْ يَكونوا مُنافقينَ أو فاسقينَ، والمُنافِقُ والفاسقُ لا يُخفَضُ لهما الجَناحُ؛ فـ(مِن) على الأوَّلِ: بَيانٌ. وعلى الثَّاني: تَبعيضٌ، ومَوقِعُه موقعُ البدلِ ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾، والتَّقديرُ: واخفِضْ جَناحَك لبعضِ المؤمنينَ. والَّذي هو أجْرى على أفانينِ البلاغةِ: أنْ يُحمَلَ الكلامُ على أُسلوبِ وضْعِ المُظهَرِ موضِعَ المُضمرِ، وأنَّ الأصلَ: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ * وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ (منهم)؛ فعُدِلَ إلى ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ لِيَعُمَّ، ولِيُؤذِنَ أنَّ صِفةَ الإيمانِ هي الَّتي تَستحِقُّ أنْ يُكرَمَ صاحبُها، ويُتواضَعَ لأجْلِها لِمَن اتَّصَف بها، سواءٌ كان مِن عَشيرتك أو مِن غَيرِهم[1]. وقيل: ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بيانٌ لـ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾؛ فإنَّ المُرادَ المُتابَعةُ في الدِّينِ، وهي الإيمانُ. والغرضُ مِن هذا البَيانِ: التَّنويهُ بشأْنِ الإيمانِ، كأنَّه قيلَ: واخفِضْ جَناحَك لهم؛ لأجْلِ إيمانِهم. وجَبْرٌ لخاطِرِ المؤمنينَ مِن قَرابتِه[2].

- وأيضًا في قولِه: ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ لعلَّه احترَزَ بالتَّعبيرِ بصِيغةِ الافتعالِ عن مِثْلِ أبي طالبٍ ممَّن لم يُؤمِنْ، أو آمَن ظاهرًا وكان منافقًا، أو ضعيفًا بالإيمانِ فاسقًا؛ وحُقِّقَ المُرادُ بقولِه: ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، أي: الَّذين صار الإيمانُ لهم صِفةً راسخةً، سواءٌ كانوا مِن الأقربينَ أو الأبعدينَ[3].

٧- قولُه تعالى: ﴿فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ تفريعٌ على جُملةِ ﴿وَأَنذِرۡ

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٤١)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٥١)، ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٤٣٢، ٤٣٣)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٣).

(٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١٠٩).

عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾، أي: فإنْ عصاك عَشيرتُك، فما عليك إلَّا أنْ تَتبرَّأَ مِن عمَلِهم، وإنَّما أُمِرَ بأنْ يقولَ لهم ذلك؛ لِإظهارِ أنَّهم أهْلٌ للتَّبرُّؤِ مِن أعمالِهم، فلا يَقتصِرُ على إضمارِ ذلك في نفْسِه[1].

٨- قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

- ﴿ وَتَوَكَّلۡ ﴾ هو عطْفٌ على جوابِ الشَّرطِ، أي: قُلْ: إنِّي بَرِيءٌ وتوكَّلْ، وعطْفُه على الجوابِ يَقْتضي تَسبُّبَه على الشَّرطِ كتَسبُّبِ الجوابِ، وهو يَستلزِمُ البِدارَ به[2].

- وناسَبَ الوصفُ بالعزيزِ -وهو الَّذي لا يُغالَبُ-، وبالرَّحيمِ -وهو الَّذي يَرحمُك- وهاتانِ الصِّفتانِ هما اللَّتانِ جاءتا في أواخرِ قصصِ هذه السُّورةِ. فالتَّوكُّلُ على مَن هو بهَذينِ الوَصفينِ كافِيه شَرَّ مَن يُبغِضُه مِن هؤلاء وغَيرِهم؛ فهو يَقهَرُ أعداءَك بعِزَّتِه، ويَنصرُك عليهم برَحمتِه[3].

- وعلَّقَ التَّوكُّلَ بالاسمينِ ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ وما تبِعَهُما مِن الوصفِ بالمَوصولِ، وما ذيَّلَ به مِن الإيماءِ إلى أنَّه يُلاحِظُ قولَه ويَعلمُ نِيَّتَه؛ إشارةً إلى أنَّ التَّوكُّلَ على اللهِ يأْتي بما أومَأَتْ إليه هذه الصِّفاتُ ومُستَتبعاتُها بوصْفِ ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾؛ للإشارةِ إلى أنَّه بعِزَّتِه قادرٌ على تغلُّبِه على عدُوِّه الَّذي هو أقْوى منه، وأنَّه برَحمتِه يَعصِمُه منهم. وقد لُوحِظَ هذانِ الاسمانِ غيرَ مرَّةٍ في هذه السُّورةِ لهذا الاعتبارِ[4].

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٣).
(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٩٧).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٤).

- قولُه: ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ لعلَّ السِّرَّ في تَقديم هذا الاسم على الوصفين الأخيرين ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ اقتضاءُ مَقام التَّسلِّي عن المَشاقِّ اللَّاحقةِ مِن القوم إليه؛ لأنَّ قولَه: ﴿وَتَوَكَّلۡ﴾ عطْفٌ على قولِه: ﴿فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾، كأنَّه قِيلَ: فإنْ لم يَنتفِعوا بإنذارِك، ولم يَنجَعْ فيهم وَعْظُك تبرَّأْ منهم، وكِلْ أمْرَك وأمْرَهم إلى العزيزِ الغالبِ القاهرِ، واشتغِلْ بدَعوةِ مَن يَقبَلُ دعوتَك، وبلِّغْ إليهم ما أُنزلَ إليك مِن الرَّحمةِ مِن ربِّك، واخفِضْ جناحَك لهم رَحمةً؛ لأنَّك رَحمةٌ مُهْداةٌ إلى الخلْقِ، وتفرَّغْ لعِبادةِ ربِّك باللَّيلِ والنَّهارِ[1].

٩- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾

- وَصْفُه تعالى بـ ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ مَقصودٌ به لازمُ معناهُ؛ وهو أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بمَحلِّ العِنايةِ منه؛ لأنَّه يَعلمُ توجُّهَه إلى اللهِ ويَقبَلُ ذلك منه، فالمُرادُ مِن قولِه: ﴿يَرَىٰكَ﴾ رُؤيةٌ خاصَّةٌ، وهي رُؤيةُ الإقبالِ والتَّقبُّلِ، كقولِه: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾[2] [الطور: ٤٨].

١٠- قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾

- إنَّما وصَفَ اللهُ تعالى ذاتَه بعلْمِه بحالِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الَّتي بها يَستأهِلُ ولايتَه بعْدَ أنْ عبَّرَ عنه بما يُنبِئُ عن قَهرِ أعدائِه ونصْرِ أوليائِه مِن وصفَيِ العزيزِ الرحيمِ؛ تَحقيقًا للتَّوكُّلِ، وتَوطينًا لقلْبِه عليه[3].

- والقيامُ: الصَّلاةُ في جَوفِ اللَّيلِ، والتَّقلُّبُ في السَّاجدينَ: هو صَلاتُه في

(١) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٤٣٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٥١)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٨).

جماعاتِ المُسلمينَ في مَسجدِه. وهذا يَجمعُ معنى العنايةِ بالمسلمينَ تَبعًا للعِنايةِ برسولِهم، فهذا مِن بَرَكتِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وقد جمَعَها هذا التَّركيبُ العجيبُ الإيجازِ[1].

١١- قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾

- مَوقعُ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ موقعُ التَّعليلِ للأمْرِ بـ﴿قُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٦]، وللأمْرِ بـ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾؛ فصِفةُ (السَّميعِ) مُناسِبةٌ للقولِ، وصِفةُ (العليم) مُناسِبةٌ للتَّوكُّلِ، أي: إنَّه يَسمعُ قولَك ويَعلمُ عزْمَك. وضميرُ الفصلِ ﴿هُوَ﴾ للتَّقويةِ[2].



(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٤).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

الآيات (٢٢١-٢٢٧)

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ
وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ
﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا
وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾.

غريبُ الكَلِمات:

﴿أَفَّاكٍ﴾: أي: كذَّابٍ، والإفْكُ هو أشدُّ الكَذِبِ، وإنَّما سُمِّي إفكًا؛ لأنَّه مصروفٌ عن الحقِّ، والإفكُ: كُلُّ مَصروفٍ عن وجْهِه الذي يحِقُّ أن يكونَ عليه، وأصلُ (أفك): يدُلُّ على قَلبِ الشَّيءِ، وصَرفِه عن جِهتِه[1].

﴿أَثِيمٍ﴾: أي: كثيرِ الإثمِ، مُتجاوِزٍ في الظُّلمِ، وأصلُ (أثم): يدُلُّ على البُطءِ والتأخُّرِ؛ لأنَّ ذا الإثمِ بَطيءٌ عن الخيرِ، متأخِّرٌ عنه[2].

﴿يَهِيمُونَ﴾: أي: يَذهَبون على غيرِ قَصدٍ، كما يذهَبُ الهائمُ على وَجهِه، فيَخوضون في كلِّ نوعٍ مِن الكَلامِ، وأصلُ (هيم): يدُلُّ على عَطَشٍ شديدٍ[3].

﴿مُنقَلَبٍ﴾: أي: مَرجِعٍ ومَعادٍ، وأصلُ (قلب): يدُلُّ على صَرفِ الشَّيءِ عن

---

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٥)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ١١٨)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٧٠)، ((تفسير السمعاني)) (٣/ ٥٠٩)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٢٩٣)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ١٥٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢١/ ٥٣)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٦٠)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٣)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٢٩٣)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٤٢).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣٢١)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٧٦)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٥١٨)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ٢٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٤٨).

وجهٍ إلى وجهٍ[1].

مُشكِلُ الإعرابِ:

قوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾

قولُه: ﴿أَيَّ﴾: مَنصوبٌ على المَصدَرِ، والنَّاصِبُ له ﴿يَنقَلِبُونَ﴾؛ قُدِّمَ عليه لصَدارةِ الاستفهامِ، وهو مُعَلِّقٌ لـ (يعلم)، سادٌّ مَسَدَّ مفعولَيْها، ولا يجوزُ نَصبُ ﴿أَيَّ﴾ بـ (سيعلَمُ)؛ لأنَّ الاستفهامَ لا يعمَلُ فيه ما قبْلَه؛ لأنَّ له صدْرَ الكلامِ[2].

المعنى الإجماليُّ:

يُبيِّنُ الله تعالى أنَّه مِن المحالِ أنْ تتنزَّلَ الشياطينُ على الرسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم، فيقولُ: هل أُخبِرُكم بالذين تتنزَّلُ عليهم الشَّياطينُ؟ تتنَزَّلُ على كُلِّ كذَّابٍ كثيرِ الآثامِ، يَسترِقُ هؤلاء الشَّياطينُ ما يَسمَعونَه في السَّماءِ، ثمَّ يُلقونَه إلى أوليائِهم مِن الكَهَنةِ، وأكثَرُهم كاذِبون فيما يُخبِرونَ به.

ثمَّ يُبطِلُ الله تعالى شبهةً أخرَى مِن شبهاتِهم، وهي زعمُهم أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم شاعرٌ، فيقولُ: والشُّعَراءُ يتَّبِعُهم الغاوُون الضالُّونَ، ألم تَرَ أنَّ هؤلاء الشُّعَراءَ يتكَلَّمون بالباطِلِ في كلِّ وجهٍ مِن أوجُهِ الكلامِ، خائِضينَ حائرينَ لا يَثبُتونَ على حالٍ، وأنَّهم يقولون ما لا يَفعَلونَه في الواقعِ، إلَّا مَن آمَنَ منهم، وعَمِلَ صالِحًا، وذكَرَ اللهَ كثيرًا، وهجا بالحَقِّ مَن ظلَمَ؛ انتصارًا لنَفْسِه وللمُسلمينَ؛ فهؤلاء ليسوا مِن الشُّعراءِ المذمومينَ.

---

(١) يُنظر: ((تفسير الطبري)) (١٧/ ٦٨٣)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ١٧)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٨١)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٧٠٤).

(٢) يُنظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (٤/ ١٠٥)، ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ١٠٧)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٨/ ٥٦٧).

ثمَّ يختمُ الله سبحانَه السورةَ بقولِه متوعِّدًا: وسيعلَمُ الذين ظَلَموا بالشِّركِ والاعتداءِ على النَّاسِ المصيرَ الذي يصيرونَ إليه بعْدَ مَوتِهم.

تَفسيرُ الآياتِ:

﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا بَيَّنَ سُبحانَه وتعالى أنَّ القُرآنَ لا يصِحُّ أنْ يكونَ ممَّا تنَزَّلتْ به الشَّياطينُ؛ أكَّدَ ذلك بأنْ بَيَّنَ أنَّ محمَّدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لا يَصِحُّ أنْ يَتنزَّلوا عليه(١).

وأيضًا لَمَّا سفَّهَ قولَهم في القرآنِ: إنَّه قولُ كاهنٍ، فردَّ عليهم بقولِه: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ [الشعراء: ٢١٠]، وأنَّه لا يَنْبغي للشَّياطينِ، ولا يسْتطيعونَ مِثْلَه، وأنَّهم حِيلَ بيْنَهم وبيْنَ أخبارِ أوليائِهم؛ عاد الكلامُ إلى وصْفِ حالِ كُهَّانِهم؛ لِيُعلَمَ أنَّ الَّذي رَمَوا به القرآنَ لا يَنْبغي أنْ يَلتبِسَ بحالِ أوليائِهم(٢).

وأيضًا لَمَّا بَيَّنَ سُبحانَه أنَّ القرآنَ مُنافٍ لأقوالِ الشياطينِ، وبَيَّنَ أنَّ حالَ النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم وحالَ أتْباعِه مُنافيةٌ لأحوالِهم، وأحوالِ مَن يأتونَه من الكُهَّانِ بما ذَكَره سُبحانَه مِن فِعلِه صلَّى الله عليه وسلَّم وفِعلِ أشياعِه رضيَ اللهُ عنهم مِن الإقبالِ على اللهِ، والإعراضِ عمَّا سِواه، فعُلِمَ أنَّ بيْنَهم وبيْنَهم بَونًا بعيدًا، وفَرقًا كبيرًا شديدًا، وأنَّ حالَ النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم موافِقٌ لحالِ الرُّوحِ الأمينِ النازلِ عليه بالذِّكرِ الحكيمِ- تشوَّقتِ النَّفْسُ إلى معرفةِ أحوالِ إخوانِ الشَّياطينِ، فقال محرِّكًا لِمَن يريدُ ذلك، متمِّمًا لدفعِ اللَّبسِ عن كَونِ القرآنِ مِن عندِ اللهِ(٣):

(١) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٥٢)، ((تفسير الشربيني)) (٣/ ٣٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٥).

(٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١١١).

﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢٢١ ﴾.

أي: هل أُخبِرُكم[١] بصِفةِ الذينَ تتنزَّلُ عليهم الشَّياطينُ[٢]؟

﴿ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٢٢٢ ﴾.

أي: تتنَزَّلُ بكَثرةٍ على كُلِّ كثيرِ الكَذِبِ في أقوالِه، كثيرِ الآثامِ في أفعالِه[٣].

﴿ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ٢٢٣ ﴾.

أي: يَسترِقُ الشَّياطينُ بعضَ ما يَسمَعونَه مِن الملائكةِ في السَّماءِ، فيُلقونَه إلى أوليائِهم مِن الكَهَنةِ الأفَّاكين الآثِمينَ قبْلَ أن يُرجَموا بالشُّهُبِ[٤]، وأكثَرُهم

---

(١) قال ابن جرير: (يقولُ تعالى ذِكرُه: ﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ ﴾ أيُّها النَّاسُ). ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٧٠).
وقال ابنُ كثير: (يقولُ تعالى مخاطِبًا لِمن زعَم مِن المشركين أنَّ ما جاء به الرسولُ ليس حقًّا، وأنَّه شيءٌ افتعله مِن تِلقاءِ نفْسِه، أو أنَّه أتاه به رَئِيٌّ مِن الجنِّ، فنزَّه اللهُ سبحانه جَنابَ رسولِه عن قولِهم وافترائِهم، ونبَّه أنَّ ما جاء به إنَّما هو الحقُّ مِن عندِ الله، وأنَّه تنزيلُه ووحْيُه، نزَل به ملَكٌ كريمٌ أمينٌ عظيمٌ، وأنَّه ليس مِن قَبيلِ الشياطينِ؛ فإنَّهم ليس لهم رغبةٌ في مثلِ هذا القرآنِ العظيمِ، وإنَّما يَنزلون على مَن يُشاكلُهم ويشابهُهم مِن الكهَّانِ الكذبةِ). ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٧٢).
ويُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٧٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٧٢)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٧٠)، ((تفسير السمعاني)) (٤/ ٧١)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٢/ ٥١)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٧٢)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١١٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٦).
قال ابن عاشور: (﴿ كُلِّ ﴾ هنا مُستعمَلةٌ في معنى التكثيرِ، أي: على كثيرٍ مِنَ الأفَّاكينَ). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٦).

(٤) قال الشوكاني: (الشَّياطينُ كانت تَسترِقُ السَّمعَ ثمَّ يأتون إليهم فيُلقونَه إليهم، وهو معنى قولِه: ﴿ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ ﴾ أي: ما يَسمَعونَه ممَّا يَسترِقونَه، فتكونُ جملةُ ﴿ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ ﴾ على هذا راجعةً إلى الشياطينِ في محلِّ نصبٍ على الحالِ، أي: حالَ كَونِ الشياطينِ مُلقينَ السمعَ، أي: ما =

كاذِبونَ فيما يُخبِرونَ به مِن الغُيوبِ[١].

= يَسمَعونه مِن الملأِ الأعلى إلى الكُهَّانِ. ويجوزُ أن يكونَ المعنى: إنَّ الشياطينَ يُلْقون السَّمعَ: أي: يُنصِتونَ إلى الملأِ الأعلى لِيَسترِقوا منهم شيئًا، ويكونَ المرادُ بالسَّمعِ على الوجهِ الأوَّلِ المسموعَ، وعلى الوجهِ الثاني: نفْسَ حاسَّةِ السَّمعِ). ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٣٩).

ممَّن اختار أنَّ المعنى: يُلْقون ما سمِعوه مِن الملائكةِ ممَّا استَرَقوا سَمْعَه مِن السماءِ إلى الكَهَنةِ: الفرَّاءُ، وابنُ جرير، والثعلبي، والواحدي، والبغوي، وابن الجوزي، والعليمي، والشوكاني، والسعدي. يُنظر: ((معاني القرآن)) للفراء (٢/ ٢٨٥)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٧١)، ((تفسير الثعلبي)) (٧/ ١٨٤)، ((البسيط)) للواحدي (١٧/ ١٤٤)، ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٨٤)، ((تفسير ابن الجوزي)) (٣/ ٣٥٠)، ((تفسير العليمي)) (٥/ ١٠٧)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٣٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٩).

وقيل: المعنى: تُلْقي الشياطينُ بآذانِهم إلى السمعِ في السماءِ لكلامِ الملائكةِ. وممَّن اختاره: مقاتلُ بن سليمان، والسمرقنديُّ. يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٨٢)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٧٠).

وقيل: المعنى: يُلْقي الأفَّاكون السمعَ إلى الشياطينِ فيَتلَقَّوْن منهم ظُنونًا وأماراتٍ لنُقصانِ عِلمِهم، فيَضُمُّون إليها على حسَبِ تخيُّلاتِهم خرافاتٍ وأشياءَ لا يُطابِقُ أكثرُها الواقعَ. وممَّن اختار هذا المعنى في الجملةِ: البيضاويُّ، وأبو السعود، والقاسمي. يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٥٢)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٨)، ((تفسير القاسمي)) (٧/ ٤٧٨).

(١) يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٨٢)، ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٧١، ٦٧٢)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٦٥)، ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٨٤)، ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٤٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٧٢)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١١٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٩).

قيل: الضَّميرُ في قَولِه تعالى: ﴿ يُلْقُونَ ﴾، وقَولِه تعالى: ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ ﴾ يعودُ إلى الشياطينِ. وممَّن قال بذلك: مقاتلُ بن سليمان، وابنُ كثير، والسعدي. يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٢٨٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٧٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٩٩).

وقيل: الضَّميرُ في قَولِه تعالى: ﴿ يُلْقُونَ ﴾: وقولِه: ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ ﴾ يعودُ إلى كلِّ أفَّاكٍ أثيمٍ. وممَّن قال بذلك: البيضاويُّ، وابنُ عاشور. يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٥٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٦).

وقيل: الضَّميرُ في قَولِه تعالى: ﴿ يُلْقُونَ ﴾: يعودُ إلى الشياطينِ، وفي قَولِه تعالى: ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ ﴾ يعودُ إلى أوليائِهم مِن الكَهَنةِ الأفَّاكينَ الآثِمين. وممَّن قال بذلك: ابنُ جرير، والسمرقنديُّ، =

كما قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [الحجر: ١٨].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضيَ الله عنه، قال: إنَّ نبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إذا قضى اللهُ الأمرَ في السَّماءِ ضَرَبت الملائِكةُ بأجنِحَتِها خُضْعانًا لِقَولِه، كأنَّه سِلسلةٌ على صَفوانٍ[١]، فإذا فُزِّعَ[٢] عن قُلوبِهم قالوا: ماذا قال ربُّكم؟ قالوا للَّذي قال: الحَقَّ، وهو العَليُّ الكبيرُ، فيَسمَعُها مُسترِقُ السَّمعِ، ومُسترِقُ السَّمعِ هكذا بعضُه فوقَ بَعضٍ -ووصَفَ سُفْيانُ بكَفِّه فحَرَفَها وبَدَّد بيْنَ أصابِعِه- فيسمَعُ الكَلِمةَ فيُلْقيها إلى مَن تحتَه، ثمَّ يُلقيها الآخَرُ إلى مَن تحتَه، حتَّى يُلقيَها على لسانِ الساحِرِ أو الكاهِنِ، فرُبَّما أدرَك الشِّهابُ قبْلَ أن يُلقِيَها، ورُبَّما ألْقاها قبْلَ أن يُدرِكَه، فيَكذِبُ معها مِئةَ كَذْبةٍ، فيُقالُ: أليس قد قال لنا يومَ كذا وكذا: كذا وكذا؟! فيُصَدَّقُ بتلك الكَلِمةِ التي سَمِعَ مِنَ السَّماءِ))[٣].

وعن عائشةَ رَضيَ اللهُ عنها، قالت: ((سَأل أُناسٌ رَسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن الكُهَّانِ، فقال لهم رَسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ليسُوا بشَيءٍ، قالوا: يا رَسولَ اللهِ، فإنَّهم يحَدِّثونَ أحيانًا بالشَّيءِ يكونُ حَقًّا! فقال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: تلك الكَلِمةُ مِنَ الحَقِّ يَخطَفُها الجِنِّيُّ، فيَقُرُّها في أُذُنِ ولِيِّه قَرَّ الدَّجاجةِ[٤]، فيَخلِطون فيها أكثَرَ من مِئةِ كَذْبةٍ))[٥].

= والزمخشري، والخازن. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٧٢)، ((تفسير السمرقندي)) (٢/ ٥٧٠)، ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٤٢)، ((تفسير الخازن)) (٣/ ٣٣٤).

(١) صَفوانٍ: هو الحَجَرُ الأملَسُ. يُنظر: ((شرح القسطلاني)) (٧/ ١٩٢).

(٢) فُزِّعَ أي: أُزيلَ الخَوفُ. يُنظر: ((شرح القسطلاني)) (٧/ ١٩٢).

(٣) رواه البخاري (٤٨٠٠).

(٤) القَرُّ: ترديدُك الكلامَ في أذُنِ المخاطَبِ حتى يفهَمَه، وقَرُّ الدجاجةِ: صَوتُها إذا قطَّعَتْه. يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (٤/ ٣٩).

(٥) رواه البخاري (٦٢١٣) واللفظ له، ومسلم (٢٢٢٨).

وعن عائشةَ رَضيَ اللهُ عنها، أنَّها سَمِعَت رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ: ((إنَّ الملائكةَ تَنزِلُ في العَنانِ -وهو السَّحابُ-، فتذكُرُ الأمرَ قُضِيَ في السَّماءِ، فتَستَرِقُ الشَّياطينُ السَّمعَ فتَسمَعُه، فتُوحيه إلى الكُهَّانِ، فيَكذِبون معها مِئةَ كَذبةٍ مِن عندِ أنفُسِهم))[١].

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا قال الكُفَّارُ: لِمَ لا يجوزُ أن يُقالَ: إنَّ الشَّياطينَ تَنزِلُ بالقُرآنِ على محمَّدٍ، كما أنَّهم يَنزِلون بالكَهانةِ على الكَهَنةِ، وبالشِّعرِ على الشُّعَراءِ؟! ثمَّ إنَّه سُبحانَه فَرَّق بيْنَ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وبيْنَ الكَهَنةِ؛ فذكَرَ هاهنا ما يدُلُّ على الفَرقِ بيْنَه عليه السَّلامُ وبينَ الشُّعَراءِ[٢].

وأيضًا لَمَّا نزَّه اللهُ تعالى نبيَّه محمَّدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن نُزولِ الشَّياطينِ عليه؛ برَّأه أيضًا مِن الشِّعرِ، فقال[٣]:

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾.

أي: والشُّعَراءُ يتَّبِعُهم غُواةُ الإنسِ والجِنِّ، الضَّالُّونَ المتَّبِعون أهواءَهم وشَهَواتِهم، وليس القرآنُ شِعرًا، ولا محمَّدٌ بشاعرٍ. وأتباعُه هم المُهتَدون[٤].

---

(١) رواه البخاري (٣٢١٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥٣٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٦٠٠).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٧٣، ٦٧٦)، ((أحكام القرآن)) لابن العربي (٣/ ٤٦٣)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٥٢)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (١٢/ ١٨، ١٩ و٢٨/ ١٦٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٧٣، ١٧٤)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٤٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٨، ٢١٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٣١١).=

كما قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩].

وقال سُبحانَه: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۞ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۞ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤١ - ٤٣].

وعن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضيَ اللهُ عنه، قال: بَيْنَا نحن نسيرُ مع رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بالعَرْجِ[١] إذْ عَرَضَ شاعِرٌ يُنشِدُ، فقال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((خُذوا الشَّيطانَ أو أمسِكوا الشَّيطانَ؛ لَأَنْ يَمتلِئَ جَوفُ رجُلٍ قَيْحًا[٢] خيرٌ له مِن أن يمتلِئَ شِعرًا))[٣].

وعن أبي هُريرةَ رَضيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((لَأَنْ يَمتلِئَ جَوفُ الرَّجُلِ قَيحًا يَريه[٤] خَيرٌ مِن أنْ يَمتلِئَ شِعرًا))[٥].

= قال ابن عاشور: (الغاوي: المتَّصِفُ بالغَيِّ والغَوايةِ، وهي الضَّلالةُ الشَّديدةُ، أي: يَتَّبِعُهم أهلُ الضَّلالةِ والبِطالةِ الرَّاغبون في الفِسقِ والأذى). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٨، ٢١٠).

وقال ابن عطية: (كلُّ شاعرٍ في الإسلام يهجو ويمدَحُ مِن غيرِ حَقٍّ، ولا يرتَدِعُ عن قولٍ دَنيءٍ؛ فهم داخِلون في هذه الآيةِ). ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٤٧).

وقال ابن عبد البر: (لا يُنكِرُ الشِّعرَ الحَسَنَ أحَدٌ مِن أُولي العِلمِ ولا مِن أُولي النُّهَى... وليس أحدٌ مِن كبارِ الصَّحابةِ وأهلِ العِلمِ ومَوضِعِ القُدوةِ إلَّا وقد قال الشِّعرَ وتمثَّلَ به، أو سَمِعَه فرَضِيَه، وذلك ما كان حِكمةً أو مُباحًا مِن القَولِ، ولم يكُنْ فيه فُحشٌ ولا خَنًا، ولا لِمُسلم أذًى، فإنْ كان ذلك فهو والمنثورُ مِن الكلام سَواءٌ؛ لا يحِلُّ سَماعُه ولا قَولُه). ((التمهيد)) (٢٢/ ١٩٤).

(١) العَرْجُ: قريةٌ قَريبةٌ مِن المدينةِ. يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (١٥/ ١٥).

(٢) قَيحًا: أي: صديدًا ودَمًا. يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) لعلي القاري (٧/ ٣٠١٧).

(٣) رواه مسلم (٢٢٥٩).

(٤) يريه: أي: يأكُلُ جَوفَه ويُفسِدُه. يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (١٥/ ١٤).

(٥) رواه البخاري (٦١٥٥)، ومسلم (٢٢٥٧) واللَّفظُ له.

قال القرطبي: (هذا الحديثُ أحسَنُ ما قيل في تأويلِه: إنَّه الذي قد غَلَب عليه الشِّعرُ، وامتلأ =

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾.

أي: ألم ترَ أنَّ الشُّعَراءَ يتكَلَّمونَ بالباطِلِ في كُلِّ لَغوٍ ووَجهٍ مِن أوجُهِ القَولِ؛ كالمَدحِ والهِجاءِ، والرِّثاءِ والفَخرِ والغَزَلِ، يَمضُون فيه خائِضينَ حائرينَ، لا يَثبُتونَ على حالٍ[1]؟!

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾.

أي: وأنَّ الشُّعَراءَ يقولون الكَذِبَ، فيتكَلَّمونَ بما لا يَفعَلونَه في الواقِعِ[2].

= صدرُه منه دونَ علم سِواه، ولا شيءٍ من الذِّكرِ، ممَّن يخوضُ به في الباطِلِ، ويَسلُكُ به مسالكَ لا تُحمَدُ له، كالمُكثِرِ من اللَّغَطِ والهَذْرِ والغِيبةِ وقَبيحِ القولِ، ومَن كان الغالِبُ عليه الشِّعرَ لزِمَتْه هذه الأوصافُ المذمومةُ الدنيَّةُ؛ لحُكمِ العادةِ الأدبيَّةِ، وهذا المعنى هو الذي أشار إليه البخاريُّ في صَحيحِه لَمَّا بوَّبَ على هذا الحديثِ: بابُ ما يُكرَهُ أن يكون الغالِبُ على الإنسانِ الشِّعرَ). ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٥١).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٧٦)، ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٨٥)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٥٢)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٢٨/ ١٦٣)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١١٤)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٤٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٦٠٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٣١٢).

قال ابن جرير: (هذا مَثَلٌ ضَرَبه الله لهم في افتِنانِهم في الوجوهِ التي يفتنُّونَ فيها بغيرِ حَقٍّ، فيَمدَحون بالباطِلِ قومًا، ويهجُون آخَرينَ كذلك بالكَذِبِ والزُّورِ). ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٧٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٧٧)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٥٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٧٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٦٠٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٩).

قال القرطبي: (يقولُ: أكثَرُهم يكذِبونَ، أي: يدُلُّون بكلامِهم على الكرَمِ والخيرِ، ولا يفعلونَه). ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٥٢).

وقال ابنُ كثيرٍ: (قال عليُّ بنُ أبي طَلْحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ: «أكثرُ قولِهم يَكذِبون فيه». وهذا الذي قاله ابنُ عباسٍ رضي الله عنه هو الواقعُ في نفْسِ الأمرِ؛ فإنَّ الشعراءَ يتبجَّحون بأقوالٍ وأفعالٍ لم تَصدُرْ منهم ولا عنهم، فيتكَثَّرونَ بما ليس لهم). ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٧٤).

وقال السعدي: (هذا وصْفُ الشعراءِ؛ أنَّهم تخالِفُ أقوالُهم أفعالَهم، فإذا سمِعتَ الشاعرَ =

كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾.

أي: إلَّا[1] الشُّعَراءَ المؤمِنينَ الذين عَمِلوا الأعمالَ الصَّالِحةَ، وذكَروا اللهَ ذِكرًا كَثيرًا[2].

= يتغزَّلُ بالغزلِ الرقيق، قلتَ: هذا أشدُّ الناسِ غرامًا، وقلبُه فارغٌ مِن ذاك، وإذا سمعتَه يمدحُ أو يذمُّ، قلتَ: هذا صدقٌ، وهو كذبٌ، وتارةً يتمدَّحُ بأفعالٍ لم يَفعلْها، وتُروكٍ لم يَترُكْها، وكرَمٍ لم يحُمْ حوْلَ ساحتِه، وشجاعةٍ يعلو بها على الفُرسانِ، وتراه أجبَنَ مِن كلِّ جبانٍ، هذا وصْفُهم). ((تفسير السعدي)) (ص: ٦٠٠).

وقال ابنُ عاشور: (في هذا إبداءٌ للبَونِ الشاسع بيْنَ حالِ الشُّعراء، وحالِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم الذي كان لا يقولُ إلَّا حقًّا، ولا يصانعُ، ولا يأتي بما يُضَلِّلُ الأفهامَ). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢١٠).

(١) قال ابن عاشور: (بهذا الاستثناءِ تعيَّن أنَّ المذمومينَ هم شُعَراءُ المُشرِكينَ الذين شغَلَهم الشِّعرُ عن سَماعِ القرآنِ، والدُّخولِ في الإسلامِ). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢١٠). ويُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٧٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٧٨، ٦٨٠)، ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢٤٧)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٥٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٧٥، ١٧٦)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١١٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٦٠٠).

قال الواحدي: (أي: لم يَشغَلْهمُ الشِّعرُ عن ذِكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ولم يجعَلوا الشِّعرَ هَمَّهم). ((البسيط)) (١٧/ ١٥١).

وقال ابن كثير: (قيل: معناه: ذكَروا اللهَ كثيرًا في كلامِهم. وقيل: في شِعرِهم. وكلاهما صحيحٌ مُكَفِّرٌ لما سبَق). ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٧٦).

وقال البِقاعي: (لم يَشغَلْهم الشِّعرُ عن الذِّكرِ، بل بَنَوا شِعرَهم على أمرِ الدِّينِ، والانتصارِ =

عن أبي هُريرةَ رَضيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((أصْدَقُ كَلِمةٍ قالها شاعِرٌ كَلِمةُ لَبيدٍ: ألَا كُلُّ شَيءٍ ما خلا اللهَ باطِلُ. وكاد أُمَيَّةُ ابنُ أبي الصَّلْتِ أن يُسلِمَ))[١].

وعن سَلَمةَ بنِ الأكْوَعِ رَضيَ اللهُ عنه، قال: ((خرَجْنا مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلى خَيْبَرَ، فسِرْنا ليلًا، فقال رجُلٌ مِن القَومِ لعامِرِ بنِ الأكوَعِ: ألَا تُسمِعُنا مِن هُنَيْهاتِك[٢]؟ قال: وكان عامِرٌ رجُلًا شاعِرًا، فنزل يَحْدو بالقَومِ يقولُ:

اللَّهمَّ لولا أنتَ ما اهتَدَيْنا ... ولا تَصَدَّقْنا ولا صَلَّيْنا

فاغفِرْ فِداءً لك ما اقتَفَيْنا[٣] ... وثبِّتِ الأقدامَ إنْ لاقَيْنا

وألْقِيَنْ سَكينةً علينا ... إنَّا إذا صِيحَ بنا أتَيْنا[٤]

وبالصِّياحِ عَوَّلوا علينا[٥]

= للشَّرعِ، فصار لذلك كله ذِكرًا لله). ((نظم الدرر)) (١٤/ ١١٥).

وقال ابن عاشور: (معنى: ﴿وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي: كان إقبالُهم على القُرآنِ والعبادةِ أكثَرَ من إقبالِهم على الشِّعرِ). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢١١).

(١) رواه البخاري (٣٨٤١)، ومسلم (٢٢٥٦) واللفظُ له.

(٢) هُنَيهاتِك: أي: أراجيزِك، والأُرْجوزَةُ: القصيدةُ مِن الرَّجَزِ. يُنظر: ((أعلام الحديث)) للخطابي (٣/ ١٧٣٦)، ((المصباح المنير)) للفيومي (١/ ٢١٩).

(٣) فِداءً لك: رُوي بالرفع: «فداءٌ» على المبتدأ، وخبره، أي: نفسي فداءٌ أو فداءٌ نفسي لك، وبالنصبِ على المصدرِ. يُنظر: ((إكمال المعلم بفوائد مسلم)) للقاضي عياض (٦/ ١٨٢).

قيل: كأنَّه قال: نفسي مبذولةٌ لرِضاك، أو هذه الكلمةُ وقعَتْ خطابًا لسامعِ الكلامِ، وقيل: هي دعاءٌ، أي: افدِنا مِن عقابِك على ما اقترَفْنا من ذنوبِنا، كأنَّه قال: اغفِرْ لنا، وافْدِنا منك فداءً لك: أي: مِن عندِك، فلا تعاقِبنا به. يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (١٠/ ٥٤٣).

واقتفينا أي: اكتسبنا. يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (١٢/ ١٦٧).

(٤) أي: جِئْنا إذا دُعينا إلى القتالِ أو إلى الحقِّ. يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (٧/ ٤٦٦).

(٥) أي: قصَدونا بالدُّعاءِ بالصَّوتِ العالي واستغاثوا علينا. يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (٧/ ٤٦٦).

فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: مَن هذا السائِقُ؟! قالوا: عامِرُ بنُ الأكوَعِ، فقال: يَرحَمُه اللهُ))[١].

وعن أُبَيِّ بنِ كَعبٍ رَضيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنَّ مِن الشِّعرِ حِكمةً))[٢].

﴿وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾.

أي: وهَجَوا شُعَراءَ المُشرِكينَ الذين هَجَوْهم ظُلمًا، فرَدُّوا عليهم بالحَقِّ؛ انتِصارًا للمُسلمينَ، فهؤلاء المُستَثنَونَ ليسوا مِن الشُّعَراءِ المَذمومينَ[٣].

عن أنسِ بنِ مالكٍ رَضيَ اللهُ عنه: ((أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم دخَل مكَّةَ في عُمرةِ القَضاءِ، وعبدُ اللهِ بنُ رَواحةَ بيْنَ يديه يمشي، وهو يقولُ:

خَلُّوا بَني الكُفَّارِ عن سَبيلِهْ ... اليَومَ نَضرِبُكم على تَنزيلِهْ
ضَربًا يُزيلُ الهامَ عن مَقيلِهْ[٤] ... ويُذهِلُ الخليلَ عن خَليلِهْ[٥]

فقال له عُمَرُ: يا ابنَ رَواحةَ، بيْنَ يَدَيْ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وفي

(١) رواه البخاري (٦١٤٨).

(٢) رواه البخاري (٦١٤٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٨١)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٥٢، ١٥٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٧٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢١١، ٢١٢).
قال الشوكاني: (يدخُلُ في هذا مَن انتصَر بشِعرِه لأهلِ السُّنَّةِ، وكافَحَ أهلَ البدعةِ، وزيَّفَ ما يقولُه شُعراؤُهم؛ مِن مدحِ بدعتِهم، وهَجوِ السُّنَّةِ المطَهَّرةِ، كما يقعُ ذلك كثيرًا مِن شُعَراءِ الرافضةِ ونحوِهم؛ فإنَّ الانتصارَ للحَقِّ بالشِّعرِ، وتزييفَ الباطِلِ به: مِن أعظَمِ المجاهدةِ، وفاعِلُه مِن المجاهدينَ في سبيلِ اللهِ، المنتصرينَ لدِينِه، القائمينَ بما أمَرَ اللهُ بالقيامِ به). ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ١٤٠).

(٤) الهامُ: جمعُ هامةٍ، وهي أعلَى الرأسِ. ومَقيله: أي: مَوضِعه. يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (٤/ ١٣٤).

(٥) أي: يُنسي ذلك الضربُ الخليلَ عن خليلِه. يُنظر: ((تحفة الأحوذي)) للمباركفوري (٨/ ١١٢).

حَرَم الله تقولُ الشِّعرَ؟! فقال له النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: خَلِّ عنه يا عُمَرُ؛ فلَهِيَ أسرَعُ فيهم مِن نَضْحِ النَّبْلِ[(١)]))[(٢)].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضيَ الله عنه: ((أنَّ عُمَرَ مَرَّ بحَسَّان وهو يُنشِدُ الشِّعرَ في المسجِدِ، فلَحَظ إليه، فقال: قد كنتُ أُنشِدُ وفيه مَن هو خيرٌ منك، ثمَّ التَفَتَ إلى أبي هُريرةَ فقال: أَنشُدُك اللهَ، أسَمِعْتَ رَسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ: أجِبْ عنِّي، اللَّهُمَّ أيِّدْه برُوحِ القُدُسِ؟ قال: اللَّهمَّ نَعَمْ))[(٣)].

وعن عائِشةَ رَضيَ الله عنها: ((أنَّ رَسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: اهجُوا قُرَيشًا؛ فإنَّه أشَدُّ عليها مِن رَشْقٍ[(٤)] بالنَّبْلِ، فأرسَلَ إلى ابنِ رَواحةَ فقال: اهجُهم، فهجاهم فلَمْ يُرْضِ، فأرسَلَ إلى كعبِ بنِ مالكٍ، ثمَّ أرسَلَ إلى حسَّان بنِ ثابتٍ، فلمَّا دخل عليه، قال حسَّان: قد آنَ لكم أن تُرسِلوا إلى هذا الأسَدِ الضَّاربِ بذَنَبِه[(٥)]، ثمَّ أدلَعَ[(٦)] لِسانَه فجعَل يُحَرِّكُه! فقال: والذي بعَثَك بالحَقِّ، لأَفْرِيَنَّهم بلِساني فَرْيَ الأديمِ[(٧)]، فقال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: لا تَعجَلْ؛ فإنَّ أبا

(١) نضْح النبلِ: أي: رمْيه، والمراد: أن أشعارَه تُؤثِّرُ فيهم تأثيرًا أسرعَ مِن تأثيرِ النبلِ. يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (٧/ ٣٠١٨)، ((تحفة الأحوذي)) للمباركفوري (٨/ ١١٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٤٧) واللفظ له، والنسائي (٢٨٧٣).

قال الترمذي: حسنٌ صَحيحٌ غريبٌ مِن هذا الوجه. وأخرجه ابنُ حبان في ((صحيحه)) (٥٧٨٨). وصحَّح الحديثَ ابنُ حجر -كما في ((الفتوحات الربانية)) لابن علان (٥/ ١٤٨)-، والألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (٢٨٤٧).

(٣) رواه مسلم (٢٤٨٥).

(٤) رشْق أي: رمْي. يُنظر: ((إكمال المعلم بفوائد مسلم)) للقاضي عياض (٧/ ٥٢٨).

(٥) المرادُ بذَنَبِه هنا: لِسانُه. يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (١٦/ ٤٩).

(٦) أدلَعَ لسانَه: أي: أخرَجَه عن الشَّفَتين. يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (١٦/ ٤٩).

(٧) أي: لأمزِقَنَّ أعراضَهم تمزيقَ الجلدِ. يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (١٦/ ٤٩).

بكرٍ أعلَمُ قُرَيشٍ بأنسابِها، وإنَّ لي فيهم نسَبًا، حتى يُلَخِّصَ[١] لك نَسَبي، فأتاه حَسَّان، ثمَّ رجَعَ فقال: يا رَسولَ اللهِ، قد لخَّصَ لي نسَبَك، والذي بعثَك بالحَقِّ لأَسُلَّنَّك منهم كما تُسَلُّ الشَّعرةُ مِن العَجينِ[٢]! قالت عائشةُ: فسَمِعْتُ رَسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ لحسَّان: إنَّ رُوحَ القُدُسِ لا يَزالُ يؤيِّدُك ما نافَحْتَ[٣] عن اللهِ ورَسولِه! وقالت: سَمِعتُ رَسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ: هَجاهم حسَّان فشَفَى واشتَفَى[٤]!)). قال حسَّان:

هجَوْتَ محمدًا فأجبتُ عنه ... وعند اللهِ في ذاك الجزاءُ
هجوتَ محمدًا برًّا حنيفًا ... رسولَ اللهِ شيمتُه الوفاءُ
فإنَّ أبي ووالِدَه وعِرضي ... لِعِرضِ محمَّدٍ منكم وقاءُ
ثَكِلتُ بُنَيَّتي[٥] إن لم ترَوْها ... تُثيرُ النَّقعَ مِنْ كَنَفَيْ كَدَاءِ[٦]
يُبارينَ الأعِنَّةَ مُصعِداتٍ[٧] ... على أكتافِها الأسَلُ الظِّمَاءُ[٨]

(١) يُلخِّص أي: يبيِّن. يُنظر: ((مطالع الأنوار على صحاح الآثار)) لابن قرقول (٢/ ٤٥٠).

(٢) أي: لأخلصَنَّ نسبَك مِن نسبِهم، بحيثُ يختصُّ الهجوُ بهم دونَك، كما أنَّ الشعرةَ إذا سُلَّت من العجينِ لا يبقَى منها شيءٌ فيه. يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (١٦/ ٤٨)، ((فتح الباري)) لابن حجر (٦/ ٥٥٤).

(٣) نافحْتَ: أي: دافَعْتَ. والمنافَحة والمكافحةُ: المدافَعةُ والمضاربةُ. يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (٥/ ٨٩).

(٤) فشفَى واشتَفَى: أي: شفَى المؤمنينَ، واشتفَى هو بما ناله مِن أعراضِ الكفارِ، ومزَّقها ونافَح عن الاسلامِ والمسلمينَ. يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (١٦/ ٤٩).

(٥) الثكل: فقْدُ الولد. وبُنيَّتي: تصغيرُ بنتٍ. والمعنى: الدعاءُ على نفْسِه إن لم يغزُ قريشًا. يُنظر: ((المفهم لما أَشْكَل من تلخيص كتاب مسلم)) للمازَري (٦/ ٤٢٨).

(٦) كَنَفَيْ كَدَاءِ: أي: جانبَي كَدا، وكَدَاءُ: ثَنِيَّةٌ على باب مكَّةَ، وهي التي يقالُ لها الحَجُونُ، وعلى هذه الروايةِ في هذا البيتِ إقواءٌ مخالفٌ لباقيها، وفي بعضِ النسخ: غايتُها كَداءُ، وفي بعضِها: موعِدُها كَداءُ. يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (١٦/ ٥٠).

(٧) مُصعِداتٍ: أي: مُقبِلاتٍ إليكم متوجِّهاتٍ. يُنظر: ((إكمال المُعْلِم)) للقاضي عياض (٧/ ٥٣١).

(٨) الأسَلُ: الرِّماحُ، والظِّماءُ: الرِّقاقُ أو العاطِشةُ بدماءِ الأعادي. يُنظر: ((إكمال المعلم)) =

تَظَلُّ جيادُنا مُتَمَطِّراتٍ[١] تُلَطِّمُهنَّ بِالخُمُرِ النِّساءُ[٢]
فإن أعرضتُمو عنَّا اعتمَرْنا وكان الفتحُ وانكَشَفَ الغِطاءُ
وإلَّا فاصبِروا لِضِرابِ يومٍ يُعِزُّ اللهُ فيهِ مَن يشاءُ
وقال الله قد أرسلتُ عبدًا يقولُ الحقَّ ليس بهِ خَفاءُ
وقال اللهُ قد يسَّرتُ جندًا هم الأنصارُ عُرضَتُها[٣] اللقاءُ
لنا في كلِّ يومٍ مِن مَعَدٍّ[٤] سِبابٌ أو قِتالٌ أو هِجاءُ
فمَن يهجو رسولَ اللهِ منكم ويمدَحُه وينصُرُه سَواءُ
وجبريلٌ رسولُ اللهِ فينا ورُوحُ القُدسِ ليس له كِفاءُ[٥]

﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا أباح سُبحانَه الانتِصارَ مِن الظَّالم، وكان البادئُ -إذا اقتصَرَ المجيبُ على جوابِه- أظلَمَ، كان إذا تجاوَزَ جديرًا بأنْ يعتديَ فيندَمَ- حَذَّرَ اللهُ الاثنينِ[٦].

وأيضًا لَمَّا ذكَرَ سبحانه في هذه السورةِ ما يُزيلَ الحزنَ عن قلْبِ رسولِه

= للقاضي عياض (٧/ ٥٣١).

(١) مُتَمَطِّراتٍ: أي: سِراعًا يُسابِقُ بَعضُها بعضًا. يُنظر: ((إكمال المعلم)) للقاضي عياض (٧/ ٥٣١).

(٢) أي: تمسحُهنَّ النساءُ بخمرِهنَّ (جمعُ خِمارٍ): أي: يُزِلْنَ عنهنَّ الغبارَ، وهذا لعزَّتِها، وكرامتِها عندَهم. يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (١٦/ ٥١).

(٣) عُرضَتُها: أي: مقصودُها ومَطلوبُها. يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (١٦/ ٥١).

(٤) يعني بمَعَدٍّ: قريشًا، نسَبهم لمعدِّ بنِ عدنانَ. يُنظر: ((المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم)) للمازَري (٦/ ٤٣٠).

(٥) رواه مسلم (٢٤٩٠).

وكِفاءُ: أي: مُماثِلٌ ومُقاوِمٌ. يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (١٦/ ٥١).

(٦) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١٢٠).

صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مِن الدلائلِ العقليَّةِ، ومِن أخبارِ الأنبياءِ المتقدمينَ، ثمَّ ذَكَرَ الدلائلَ على نبوَّتِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وردَّ على المشركينَ في تسميتِهم له تارةً بالكاهنِ، وتارةً بالشاعرِ! وبيَّنَ الفَرْقَ بيْنَه وبينَ الكاهنِ أوَّلًا، ثمَّ بَيَّنَ الفرقَ بينَه وبينَ الشاعرِ ثانيًا؛ خَتَمَ السورةَ بهذا التهديدِ العظيمِ، يعني: أنَّ الذين ظلَموا أنفُسَهم، وأعرَضوا عن تدبُّرِ هذه الآياتِ؛ والتأمُّلِ في هذه البيِّناتِ فإنَّهم سيَعلَمون بعْدَ ذلك أيَّ مُنقلَبٍ يَنقلِبونَ[1].

﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾.

أي: وسيَعلَمُ الذين ظَلَموا أنفُسَهم بالشِّركِ والمعاصي، والاعتِداءِ على حُقوقِ العبادِ؛ المآلَ السَّيِّئَ الذي سيَصيرون إليه بعْدَ مَوتِهم؛ فإنَّ مصيرَهم إلى النَّارِ[2].

الفَوائِدُ التَّربويَّةُ:

١- قَولُه تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ﴾ إلى آخرِ الآياتِ، فيه ذمُّ الشِّعرِ والمُبالغةِ في المَدحِ والهَجوِ وغَيرِهما مِن فُنونِه، وجوازُه في الزُّهدِ والأدَبِ ومَكارِمِ الأخلاقِ، وجوازُ الهَجوِ لِمَن ظُلِمَ انتِصارًا[3].

٢- في قَولِه تعالى عن الشُّعراءِ: ﴿وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ

---

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥٣٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٦٨٢)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٥٣، ١٥٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٧٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢١٣)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ١٠٨).
قال القرطبي: (في هذا تهديدٌ لِمَن انتصَرَ بظُلم، أي: سيَعلَمُ الظَّالِمون كيف يَخلُصون من بينِ يَدَيِ اللهِ عزَّ وجلَّ؛ فالظَّالمُ ينتظِرُ العقابَ، والمظلومُ ينتَظِرُ النُّصرةَ). ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٥٣).

(٣) يُنظر: ((الإكليل في استنباط التنزيل)) للسيوطي (ص: ٢٠٠).

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ دَليلٌ على أنَّ مَن تَجنَّبَ الكَذِبَ المَحْضَ في شِعْرِه ولم يَتشبَّعْ به، فقولُه للشِّعرِ مُباحٌ لا حَرَجَ عليه[1].

٣- في قَولِه تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ دَليلٌ على أنَّ الباديَ بالهِجاءِ ظالِمٌ، والمجيبَ مُنتصِرٌ، وأنَّ الانتصارَ يكونُ باللِّسانِ كما يكونُ باليَدِ[2].

٤- قال الله تعالى: ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ كان السَّلَفُ الصَّالحُ يتواعَظونَ بهذه الآيةِ؛ لأنَّك لا تجِدُ أهيَبَ منها، ولا أهوَلَ ولا أوجَعَ لقُلوبِ المتأمِّلينَ، ولا أصدَعَ لأكبادِ المتدبِّرينَ[3].

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:

١- قال الله تعالى: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ * يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ * وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ﴾ إنَّ ظاهِرَ القُرآنِ ليس فيه أنَّ الشُّعراءَ تتنزَّلُ عليهم الشَّياطينُ إلَّا إذا كان أحدُهم كذَّابًا أثيمًا؛ فالكذَّابُ في قَولِه وخَبرِه، والأثيمُ في فِعلِه وأمرِه؛ وذاك -واللهُ أعلمُ- لأنَّ الشِّعرَ يكونُ مِن الشَّيطانِ تارةً، ويكونُ من النَّفْسِ أُخرى، كما أنَّه إذا كان حَقًّا يكونُ مِن رُوحِ القُدُسِ، كما قال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لَمَّا دعا لحسَّان بنِ ثابتٍ: ((اللَّهُمَّ أيِّدْه برُوحِ القُدُسِ))[4].

---

(١) يُنظر: ((النكت الدالة على البيان)) للقصاب (٣/ ٥٣٧).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١٢٠).

(٤) يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٢/ ٥١).
والحديث تقدَّم تخريجُه (ص: ٣٨٠).

٢- في قَولِه تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ﴾ دليلٌ على أنَّ الكَهَنةَ كذَّابون أفَّاكون، لا يُغتَرُّ بتلك الكلمةِ مِن أقاويلِهم التي يُلقيها إليهم أولياؤُهم مِن الشَّياطينِ[١]!

٣- قال الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ إنَّما قال: ﴿تَنَزَّلُ﴾؛ لأنَّها أكثَرُ ما تكونُ في الهواءِ، وأنَّها تمُرُّ في الرِّيحِ[٢].

٤- في قَولِه تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ﴾ سؤالٌ: كيف قال: «أكثَرُهم» بعْدَما حَكَمَ بأنَّ كلَّ أفَّاكٍ أثيمٌ، أي: فاجرٌ؟!

الجوابُ: الضميرُ في «أكثرهم» للشياطينِ لا للأفَّاكينَ، ولو سُلِّمَ؛ فالأفَّاكون هم الذين يُكثِرون الكذبَ؛ لا أنَّهم الذين لا ينطِقونَ إلَّا بالكذبِ[٣]، فأراد أنَّ هؤلاء الأفَّاكينَ قَلَّ مَن يَصدُقُ منهم فيما يحكي عن الجنِّ، وأكثَرُهم يفتري عليهم[٤]. وقيل: (كُل) مُستعمَلةٌ في معنى التَّكثيرِ[٥].

٥- في قَولِه تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ إلى آخرِ الآياتِ دَلالةٌ على أنَّ للشِّعرِ حالتَين: حالةً مذمومةً، وحالةً مأذونةً؛ فتَعَيَّنَ أنَّ ذَمَّه ليس لكونِه شِعرًا، ولكنْ لِمَا حُفَّ به مِن معانٍ وأحوالٍ اقتَضَتِ المذمَّةَ، فانفتحَ بالآيةِ للشِّعرِ بابُ قَبولٍ ومدْحٍ، فحَقَّ على أهلِ النَّظَرِ ضبطُ الأحوالِ التي تأوي إلى جانبِ قَبولِه أو إلى جانبِ مدْحِه، والتي تأوي إلى جانبِ رفْضِه، وقد أومأَ إلى الحالةِ

(١) يُنظر: ((النكت الدالة على البيان)) للقصاب (٣/ ٥٣٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٤٥).

(٣) يُنظر: ((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٤١٦).

(٤) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٤٣)، ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥٣٨).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٦).

الممدوحةِ قولُه: ﴿وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾، وإلى الحالةِ المأذونةِ قولُه: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[1]. فليس كُلُّ الشِّعرِ مَذمومًا، بل منه ما هو مباحٌ كما ثبَت في الصَّحيحِ عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّه قال: ((إنَّ من الشِّعرِ لَحِكمةً))[2]، فاللهُ تعالى قد استثنَى من الشُّعَراءِ المذمومينَ مَن ذكَرَه؛ فدلَّ ذلك على أنَّه ليس كلُّ الشُّعَراءِ مَذمومينَ[3].

٦- قال الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ﴾ قَولُه تعالى في هذه الآيةِ الكريمةِ: ﴿يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ﴾ يدُلُّ على أنَّ اتِّباعَ الشُّعَراءِ من اتِّباعِ الشَّيطانِ؛ بدليلِ قَولِه تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾[4] [الحجر: ٤٢].

٧- قال الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ الذين استثناهم سُبحانَه من عُمومِ الشُّعَراءِ المذمومينَ وَصَفهم بأمورٍ أربعةٍ:

أحدُها: الإيمانُ، وهو قولُه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

وثانيها: العملُ الصالحُ، وهو قَولُه: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

وثالثُها: أنْ يكونَ شِعْرُهم في التَّوحيدِ والنبوَّةِ ودَعوةِ الحقِّ، وهو قَولُه: ﴿وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾.

ورابعُها: ألَّا يَذْكروا هَجْوَ أحدٍ إلَّا على سبيلِ الانتصارِ ممَّن يَهجوهم، وهو

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢١١).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ٣٧٩).

(٣) يُنظر: ((الاستغاثة في الرد على البكري)) لابن تيمية (ص: ٣٠٣).

(٤) يُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ١٠٤).

قَولُه: ﴿وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾، قال اللهُ تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨]، ثم إنَّ الشَّرطَ فيه ترْكُ الاعتداءِ؛ لِقَولِه تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾[1] [البقرة: ١٩٤].

٨- يُستفادُ مِن قَولِه تعالى: ﴿وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ أنَّه يكفي الشَّاعرَ في التفصِّي عن ذمِّ هذه الآيةِ له ألَّا يَغلِبَ عليه الشِّعرُ، فيَشغَلَه عن الذِّكرِ حتى يكونَ مِن الغاوينَ[2].

٩- قال الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ هذا يشيرُ إلى أنَّ الشَّاعِرَ يَقِلُّ ذِكرُه للهِ، فما امتلأ قلبُه مِن الشِّعرِ إلَّا بَعُدَ عنه ذِكْرُ اللهِ[3].

بلاغةُ الآياتِ:

١- قوله تعالى: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ استِئنافٌ مَسوقٌ لبَيانِ استحالةِ تَنزُّلِ الشيَّاطينِ على رسُولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، بعْدَ بَيانِ امتناعِ تَنزُّلِهم بالقرآنِ[4].

- والاستفهامُ في قولِه: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ﴾ استفهامُ توقيفٍ وتقريرٍ[5].

- والجُملةُ مُتَّصلةٌ في المعنى بجُملةِ ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [الشعراء: ٢١٠]، أي: ما تنزَّلتِ الشَّياطينُ بالقرآنِ على محمَّدٍ، هل أُنبِّئكم على مَن تنزَّلُ الشَّياطينُ؟ وأُلْقيَ الكلامُ إليهم في صورةِ استِفهامِهم عن أنْ يُعرِّفَهم بمَن تَتنزَّلُ عليه الشَّياطينُ، استفهامًا فيه تعريضٌ بأنَّ المُستفهَمَ عنه ممَّا

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥٣٨).
(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤/ ١١٩).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: ٣١٣).
(٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٨).
(٥) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٩٩).

يَسوؤُهم لذلك، ويُحتاجُ فيه إلى إذْنِهم بكشْفِه.

وهذا الاستفهامُ صُوريٌّ مُستعمَلٌ كِنايةً عن كونِ الخبرِ ممَّا يُستأذَنُ في الإخبارِ به. واختِيرَ له حرفُ الاستفهامِ الدَّالُّ على التَّحقيقِ -وهو (هلْ)-؛ لأنَّ (هل) في الاستفهام بمعنى (قد)، والاستفهامُ مُقدَّرٌ فيها بهمزةِ الاستفهامِ، فالمعنى: أُنبِّئُكم إنباءً ثابتًا مُحقَّقًا، وهو استفهامٌ لا يُترقَّبُ منه جوابُ المُسْتفهَمِ؛ لأنَّه ليس بحقيقيٍّ؛ فلذلك يَعقبُه الإفضاءُ بما استُفْهِمَ عنه قبْلَ الإذنِ مِن السَّامعِ[١].

- وفِعلُ ﴿أُنَبِّئُكُمْ﴾ مُعلَّقٌ عن العَملِ[٢] بالاستِفهامِ في قولِه: ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾[٣]، وهو أيضًا استِفهامٌ صُوريٌّ معناه الخبرُ كِنايةً عن أهمِّيَّةِ الخبرِ، بحيث إنَّه ممَّا يُستفهَمُ عنه المُتحسِّسونَ ويَتطلَّبونَه، فالاستفهامُ مِن لوازمِ الاهتمامِ[٤].

- قولُه: ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ﴾ فيه تقديمُ المجرورِ على عاملِه؛ للاهتِمامِ بالمُتنزَّلِ عليه، وأصْلُ التَّركيبِ: مَن تنزَّلُ عليه الشَّياطينُ، فلمَّا قُدِّمَ المجرورُ دخَلَ حرْفُ (على) على اسمِ الاستفهامِ، وهو (مَن)؛ لأنَّ ماصَدَقَها[٥] هو المُتنزَّلُ عليه[٦].

٢- قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ فيه مُناسَبةٌ حَسَنةٌ، حيثُ فرَّقَ بيْنَ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٥).

(٢) التَّعليقُ: هو إبطالُ العمَلِ لفظًا لا محلًّا؛ لمَجيءِ ما له صدرُ الكلامِ بعدَه. يُنظر: ((أوضح المسالك)) لابن هشام (٢/ ٥٠).

(٣) قال السمين الحلبي: (قولُه: ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ﴾ متعلِّقٌ بـ ﴿تَنَزَّلُ﴾ بعدَه، وإنما قُدِّمَ؛ لأنَّ له صدَرَ الكلامِ، وهو مُعَلِّقٌ لِما قبْلَه مِنْ فعلِ التنبئةِ؛ لأنَّها بمعنى العِلمِ). ((الدر المصون)) (٨/ ٥٦٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٥).

(٥) تقدم تعريفه (ص: ٣٠).

(٦) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٥).

آياتِ ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢]، ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [الشعراء: ٢١٠]، ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [الشعراء: ٢٢١]، مع أنَّهنَّ أخواتٌ؛ لأنَّه أُريدَ التَّفريقُ بيْنهنَّ بآياتٍ لَيستْ في معناهنَّ؛ لِيُرجَعَ إلى المَجيءِ بهنَّ، وتطْريةِ ذِكْرِ ما فيهنَّ كرَّةً بعدَ كرَّةٍ؛ فيُدَلَّ بذلك على أنَّ المعنى الَّذي نزَلْنَ فيه مِن المعاني الَّتي اشتَدَّتْ كراهةُ اللهِ لخلافِها. ومثالُه: أنْ يُحدِّثَ الرَّجلُ بحديثٍ، وفي صَدرِه اهتمامٌ بشَيءٍ منه وفضْلُ عِنايةٍ، فتَراهُ يُعيدُ ذِكْرَه، ولا يَنفكُّ عن الرُّجوعِ إليه[1]، فهذه الآياتُ الثَّلاثُ نازِلةٌ في شأْنِ القُرآنِ، وفيما يَنْبغي أنْ يُقالَ فيه وما لا يَنْبغي، ولم تَجِئْ على نَسَقٍ واحدٍ، حيثُ لم يقُلْ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ * عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾، ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ * وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾، ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ﴾، ولم تَجِئْ واردةً على وَتيرةٍ واحدةٍ، بل فُرِّقَ بيْنهنَّ بآياتٍ مُتباعدةِ المعاني؛ ووجْهُ ذلك: أنَّها كالتَّراجيعِ للمَعاني الَّتي تخلَّلتْ بيْنهنَّ؛ فإنَّ قولَه تعالى: ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ كالتَّرجيعِ مِن قَصصِ الأنبياءِ عليهم السَّلامُ إلى ما بُدِئَ منه في فاتحةِ السُّورةِ مِن ذِكْرِ الكتابِ، وتكذيبِ القَومِ له، وقولَه: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ مَذكورٌ بعدَ إهلاكِ القُرى المُنذَرةِ، وقولَه: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ مَسوقٌ بعدَ النَّهيِ عن ادِّعاءِ غيرِ اللهِ تعالى إلهًا، وكلُّ هذه الآياتِ مُتدانيةُ المعاني في نفْسِها، لكنَّها تَبعُدُ مُناسبَتُها ظاهرًا عن معنى تلك الآياتِ الثَّلاثِ، والتَّرجيعُ -كما عُلِمَ- يَسْتدعي شِدَّةَ الاتِّصالِ بما رُجِعَ به إليها؛ فدلَّ ذلك على شِدَّةِ الكراهيةِ لِمَا نزَلَت الآياتُ فيه، وهو إنكارُ قُريشٍ أنَّ القرآنَ ليس مِن عندِ اللهِ، وأنَّه مِن جِنسِ ما كان يَنزِلُ على الكَهنةِ

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٤٣)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ٢٠٠).

والشُّعراءِ(١).

- وقولُه: ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ قَصْرٌ لِتنزُّلِهم على كلِّ مَن اتَّصَفَ بالإفكِ الكثيرِ، والإثمِ الكبيرِ مِن الكَهنةِ والمُتنبِّئةِ، وتَخصيصٌ له بهم بحيث لا يَتخطَّاهم إلى غيرِهم، وحيثُ كانت ساحةُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مُنزَّهةً عن أنْ يَحُومَ حوْلَها شائبةُ شَيءٍ مِن تلك الأوصافِ؛ اتَّضَحَ استحالةُ تَنزُّلِهم عليه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ(٢).

- قولُه: ﴿أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾، الأفَّاكُ: الكثيرُ الإفكِ، وهو الكذبُ، والأثيمُ: كثيرُ الإثمِ، وهما صِيغتَا مُبالَغةٍ(٣).

٣- قوله تعالى: ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾

- قولُه: ﴿يُلْقُونَ .. وَأَكْثَرُهُمْ﴾ جُمِعَ الضَّميرُ؛ لأنَّ كلَّ أفَّاكٍ فيه عُمومٌ وتحْتَه أفرادٌ(٤).

- وإلْقاءُ السَّمعِ هو شِدَّةُ الإصغاءِ -على أحدِ المعنيَينِ- حتَّى كأنَّه إلْقاءٌ للسَّمعِ مِن مَوضعِه؛ شبَّهَ تَوجيهَ حاسَّةِ السَّمعِ إلى المسموعِ الخفيِّ بإلقاءِ الحجَرِ مِن اليدِ إلى الأرضِ أو في الهواءِ(٥).

- ولَمَّا كان حالُ الكُهَّانِ قد يَلتبِسُ على ضُعفاءِ العقولِ ببعضِ أحوالِ النُّبوَّةِ في الإخبارِ عن غيْبٍ، وأسجاعُهم قد تلْتبِسُ بآياتِ القرآنِ في باديءِ

(١) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٤٤٢، ٤٤٣).
(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٨).
(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٩٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٦).
(٤) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٩٩).
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٦).

النَّظرِ: أطْنَبَتِ الآيةُ في بَيانِ ماهيَّةِ الكهانةِ، وبيَّنَتْ أنَّ قُصاراها الإخبارُ عن أشياءَ قليلةٍ قد تَصدُقُ؛ فأينَ هذا مِن هدْيِ النَّبيِّ والقرآنِ وما فيه مِن الآدابِ والإرشادِ والتَّعليمِ، والبلاغةِ والفصاحةِ، والإعجازِ؟! ولا تَصدِّيَ منه للإخبارِ بالمُغيَّباتِ، كما قال: ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠] في آياتٍ كثيرةٍ مِن هذا المعنى[١].

٤- قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ استِئنافٌ أبطَلَ كونَه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ شاعرًا، وقرَّره بـ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾؛ فهو استئنافٌ مَسوقٌ لإبطالِ ما قالُوا في حقِّ القُرآنِ العَظيمِ مِن أنَّه مِن قَبيلِ الشِّعرِ، وأنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِن الشُّعراءِ، ببَيانِ حالِ الشُّعراءِ المُنافيةِ لحالِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، بعْدَ إبطالِ ما قالوا: إنَّه مِن قَبيلِ ما يُلْقي الشَّياطينُ على الكَهنةِ مِن الأباطيلِ[٢].

- وكان ممَّا افتراه المشركون بُهتانًا وزُورًا: أنْ قالوا في النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: هو شاعرٌ، فلمَّا أبطَلت الآياتُ السابقةُ ما افترَوه، وكان منها قولُهم: هو كاهِنٌ؛ لم يَبْقَ إلَّا إبطالُ قولِهم: هو شاعرٌ، وكان بيْنَ الكِهانةِ والشِّعرِ جامعٌ في خَيالِ المُشركينَ؛ إذ كانوا يَزعُمون أنَّ للشَّاعرِ شَيطانًا يُمْلي عليه الشِّعرَ، وربَّما سمَّوهُ الرَّئيَّ؛ فناسَبَ أنْ يُقارَنَ بيْنَ تَزييفِ قولِهم في القرآنِ: هو شِعرٌ، وقولِهم في النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: هو شاعرٌ، وبيْن قولِهم: هو قولُ كاهنٍ، كما قُرِنَ بيْنهما في قولِه تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤١-٤٢]؛ فعطَفَ هنا قولَه: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ على جُملةِ ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[٣] [الشعراء: ٢٢٢].

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٥٢)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٦٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٧).

- ولَمَّا كان حالُ الشُّعراءِ في نَفْسِ الأمرِ مُخالِفًا لحالِ الكُهَّانِ -إذ لم يكُنْ لِمَلَكةِ الشِّعرِ اتِّصالٌ ما بالنُّفوسِ الشَّيطانيَّةِ، وإنَّما كان ادِّعاءُ ذلك من اختلاقِ بعضِ الشُّعراءِ أشاعوهُ بيْنَ عامَّةِ العرَبِ-: اقتَصرَتِ الآيةُ على نفْيِ أنْ يكونَ الرَّسولُ شاعرًا، وأنْ يكونَ القرآنُ شِعرًا، دونَ تعرُّضٍ إلى أنَّه تَنزيلُ الشَّياطينِ، كما جاء في ذِكرِ الكهانةِ(١).

- وأَدْمَجَتِ الآيةُ حالَ مَن يتَّبِعُ الشُّعراءَ بحالِهم؛ تَشويهًا للفريقينِ، وتَنفيرًا منهما؛ فكانتْ هذه الآيةُ نفْيًا للشِّعرِ أنْ يكونَ مِن خُلقِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وذمًّا للشُّعراءِ الَّذين تَصدَّوا لهجائِه؛ فقولُه: ﴿يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ ذمٌّ لِأتْباعِهم، وهو يَقْتضي ذمَّ المَتبوعينَ بالأَحرى، وفيه كِنايةٌ عن تَنزيهِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنْ يكونَ منهم؛ فإنَّ أتْباعَه خِيرةُ قومِهم، وليس فيهم أحدٌ مِن الغاوينَ؛ فقدِ اشتمَلَتْ هذه الجُملةُ على تنزيهِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وتَنزيهِ أصحابِه، وعلى ذَمِّ الشُّعراءِ وذَمِّ أتْباعِهم، وتَنزيهِ القرآنِ عن أن يكونَ شِعرًا(٢).

- وقولُه: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ فيه تَقديمُ المُسنَدِ إليه ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾ على المُسنَدِ الفِعليِّ ﴿يَتَّبِعُهُمُ﴾؛ لمُجرَّدِ التَّقوِّي والاهتِمام بالمُسنَدِ إليه لِلَفْتِ السَّمعِ إليه، والمقامُ مُستغْنٍ عن الحَصرِ؛ لأنَّه إذا كانوا يتَّبِعُهم الغاوونَ فقد انتَفَى أتْباعُهم عن الصَّالحينَ؛ لأنَّ شأْنَ المجالسِ أنْ يتَّحِدَ أصحابُها في النَّزعةِ. وقيل: التقديمُ للحَصْرِ، أي: لا يَتَّبِعُهم إلَّا الغاوونَ؛ لأنَّه أصرحُ في نَفْيِ اتِّباعِ الشُّعراءِ عن المُسلِمينَ؛ فتقديمُ المُسنَدِ إليه على الخَبرِ الفِعليِّ يُفيدُ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٧، ٢٠٨).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ٢٠٨).

تَخصيصَه بالخبَرِ، أي: قصْرَ مضمونِ الخبرِ عليه، فهو قصرٌ إضافيٌّ(١).

٥- قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ استِشهادٌ على أنَّ الشُّعراءَ إنَّما يتَّبِعُهم الغَاوُونَ، وتَقريرٌ له. والخِطابُ لكُلِّ مَن تَتأتَّى منه الرُّؤيةُ؛ للقَصْدِ إلى أنَّ حالَهم مِن الجَلاءِ والظُّهورِ بحيثُ لا تَختصُّ برُؤيةِ راءٍ دُونَ راءٍ(٢).

- قولُه: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ الاستِفهامُ في قولِه: ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ تقْريريٌّ، وأُجْرِيَ التَّقريرُ على نفْيِ الرُّؤيةِ؛ لإظهارِ أنَّ الإقرارَ لا مَحيدَ عنه، والخِطابُ لغيرِ مُعيَّنٍ. وجُملةُ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ وما عُطِفَ عليها مُؤكِّدةٌ لِمَا اقتضَتْه جُملةُ ﴿ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾، مِن ذَمِّ الشُّعراءِ بطريقِ فَحوى الخِطابِ(٣).

- قولُه: ﴿ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ ذِكْرُ الوادي والهُيومِ فيه تَمثيلٌ لذَهابِهم في كلِّ شِعْبٍ مِن القولِ، واعتِسافِهم، وقِلَّةِ مُبالاتِهم بالغُلوِّ في المنطقِ، ومُجاوزةِ حَدِّ القَصْدِ فيه(٤)، فمُثِّلَت حالُ الشُّعراءِ بحالِ الهائمينَ في أوديةٍ كثيرةٍ مُختلفةٍ؛ لأنَّ الشُّعراءَ يَقولونَ في فُنونٍ مِن الشِّعرِ: مِن هجاءٍ واعتداءٍ على أعراضِ النَّاسِ، ومِن نَسيبٍ وتَشْبيبٍ بالنِّساءِ، ومَدْحِ مَن يَمْدحُونه رَغبةً في عَطائِه، وإنْ كان لا يَستحِقُّ المدْحَ، وذَمِّ مَن يَمنعُهم وإنْ كان من أَهْلِ الفَضلِ، وربَّما ذمُّوا مَن كانوا يَمْدحونَه، ومدَحوا مَن سبَقَ لهم ذَمُّه؛ فمُثِّلُ حالُ الشُّعراءِ بحالِ الإبلِ الرَّاعيةِ في الأوديةِ مُتحيِّرةً؛ لأنَّ الشُّعراءَ في

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٤٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٨، ٢٠٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٧٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٩).

(٤) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٤٤)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ٢٠٠، ٢٠١).

حِرْصٍ على القولِ لاختلابِ النُّفوسِ[١].

- وقد كُنِّيَ باتِّباعِ الغاوينَ إيَّاهم عن كَونِهم غاوينَ، وأُفيدَ بتَفظيعِ تَمثيلِهم بالإبلِ الهائمةِ تَشويهُ حالتِهم، وأنَّ ذلك مِن أجْلِ الشِّعرِ[٢].

٦- قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ كأنَّه لَمَّا كان إعجازُ القرآنِ مِن جِهةِ اللَّفظِ والمعنى، وقد قَدَحوا في المعنى بأنَّه ممَّا تنزَّلتْ به الشَّياطينُ، وفي اللَّفظِ بأنَّه مِن جِنسِ كلامِ الشُّعراءِ؛ تكلَّمَ في القِسْمَينِ وبيَّن مُنافاةَ القُرآنِ لهما، ومُضادَّةَ حالِ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لحالِ أربابِهما[٣].

٧- قولُه تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ ختَمَ هذه السُّورةَ الجَليلةَ بآيةٍ ناطقةٍ بما لا شَيءَ أهيَبَ منه وأهوَلَ، ولا أنْكى لقُلوبِ المُتأمِّلينَ، ولا أصدَعَ لأكبادِ المُتدبِّرينَ؛ وذلك قولُه: ﴿وَسَيَعْلَمُ﴾ وما فيه مِن الوَعيدِ البليغِ، وقولُه: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وما فيه مِن الإطلاقِ والتَّعميمِ، وقولُه: ﴿أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ وما فيه مِن الإيهامِ والتَّهويلِ[٤]؛ فهذه الآيةُ تحذيرٌ عن غَمْصِ الحُقوقِ، وحثٌّ على استِقصاءِ الجُهْدِ في النُّصحِ للأُمَّةِ، وهي ناطقةٌ بأهيَبِ مَوعظةٍ وأهوَلِ وعيدٍ لِمَن تَدبَّرَها؛ لِمَا اشتَمَلَتْ عليه مِن حَرفِ التَّنفيسِ (السين) المُؤْذِنِ بالاقترابِ، ومِن اسمِ الموصولِ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ المُؤذِنِ بأنَّ سُوءَ المُنقلَبِ يَترقَّبُ الظَّالمينَ لأجْلِ ظُلْمِهم، ومِن الإبهامِ في قولِه: ﴿أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾؛ إذ تُركَ تبْيينُه بعِقابٍ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠٩).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ٢١٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٥٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٤٥)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٥٢)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ٢٠٢)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٧١).

مُعيَّنٍ؛ لتَذْهبَ نُفوسُ المُوعَدِينَ في كلِّ مذهبٍ مُمكِنٍ مِن هَولِ المُنقلَبِ، وهو على الإجمالِ مُنقلَبُ سُوءٍ[1].

- قوله: ﴿وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ ناسَبَ ذِكْرِ الظُّلم أنْ يُنتقلَ منه إلى وَعيدِ الظَّالمينَ، وهم المُشرِكون الَّذين ظَلَموا المسلمينَ بالأذى والشَّتْمِ بأقوالِهم وأشعارِهم[2].

- وجُعِلَتْ هذه الآيةُ في مَوقعِ التَّذييلِ؛ فاقتضَتِ العُمومَ في مُسمَّى الظُّلم الشَّاملِ للكُفرِ، وهو ظُلْمُ المرْءِ نفْسَه، ولِلْمعاصي القاصِرةِ على النَّفْسِ كذلك، وللاعتداءِ على حُقوقِ النَّاسِ[3].



تمَّ بحمدِ الله المجلدُ الحادي والعشرونَ

ويليه المجلدُ الثاني والعشرونَ

وأوَّلُه تفسيرُ سورةِ النملِ

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢١٣).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).







الفهرس





الفهرس

تم الصف والإخراج في مؤسسة
الدُّرَر السَّنِيَّة
www.dorar.net
nashr@dorar.net ٠٥٥٦٩٨٠٢٨٠